تسعة كتب

في أصول التصوف والزهد

لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي

(المتوفى سنة ٤١٢هـ)

حققها وعلق عليها

الدكتور سليمان ابراهيم آتش

الناشر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

تسعة كتب
في أصول التصوف والزهد

تسعة كتب

في أصول التصوف والزهد

لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي

(المتوفى سنة ٤١٢هـ)

رحمه الله تعالى ونفعنا ببركات علمه وفيضه

حَقَّقَها وعَلَّقَ عَلَيْها

الدكتور سليمان إبراهيم آتش

أستاذ التفسير في كلية الإلـهيات بجامعة أنقرة حالياً
وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً

الناشر

للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

هاتف ٣٤٣٨٨٦ ـ ص.ب ٥٩٢٠ ـ ١١٣ ـ تلكس ٤٣٢١٨ ـ فاكس ٨٦٠١٣٨ ـ ١ ـ ٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا شكّ أن تزكية النفس وتطهير القلب من أجلّ مقاصد الشرائع الإلهية. وكيف لا، وقد فرضت العبادات للوصول إلى هذه الغاية النبيلة التي تفتح للإنسان سعادتي الأولى والآخرة.

وكما كان لكلّ أمر ذي بال طريقة ومنهاج، كان لتزكية النفس طريقة ومنهاج. وقد سمي العلم المختص بتزكية النفس «التصوف»؛ فنريد أن نذكر هنا شيئاً من ظهور هذا العلم ونشوئه، وذلك تمهيداً لموضوعنا الأصلي، ألا وهو العالم النحرير، والصوفي الكبير أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي الأزدي النيسابوري، وتحقيق كتبه التسعة. والله الموفق.

اشتقاق كلمة «التصوف»:

في اشتقاق هذه الكلمة آراء مختلفة على النحو الآتي: اشتقت من «الصفاء»، أو من «الصاف»، أو من النسبة إلى قبيلة «صوفة» كانت تخدم الكعبة قبل الإسلام، أو من كلمة «صوفوس» بمعنى الحكمة في

اليونانية، أو من «الصوف» المعروف. ويبدو أن الرأي الأخير هو الأرجح في منشأ «التصوف» من الناحية اللغوية والمعنوية. وذلك لأن نسبة «الصوف»، هي «الصوفي». يقال لمن لبس القميص «تقمّص»، ويقال لمن لبس «الصوف» تصوّف. ومصدره «التصوّف»، والفاعل منها «المتصوِّف»[1]. وكما ذكرَ الحسن البصري كان أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لباسهم من الصوف، حيث قال الحسن رحمه الله: «أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف»[2]. وروي عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضعيف»[3]. وكذلك حثّ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على لبس الصوف بقوله: «عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم»[4].

ويفهم من روايةٍ ذكرها السرّاج في اللمع أن هذا الاسم استعماله قديم جداً، حتى كان يستعمل قبل الإسلام. يقول السرّاج: «وقد روي عنه (أي عن الحسن البصري) أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه، وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي». وروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي، ما عرفت

---

(١) A.J. Arberry, Sufism, p. 85, London 1950; L. Massignon, Shorter Encyclopedia of Islam, p. 579.

(٢) حلية الأولياء: ٢/١٣٤.

(٣) رواه الحاكم في كتاب الإيمان للمستدرك: ١/٦١. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) المستدرك: ١/٢٨.

دقيق الرياء. وقد ذكر في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثاً: «أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفيٌّ فيطوف بالبيت وينصرف. فإن صحّ ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم»(١).

وسئل الجنيد (٢٩٧هـ / ٩٠٩م) عن التصوف فقال: «الخروج عن كلّ خلق دني، والدخول في كلّ خلق سنيّ». وأجاب الجنيد على سؤال آخر عن التصوّف قائلاً: «أن تكون مع الله بلا علاقة». وسئل محمد بن علي القصّاب (٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، أستاذ الجنيد، عن التصوف فقال: «أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم مع قوم كرام».

وسئل رويم (٣٠٣هـ / ٩١٥م) عن التصوف فقال: «استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده». وسئل سمنون (٣٠٠هـ / ٩١٢م) عن التصوف فقال: «أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء». وسئل عمرو بن عثمان المكي (٢٩١هـ / ٩٠٣م) عن التصوف فقال: «أن يكون العبد في كلّ وقت بما هو أولى في الوقت». وسئل علي بن عبدالرحيم القناد عن التصوف فقال: «نشر مقام، واتصال بالدوام»(٢).

وقال الجنيد مجيباً عن سؤال عن التصوف: «اسم جامع لعشرة

---

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر السرّاج الطوسي: ص ٤٢ ــ ٤٣، تحقيق: د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور، مصر ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

(٢) اللمع في التصوف،: ص ٤٥.

معاني: التقلل من كل شيء من الدنيا عن التكاثر فيها، والثاني اعتماد القلب على الله عز وجل من السكون إلى الأسباب، والثالث الرغبة في الطاعات من التطوع في وجود العوافي، والرابع الصبر عن فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى، والخامس التمييز في الأخذ عند وجود الشيء، والسادس الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال، والرابع الذكر الخفي عن جميع الأذكار، والثامن تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة، والتاسع اليقين في دخول الشك، والعاشر السكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة. فإذا استجمع هذه الخصال استحق بها الاسم وإلاّ فهو كاذب».

وسئل ذو النون (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) رحمة الله عليه عن الصوفي فقال: «من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق». وقال أبو الحسن المزيّن: «التصوّف قميص قمصه الله أقواماً، فإن ألهموا عليه الشكر وإلاّ كان خصمهم في ذلك الله عز وجل».

وسئل الخواص عن التصوف فقال: «اسم يغطى به عن الناس إلاّ أهل الدراية وقليل ما هم». قال أبو الحسن الفرغاني: سألت أبا بكر الشبلي، ما علامة العارف فقال: «صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح..» قيل: هذا علامة العارف، فمن العارف؟ قال: «العارف الذي عرف الله عز وجل، وعرف مراد الله عز وجل، وعمل بما أمر الله، وأعرض عما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله عز وجل». قيل: هذا العارف، فمن الصوفي؟ فقال: «من صفا قلبه فصفى، وسلك طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق

الهوى طعم الجفا». قيل له: أحسن من هذا ما التصوف؟ قال: «تسليم تصفية القلوب لعلّام الغيوب». قيل له: أحسن من هذا ما التصوف؟ فقال: «تعظيم أمر الله، وشفقته على عباد الله...».

وسئل السَّرِيُّ السقَطِيُّ (٢٥١هـ/ ٨٦٥م) عن التصوف فقال: «التصوف خلق كريم، يخرجه الكريم إلى قوم كرام». وسئل أبو همام عبدالرحمن بن مجيب عن الصوفي فقال: «لنفسه ذابح، ولهواه فاضح، ولعدوه جارح، وللخلق ناصح. دائم الوجل، يحكم العمل، ويبعد الأمل، ويسدد الخلل، ويغضي على الذلل. عذره بضاعة، وحزنه صناعة، وعيشه قناعة. بالحق عارف، وعلى الباب عاكف، وعن الكلّ عازف. تربية بِرّه، وشجرة وده، وراعى عهده»[1].

وإن كانت الألفاظ مختلفة، لكن المعنى المقصود من هذه التعريفات واحد وهو: الوصول إلى إدراك الحقائق ومشاهدة جمال الله الذي يتجلّى في كلّ ذرة من الكون. وذلك بتطهير النفس من الأدران المعنوية، وأوساخ الأخلاق الرديئة، وتفريغ القلب من الأطماع الدنيوية، ليخصص بحب الله وذكره. واعتبار العبد نفسه عديماً في وجود الله السرمدي، واتباع أوامر الشرع اتباعاً كاملاً، والاستسلام لأوامر الله وإرادته كلّ الاستسلام، وذلك هو أعلى المقام.

منشأ التصوف:

يُفهم مما سبق أن التصوف عبارة عن حالة وجدانية جذورها في القرآن وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن في عهده

---

(١) حلية الأولياء: ١/٢٢ ــ ٢٣.

صلى الله عليه وسلم طائفة باسم «الصوفية» أو «المتصوفة»، لأن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أعلى الرتب بعد النبوة. وقد فصّل القرآن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طبقات وهم: السابقون الأولون من المهاجرين، والسابقون الأولون من أهل المدينة ـ أي الأنصار ـ، ثم الذين أسلموا بعد أولئك المسلمين الأوائل. قال الله تعالى في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال أيضاً في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً. ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

ولم ينقسم الأصحاب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الفقهاء، والمحدّثين، والمفسرين، والزهّاد. وإن كان بينهم فروق كثيرة من حيث العلم والفهم. وقد بدأت الاختصاصات تتكوّن شيئاً فشيئاً في

---

(١) الآيات: ٨ ـ ١٠.

(٢) الآية: ١٠٠.

أوائل عهد التابعين رضوان الله عليهم أجمعين. فصار كلّ طائفة تذكر بما تعتني به من العلم والفن، كالمفسرين، والمحدثين، والفقهاء، وأمثالهم. فكما ذُكِرت كل طائفة باسم يدلّ على اختصاصها، كذلك ذكرت طائفة المختصين بالزهد وتزكية النفس وتهذيب الروح، باسم الصوفية. واشتهر هذا العنوان قبل نهاية القرن الثاني من الهجرة. وأول من دعي بهذا الاسم هو أبو هاشم الصوفي الذي قال فيه سفيان الثوري (١٦١هـ / ٧٧٧م): «لولا أبو هاشم ما عرفت دقيق الرياء»[1]. وأما السراج فيقول: «من المستحيل أن يكون هذا الاسم محدثاً أحدثه البغداديون، لأنه كان يُعْرف في وقت الحسن البصري. وقد روي عنه أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي. وقد ذكر سفيان الثوري في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحق بن يسار وعن غيره يذكر فيه حديثاً: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت فينصرف. فإن صح ذلك فإنه يدلّ على أنه قبل الإسلام كان يُعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح[2].

إذاً ليست هذه النزعة بدعة، والاسم ليس محدثاً، بل كانت النزعة قديمة العهد والاسم كان يستعمل قبل الإسلام لأهل الفضل والصلاح.

---

(١) اللمع في التصوف: ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق: ص ٤٢ ــ ٤٣.

طراز حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

وقد تطورت النزعة الصوفية من روح القرآن وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم. ويدلّ على ما قلناه طراز حياة النبي عليه السلام. «وكان صلى الله عليه وسلم، حُبّب إليه الخلاء (أي الخلوة)، وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها...»[1]. ويشرح ابن حجر التحنث والتعبد فيقول: «يتحنث بمعنى يتحنّف، أي يتبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم، والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم. وقد وقع في رواية ابن هشام في السيرة (يتحنّف) بالفاء، أو التحنّث إلقاء الحنث وهو الاثم، كما قيل يتأثّم ويتحرّج ونحوهما. قوله «التعبد الليالي ذوات العدد» يتعلق بقوله يتحنث، وإبهام العدد لاختلافه.. وهو بالنسبة إلى المدد التي يتخللها مجيئه إلى أهله، وإلاّ فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر. وذلك الشهر كان رمضان. رواه ابن إسحق»[2].

وقال صاحب بلوغ الأماني شرح فتح الرباني (٢٠/٢٠٧): «أصل الحنث الاثم. فمعنى يتحنث: يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث. ولا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل والكثير».

هذه الرواية تدلّ على أن الحركة الزهدية كانت موجودة قبل الإسلام في البيئة التي نشأ بها النبي صلى الله عليه وسلم. وكان بعض الناس يتعبدون لله خالين عن الناس أياماً، وكان هذا التعبد في الخلوة

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١/٢٤.

يمارس في شهر رمضان خاصة. وكان هذا القوم يسمّون «الحنفاء». فالنبي صلى اللّه عليه وسلم كان من أولئك الحنفاء قبل مبعثه، يفكر بربه ويعبده على حسب دين إبراهيم: كالذكر، والصوم، والصلوة ــ وذلك بأشكالها قبل الإسلام ــ. والذين رأوا زهده وعبادته وحبه للّه قالوا: «عشق محمد ربه»[1]. هكذا كانت حالته صلى اللّه عليه وسلم، وهذه الحالة هي التي هيّأته ليتلقى الوحي من المَلَك.

ولم تنقطع أعماله النفسية والفكرية، وعباداته التي بدأت بشكل التحنث قبل عدة سنوات من البعثة، بل استمرت بعد مبعثه عليه السلام مائلاً نحو الزيادة. إذ أمره ربه بأن يقضي قسطاً كبيراً من لياليه بالعبادة والذكر وقراءة القرآن ترتيلاً، حيث قال:

﴿يا أيُّها المُزّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاّ قليلاً، نِصفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَليلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً.. وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[2].

وأكد أمره في سورة الإسراء قائلاً: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لك عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾[3].

ثم أظهر إعجابه بما يقوم به رسوله وطائفة من أصحابه: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ...﴾[4].

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي: ص ٥٠، مصر.

(٢) سورة المزمل: ١ ــ ٨.

(٣) سورة الإسراء: ٧٩.

(٤) سورة المزمل: ٢٠.

وذكر أن المتقين قد نالوا الجنة ونعيمها بتلك الأعمال الصالحة: بالصلاة، والاستغفار آناء الليل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ، كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١).

ويَعِد الذين يقولون: ﴿رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ جنات تجري من تحتها الأنهار، ثواباً لهؤلاء العباد المخلصين لله وحده ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ والْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(٢).

ووصف أيضاً المؤمنين الصادقين بأنهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(٣).

كما أثنى على زكريا وأهله قائلاً: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٤).

ولقد بعث الله نبيَّ آخر الزمان ليعلّم البشر طرق الوصول إلى الكمالات الروحية والخلقية فأدّبه الله أدب الكمال ليعلّم هو بدوره البشر أحسن الآداب. فنريد أن نشير إلى شيء من كمال أدبه عليه السلام.

كان صلى الله عليه وسلم يعيش حياة بسيطة، بعيدة عن التكلف، حيث قال: «خُيِّرت بين أن أكون نبيًّا مَلِكاً أو نبيًّا عبداً، فأشار إليّ

---

(١) سورة الذاريات: ١٥ ــ ١٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٦ ــ ١٧.

(٣) سورة السجدة: ١٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٠.

جبريل عليه السلام أن أتواضع، فقلت: بل أكون نبياً عبداً: أشبع يوماً وأجوع يوماً»[1].

وكان أبو سعيد الخدري رضي اللّه عنه يصف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كما روي عنه: «كان رسول اللّه صلى اللّه عيه وسلم يعقل البعير، ويعلف الناضِحَ، ويقمّ البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا هي أعيت، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئاً، وكان لا يرد من دعاء، ولا يحقر ما دعي إليه، ولو إلى حشف التمر، وكان لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، مخزوماً من غير عبوس، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، دائم الإطراق، رحيماً بكلّ مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولا مد يده إلى طمع»[2].

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند حسن، والبيهقي في الزهد، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة. (تخريج أحاديث اللمع لعبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور، ص ٥٧٠).

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرج أبوالحسن الضحاك في الشمائل حديث أبي سعيد الطويل الذي قال فيه: متواضعاً من غير مذلة. وإسناده ضعيف.
وهذا الحديث جمع فيه محاسن من محاسنه صلى اللّه عليه وسلم التي لا تحصى، وهي من ضمن أوصافه وسجاياه المشهورة منثورة في كتب السنّة الصحيحة: «يلبس الصوف ويعقل البعير» رواه البزار من حديث أبي موسى. «يعلف الناضح ويقمُّ البيت» للبخاري من حديث عائشة: كان يكون في مهنة أهله. وفي مسند الإمام أحمد: «ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» ورجاله الصحيح. (انظر لبقية التخريج: تخريج أحاديث اللمع، بذيل كتاب «اللمع»: ص ٥٧٧ ــ ٥٧٨).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة[1].

وقال عليه السلام: «لو كان لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً ما يسرُّني أن لا تَمُرَّ عَلَيَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلاّ شيئاً أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب»[3].

وكان من خلقه صلوات الله عليه الحياء، والسخاء، والتوكل، والرضا، والذكر، والشكر، والحلم، والصبر، والعفو، والصفح، والرأفة، والرحمة، والمداراة، والنصيحة، والسكينة، والوقار، والتواضع، والافتقار، والجود، والسماحة، والخضوع، والقوة، والشجاعة، والرفق، والإخلاص، والصدق، والزهد، والقناعة، والخشوع، والخشية، والتعظيم، والهيبة، والدعاء، والبكاء، والخوف، والرجاء، واللياذة، واللجأ، والتهجد، والعبادة، والجهاد، والمجاهدة.

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي ٦، صوم ٧، مناقب ٢٣، بدء الخلق ٦، فضائل القرآن ٧، أدب ٣٩، ورواه مسلم في الفضائل ٤٨، ٥٠، ورواه الترمذي في الجهاد ٥، ورواه النسائي في الصيام ٢، ورواه ابن ماجه في الجهاد ٩، ورواه الدارمي في المقدمة ١٠، ورواه ابن حنبل، مسند: ١/٢٣١، ٢٨٨...

(٢) رواه البخاري في الزكاة ٤، والتمني ٢، واستقراض ٣، والرقاق ١٤، ورواه مسلم في الزكاة ٣١، ٣٤، ورواه ابن ماجه في المقدمة ١٠، زكاة ٣، زهد ٨، ورواه الدارمي في الرقاق ٥٣. وفي لفظ الحديث خلافات لكن المعنى واحد.

(٣) رواه أبو يعلى الطبراني عن حباب بإسناد جيد، والبيهقي في الشعب عنه، وروى الحاكم وابن حبان في صحيحه نحوه من حديث سلمان، ورواه ابن ماجه ورواته ثقات احتج بهم الشيخان إلا جعفر. (تخريج أحاديث اللمع: ص ٥٨٤).

وكما روي عنه عليه الصلاة والسلام: أنه كان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، وكان لصدره أزيز كأزيز المرجل[١]. وأنه عليه الصلاة والسلام، صلى حتى تورّمت قدماه فقيل له: يا رسول اللّه أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

وكان عليه الصلاة والسلام يعطي من حرمه، ويصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه[٣]، وما انتقم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لنفسه قطّ، ولا غضب لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم اللّه فيغضب للّه[٤].

وكان للأرملة كالزوج الشفيق، ولليتيم كالأب الرحيم[٥].

وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس، عن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من أزواجه ألاّ يدخل عليهن شهراً، واعتزل عنهن في علّية، فلما دخل عمر في تلك العلّية فإذا ليس فيها سوى صُبْرة من قَرْظ[٦]، وآهبة معلّقة. وصُبْرة[٧] من

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير عن الحسن بن علي. روى ما بمعناه: أبو داود، والنسائي، وابن حبان.

(٢) رواه الشيخان، والنسائي، والترمذي عن المغيرة بن شعبة. والشيخان عن عائشة، حتى تنفطر قدماه، والبزار عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري عن عبداللّه بن عمرو بن العاص (انظر: تخريج أحاديث اللمع: ٥٨٩).

(٤) رواه البخاري في المناقب ٢٣، وفي الأب ٨٠، والحدود ١٠. ورواه مسلم في الفضائل ٧٧، ٧٩، وأبو داود في الأدب ٤، والموطأ، حسن الخلق ٢، وابن حنبل، مسند: ٦/٢٢، ١١، ١٣، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٦٢، ٢٨١.

(٥) انظر لهذه الأحاديث: اللمع في التصوف: ص ١٣٤ ـ ١٤٠.

(٦) القَرْظ: ورق السلم يدبغ به.

(٧) والصُبرة: بضم الصاد ما جمع من الطعام بلا كيل أو وزن.

شعير، وإذا هو مضطجع على رُمال[1] حصير قد أثّر في جنبه، فهملت عينا عمر ، فقال: ما لك؟ فقلت: يا رسول اللَّه أنت صفوة اللَّه من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه؟ فجلس محمرّاً وجهه فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب، ثم قال: أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا». وفي رواية لمسلم: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» فقلت: بلى يا رسول اللَّه. قال: «فاحمد اللَّه عز وجل»[2].

ثم لما انقضى الشهر أمره اللَّه عز وجل بأن يخيِّر أزواجه وأنزل عليه قوله: ﴿يا أيها النبـي قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحياة الدُّنْيَا وزينتَها فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكنّ سَراحاً جَمِيلاً * وإنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ اللَّه وَرَسُولَه والدار الآخرة فإنّ اللَّه أعدّ للمُحْسِنَاتِ مِنْكُنّ أجراً عظيماً﴾[3].

وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت: «إن كنا آل محمد ليمرّ بنا الهلال ما نوقد ناراً، إنما هو الأسودان: التمر والماء، إلاّ أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار يبعثون إلى رسول اللَّه بلبن منائحهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن»[4].

---

(١) الرمال: المرمول، وهو المزين.

(٢) انظر: البخاري، لباس ٣١، مظالم ٢٥ نكاح ٨٣، ومسلم، فضائل الصحابة ١٦٥، والترمذي، زهد ٤٤، والبيهقي، زهد ٢، ١١، ومسند ابن حنبل: ٣٠١/١، ٣٩١.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٨، ٢٩. انظر لسبب نزول الآية: البخاري، تفسير سورة الأحزاب.

(٤) انظر للحديث: البخاري، هبة ١، رقاق ١٧، أطعمة ٦، ٤١، ومسلم، زهد ٢٨، ٣٠، والترمذي، تفسير سورة ١٠٢، وابن ماجه، زهد ١٠، ١٢، ومسند ابن حنبل: ١٦٤/١، ١٩/٤، ٤٢٩/٥، ١٠٨/٦، ١٨٢، ٢٣٧.

وسئلت حفصة: «ما كان فراش رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم؟» قالت: «مِسْحاً[1] نَثْنِيه ثَنْيَتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثَنَيْتُه بأربع ثَنْيات كان أوطأ له. فَثَنَيْنَاهُ بأربع ثَنْيَات فلما أصبح قال: «ما فرشتم ليَ الليلة؟ قالت: «قلنا هو فراشك، إلا أنا ثَنَيْنَاه بأربع ثَنْيات، قلنا هو أوطأ لك» قال: «رُدّوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة»[2].

وقد اهتم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بتزكية النفس اهتماماً بالغاً حيث عبَّر عنه بالإحسان، حينما سئل عن معنى الإحسان أوضحه بقوله: «الإحسان أن تعبد اللّٰه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[3].

هذا الحديث الشريف يُبَيِّن الغاية القصوى من العبادات وهي الشعور ومعرفة العبد بما يعمله. وهذا الجانب للعبادات أهم من جوانبها الشكلية.

ولا يهم التكرار بدون شعور، والحركة أو التلفظ بلا وعي كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[4].

ويندد سبحانه وتعالى بالمشركين الذين فقدت عباداتهم وصلاتهم الجانب الروحي فأصبحت عبارة عن مجرد الشكل كاللهو واللعب. قال

---

(١) المِسْح: كساء من شعر.

(٢) انظر: شمائل الرسول لابن كثير: ص ٩٧. من شمائل الترمذي.

(٣) البخاري، تفسير سورة لقمان ٢، إيمان ٣٧، ومسلم، إيمان ٥٧، وأبو داود، سنة ١٦.

(٤) سورة النساء: ٤٣.

تعالى في الذين أخرجوا العبادة عن معناها الحقيقي: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1].

وقال في الذين لا يصلون لوجه الله وإنما يصلّون للرياء: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُراءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ﴾[2].

وليس الإسلام عبارة عن تراكم الأوامر والنواهي المجرّدة عن الروح، وإنما هو دين مزج الروح والجسم فوصل إلى قمة الكمالات. وكما أن للإنسان وجهين: الروح والجسد، كذلك للدين وجهان: الظاهر والباطن، أو الشريعة والحقيقة. وكما أن للأعمال أشكالاً ظاهرة مثل الركوع والسجود للصلاة، كذلك لها وجوه باطنة مثل الخضوع، والخشوع، وطمأنينة القلب. فالوجوه الظاهرة للأعمال هي موضوع الفقه الظاهر، والوجوه الباطنة لها موضوع الفقه الباطن وهو التصوف.

لقد بيَّن الله عز وجل خطورة التقوى التي هي رأس أعمال القلب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

وأوضح أيضاً أن الذي ينفع الإنسان في الآخرة وينقذه من عذاب النار، هو القلب الذي سلم من الآفات المعنوية، وقذارات الأفكار والأعمال الرديئة فقال: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَبَنُونَ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

(٢) سورة الماعون: ٤ ـ ٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨٣. (٤) سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.

وأكد أهمية خشوع القلب عند ممارسة الأعمال بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّه وما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِم الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُونَ﴾[1].

وندّد في القرآن بمن فقد قلبُه رقّته وخشوعه فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2]. وقال تعالى أيضاً منددّاً ببني إسرائيل الذين فقدوا روح العبادات، فصار الدين عند كثير منهم عبارة عن تكرار بعض الأعمال شكلياً دون الحس، والشعور، والخشوع: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوة، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه، وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

وأثنى تعالى على المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾[4]. ووصفهم بأن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً، لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[5]. وبأن ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ (أي من الكتاب المنزّل عليهم) جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[6].

---

(١) سورة الحديد: ١٦.

(٢) سورة الزمر: ٢٢.

(٣) سورة البقرة: ٧٤.

(٤) سورة الأنفال: ٢.

(٥) سورة الأنفال: ٤.

(٦) سورة الزمر: ٢٣.

فإن لم تؤثر الأعمال في القلب ولم تبعث فيه الخشوع، والرقة، والرحمة، والمحبة، والرأفة، ولم تحسِّن الأخلاق فليست هي من الأعمال الصالحة التي مدح القرآن صاحبها، وبشره بالجنة. إذ ليس الغرض من العمل مجرد القول، أو تكرار الألفاظ بلا شعور، أو حركة بلا وعي، وإنما الغرض الأصلي منه التقوى. لذلك قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُها (أي لحوم البدن التي ذبحت لله) وَلاَ دِمَاءُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[1]. إنما الإسلام إيمان يؤدِّي إلى الأعمال الصالحة، والأخلاق الطيبة: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2]. فمن لم تحسن صلاته أخلاقه، ولم تنهه عن الفحشاء والمنكر، فهي ليست من الصلاة التي وصفها القرآن.

وهناك أحاديث كثيرة تؤيد هذه الآيات، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»[3].

لقد أمر الله تعالى نبيه بالذكر والتبتل بقوله: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾[4]. والتبتل يحتوي على معنى الزهد في التصوف. ووصف الله تعالى الزهاد بقوله: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾[5].

---

(١) سورة الحج: ٣٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) البخاري، إيمان ٣٩، ومسلم، مساقاة ١٠٧، وابن ماجه، فتن ١٤.

(٤) سورة المزمل: ٨.

(٥) سورة التوبة: ١١٢.

زعم المستشرق نيكولسون بأن كُتّاب الزهد قد أخرجوا الكلمات الواردة في القرآن مثل الذكر والتوكل عن معانيها الأصلية فأولوها على حسب ذوقهم ورأيهم، بينما ورد الذكر في القرآن بمعنى الصلاة(١).

ولا يجوز قبول هذا القول، لأن القرآن يشهد بأن الذكر يفيد معنى أشمل وأوسع من الصلاة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يذكرون الله قياماً وقُعُوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلقِ السَّموات والأرضِ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً، سبحانك فَقِنَا عذابَ النَّارِ﴾(٢).

ويقول: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر اللّه وإقام الصَّلاة وإيتاء الزكاةِ يَخَافُونَ يوماً تتقلب فيه الْقُلُوب والأبصار﴾(٣).

ويقول: ﴿إنما يريدُ الشَّيْطان أن يوقع بينكمُ العداوة والبغضاء في الخمر والميسِرِ ويَصُدَّكُم عن ذكر اللّه وعن الصلاة، فهل أنتُم مُنْتَهُونَ﴾(٤).

وكون الإنسان يذكر اللّه على جنبه ليس بمعنى الصلاة، بل الذكر هنا ذكر اللّه خارج الصلاة، والتفكير في قدرته تعالى على خلق هذا الكون الهائل. كما يدلّ عليه قوله: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾. نعم يتفكرون في قدرة الخالق في العالم العلوي والسفلي

(١) في التصوف الإسلامي، الترجمة العربية: أبو العلا عفيفي: ص ٤٥، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) سورة النور: ٣٧.

(٤) سورة المائدة: ٩١.

فيزداد خشوعهم وطمأنينتهم، ويصلون إلى التضرع إلى خالق الكون قائلين: ﴿ربنا ما خلقتَ هذا بَاطِلاً، سُبْحَانَك فَقِنا عذاب النّارِ﴾.

والآيتان الأخيرتان حيث ذكر فيهما ذكر اللّه منفصلاً عن الصلاة، تدلّان على أن ذكر اللّه الوارد في القرآن ليس عبارة عن الصلاة، وإنما هو أشمل منها وأوسع! يحتوي على الصلاة، والتسبيح، وعلى تفكّر القلب في اللّه، وذكر اللّه باللسان.

وقد ورد في فضل الذكر أحاديث كثيرة جداً تتعدى حدود بحثنا هذا. منها قول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت»[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام حينما ذكر سبعة يُظِلّهم اللّه تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: «... ورجل ذكر اللّه خالياً ففاضت عيناه»[٢].

«وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم يذكر اللّه على كلّ أحيانه»[٣].

نعم ليس في الإسلام رهبانية لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «إن الرهبانية لم تكتب علينا»[٤]. و«جاء رجل إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: يا نبي أوصني، فقال: عليك بتقوى اللّه فإنه جماع

---

(١) البخاري، دعوات ٦٧.

(٢) البخاري، عدن ٣٦، زكاة ١٦، رقاق ٢٤، حدود ١٩، والترمذي، زهد ٥٣، والنسائي، قضاء ٢، والطبراني، شعر ١٤.

(٣) البخاري، حيض ٩، أذان ١٩، ومسلم، حيض ١١٧، وأبو داود، طهارة ٩، وابن ماجه، طهارة ١١، ومسند ابن حنبل: ٦/٧٠، ١٥٣، ١٧٨.

(٤) مسند ابن حنبل: ٦/٢٢٦.

كلّ خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم»[1].

إن الإسلام لم يحث المؤمن على ترك الدنيا وإنما حثّه على سد حوائج النفس الضرورية وتطهير القلب، وحثه على إعطاء كل ذي حق حقه، حثه على أن يقوم بواجبه تجاه ربه مع عدم الإهمال لواجبه تجاه أهله ومجتمعه. لم يخلق هذا العالم ليتنعم به الكافر فقط دون المؤمن، بل المؤمن أحق بنعم الدنيا من الكافر، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يومَ القيامة﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿وابْتَغِ فيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ولا تَنْسَ نصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا. وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[3].

إنما القدوة الحسنة لكلّ إنسان على وجه الأرض هي الرسول صلى الله عليه وسلم. إنه عاش كسائر البشر: أكل، وتزوج، وخلّف، وجاهد، وفي نفس الوقت لم يتخلف في يوم من الأيام عن القيام بصلوات النهار والليل، وعن التهجد، والذكر آناء الليالي، وعن الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان في كلّ سنة. فعمّر آخرته كما عمّر دنياه، قام بمواجبه تجاه ربه كما قام بمواجبه تجاه نفسه، وأهله، وقومه. وسار أصحابه على نهجه، واتبعوا أثره.

---

(١) انظر: مسند ابن حنبل: ٣/٨٢، ٦/٥٨، والترمذي، دعوات ٤٥، وابن ماجه، مقدمة ٦، والدارمي، مقدمة ١٩.

(٢) سورة الأعراف: ٣٢.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

وقومه. وسار أصحابه على نهجه، واتبعوا أثره إلّا أن من بينهم من تميز بزهده وعبادته وبخاصّة الخلفاء الأربعة وأصحاب الصفة.

كان أبو بكر رضي الله عنه (١١ ـ ١٣ / ٦٣٢ ـ ٦٣٤) في غاية الرقة، كان لا يتملك نفسه أن لا يبكي عند قراءة القرآن. «لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس. قالت (عائشة) فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف (أي سريع البكاء والحزن، وقيل: الرقيق)، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسْمِع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس. قالت: فقلت لحفصة: قولي له: فقالت له حفصة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: إنكن صواحب يوسف[١] مروا أبا بكر فليصلّ بالناس»[٢].

ولما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله، قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي، قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكسوه[٣] في الرأس والبطن[٤].

---

(١) لأن عائشة أظهرت خلاف ما في الباطن، وهي لا تريد أن يتشاءم الناس بأبيها، كصاحبة يوسف التي ادعت إكرام النسوة ولكن قصدت أن يعذرنها في محبته.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الجماعة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام، والترمذي في مناقب أبي بكر الصديق.

(٣) المماكسة في البيع: انتقاص الثمن واستحطامه.

(٤) صفة الصفوة: ١/٢٥٧.

إنه، رضي الله عنه، استسقى فأتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا. ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق. فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول: «إليك عني إليك عني» ولم أر أحداً فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً. قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها، فقلت لها: إليك عني، فتنحت وقالت: والله لئن انفلتَّ مني لا ينفلت مني من بعدك، فخشيت أن تكون قد لحقتني فذاك الذي أبكاني»(١).

وكان لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مملوك يغلّ عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كلّ ليلة ولم تسألني الليلة، قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني. فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني. قال: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها. فقيل له: يرحمك اللّه كل هذا من أجل هذه اللقمة، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: «كلّ جسد نبت من سحت فالنار أولى به». فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة(٢).

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٣٠ ـ ٣١.

(٢) حلية الأولياء: ١/ ٣٤، صفة الصفوة: ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢. رواه الطبراني في =

ولما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا، ثم قست القلوب[1].

والخليفة الثانية عمر بن الخطاب (١٣ ـ ٢٣هـ / ٦٣٢ ـ ٦٤٤م) رضي اللّه عنه، قال له النبي صلى اللّه عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّا إلا سلك فجّا غير فجّك»[2]. وقال في فضله أيضاً: «قد كان في الأمم محدّثون، فإن يكن في أمتي فعمر»[3]. وروي أن علياً كرم اللّه وجهه قال: «كنا نتحدث أن ملكاً ينطق على لسان عمر رضي اللّه تعالى عنه»[4].

وكان رضي اللّه عنه في غاية الورع والزهد حيث كان في إزاره يوم أن خطب الناس وهو خليفة، ثنتا عشرة رقعة. وقال أنس: «كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع».

وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: «يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسع اللّه من الرزق وأكثر من الخير». فقال: «إني سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يلقى من

= المعجم الكبير، والبخاري عن عائشة وليس فيها: «كل جسد نبت من السحت فالنار أولى به».

(١) حلية: ١/ ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في فضائل عمر من حديث النسوة من قريش اللاتي كن يسألن رسول اللّه عالية أصواتهن.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم في فضائل عمر. ومحدّثون: أي ملهمون، مفهّمون.

(٤) حلية الأولياء: ١/ ٤٢.

شدّة العيش، وكذلك أبو بكر»، فما زال يذكرها حتى أبكاها. فقال لها: «أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلّي أدرك عيشهما الرّخي»[1].

وقال رضي الله عنه: «والله إني لو شئت لكنت من ألينكم لباساً، وأطيبكم طعاماً، وأرقكم عيشاً، إني والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة، وعن صلاء وصناب وصلايق، ولكني سمعت الله عز وجل عير قوماً بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا...﴾»[2].

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «قدم على عمر رضي الله تعالى عنه ناس من أهل العراق، فرأى كأنهم يأكلون تعزيزاً، فقال: هذا يا أهل العراق لو شئت أن يدهمق لي كما يدهمق لكم، ولكنا نستبقي من دنيانا ما نجده في آخرتنا. أما سمعتم الله عز وجلّ قال لقوم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[3]»[4].

قال سعيد بن المسيّب: «كان عمر يحب الصلاة جوف الليل، يعني في وسط الليل»[5].

ومما يدلّ على خوف عمر رضي الله عنه من الله وحساب الآخرة ما روي عن عبدالله بن عامر، قال: «رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من

---

(١) حلية الأولياء: ٤٨ ـ ٤٩، ورواه أحمد، صفة الصفوة: ١/٢٨٤.

(٢) حلية: ١/٤٩.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٤) حلية الأولياء: ١/٤٩.

(٥) صفة الصفوة: ١/٢٨٦.

الأرض، فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنت نسياً منسيّاً»[1].

وعن عبدالله بن عيسى قال: «كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء»[2].

وعن داود بن علي، قال: قال عمر بن الخطاب: «لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن اللّه تعالى سائلي عنها يوم القيامة». ويروى أن عمر قال: «لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد: أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو!»[3].

وكان عثمان بن عفان، الخليفة الثالثة (٢٣ ـ ٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م) رضي اللّه عنه ممن ﴿هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[4]. غالب أحواله الكرم والحياء، والحذر والرجاء حيث قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «أشد أمتي حياء عثمان بن عفان»[5].

وأبرز عثمان خوفه من حساب الآخرة، وعذابها بقوله: «لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً

---

(١) صفة الصفوة: ١/٢٨٥.

(٢) حلية الأولياء: ١/٥١، صفة الصفوة: ١/٢٨٦.

(٣) حلية الأولياء: ١/٥٣.

(٤) سورة الزمر: ٩.

(٥) حلية الأولياء: ١/٥٦.

قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير». وكان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته[1].

وأما قدوة المتقين وزينة العارفين، الخليفة الرابعة، علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه (٣٥ ـ ٤٠هـ / ٦٥٦ ـ ٦٦١م) فقد نال محبة الله تعالى ومحبة رسوله بشهادة الرسول عليه أكمل الصلوات والتسليم، إذ قال عليه السلام يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: «يا رسول الله يشتكي عينه» قال: «فأرسلوا إليه» فأتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، وأعطاه الراية.. وقال: «هذه الراية امض بها حتى يفتح الله على يديك». فما رجع حتى فتح الله على يديه»[2].

يصف ضرار بن ضمرة، عليّ بن أبي طالب، عند معاوية على النحو الآتي: «فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب[3]، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٦٠ ـ ٦١.
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٩ ـ ٤٠، حلية الأولياء: ١/ ٦٢ ـ ٦٣.
(٣) الطعام الغليظ الخشن، أو غير المأدوم.

لا نكلمه هيبة، ولا نبتديه لعظمه. فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله. وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارب نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبـي تعرّضتِ أم لي تشوّفت؟ هيهات غُرِّي غيري، قد بتّتُكِ[1] ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»[2].

أخرج أبو نعيم عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن أبـي طالب عنده علم الظاهر والباطن»[3]. وقال علي رضي الله عنه: «والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أنزلت، إن ربـي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً»[4].

وكان عليه السلام إذا لزمه في العيش الضيق والجهد، أعرض عن الخلق فأقبل على الكسب والكد. إنه قال: «جئت إلى حائط أو بستان فقال لي صاحبه دلواً وتمرة، فدلوت دلواً بتمرة فملأت كفي، ثم شربت من الماء، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بملء كفي فأكل بعضه وأكلت بعضه»[5].

---

(١) طلّقتك طلاقاً بائناً قاطعاً.

(٢) حلية الأولياء: ١/٨٤ ـ ٨٥، صفة الصفوة: ١/٣١٥ ـ ٣١٦.

(٣) حلية الأولياء: ١/٦٥.

(٤) حلية الأولياء: ١/٦٦.

(٥) حلية الأولياء: ١/٧١.

وكان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه، يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة[1].

وأخرج أبو نعيم عن علي بن أبي طالب: أنه أُتِيَ بفالوذج فوضع قدامه بين يديه فقال: «إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده»[2].

وعن عمرو بن قيس، أن علياً عليه السلام رئي عليه إزار مرقوع، فعوتب في لبوسه فقال: «يقتدي بي المؤمن، ويخشع له القلب»[3]. واشترى يوماً ثوبين غليظين، خيَّر (مولاه) قنبراً أحدهما[4].

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال: رأيت علياً عليه السلام وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: «من يشتري مني هذا السيف، فهو الذي فلق الحبّة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته»[5].

وعن رجل من ثقيف أن علياً عليه السلام استعمله على عكبر[6]، قال: «قال لي: إذا كان عند الظهر فرح إليّ. فرحت إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء، فدعا

---

(١) حلية الأولياء: ١/٨١.

(٢) حلية الأولياء: ١/٨١.

(٣) حلية الأولياء: ١/٨٣، صفة الصفوة: ١/٣١٨. اللفظ لابن الجوزي، وفي الحلية: «يخشع القلب، ويقتدي به المؤمن».

(٤) صفة الصفوة: ١/٣١٨.

(٥) حلية الأولياء: ١/٨٣، صفة الصفوة: ١/٣١٨.

(٦) بالمد والقصر: بلدة صغيرة في العراق.

بـظبية[1]، فقلت في نفسي: لقـد أمنني حتى يخـرج إليّ جـوهـراً ـ ولا أدري ما فيها ـ فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق[2]، فأخرج منها فصبّ في القدم وصبّ عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق، وطعام العراق أكثر من ذلك، قال: أما واللّه ما أختم عليه بخلا عليه، ولكني أبتاع بقـدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلاّ طيباً».

قدم على عليّ قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: «اتق اللّه يا علي، إنك ميت». فقال له علي عليه السلام: «بل مقتول، ضربة على هذا تخضب هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ عهـد معهود[3]، وقضاء مقضي، وقد خـاب من افترى»[4].

وعن أبـي مجلز، قال: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد فقال: احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك فقال: «إن مع كلّ رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر عليه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجل جنّة حصينة»[5].

وأما أبو ذرّ، جندب بن جنادة الغفاري (٣٢هـ / ٦٥٢م)، رابع

---

(١) جراب صغير يشبه الكيس.

(٢) الناعم من دقيق الحنطة والشعير.

(٣) يشير إلى أنه عهد النبـي صلى اللّه عليه وسلم إليه.

(٤) صفة الصفوة: ١/٣٣٢.

(٥) صفة الصفوة: ١/٣٣٣ ـ ٣٣٤.

أو خامس المسلمين في مكة، فكان ممثل الزهّاد الذين لا يأخذون من الدنيا إلّا قوتاً. بعث حبيب بن مسلمة، أمير الشام، إلى أبي ذرّ بثلاثمائة دينار، وقال: «استعن بها على حاجتك». فقال أبو ذر: «ارجع بها إليه، أما وجد أحداً أغرّ بالله منا، ما لنا إلّا ظلّ نتوارى به، وثَلّة[1] من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدّقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوف الفضل». وعلى رواية أخرى قال أبو ذر لمن بعث إليه بثلاثمائة دينار: «ما وجد عبداً لله تعالى هو أهون عليه مني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سأل وله أربعون فقد ألحف). ولآل أبي ذر أربعون درهماً، وأربعون شاة، وماهنان»[2].

وعن أبي شعبة، قال: جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه فعرض عليه نفقة، فقال أبو ذر: «عندنا أعنز تحلبها، وحمر تنقل، ومحررة تخدمنا، وفضل عباءة عن كسوتنا، إني أخاف أن أحاسب على الفضل»[3].

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: «أبو ذر في أمتي على زهد عيسى بن مريم»[4]. وقال علي: «وعى أبو ذر علماً عجز الناس عنه»[5].

---

(١) الثلّة ـ بفتح الثاء ـ جماعة الغنم.

(٢) حلية الأولياء: ١/ ١٦١، صفة الصفوة: ١/ ١٩٥ ـ والماهن: الخادم أو العبد ـ.

(٣) حلية الأولياء: ١/ ١٦٣.

(٤) أسد الغابة: ٥/ ١٨٧.

(٥) المصدر السابق.

وقد وقع نزاع في سنة الثلاثين بين معاوية وأبي ذر بالشام، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور، وكان ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء ويمنع أن يدخر فوق القوت، ويوجب أن يتصدق بالفضل، ويتأول قول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة فقدمها، فلامه عثمان على بعض ما صدر منه واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالربذة - وهي شرقي المدينة - ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال: «إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال لي: (إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها)، وقد بلغ البناء سلعا. فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان حتى لا يرتدَّ أعرابياً بعد هجرته، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات»[2].

روى البخاري في الزكاة من حديث زيد بن وهب، قال: «مررت بالربذة[3] فإذا أنا بأبي ذر رضي اللّه عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذاك[4] وكتب إلى عثمان رضي اللّه عنه يشكوني فكتب إليّ عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها، فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك. فذكرت ذاك

(١) سورة التوبة: ٣٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/١٥٥ - ١٥٦.

(٣) موضع على ثلاثة مراحل من المدينة.

(٤) أي نزاع في ذلك.

لعثمان (وفي رواية: فذكر ذلك لعثمان) فقال لي: إن شئت تنحّيْتَ، فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت»[١].

يفهم من الروايات أنه منع من قبل عثمان رضي الله عنه عن الوعظ والإفتاء. أخرج أبو نعيم عن أبي ذر أن رجلاً أتاه فقال: «إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا، أنُغيِّب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا، فقال: لا، قف ما لك، وقل: ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلاً فذروه، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة، وعلى رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا، فقال: أرقيب أنت عليّ، فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تحتزوا لأنفذتها»[٢].

وعن عبدالله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: «دخلت مع عمي على عثمان، فقال لعثمان ائذن لي في الربذة[٣]. فقال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح، قال: «لا حاجة لي في ذلك، تكفي أبا ذر صرمته. ثم قال فقال: اعزموا دنياكم ودعونا وربنا وديننا»[٤]. وكانوا يقتسمون مال عبدالرحمن بن عوف، وكان عنده كعب فقال عثمان

---

(١) البخاري، زكاة، حديث ١١، صفة الصفوة: ١/٥٩٦.
(٢) حلية الأولياء: ١/١٦٠.
(٣) هذه الرواية إن صحت، تدلّ على أن أبا ذر وضع تحت المراقبة في الربذة، حيث أبوه يستأذن عثمان أن يزور ابنه.
(٤) حلية: ١/١٦٠.

لكعب: «ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي في السبل، ويفعل ويفعل»، قال: «إني لأرجو له خيراً». فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: «وما يدريك يا ابن اليهودية، ليودنّ صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه»[1].

وعن سفيان الثوري، قال: «قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلّغه، قالوا: بلى. قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا، قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوماً شديداً حرّه لطول النشور، وصلّوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم. تصدق بمالك لعلّك تنجو من عسيرها. اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الحلال، ومجلساً في طلب الآخرة. الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده. اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حِلّه، ودرهماً تقدّمه لآخرتك. الثالث يضرّك ولا ينفعك لا ترده، ثم نادى بأعلى صوته: «يا أيها الناس قد قتلكم حرص الدنيا لا تدركونه أبداً!»[2].

ثم بكى فاشتد بكاؤه وقال: «قتلني حب يوم لا أدركه». قيل: «وما يوم لا تدركه؟»، قال: «طول الأمل»[3].

---

(١) حلية: ١/١٦٠.

(٢) حلية الأولياء: ١/١٦٥، صفة الصفوة: ١/٥٩١ ــ ٥٩٢.

(٣) المصدر السابق: ١/٥٩٢ ــ ٥٩٣.

وعن علي بن زيد عمن سمع أبا ذر يقول: «إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل، ولبطن الأرض أحبُّ إليَّ من ظهرها، وللفقر أحبُّ إليَّ من الغنى!» فقال له رجل: «يا أبا ذر ما لك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك»، قال: «إني أنهاهم عن الكنوز»(١).

وقال: «كان قوتي على عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم صاعاً، فلا أزيد حتى ألقى اللَّه عز وجل»(٢).

عن عبداللَّه بن خراش قال: «رأيت أبا ذر رضي اللَّه تعالى عنه بالربذة في ظلّة سوداء وتحته امرأة له سحماء وهو جالس على قطعة جوالق. فقيل له: «إنك امرؤ ما يبقى لك ولد». فقال: الحمد للَّه الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء». قالوا: «يا أبا ذر، لو اتخذت امرأة غير هذه» قال: «لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إليّ من امرأة ترفعني». فقالوا له: «لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؟» قال: «اللهم غفراً، مما خولت ما بدا لك»(٣).

وعن عراك بن مالك، قال: قال أبو ذر: «إني لأقربكم مجلساً من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة، من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها». وإنه واللَّه ما منكم من أحد إلاّ وقد تشبث بشيء منها، غيري»(٤).

---

(١) حلية الأولياء: ١/١٦٢.

(٢) حلية الأولياء: ١/١٦٢.

(٣) حلية الأولياء: ١/١٦١.

(٤) حلية الأولياء: ١/١٦١ ـ ١٦٢، صفة الصفوة: ١/٥٩٣. روى الحديث أحمد:

وقال: «والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم. والله لوددت أن الله عز وجلّ خلقني يوم خلقني شجرة تُعْضد ويؤكل ثمرها»[1].

وقال: «يكفي من الدعاء مع البِرّ، ما يكفي الملح من الطعام»[2].

وكان عبدالرحمن بن عوف (٣١ أو ٣٢هـ / ٦٥١، ٦٥٢م) رضي الله عنه، حاله فيما بسط له حال الأمناء والخزّان، يفرقه في سبيل المنعم المنان. عن ثابت البناني، عن أنس قال: بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها، إذ سمعت صوتاً رجّت منه المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عيرٌ قدمت لعبدالرحمن بن عوف من الشام، وكانت سبعمائة راحلة (أو بعير) فقالت عائشة: أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْواً. فبلغ عبدالرحمن فأتاها فسألها عما بلغه، فحدّثته. قال: فإني أشهدك أنها بأجمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل[3].

وعن الزهري قال: تصدق عبدالرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في

= ورجاله ثقات إلا عراك بن مالك لم يسمع من أبي ذر فيما أحسب والله أعلم. ورواه الطبراني بنحوه: مجمع الزوائد: ٩/٣٢٧.

(١) حلية الأولياء: ١/١٦٤، صفة الصفوة: ١/٥٩٥.

(٢) حلية الأولياء: ١/١٦٤، صفة الصفوة: ١/٥٩٣.

(٣) أخرج الحديث أحمد بن حنبل في المسند: ٦/١١٥.

سبيل الله تعالى، وكان عامّة ماله من التجارة[1]. وتوفي وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مَجَلَتْ أيدي الرجال[2] منه وترك أربع نسوة، فأخرجت امرأة من ثمنها بثلاثين ألفاً (أو بثمانين: في طبقات ابن سعد)[3].

وبذل رضي الله عنه ما كسب بكد جبينه في سبيل الله وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله. ذكر البخاري أن عبدالرحمن أوصى لكل من شهد بدراً بأربعمائة دينار، فكانوا مائة رجل[4].

وقد أتي بطعام (يوماً) وكان صائماً فقال: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه». وقال: «وقتل حمزة وهو خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَت لنا» ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[5].

وقال نوفل بن إياس الهذلي: كان عبدالرحمن لنا جليساً، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى

---

(١) صفة الصفوة: ١/٣٥٣.

(٢) أي ثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البثور.

(٣) أسد الغابة: ٣/٣١٥ ـ ٣١٧، الإصابة: ٢/٤١٦ ـ ٤٢٧، طبقات ابن سعد: ٣/١٣٦.

(٤) أسد الغابة: ٣/٣١٧.

(٥) حلية: ١/١٠٠، وأخرجه البخاري في غزوة أحد.

عبدالرحمن بن عوف. فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك فقال: هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخّرنا لها لما هو خير لنا[1].

وقد قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لين الصوف ـ أو لين القراءة ـ فما بقي أحد من القوم إلاّ فاضت عينه غير عبدالرحمن بن عوف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لم يكن عبدالرحمن بن عوف فاضت عينه فقد فاض قلبه»[2].

ومن زهّاد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو الدرداء، عويمر بن زيد (٣٢هـ / ٦٥٢م)، كان مهتماً بالتقوى، والورع. إن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال له: «أوصني»، فقال له: «اذكر الله عز وجلّ في السراء يذكرك في الضراء، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير»[3]. سئلت أم الدرداء عن أفضل عمل أبي الدرداء فقالت: «التفكر والاعتبار»[4]. وقال أبو الدرداء: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»[5]. وقال أيضاً: «يا حبذا نوم الأكياس[6] وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ومثقال ذرة من بر مع تقوى ودين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين»[7].

---

(١) صفة الصفوة: ١/٣٥٤.

(٢) حلية الأولياء: ١/١٠٠.

(٣) حلية الأولياء: ١/٢٠٩، صفة الصفوة: ١/٦٢٨.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) حلية: ١/٢٠٨، صفة الصفوة: ١/٦٢٨.

(٦) الأكياس: جمع كيّس، وهو العاقل.

(٧) صفة الصفوة: ١/٦٢٩ ـ ٦٣٠ والعبارة في الحلية: «كيف يعيبون سهر الحمقى =

هكذا كان أحوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يسع هذا التمهيد أكثر مما أوجزنا من حياتهم وزهدهم وتقاهم كنموذج. ويشهد التاريخ أن أكثرهم قد عاشوا عيشة الزهد، ولم ينالوا من الدنيا إلا بقدر الكفاية، حتى اكتفى بعضهم قوت يومهم. ولم يدخر لغد شيئاً، خوفاً من حساب يوم القيامة، لأن نبيهم ما ترك ديناراً ولا درهماً بعده.

قالت عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند وصف مرضه: «وكان له عندي ستة دنانير، أو سبعة، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أفرّقها، فشغلني وجع نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله عز وجل. ثم سألني عنها فقال: «ما فُعِلت الستة أو السبعة. قلت: لا والله لقد شغلني عنها وجعك. فدعا بها ثم صفّها في كفّه، فقال: ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عندي»[1].

وقد قضى طائفة من أصحابه صلى الله عليه وسلم لياليهم بالقيام، والذكر، وأيامهم كلها بالصيام فنهاهم عليه الصلاة والسلام عن القيام كلّ الليل، وعن الوصال في الصوم. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم (أي المسجد) فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل، قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فَتَرَتْ تعلّقت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، حلّوه، لِيُصَلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد». وقال عبدالله بن مسلمة عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم،

= وصيامهم...»: ٢١١/١.

(١) شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم: ص ٩٨.

فقال: من هذه؟ قلت: فلانة لا تنام بالليل، فذكر من صلاتها، فقال: مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن اللّٰه لا يملّ حتى تملّوا»[1].

وكان عبداللّٰه بن عمرو بن العاص (٦٥هـ / ٦٨٤م) ممن يقضي ليله قائماً ونهاره صائماً. قال: «أخبر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أني أقول: واللّٰه لأصومنّ النهار ولأقومنّ الليل ما عشت. فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي. قال: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم. وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فصم يوماً وأفطر يومين. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. فقال: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام. فقلت: أطيق أفضل من ذلك. فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: لا أفضل من ذلك»[2]. وفي رواية أخرى للبخاري قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: «يا عبداللّٰه ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل» فقلت: بلى يا رسول اللّٰه. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم. فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كلّ شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكلّ حسنة عشر أمثالها. فإن ذلك صيام الدهر كلّه. (قال عبداللّٰه): فشدّدت فشدّد عليّ، قلت: يا رسول اللّٰه إني أجد قوة. قال: فصم صيام نبي اللّٰه داود عليه السلام ولا تزد عليه. قلت: وما كان صيام نبي اللّٰه داود عليه السلام، قال:

---

(١) البخاري، تقصير الصلاة، باب ما يكره من التشديد في العبادة.

(٢) البخاري، صيام، باب صوم الدهر.

نصف الدهر. فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم»[1].

تحوّل الزهد إلى التصوف:

ولقد أخذت هذه البيئة تُطوِّر نزعة عملية لها مصطلحات خاصة، فبدأ حب الله والشوق إلى الله يأخذ مكان خوف الله وخشيته السائدين في الزهّاد الأقدمين، فتحولت نزعة الزهد إلى نزعة التصوف، وأعطت ثمرته الأولى في العراق في أوائل القرن الثاني من الهجرة. ويعتبر ممثل نزعة الزهد الحسن البصري (١١٠هـ / ٧٢٨م)، ورابعة العدوية (١٣٥هـ / ٧٥٢م) صوفياً. يمثل الحسن البصري نزعة خوف الله في حين تمثل رابعة حب الله إلى جانب الخوف الإلهي. ولم يكتف الحسن البصري بالأعمال الشكلية فحسب بل اهتم بالحس والشعور عند ممارسة الأعمال حيث قال: «مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصلاة والصوم»[2].

وكان الحسن رحمه الله حزين القلب «حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن». وقال: «إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً ولا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك»[3].

---

(١) البخاري، صيام، باب حق الجسم في الصوم.
(٢) الطبقات الكبرى لعبدالوهاب الشعراني: ١/ ٥٢.
(٣) حلية الأولياء: ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢.

قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فمنهم الحسن بن أبي الحسن، فما رأينا أحدًا من الناس كان أطول حزناً منه. ما كنا نراه إلاّ أنه حديث عهد بمصيبة، ثم قال: «نضحك ولا ندري لعلّ الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً. ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه من عصى الله فقد حاربه. والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف. ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب. كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه. ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً، فيقول: لا أجعل هذا كلّه في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه». يشير الحسن إلى أولئك الذين «.. ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا (أي أوتي إخوانهم) ويؤثرون (إخوانهم) على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1]»[2].

قال مسمع: «لو رأيت الحسن لقلت قد بُثَّ عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج»[3].

وقال يزيد بن حوشب: «ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبدالعزيز، كأن النار لم تخلق إلاّ لهما»[4].

---

(١) سورة الحشر: ٩.
(٢) حلية الأولياء: ٢/١٣٤.
(٣) صفة الصفوة: ٣/٢٣٣.
(٤) صفة الصفوة: ٣/٢٣٣.

وكان الحسن إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»[١].

وقال الحسن: «يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلاّ وجدت عيباً آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك»[٢].

وكانت رابعة العدوية، معاصرة الحسن، كانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: «ما لي حاجة بالدنيا». أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها: «تستعينين بها على بعض حوائجك». فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: «هو يعلم أني أستحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟»[٣].

وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً. فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شن بال[*] تكاد تسقط إذا مشت. وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها، بموضع سجودها، وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها.

---

(١) حلية: ٢/١٤٧.

(٢) صفة الصفوة: ٣/٢٣٤.

(٣) صفة الصفوة: ٤/٢٧.

(*) القربة البالية الصغيرة. انظر: صفة الصفوة: ٤/٢٨؛ أعلام النساء لعمر رضا كحّالة: ١/٤٣٣.

قال الثوري بين يدي رابعة: «واحزناه» فقالت: «لا تكذب. قل: واقلّة حزناه، لو كنت محزوناً ما هنّاك العيش»[1].

وكانت تقول: «استغفارنا يحتاج إلى استغفار»[2]، «أستغفر الله من قلّة صدقي في قولي: أستغفر الله»[3].

دخل على رابعة رياح القيسيّ، وصالح بن عبدالجليل، وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة: «إني لأرى الدنيا بترابيعها[4] في قلوبكم». قالوا: «ومن أين توهّمتِ علينا» قالت: «إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلّمتم فيه»[5].

قال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيان الثوري وقال: مر بنا إلى المؤدِّبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها. فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة. فبكت رابعة. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: «أنت عرَّضتني للبكاء». فقال: وكيف؟ قالت: «أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها؟ فكيف وأنت متلطّخ بها؟».

وكانت تصلّي الليل كلّه فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاّها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر. سمعت عبدة بنت أبي شوال رابعة تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: «يا نفس كم تنامين، وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاّ لصرخة يوم النشور»[6].

---

(١) صفة الصفوة: ٤/٢٩.
(٢) طبقات الشعراني: ١/٦٦، مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
(٣) صفة الصفوة: ٤/٢٨.
(٤) بجهاتها الأربع وكلّ ما فيها.
(٥) صفة الصفوة: ٤/٢٨ ــ ٢٩.
(٦) صفة الصفوة: ٤/٢٩ ــ ٣٠.

وكان من هؤلاء الزُّهَّادِ عطاء السليمي (بعد: ١٤٠/٧٥٧) من صغار التابعين، أدرك أنس بن مالك، وسمع الحسن البصري. واشتغل بنفسه عن الرواية. وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله بحيث قيل له: «أرأيت لو أن ناراً اشتعلت، ثم قيل: من اقتحمها نجا، ترى كان يدخلها أحد، قال: لو قيل ذلك، لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها».

قال أبو سليمان الداراني: «اشتد خوفه فكان لا يسأل الجنة، بل يسأل العفو». وقيل: كان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها. وقال: «إذا ذكرت جهنم لا يسعني طعام ولا شراب». وربما غشي عليه عند الموعظة. وقيل: إنه شيّع جنازة فغشي عليه أربع مرات[1].

فلما ولدت نزعة الزهد طائفة تسمى بالمتصوفة، أخذت هذه الطائفة تُطَوِّر علماً له مبادئه ومناهجه، يسمى «التصوف». كما طوَّر الفقهاء الفقه وأصوله، والمحدثون طوّروا علم الحديث وأصوله، والمفسرون طوّروا التفسير ومنهجه، وكذلك طوَّر الزهاد الفقه الباطن وهو «التصوف»، فوضعوا مناهجه ومبادئه. فأصبح التصوف ـ الذي ظهر نزعة عملية في أول الأمر ـ علماً له مصطلحات، وإشارات لا يعرفها إلاّ المختصون به.

ومما لا شك فيه أن هناك أشياء تسربت في التصوف أثناء تطوره مما يخالف الكتاب والسنّة. وربما وضعت هذه الأفكار الدخيلة بشكل الأحاديث لتروج بين الناس. ولله الحمد قد ظهر علماء الصوفية الواقفون

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/٨٧ ـ ٨٨؛ صفة الصفوة: ٣/٣٢٥ ـ ٣٣١.

على العلوم الشرعية يبيّنون الطريق الصواب للتصوف الموافق للكتاب والسنّة. فألّفوا كتباً في هذا الباب وفي مقدمتهم الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ / ٩٠٩م) صاحب الرسائل المتعددة مثل: الميثاق، والفناء، والبقاء، والحارث المحاسبي (٢٤٣هـ / ٨٥٧م)، صاحب الرعاية لحقوق اللّه، وأبو طالب محمد بن علي المكي (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) صاحب «قوت القلوب»، وأبو عبدالرحمن السلمي (٤١٢هـ / ١٠٢١م) جامع علوم الصوفية في كلّ باب. وللأخير فضل كبير في جمع علوم القوم حيث صارت كتبه من بعده مصادر أساسية لمن كتب في التصوف.

ونحن مع ضآلة علمنا، وقلة بضاعتنا وطاقتنا حاولنا تحقيق كتبه التي لا زالت مخطوطة في رفوف دور الكتب. فاقتطفنا ما وجدناه منها في مختلف مكتبات العالم، وحققناها مع التعليقات اللازمة عليها، وها نحن أولاء نعرضها على الباحثين، والدارسين والراغبين في التقدم نحو الكمال مقتدين بآثارهم، وسالكين سبيلهم.

واللّه تعالى أسأل أن يوفقنا لما يُحِبُّه ويرضاه، إنه ولي التوفيق، نعم المولى ونعم الموفِّق.

الدكتور سليمان آتش
أستاذ التفسير في كلية أصول الدين
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٧/٦/١٤٠٧هـ ــ ٥/٢/١٩٨٧م

حياة السلمي، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره

١ ـ خصائص القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي):

يذكر المؤرّخون القرن الرابع الهجري عهد تحول خطير في تاريخ الامبراطورية الإسلامية من النواحي السياسية والفكرية. إذ تأسست الخلافة الجديدة ضد الخلافة البغدادية وكانت هي الخلافة الفاطمية. لقد تلقبوا بلقب الخلافة بعد أن فتحوا القيروان سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م.

ولم يلبث الأمير الأموي عبدالرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله المرواني، أن اتخذ لنفسه لقب الخلافة، لما رأى العلويين يخرجون افريقية من أيدي العباسيين، ويتخذون لأنفسهم ـ من قبله ـ لقب الخلافة.

وبذلك ضمت مملكة الإسلام خلفاء ثلاثة: خليفة أموي في الأندلس، وخليفة علوي فاطمي في المغرب ثم في مصر، وخليفة عباسي في بغداد. وكانوا بذلك يمثلون في العالم الإسلامي الأحزاب السياسية التي كانت تتقاسمه.

ولم يقتصر أمر الانقسام على الخلافة وحدها، بل إن قبضة بغداد، حين ضعفت بدأ أمراؤها يستقلون بأمرها، ويستبدّون بحكمها[1]. وسواء

---

(١) الحضارة الإسلامية (؟): (عن مقدمة طبقات الصوفية لنور الدين شريبة، ص ١٢).

أكانت العوامل الأساسية لهذا التفكك راجعة إلى ضعف السلطة المركزية في بغداد، أم إلى ظهور الحركات القومية في تلك الأقطار، فمما لا ريب فيه أن تيار التفكير الإسلامي لم يجمد، بل سار مسرعاً نحو الكمال، حتى ليستطيع الباحث أن يقول دون مغالاة، إن هذا التفكك السياسي كان بشير ازدهار فكري، وتسابق حضاري، قلما يشهد المرء نظيراً له في تاريخ الحضارات[1].

٢ ـ البلدة التي نشأ بها السلمي:

خراسان: في الفارسية معناها «البلاد الشرقية». وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى يطلق بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند. فخراسان في مدلولها الواسع هذا، كانت تضم كلّ بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ما خلا سجستان ومعها قوهستان في الجنوب. وكانت حدودها الخارجية صحراء الصين والبامير من ناحية آسيا الوسطى، وجبال هند كوش من ناحية الهند. إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك أكثر حصراً وأدق تعييناً. حتى ليمكن القول إن خراسان لم يعد يمتد إلى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي، ولكنه ظلّ يشتمل على جميع المرتفعات في ما وراء هراة التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان. وإلى ذلك فإن البلاد في أعالي نهر جيحون من ناحية البامير، كانت على ما عرفها العرب في القرون الوسطى تعد ناحية من نواحي خراسان البعيدة. وكان إقليم خراسان في أيام العرب، أي في القرون الوسطى،

---

(١) مقدمة طبقات الصوفية لنورالدين شريبة، ص ١٢ ـ ١٣.

ينقسم إلى أربعة أقسام: أرباع، نسب كلّ ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. وبعد الفتح الإسلامي الأول، كانت عاصمتا خراسان في مرو وفي بلخ. إلا أن الأمراء الطاهريين، نقلوا دار الإمارة إلى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الإقليم، وهي أكبر مدينة في أقصى الأرباع غرباً[1].

ونيسابور: أهم مدن خراسان الأربع. وأصلها في الفارسية نيشابور، مشتق من نيوشاه بور. وإنما سميت المدينة بذلك نسبة إلى الملك سابور الثاني الساساني الذي جدد بناءها في المئة الرابعة للميلاد، إذ أن مؤسس نيسابور كان سابور الأول ابن أردشير بابكان[2].

ولا يعنينا كثيراً أن نستعرض تاريخ المدينة من الوجهة السياسية: متى دخلت ضمن أجزاء المملكة الإسلامية، وماذا كان شأن الثورات التي قامت بها، وما بواعثها، ولكن الذي يعنينا في الحديث هنا، هو أن نشير إلى أن معاوية بن أبي سفيان لما استتب له الأمر بعد عام الجماعة، ولى عبدالله بن عامر بن كريز على البصرة، وجعل إليه فتح خراسان وسجستان. فلما فتحها سنة اثنتين وأربعين أقام في نيسابور قيس بن الهيثم السلمي، وأمره على خراسان، فظلّ والياً عليها حتى سنة خمس وأربعين[3] مما يقطع بأن السلميين كان لهم شأن ملحوظ في أمر نيسابور.

---

(١) بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) مقدمة طبقات الصوفية لنورالدين شريبة، ص ١٥ ـ ١٦: Encyclopedia of Islam, Art Nishapar.

وقد تقلب حظ هذه المدينة بين الانتعاش والانتكاس حتى اتخذها أبو العباس عبدالله بن طاهر في القرن الثالث قصبة له. فبدأت تنتعش ووصلت إلى ذروة عمرانها حين انتقل أمرها إلى السامانيين في القرن الرابع، وصارت حاضرةَ والي خراسان ومنزل جنوده[1].

وفي هذا القرن عاش أبو عبدالرحمن السلمي، ومن هذه المنطقة خرج وفي هذه المدينة ولد.

٣ ـ أبو عبدالرحمن السلمي:

(أ) حياتـــه:

هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن راوية ابن سعيد بن قبيصة بن سراقة[2]، أبو عبدالرحمن الأزديّ من الأب، من أزد شنوءة، وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[3].

اشتهر أبو عبدالرحمن بنسبته إلى سليم قبيلة أمه، فهو حفيد الشيخ أبي عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد[4] السلمي، نسبة إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة مشهورة[5].

---

(١) مقدمة طبقات الصوفية لنورالدين شريبة، ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٧.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب: ١/٣٦.

(٤) طبقات الصوفية، ص ٤٥٤.

(٥) اللباب: ١/٥٥٣.

كان والد أبي عبدالرحمن شيخاً ورعاً، زاهداً، دائم المجاهدة، له القدم في علوم المعاملات[1]. صحب ابن منازل، وأبا علي الثقفي من شيوخ الملامتية في خراسان، ومن تلاميذ أبي عثمان الحيري. قال الحاكم أبو عبدالله: «قلّما رأيت في أصحاب المعاملات مثله»[2]. كان صوفياً لم يوسع عليه الرزق، علوّ القدر»[3].

وكانت والدته بنت الشيخ أبي عمرو إسماعيل بن نجيد، ذات ثروة واسعة، سيدةً فاضلة عليها نزعة صوفية واضحة مثل أبيها وزوجها. لما استأذن ابنها أن يخرج مع الشيخ أبي القاسم النصرآباذي إلى الحج، فقالت له: «توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن حافظاك شيئاً تستحي منه غداً»[4].

ولد أبو عبدالرحمن يوم الثلاثاء عشر جمادى الآخرة لسنة خمس وعشرين وثلاثمائة[5]، الموافق لسنة ست وثلاثين وتسعمائة الميلادية. وقد أرخ هذا التأريخ تلميذه الوفي أبو سعيد محمد بن علي الخشّاب الذي أفرد لشيخه ترجمة في جزء لخّصه الذهبي في سير أعلام النبلاء[6].

---

(١) نفحات الأنس، مخطوط فارسي، ورقة: ٥٣ أ. مكتبة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، رقم: ٦٣٤.

(٢) تاريخ الإسلام، مخطوط، ورقة: ٢/١٢٤، آيا صوفية، رقم: ٣٠٠٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٩.

(٥) المصدر السابق: ١٧/٢٤٧.

(٦) المصدر السابق: ١٧/٢٤٧ ـ ٢٤٨.

وأرخ عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي في «سياق التاريخ» تاريخ ولادة السلمي سنة ثلاثين وثلاثمائة[1] ونقل هذا التأريخ من ترجم له بعده. ولا شك أن التاريخ الذي ذكره الخشاب، هو الصحيح. وذلك لأن السلمي كتب بخطه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ما سمع من أبي بكر الصبغي[2]. ولا يعقل أن يكتب طفل في الثالث من عمره من الأستاذ، وأما ابن الثمانية فقادر أن يكتب. ويذكر من ترجم له أنه ولد بعد موت مكي بن عبدان[3] بستة أيام. وقد توفي مكي في رابع جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة. ويقطع هذا أن السلمي من مواليد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وقد اشتهر السلمي بنسبة أمه أكثر من اشتهاره بنسبة أبيه خلافاً لعادة العرب. وذلك لأنه نشأ عند جده لأمه إسماعيل بن نجيد السلمي. وكانت أسرة أمه أعظم مكانة وأفضل جاهاً من أسرة أبيه. وكان قيس بن هيثم السلمي من أجداده لأمه والياً على نيسابور في عهد معاوية بن أبي سفيان ثلاث سنين من واحد وأربعين إلى خمس وأربعين. لذلك كان جده لأمه إسماعيل بن نجيد من أثرياء نيسابور، في حين لم يكن أبوه في سعة من الجاه والمال، رغم فضله وكرم خلقه.

وقد احتضن أبو عمرو إسماعيل بن نجيد حفيده لابنته أبا عبدالرحمن، بعد أن انتقل والد أبي عبدالرحمن إلى جوار الله سنة

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق: ١٧/٢٤٧.

(٣) مكي بن عبدان، أبو حاتم التميمي (٢٤٢ ـ ٣٢٥هـ / ٨٥٦ ـ ٩٣٦م). ثقة (تاريخ بغداد: ١٣/١١٩ ـ ١٢٠).

نيف وأربعين وثلاثمائة[1]. فنشأ الفتى في رعاية جده، الذي كان من رجال الصوفية الكبار لوقته، مع كونه ذات ثروة هائلة وشهرة منتشرة، حيث قال السلمي:

«ولما توفي جدي أبو عمرو، خلّف ثلاثة أسهم في قرية قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وكانوا يتوارثون ذلك عن جده أحمد بن يوسف السلمي، وضياعاً، ولم يكن له وارث غير والدتي. وكان على التركات رجل متسلّط فكان من صنع الله أنه لم يأخذ شيئاً، وسلّم إليّ الكلّ. فلما تهيأ أبو القاسم النصرآباذي للحج، استأذنتُ أمي في الحج، فبعت سهماً بألف دينار، وخرجت سنة ٣٦٦هـ»[2].

وقال السبكي في طبقات الشافعية: أبو عمرو بن نجيد السلمي النيسابوري الزاهد العابد، شيخ الصوفية. قال الحاكم أبو عبدالله في إسماعيل بن نجيد: «الشيخ العابد الزاهد شيخ عصره في التصوف والعبادة والمعاملة، وأسند من بقي بخراسان في الرواية». ورث من آبائه أموالاً جزيلة فأنفقها على العلماء ومشايخ الزهد. صحب من أئمة الحقائق الشيخ الجنيد، وأبا عثمان الحيري وغيرهما. وسمع من إبراهيم بن أبي طالب ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، وأبي مسلم الكجي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وغيرهم. روى عنه سبطه أبو عبدالرحمن السلمي، وأبو عبدالله الحاكم وطائفة آخرهم أبو حفص عمر بن مسرور.

«عن أبي عثمان الحيري أنه قال: وخرج من عنده ابن نجيد،

---

(١) نفحات الأنس، ورقة: ٧٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٩.

يلومني الناس في هذا الفتى وأنا لا أعرف على طريقته سواه. وعنه أنه قال: «أبو عمرو خلفي من بعدي». وكان يقال: «أبو عمرو من أوتاد الأرض». وذكر الحاكم أنه سمع أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يذكر أن جده أبا عثمان طلب شيئاً لبعض الثغور فتأخر عنه، فضاق صدره وبكى على رؤوس الناس، فأتاه أبو عمرو بن نجيد بعد العتمة بكيس فيه ألفا درهم ففرح به أبو عثمان ودعا له. ولما جلس في مجلسه قال: «يا أيها الناس، لقد رجوت لأبي عمرو فإنه ناب عن الجماعة في ذلك الأمر وحمل كذا وكذا فجزاه الله عني خيراً». فقام أبو عمرو على رؤوس الأشهاد وقال: «إنما حملت ذلك من مال أمي وهي غير راضية فينبغي أن ترده عليّ لأرده عليها». فأمر أبو عثمان بذلك الكيس فأخرج إليه، وتفرق الناس. فلما جن الليل جاء إلى أبي عثمان في مثل ذلك الوقت وقال: «يمكن أن تجعل هذا في مثل ذلك الوجه من حيث لا يعلم به غيرنا». فبكى أبو عثمان وكان بعد ذلك يقول: أنا أخشى من همة أبي عمرو. توفي ابن نجيد سنة خمس وستين وثلاثمائة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة بنيسابور[1].

وكان لأبي عمرو طريقة ينفرد بها، وهي طريقة تنحو نحو طريقة الملامتية الذين يكتمون الأعمال ويظهرون خلافها. ويدلّ على ذلك ما قدمناه من حكايته في الألفي درهم مع أبي عثمان ولكنه لا يوافقهم من كل، بل هو أعلى قدماً منها فإن تلك الطريقة عند الأقوياء ضعيفة يعتمدها من يخشى على نفسه.

قال أبو عبدالرحمن: سمعت جدي يقول: «لا يصفو لأحد قدم في

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٢/١٨٩ ـ ١٩٠.

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



فلم يكتف بما أخذه من علماء بلده، بل ساح وجال البلاد: سافر إلى الري، ومرو، وهمدان، والعراق، والحجاز، ولقي العلماء بالبلاد التي سافر إليها، فأخذ منهم الحديث والتاريخ والتصوف. ورافق في أسفاره أستاذه في التصوف أبا القاسم النصرآباذي، حيث قال: «وكنت مع النصرآباذي أي بلد أتيناه يقول: قم بنا نسمع الحديث. وسمعته يقول: إذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا نار، وإذا رجعت عن تلك الحال فعظّم ما عظّمه الله»[1].

ولقد تلقى السلمي الفيض عن كثير من المشايخ، إلّا أن شيخه الأصلي في التصوف هو أبو القاسم النصرآباذي، لبس الخرقة بيده. ولبس النصرآباذي الخرقة بيد الشبلي صاحب الجنيد البغدادي. ولكن مراد بن يوسف الحنفي الدوسي الشاذلي الأزهري يذكر أن السلمي من أصحاب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي. يقول الدوسي في الرسالة التي سماها «شمس الآفاق في ذكر البعض من مناقب السلمي ومن مناقب أبي علي الدقاق» يقول فيها:

«كان، رحمه الله، اشتغل في حال صباه بالعلم الظاهر على مشايخ الإسلام بعصره ولم يزل يحضر دروسهم أولاً حتى تمهد في العلم وحصل ملكة العلم وإجازة بالفتوى والتدريس، فدرس وأفتى ثم وفقه تعالى توفيقاً شاملاً لا بعده توفيق»[2]. وينقل إلينا الدوسي في سياق كلامه تفاصيل مهمة عن بدء أمر السلمي في الطريقة الصوفية، حيث

---

(١) المصدر السابق: ١٧/٢٤٩.

(٢) شمس الآفاق، مخطوطة، ورقة: ٦١، المقدمة على آداب الصحبة لـ م. ي. قسطر: ٤.

يقول: «أخذ (أي السلمي) الطريقة ومعرفة أطوار السلوك عن الشيخ الإمام العارف بالله تعالى المسلك الواصل المربي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي ولقنه الذكر وأخذ عليه المبايعة بأنه ولده حساً ومعنى ثم أمر بإدخاله للخلوة وأمره بإقراء اسم بما يناسبه من الأسماء ثم أخلاه عنده في الخلوة الأربعينية إلى أن فتح الله عليه، ثم ألبسه خرقة الفقراء الصادقين من يده المباركة. ولم يزل بتلك الخلوة حتى أطلع الله الشيخ ورأى بعين البصيرة وقوة الفراسة أن هذا السلمي ممن فتح الله تعالى عليه حقيقته وحصل له الكمال من بين الرجال فلذا أعطاه الإجازة بتربية المريدين. ثم أخذ بعد ذلك بتربية مريديه وصحبه خلق كثير وانتموا إليه وانتفعوا بصحبته وتخرجوا من تحت تربيته»[١]. ويلوح أن الدوسي اعتمد فيما كتبه على أقوال الأنصاري والبلقيني وعلى أقوال المرصفي في «كتاب داعي الفلاح».

يبدو أنه صحب الشيخين ولبس الخرقة من يد كل منهما. وابتنى للصوفية خانقاه صغيرة في آخر أيامه، كانت مشهورة في نيسابور وفيما جاورها أو بعد عنها من أقاليم مملكة الإسلام. حتى أن الخطيب البغدادي حين ذهب إلى نيسابور زار تلك الدويرة التي يسكنها الصوفية يومئذ. إذ يقول: «وبنيسابور له دويرة معروفة به يسكنها الصوفية، وقبره هناك يتبركون بزيارته، قد رأيته وزرته»[٢].

ودفن أبو عبدالرحمن في تلك الخانقاه بعد أن سبق قضاء الله في

---

(١) نفس المصدرين والصفحة.

(٢) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.

يوم الأحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة[1] وكانت جنازته مشهودة[2].

(ب) مكانته العلمية :

كان السلمي، رحمه الله، مجهزاً بعلوم الحديث والتصوف، حيث صار أستاذاً لمن بعده وخاصة بآثاره في التصوف. قال عبدالغافر إسماعيل في سياق التاريخ له: «أبو عبدالرحمن شيخ الطريقة في وقته، الموفق في جميع علوم الحقائق، ومعرفة طريق التصوف، وصاحب التصانيف المشهورة العجيبة. ورث التصوف من أبيه وجده، وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المئة أو أكثر. حدّث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء وكتب الحديث بنيسابور، ومرو، والعراق، والحجاز، وانتخب عليه الحفاظ»[3].

وقال الهجويري، صاحب «كشف المحجوب»: «كتب السلمي طبقات المشايخ، وسيرهم، ونقل كلامهم، وطرقهم، وسلوكهم، وآدابهم، ومعاملاتهم، وصحبتهم، كما كتب تاريخ أهل الصفة»[4].

وقال الحاكم أبو عبدالله بن البيع: «أبو عبدالرحمن السلمي، كثير الحديث ويتقنه، وجاء من بيت التصوف»[5].

وقال عزالدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٥٥ ــ

---

(١) نفس المصدر: ٢/٢٤٩.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٥٢.
(٣) طبقات الشافعية: ٣/١٦٠، سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٩.
(٤) كشف المحجوب، ترجمته الإنجليزية لنيكولسون، ص ٨١.
(٥) لسان الميزان: ٥/١٤٠.

٦٣٠هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٣٢م): «له تصانيف في علوم الصوفية لم يُسبَق إليها، وكان مكثراً من الحديث، روى عنه الحاكم أبو عبدالله، ومات قبله بسبع سنين»[١].

وقال الداودي في طبقات المفسرين: «كان شيخ الصوفية وعالمهم في خراسان. له اليد الطولى في التصوف والعلم الغزير، والسير على سنن السلف»[٢].

وقال الخطيب: «قدر أبي عبدالرحمن عند أهل بلده جليل، ومحله في طائفته كبير، وقد كان مع ذلك صاحب حديث مجوداً، جمع شيوخاً وتراجم وأبواباً...»[٣]، ثم ذكر الخطيب قصة تدلّ على كرامة السلمي، من عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري قائلاً: أخبرنا عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري قال: كنت يوماً بين يدي أبي علي الحسن بن علي الدقاق، فجرى حديث أبي عبدالرحمن السلمي وأنه يقوم في السماع موافقة للفقراء. فقال أبو علي: مثله في حاله، لعلّ السكون أولى به. ثم قال لي: امض إليه فستجده قاعداً في بيت كتبه، وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور، فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئاً وجئني بها. وكان وقت الهاجرة، فدخلت على أبي عبدالرحمن وإذا هو في بيت كتبه، والمجلّدة موضوعة بحيث ذكر، فلما قعدت أخذ أبو عبدالرحمن في الحديث وقال: كان بعض الناس ينكر على واحد من العلماء حركته

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب: ٢/١٢٩.

(٢) طبقات المفسرين، مكتبة أسعد أفندي، رقم: ٢٠٧٣، ورقة: ٦٦ أ.

(٣) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.

في السماع، فرئي ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدور كالمتواجد، فسئل عن حاله، فقال: كانت مسئلة مشكلة عليّ فتبين لي معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور، فقيل له: مثل هذا يكون حالهم.

قال القشيري: فلما رأيت ما أمرني أبو علي ووصف لي على الوجه الذي قال، وجرى على أبي عبدالرحمن ما قد كان ذكره به، تحيرت وقلت: كيف أفعل بينهما، ثم فكرت في نفسي وقلت لا وجه إلا الصدق، فقلت: إن الأستاذ أبا علي وصف هذه المجلّدة وقال لي: إحملها إليّ ومن غير أن تستأذن الشيخ، وأنا أخافك وليس يمكنني مخالفته، فأيش تأمر، فأخرج أجزاء مجموعة من كلام الحسين بن منصور وفيها تصنيف له سماه «كتاب الصيهور في نقض الدهور»، وقال: إحمل هذه إليه وقل له: إني أطالع تلك المجلّدة، فأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي. فخرجت»[1].

هذه القصة تدلّ على كرامة كلا الشيخين: أبي عبدالرحمن وأبي علي الدقاق، كما تدلّ على أن السلمي يتواجد أثناء السماع ويدور أحياناً منفعلاً بالسماع وعند حل مشكلة له. وهناك حادث آخر يدلّ على أن السلمي كان يكره السماع.

المؤاخذة عليه:

لقد بدأ صراع عنيف بين الفقهاء والمتصوفة وخاصة بينهم وبين الفقهاء الحنابلة اعتباراً من شطر الثاني للقرن الثاني الهجري. واشترك

---

(١) الرسالة القشيرية، ص ٣٦، تاريخ بغداد: ٣/٢٤٨ ــ ٢٤٩.

في هذا الصراع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، إذ أنه كان حريصاً على محافظة صفاء الإسلام وعدم تسرب الأفكار الغريبة إليه. فاعترض على الصوفية، واستمر في هذا الصراع الذين اتبعوه مع زيادة الشدة. وجدير بالذكر أن الحنابلة ليسوا مخالفين لأصل التصوف في الحقيقة، وإنما كانوا ضد الأفكار الدخيلة من اللاهوتية الهندية واليونانية، وإلاّ قدْ ظهر من بين الحنابلة الصوفيون المعروفون مثل الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وابن القيم الجوزية تلميذ الشيخ ابن تيمية رحمهم الله. ويعرف الشيخ ابن تيمية رحمه الله بالهجوم على الصوفية، وفي الحقيقة ما كان الشيخ مخالفاً للتصوف العملي الذي هو عبارة عن نزعة الزهد والتقشف، إذ يثني على الصوفية القدماء مثل الفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، والشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمهم الله. وإنما خالف الشيخ للتصوف النظري الفلسفي الذي تبنى كثيراً من الأفكار والفلسفات الدخيلة الغريبة لروح الإسلام، وتبعه ابن القيم الجوزية. وكان من أسباب المعارضة أن ينقلب الصوفية إلى أرباب الرسوم والمظاهر، بينما كان الأقدمون منهم يعيشون حياة روحية، مخلصة، بعيدة عن الرياء والسمعة وحب المال والجاه والأغراض الدنيوية. وكردِّ فعل لتلك النزعة المخالفة لروح الإسلام ظهر من بين المتصوفة أنفسهم طائفة «الملامتية» التي تخالف المظاهر والرسوم وتكتم محاسنها، وتخلص العبادة لله. وكان السلمي وجده أبو عمرو منهم.

ومع ذلك لم يسلم السلمي من تلك المعارضة نحو التصوف التي أخذت تكبر شدته مع تقدم الزمان، فأخذ السلمي قسطه منها. وقد كثف معارضوه انتقاداتهم إياه في النقطتين التاليتين:

١ ــ ألّف حقائق التفسير للصوفية.

٢ ـ وضع الأحاديث لهم.

فلنأخذ أولاً الانتقاد الأول: إن السلمي ليس من ابتدع التفسير الصوفي الإشاري. فإن تلك النزعة بدأت قبله بقرنين على معرفتنا الحالية. وأول من ألّف في التفسير الصوفي الإشاري هو سهل بن عبدالله التستري. ثم ألّف أبو بكر الواسطي تفسيراً بنفس الأسلوب. وجاء بعدهما تفسير السلمي. إذاً اتهامه بأنه ألف للصوفية حقائق التفسير ليس في مكانه. لأنه لم يكن أول المؤلفين في هذا الباب.

يثني الذهبي في تذكرة الحفاظ على السلمي بقوله: «الحافظ، العالم، الزاهد، شيخ المشايخ»، ثم يقول: «ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية»[١]. وقال في سير أعلام النبلاء: «وللسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف. وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي «حقائق تفسيره» أشياء لا تسوغ أصلاً، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة»[٢]. وقال أيضاً: «وقيل: بلغت تآليف السلمي ألف جزء و«حقائقه» قرمطة. وما أظنه يتعمد الكذب، بل يروي عن محمد بن عبدالله الرازي الصوفي أباطيل وعن غيره»[٣].

واعترض السبكي على الذهبي قائلاً: «وقال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: كان ـ يعني السلمي ـ وافر الجلالة، له أملاك ورثها من أمه وورثتها هي من أبيها، وتصانيفه يقال إنها ألف جزء، وله كتاب سماه

---

(١) تذكرة الحفاظ: ١٠٤٦/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٥٢/١٧.

(٣) المصدر السابق: ٢٥٥/١٧.

«حقائق التفسير» وليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة، فدونك الكتاب فسترى العجب. انتهى. قلت: لا ينبغي له أن يصف بالجلالة من يدعي فيه التحريف والقرمطة. وكتاب حقائق التفسير المشار إليه قد كثر الكلام فيه من قبل: إنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحال للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ»[1].

وقد حمل ابن الجوزي في تلبيس إبليس حملة عنيفة على السلمي، حيث قال: «وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدعة حتى جعلوا لأنفسهم «سنناً» وجاء أبو عبدالرحمن السلمي فصنف لهم «كتاب السنن» وجمع لهم «حقائق التفسير» فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم، من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن»[2]. وأورد ابن الجوزي في تفاسير آيات كثيرة من كتاب تفسير السلمي وبرهن على أنها باطلة وقال إن أكثرها هذيان لا يحلّ[3].

ولكن التأويلات التي اقتبسها من الحقائق، لا تختلف عن تأويلات التستري، حتى أن معظمها مروي عن التستري. ويشار في كلا التفسيرين إلى المعنى الظاهر أحياناً ولكن يركز الاهتمام على المعاني الإشارية. لذلك نجد ابن الجوزي قد جاوز الاعتدال في تكثيف هجماته على السلمي وحده.

ولقد اعتدل الشيخ ابن تيمية، رحمه الله، في هذا الباب، حيث

---

(١) تلبيس إبليس، ص ١٥٨ ــ ١٥٩؛ طبقات الشافعية الكبرى: ٣/٦٢.
(٢) تلبيس إبليس، ص ١٦٣ ــ ١٦٤.
(٣) المصدر السابق، ص ١٧٤.

قال: «وجماع القول في ذلك إن هذا الباب نوعان:

أحدهما أن يكون المعنى المذكور باطلاً لكونه مخالفاً لما علم. فهذا هو في نفسه باطل، فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً، لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق.

والثاني ما كان في نفسه حقاً، لكن يستدلّون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك. فهذا الذي يسمونه «إشارات»، و«حقائق التفسير» لأبي عبدالرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير.

وأما النوع الأول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين في أصول دينهم...

وأما النوع الثاني فهو الذي يشتبه كثيراً على بعض الناس، فإن المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه، ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دلّ عليه وهذا قسمان:

أحدهما أن يقال: إن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله، فمن قال المراد بقوله: ﴿تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ هي النفس، وبقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ هو القلب، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ عليٌّ، فقد كذب على الله إما متعمداً وإما مخطئاً.

والقسم الثاني أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس. فالذي تسميه الفقهاء قياساً هو الذي تسميه الصوفية إشارة. وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل، كانقسام القياس إلى ذلك.

فمن سمع قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين، كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً، ولهذا يروى هذا عن طائفة من السّلف، قال تعالى: ﴿أَلَم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ وأمثال ذلك.

وكذا من قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب» فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان، إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوه سَبِيلاً﴾ وأمثال ذلك.

وكتاب «حقائق التفسير» لأبي عبدالرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها نقول ضعيفة عمن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق. فإن أكثره باطل عنه، وعامتها فيه من موقوف أبي عبدالرحمن، وقد تكلّم أهل المعرفة في نفس رواية أبي عبدالرحمن، حتى كان البيهقي إذا حدث عنه يقول: حدثنا من أصل سماعه...

والثاني أن يكون المنقول صحيحاً، لكن الناقل أخطأ فيما قال.

والثالث نقول صحيحة عن قائل مصيب. فكلّ معنى يخالف

الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب فهو خطأ، وإن ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً»[1].

ويجد الإمام تقي الدين ابن الصلاح، الواحديّ قد أفرط في حكمه بشأن هذا الكتاب حين قال: «صنف أبو عبدالرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر». ثم قال ابن الصلاح: «وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن. فإن النظير يذكر بالنظير. ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإبهام والالتباس»[2].

وقال النسفي في عقائده: «النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدّعيها أهل الباطل وإلحاد». قال التفتازاني في شرحه: «سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم. وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلّية. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان».

ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير

---

(١) فتاوى ابن تيمية، مقدمة التفسير: ١٣/٢٤٠ ـ ٢٤٣.

(٢) فتاوى ابن الصلاح، مناهل العرفان: ١/٥٤٦.

الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة. فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يحضون عليه ويقولون: لا بد منه أولاً. إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن. وقصدهم نفي الشريعة[1].

ولقد جاوز حد الإنصاف من أخذ على السلمي أنه ألف هذا التفسير. إذ أنه قلّما أبدى رأيه في التفسير، وإنما جمع ما سمع من الصوفية في التفسير، فرتبه حسب ترتيب السور. وهذه التفسيرات على العموم لا تدور حول آيات الأحكام، وإنما تطبق للقصص، والآيات المتعلقة بالنفس والروح، والحكم والمواعظ. وأما آيات الأحكام فلا تؤول بتأويلات تخرج القرآن من مقاصد الشريعة. لقد قام السلمي بخدمة للباحثين بجمع أقوال الصوفية وأفكارهم وأحاسيسهم عند قراءة القرآن وما يفهمون منه، فحفظ تلك الأفكار والأقوال عن الضياع، وهكذا ساعدنا أن نقف على أفكار وآراء صوفية ذلك الوقت وقد يقارن عمله بعمل الطبري. كما أن الطبري جمع أقوال الصحابة والتابعين وسلف الأمة في تفسير الظاهر، فكذلك جمع السلمي أقوال وآراء زهاد السلف الذين انقلبوا إلى الصوفية، فحفظها عن الضياع.

ونوه الأستاذ أبرمن بأن هذا التفسير لا يوضح شخصية السلمي، فإنه لا يحتوي إلا على أقوال المتصوفين التي أتى بها السلمي ورتبها حسب ترتيب السور القرآنية وآيها. ويشيد صاحب المقال بأهمية هذا التفسير فيما يتعلق بتأريخ الصوفية النيسابورية والشعر الصوفي[2].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/٥٤٦ ــ ٥٤٧.

(٢) مجلة إسلاميكا: ٤/١٣٠، مقدمة آداب الصحبة، ص ٩.

وعلى الرغم من أن السلمي اجتذب هجمات بعض الناس عليه، إلّا أنه نال إعجاب معظم العلماء المحققين والأمراء بذلك التفسير، حيث يقول السلمي:

«ولما دخلنا بغداد، قال لي الشيخ أبو حامد الاسفراييني: أريد أن أنظر في «حقائق التفسير»، فبعثت به إليه، فنظر فيه وقال: أريد أن أسمعه، ووضعوا لي منبراً.

ورأينا في طريق همذان أميراً، فاجتمعت به، فقال: لا بدّ من كتابة «حقائق التفسير» فنسخ له في يوم، فُرِّق على خمسة وثمانين ناسخاً، ففرّغوه إلى العصر، وأمر لي بفرس جواد ومئة دينار، وثياب كثيرة، فقلت: قد نغّصت عليّ، وأفزعتني، وأفزعت الحاجّ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ترويع المسلم، فإن أردت أن يبارك لك في الكتاب، فاقض لي حاجتي. قال: وما هي، قلت: أن تعفيني من هذه الصلة. فإني لا أقبل ذلك. ففرّقها في نقباء الرفقة، وبعث من خفّرنا. وكان الأمير نصر بن سبكتكين صاحب الجيش عالماً، فلما رأى ذلك التفسير أعجبه، وأمر بنسخه في عشر مجلدات، وكِتْبَةِ الآيات بماء الذهب، ثم قالوا: تأتي حتى يسمع الأمير الكتاب. فقلت: لا آتيه البتة. ثم جاءوا خلفي إلى الخانقاه، فاختفيت، ثم بعث بالمجلّد الأول، وكتبت له الإجازة»[1].

وقال تلميذه أبو سعيد محمد بن علي الخشّاب: «كان (السلمي) مرضيّاً عند الخاصّ والعام، والموافق والمخالف، والسلطان والرعية في

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٤٨/١٧.

بلده وفي سائر بلاد المسلمين، ومضى إلى الله كذلك، وحببت تصانيفه إلى الناس، وبيعت بأغلى الأثمان، وقد بعت يوماً من ذلك على رداءة خطّي بعشرين ديناراً، وكان في الأحياء، وقد سمع منه كتاب «حقائق التفسير» أبو العباس النسوي، فوقع إلى مصر، فقرىء عليه، ووزّعوا له ألف دينار، وكان الشيخ ببغداد حياً. وسمعت أبا مسلم غالب بن علي الرازي يقول: لما قرأنا كتاب «تاريخ الصوفية» في شهور سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بالريّ، قتل صبي في الزحام، وزعق رجل في المجلس زعقة ومات. ولما خرجنا من همذان، تبعنا الناس لطلب الإجازة مرحلة»[1].

ولقد استنسخ مولانا جلال‌الدين الرومي هذا التفسير فنسخه له ملك الأدباء فخرالدين ديودسته، فأهدى مولانا فراجته للناسخ نتيجة إعجابه وسروره[2]. وكذلك استنسخه الصدر الأعظم للدولة العثمانية فاضل أحمد باشا بخط نفيس جداً[3].

وأورد صاحب رسالة «شمس الآفاق» التي مر ذكرها، قول الشيخ ناصرالدين البلقيني الشاذلي (قاضي القضاة) في حقائق التفسير: «اعلم أن أجلّ ما جمع من أقوال أشياخ الفتوى رحمة الله عليهم، ما جمعه أبو عبدالرحمن السلمي في كتابه المسمى بالحقائق. إلّا أنه سود فيه سائر ما وقع له ولم يبين رتبته. ومن تأمل ما نقله فيه وجد فيه من الاستنباط الحسن والفقه البين ما يبتهج به روحه وعلم أنه فتح إلهي، وعلم رباني

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي: ٢/٦٠٣.

(٣) مكتبة كوبريلي، رقم: ٩١.

أضاء لقائله من مشكاة النبوة ومنحة من الله تعالى بواسطة التدبير العلمي والتفكر النظري والشوق الوجدي، كما أن المتأمل لهذا الكتاب إذا وقف فيه على شوارد الفهوم التي ندت عن قواعد العلوم وبعدت عن مقاصد الخلاف الشرعي وموارد الصواب، فلا تكاد تنتصب مع غيرها من وجوه الصواب في سلك واحد إلّا بتكلف شديد وتعصب زائد، ولعلّ في وقوع من قائله (كذا). . . »[1].

وقال ر. هارتمان: لقد غلب على آثار السلمي النزعة المعتدلة السنية السلفية التي غلبت على آثار المتصوفة الزهاد. ولا يؤمل من مثله غير ذلك[2].

وحسب أبي عبدالرحمن أن يقول فيه زميله في الدرس الحاكم أبو عبدالله: «إن لم يكن أبو عبدالرحمن من الأبدال، فليس لله في الأرض ولي»[3].

وأما اتهامه بوضع الأحاديث للصوفية: فأول من اتهمه بهذه التهمة محمد بن يوسف القطان النيسابوري، معاصر لأبي عبدالرحمن ولكنه لم ينل منزلته. تحدث يوماً إلى الخطيب البغدادي فقال: «كان أبو عبدالرحمن غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً، فلما مات الحاكم أبو عبدالله بن البيع، حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين، وبأشياء كثيرة سواه. قال: وكان يضع للصوفية الأحاديث»[4].

---

(١) المخطوطة، ص ٦٢، مقدمة آداب الصحبة للمحقق، ص ١٠.

(٢) رسالة الملامتية للسلمي، ترجمة أحمد جمال باللغة التركية، مجلة كلية الأداب لدار الفنون، سنة ١٩٢٤، العدد: ٦، ص ٢٧٧.

(٣) مرآة الزمان لليافعي، حوادث سنة ٤١٢هـ، مقدمة طبقات الصوفية للمحقق، ص ٤٨.

(٤) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.

ثم ردد هذه التهمة كل من ترجم له نقلاً عن الخطيب فانتشرت بين أوساط العلم، وتسببت في إساءة بعض الناس الظن بالسلمي دون أن يشعر أنها افتراء عليه من معاصر له حسده لمنزلته عند الخاص والعام. يبدو أن الخطيب لم يثق بهذا الكلام ولم يرض عنه، إذ علّق عليه قائلاً: «قدر أبي عبدالرحمن عند أهل بلده جليل، ومحله في طائفته كبير، وقد كان مع ذلك صاحب حديث مجوداً، جمع شيوخاً وتراجم وأبواباً»[1].

وعلق السبكي على هذه التهمة بقوله: «وقول الخطيب فيه هو الصحيح، وأبو عبدالرحمن ثقة ولا عبرة بهذا الكلام فيه»[2].

ولقد درسنا كتب السلمي التي حققناها، ملتقطين من المكتبات في مختلف الدول، كما كتبنا دراسة حول حقائق السلمي، فلم نطلع على حديث أو أثر ليس له مرجع قبل السلمي، بل كل الأحاديث والآثار ذكرت في كتب الأقدمين الذين كتبوا في الزهد والتصوف.

ووصل إلى ما وصلنا إليه من النتيجة نورالدين شريبة محقق طبقات الصوفية للسلمي، و م. ي. قسطر محقق آداب الصوفية له. قال م. ي. قسطر: «وقد حاولنا أن نتبين مبلغ هذه التهمة من الصحة في نطاق ضيق، ينحصر في كتاب «آداب الصحبة» ونستطيع أن نؤكد أننا قد لا نجد في هذا الكتاب حديثاً يصح أن نتهم بوضعه السلمي. فقد بذلنا الجهد لضبط مراجع هذه الأحاديث فألفيناها في كتب الأدب والوعظ وفي

---

(١) المصدر السابق.

(٢) طبقات الشافعية: ٣/٦١.

تصانيف الأحاديث النبوية وفي كتب الزهد لمؤلفين قد سبقوا السلمي أو عاصروه. وانتهينا إلى أن تهمة وضع الأحاديث التي ألصقت بالسلمي واهية، نكاد لا نجد لها مبرراً.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه التهمة قد وجهت إلى كثير من المحدثين حتى أن العلماء طعنوا في الحسن البصري وقالوا إنه كثير التدليس[1]. بيد أن العلماء كانوا يتساهلون في الأحاديث الموضوعة إذا كان الغرض من وضعها الوعظ والحث على التحلي بمكارم الأخلاق. وإلى ذلك يشير أحمد عبيد في مقدمته لكتاب «روضة المحبين»: «ولئن مر بك في هذا الكتاب شيء من الأحاديث الضعيفة أو الحكايات الإسرائيلية فاعلم أن ذلك ليس مما يغمض على المؤلف لأنهم إنما كانوا يتشدّدون في أحاديث الأحكام. قال الإمام أحمد رضي الله عنه: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا في الأسانيد، وإذا روينا في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»[2].

ولو أمعنا النظر في الأحاديث التي رواها السلمي أيقنا أنها لا تضع حكماً ولا ترفعه. فالأحاديث التي في كتب السلمي هي في الزهد والتواضع والإيثار واجتناب الحسد والعجب والتكبر وما شاكل ذلك من مدح الخصال الحميدة وذم سيئها. فلا يدهشنا إذا وجدنا في تصانيف

---

(١) راجع: مباحث الأستاذ ريتر، «در إسلام» ج ٢١، سنة ١٩٢٣، وانظر: مقدمة الأستاذ أحمد زكي باشا لكتاب الأصنام ص ١٣ ــ ١٥ في شأن تضعيف ابن الكلبي، وراجع نولدكه: تاريخ القرآن، حيث ذكر قول أبي سعيد القطان: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

(٢) روضة، ص «ز»، وراجع: الدراسات المحمدية، ج ٢ ص ٤٧ و ١٥٣.

السلمي بعض الأحاديث الضعيفة، فإن السلمي لم يضعها إنما رواها عن شيوخه، وهي أحاديث رائجة، شائعة لا يخلو منها كتاب زاهد أو صوفي أو واعظ.

والواقع أنه قد بدا لنا أحياناً أن حديثاً من أحاديث «آداب الصحبة» موضوع وكدنا نميل إلى اتهام السلمي. فقد ورد في «إحياء علوم الدين» الحديث: «مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى». ولم يذكر العراقي في «المغني» لهذا الحديث أصلاً في كتب الحديث القديمة وإنما اكتفى بالملاحظة: «أورده السلمي في آداب الصحبة»[1]. وقد كدنا نصدق أن السلمي هو واضع هذا الحديث، غير أننا اهتدينا إليه بعد مدة في كتاب «قوت القلوب» للمكي[2]. وهناك مثل آخر: لم نجد أصلاً للحديث: «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين». وأثبت المناوي في «كنوز الدقائق» أن الحديث للسلمي. وساورتنا الشكوك... غير أننا عثرنا على حديث ينطوي على نفس المعنى في «تنبيه الغافلين» للسمرقندي وفي «روضة العقلاء» للبستي[3]. وهذا مما يعين على تبرئة ساحة السلمي ويدلّ على أن هذه الأحاديث كانت شائعة، ذائعة في الأوساط الصوفية.

ولم يتجاسر على رمي السلمي بهذه التهمة حتى خصومه من الحنابلة، وانفرد بهذه التهمة القطان، ويظهر هذا واضحاً في قول ابن تيمية في كتاب «السماع والرقص» (جمعه محمد المنبجي)، حيث

---

(١) إحياء علوم الدين: ٢/١٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٤/١١٦.

(٣) تنبيه: ص ٤٤، روضة، ص ٨٢.

انتقد أحاديث السلمي، قال: «... لأن فيما جمعه أبو عبدالرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك (أي السماع) حكايات وآثاراً يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق. وكان الشيخ أبو عبدالرحمن فيه من الخير والزهد والدين والتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كلّ ما يجده، ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له. وبعض الناس توقف في روايته حتى أن البيهقي كان إذا روى عنه يقول: حدثنا أبو عبدالرحمن من أصل سماعه. وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة عنه، فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية»[1] فإن ابن تيمية لا يعيب على السلمي في هذا الفصل، إلا أنه كان لا يميز بين الغث والسمين وجمع كلّ حديث سمعه من صحيح وضعيف ومتواتر وواه ومتروك»[2].

وقال نورالدين شريبة في مقدمته على طبقات الصوفية للسلمي: «وهذا القول في أبي عبدالرحمن، يشمل تهماً ثلاثاً:

أولها: أن أبا عبدالرحمن لم يسمع من أبي العباس الأصم إلا شيئاً يسيراً، لا يمكنه من التحديث بما حدث به عنه.

ثانيها: أنه لما مات الحاكم ابن البيع، حدث السلمي عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين، وبأشياء كثيرة سواه.

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى: ٢/٣٠٥.

(٢) مقدمة م. ي. قسطر على آداب الصوفية للسلمي، ص ٧ ــ ٩.

ثالثها: أنه كان يضع للصوفية الأحاديث.

١ ــ «ومن المعروف أن أبا العباس الأصم ــ وهو أستاذ أبي عبدالرحمن ــ قد مات بنيسابور سنة ست وأربعين وثلاثمائة[١]، وأن أبا عبدالرحمن كانت سنه يومئذ واحدًا وعشرين عاماً، وأنه بدأ الكتابة عن شيخه الصبغي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وسنه يومذاك ثماني سنوات، فكيف يقال إنه لم يلقه إلا فترة يسيرة، ولم يسمع منه إلا قليلاً.

٢ ــ «ثم لماذا يختار السلمي هذا الوقت بذاته ــ بعد وفاة زميله في الدرس ورصيفه ابن البيع ــ ليحدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين، لقد توفي ابن البيع في نيسابور سنة خمس وأربعمائة[٢] فهل أراد أبو عبدالرحمن ــ وهو الذي مات سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ــ أن يختم حياته بالكذب على شيوخه، والافتراء على رسول الله، وما الذي منعه من ذلك في حياة زميله ابن البيع، أهو خوفه منه، ومن أن يسوء رأيه فيه؟، ولماذا لم نجد معاصراً آخر، يرمي أبا عبدالرحمن بالكذب والوضع والاختلاق إلا القطّان. أهو وحده كان أنفذ بصيرة من كلّ من كانت تمتلىء بهم نيسابور، من علماء الجرح والتعديل، أعتقد أن «ذلك من قبيل الحسد ولا نقبل منه»[٣].

٣ ــ «بقيت تهمة ثالثة، وهي تهمة وضعه الأحاديث للصوفية، بل إن

(١) اللباب: ٢/٤٩.

(٢) طبقات الشافعية: ٣/٦٤ ــ ٧٢.

(٣) مرآة الزمان: ١/٤١٢.

بعض الباحثين المعاصرين لم يستبعد «كذلك وضعه كثيراً من عبارات الصوفيـة على ألسنة القـوم بما يتنـاسب مع مشـاربهم ونزعاتهم»[١].

«والحق أن هذا الاتهام مغالى فيه كذلك. فمما لا ريب فيه أن في تآليف أبـي عبدالرحمن أحاديث ضعيفة، وأخرى موضوعة، كما أن فيها أحاديث صحيحة، وأخرى حسنة. فهو بذلك يستوي مع من ألفوا في الحديث ولم يتفرغوا له، بل إن أكثر أجلّة علماء الحديث قد استدرك عليهم بعض أحاديث. وسيجد القارىء أن تخريج أحاديث الطبقات خير سند لهذا القول. وخير القول في أبـي عبدالرحمن هو قول الذهبـي، أنه كان «للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ والرواة سؤال عارف[٢]. . . »[٣].

لقد نقل السلمي قسماً من حديث جده عن راوٍ آخر[٤]. فإن كان واضعاً ما أدخل شخصاً آخر بينه وبين جده ــ الذي تربى عنده وعاش معه فترة طويلة، بل قال: «سمعت من جدي». قال في ترجمة أبـي عبدالله محمد بن الخفيف: «وكلّ هذه الحكايات، أخبرنيه أبو عبدالله محمد بن خفيف رضي الله عنه إجازة لي بخطه»[٥]. وهذا القول يدلّ على اهتمام أبـي عبدالرحمن بالإجازة والسماع.

---

(١) الملامتية، ص ٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢٥٢/١٧، تذكرة الحفاظ: ١٠٤٦/٣.

(٣) مقدمة الطبقات للمحقق: نورالدين شريبة، ص ٤٦ ــ ٤٧.

(٤) انظر: طبقات الصوفية: ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٦٦.

ولم نعثر على أحد رمى أبا عبدالرحمن بالوضع ممن لاقوه، وصحبوه. قال أبو نعيم من تلاميذه: «هو أحد من لقيناه، ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة، وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف، مقتد بسيمتهم، ملازم لطريقتهم، متبع لآثارهم، مفارق لما يؤثر عن المتخرمين المتهوسين من جهال هذه الطائفة، منكر عليهم»[1]. وقال تلميذ آخر: أبو سعيد محمد بن علي الخشاب: «وقد كان مرضياً عند الخاص والعام، والموافق والمخالف، والسلطان والرعية، في بلده وفي سائر بلاد المسلمين، ومضى إلى الله كذلك»[2]. وقال السراج: «مثله لا يتعمد الكذب»[3].

وحسب أبي عبدالرحمن أن يقول فيه زميله في الدرس الحاكم أبو عبدالله بن البيع: «إن لم يكن أبو عبدالرحمن من الأبدال، فليس لله في الأرض ولي»[4]. والجدير بالذكر أن الحاكم أثنى عليه بهذا القول وكلاهما في قيد الحياة، ومات قبل أبي عبدالرحمن.

وكما أسلفنا لم يعب شيخ الإسلام ابن تيمية على السلمي، بل أثنى عليه «لما فيه من الخير والزهد والدين والتصوف» إلا أنه أخذ ما وجد دون تمييز بين الغث والسمين، وهذا لم ينشأ من سوء النية، وإنما نشأ من زهده، مما عمله كثير من أهل الزهد.

---

(١) حلية الأولياء: ٢/ ٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٤٨.

(٣) انظر: لسان الميزان: ٥/ ١٤١.

(٤) مرآة الزمان: حوادث سنة ٤١٢.

في الواقع إن السلمي وإن كان محدثاً عارفاً بالحديث، حافظاً، لكنه كان يحمل حسن ظن عظيم تجاه أهل التصوف كما كان دأب جلّة منهم، لذلك وثق بشيوخه وصدق ما سمعه منهم دون القياس بالجرح والتعديل. حتى أنه اعترف باعتقاده في وجوب تصديق المشايخ فيما يقولون. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»[1]. وتدلّ القصة التالية، التي يرويها القشيري عنه، على هذا الاعتقاد له تجاه المشايخ:

«سمعت السلمي يقول: خرجت إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس دور القرآن بختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لابن العقابي في ذلك الوقت مجلس القول فداخلني من ذلك شيء، وكنت أقول في نفسي: استبدل مجلس الختم بمجلس القول ـ يعني الغناء، فقال لي يوماً: يا أبا عبدالرحمن، أيش يقول الناس لي، قلت: يقولون: رفع مجلس القرآن، ووضع مجلس القول. فقال: من قال لأستاذه لم، لا يفلح أبداً»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن باللفظ التالي: «وإن من عادى لله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة». وقد ورد في كتب الحديث، أحاديث بهذا المعنى.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٥١، طبقات الشافعية الكبرى: ٤/١٤٦ ـ ١٤٧.

(ج) مدرسة السلمي:

«لا ريب أن التطور الذي شمل الحياة الإسلامية بعامة، والفكر الإسلامي بخاصة، قد أثر على التصوف. فهو عنصر منه يتأثر جذباً ودفعاً. ولا ريب كذلك أن كثيراً «من المتخرمين المتهوسين من جهال هذه الطائفة»[1] قد انحرفوا عن الاتجاه الأول الذي اتجه فيه أسلافهم.

وقد جهد الحريصون من شيوخ الصوفية، أن يردوا الناس إلى الطريق السوي، أوضح من بذل في ذلك جهداً من متصوفة المشرق، هو الجنيد في بغداد.

كان مذهب الجنيد أن يعرض أمره على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبله، وما خالفهما رفضه. وكان له في بغداد مدرسة تتجه اتجاهه وتسمع لرأيه. والحق أن هذا الاتجاه قد صادف قبولاً عند المسلمين، عامتهم وخاصتهم، فأحبوا الجنيد وعظموه.

وفي نيسابور وما يجاورها مدرسة أخرى، قامت تدعو بهذه الدعوة، قوامها وأظهر رجالها، أبو نصر السراج، صاحب «اللمع»، وتلميذه أبو عبدالرحمن السلمي صاحب «الطبقات» وتلميذ السلمي القشيري صاحب «الرسالة».

فقد كانت «حقيقة هذا المذهب عندهم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلّغ وشرع، وأشار إليه وصدع، ثم القدوة المتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار»[2].

---

(١) حلية الأولياء: ٢/٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق.

ولست أحاول أن أحصي وجوه الاتفاق والاختلاف بين هاتين المدرستين، ولكني ألفت النظر إلى ما تميزت به مدرسة نيسابور، من أن بحثها في التصوف كان «بحثاً موضوعياً» فإذا قرأت «اللمع» أو «حقائق التفسير» رأيت أن المؤلف لا يكاد يظهر رأيه إلا قليلاً جداً، ويكتفي بسرد أقوال شيوخ الصوفية.

أما في بغداد فقد كان الأمر على خلاف ذلك. إذ أن صوفية بغداد كانوا يذكرون آراءهم، وفهمهم في التصوف، ثم يجمعون الآراء التي تساندهم. ولعلّ القشيري قد تأثر قليلاً بمذهب البغداديين في رسالته، دون السراج في «اللمع» أو أبي عبدالرحمن في «طبقات الصوفية» و «حقائق التفسير» »[1].

(د) شيوخ السلمي:

لقد سمع أبو عبدالرحمن كثيراً من علماء وقته في بلده وفي البلاد التي زارها. وإن أبرز مشايخه في الحديث هو أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، صاحب إجابات «سؤالات» السلمي. وسوف نفصل ترجمته فيما يأتي. وسمع أبو عبدالرحمن أبا العباس الأصم، وأحمد بن محمد بن عبدوس، ومحمد بن المؤمل الماسرجسي، ومحمد بن أحمد بن سعيد الرازي صاحب ابن وارة، والحافظ أبا علي النيسابوري، وخلقاً كثيراً، وكتب العالي والنازل[2]. وأما شيوخه الباقون فأثرهم صوفي مثل أبي نصر السراج، وأبي القاسم النصرآباذي، وجده أبي عمرو

(١) مقدمة طبقات الصوفية للمحقق، ص ٤٨.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١٠٤٦/٣.

إسماعيل بن نجيد، وأبو سهل الصعلوكي. فلنفصل قليلاً ما أوجزناه، مقتصراً على بعض مشايخه البارزين، لأن تعداد كلّهم يتجاوز حد دراستنا:

١ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الأبزاريّ ـ نسبة إلى أبزار، قرية بينها وبين نيسابور فرسخان ـ من محدثي نيسابور المشهورين. سمع بنيسابور ونسا، ورحل إلى العراق فسمع بها. وكتب بالجزيرة والشام. وسمع بخراسان وبغداد عن أئمة الحديث فيها. سمع منه الحاكم أبو عبدالله وأبو عبدالرحمن السلمي وغيرهما[1].

٢ ـ إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم النصرآباذي (٣٦٧هـ / ٩٧٧م). وهو من شيوخ أبي عبدالرحمن ورفيقه في الأسفار. زامل أبا عبدالرحمن، في الاستماع إليه والانتفاع به، محدث نيسابور ومؤرخها وعالمها، الحاكم أبو عبدالله بن البيع، صاحب «تاريخ نيسابور»[2] و«المستدرك على الصحيحين». سافر إلى العراق ومصر. سمع أبا بكر بن خزيمة، وأبا العباس السراج، وعبدالرحمن بن أبي حاتم وغيرهم من شيوخ العراق، والشام، ومصر. روى عنه الحاكم أبو عبدالله، وأبو عبدالرحمن السلمي، وغيرهما. وسافر إلى مكة فأقام بها إلى أن توفي في ذي الحجة[3].

---

(١) معجم البلدان: ٨/ ٣٥٩.

(٢) منها مخطوطة فريدة بخزانة كتب السلطان محمد الفاتح.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب: ٣/ ٣١٠ ـ ٣١١، الرسالة القشيرية، ص ٣٥، طبقات الشعراني: ١/ ٩٧، تاريخ بغداد: ٦/ ١٦٩، تذكرة الأولياء: ٢/ ٢٤٤ ـ ٣٠٥.

٣ ـ أبو بكر إبراهيم. روى السلمي عنه، عن أبي جعفر بن عبدوس.

٤ ـ أبو إسحاق الحيري[١].

٥ ـ أبو بكر بن عبدالله.

٦ ـ أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد بن عبدالرحمن بن نوح، أبو بكر الصبغي (٢٥٨ ـ ٣٤٢هـ / ٨٧١ ـ ٩٥٣م). أحد العلماء المشهورين، رحل إلى العراق، والحجاز وغيرهما، وسمع إسماعيل بن قتيبة السلمي، والحارث بن أبي أسامة، ومحمد بن عيسى بن السكن وغيرهم[٢].

٧ ـ أحمد بن جعفر بن أحمد بن بكر بن زياد بن علي بن مهران بن عبدالله، أبو محمد الشيباني الشعراني (٣٧٢هـ / ٩٨٢م).

٨ ـ أحمد بن علي الحسن بن شاذان المقرىء النيسابوري، أبو حامد المعروف بابن حسنويه[٣]، وكان كذلك شيخ أبي عبدالله الحاكم[٤].

٩ ـ أحمد بن محمد بن رميح النسوي بن عصمة بن وكيع بن رجاء، أبو سعيد النخعي (٣٥٧هـ / ٩٦٧م)، كان ثقة ثبتاً، من أهل نسا. ولد بالشرمقان، ونشأ بمرو، وسمع العلم بخراسان وغيرها من البلدان. وكتب الكثير، وصنف وجمع وذكر العلماء. وكان معدوداً

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٤٩/١٧.

(٢) اللباب: ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣) تاريخ الإسلام: ٢١٧/٢١ مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٤) ميزان الاعتدال: ١٢١/١.

في حفاظ الحديث. وقدم بغداد دفعات، وحدث بها عن محمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن إسحاق السراج، وعبدالله بن محمد بن شيرويه وغيرهم. حدّث عنه الدارقطني، وابن شاهين، ونحوهما من الرفعاء. توفي بالجحفة[1]. وكتاب «طبقات الصوفية» مليء بالرواية عنه.

١٠ ـ أحمد بن محمد بن عبدوس العنزي، أبو الحسن الطرائفي ـ نسبة إلى بيع الطرائف وهي الأشياء المتخذة من الخشب ـ (٣٤٦هـ / ٩٥٧م)[2].

١١ ـ إسماعيل بن نجيد بن الحافظ أحمد بن يوسف بن خالد النيسابوري (٢٧٢ ـ ٣٦٥هـ / ٨٨٥ ـ ٩٧٥م)، أبو عمرو الصوفي، كبير الطائفة، ومسند خراسان. سمع أبا مسلم الكجّي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما. وله جزء عال. حدث عنه سبطه أبو عبدالرحمن السلمي، وأبو عبدالله الحاكم، وأبو نصر أحمد بن عبدالرحمن الصفار وغيرهم. كان ثرياً، ورث من آبائه أموالاً كثيرة، فأنفق سائرها على العلماء والزهاد، وصحب أبا عثمان الحيري والجنيد، وقد قدمنا قصة تقديم ما احتاج إليه شيخه أبو عثمان، في العتمة سرّاً لم يره أحد، وكان بعد ذلك يقول أبو عثمان: أنا أخشى من همة أبي عمرو.

قال أبو عبدالرحمن السلمي: «جدي له طريقة ينفرد بها من صون الحال وتلبيسه، سمعته يقول: كلّ حال لا يكون عن نتيجة

---

(١) تاريخ بغداد: ٥/٧ ـ ٨.

(٢) شذرات الذهب: ٢/٣٧٢.

علم وإن جلّ، فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه». وسمعته يقول: «لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى»[1].

وقال جدي: «من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق، سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها». وسمعت أبا عمرو بن مطر يقول: سمعت أبا عثمان الحيري، وخرج من عنده ابن نجيد، يقول: «يلومني الناس في هذا الفتى، وأنا لا أعرف على طريقته سواه»، وربما يقول: «هو خلفي من بعدي»[2].

١٢ ــ جعفر بن محمد، أبو القاسم الرازي، قال أبو عبدالرحمن في كتابه «تاريخ الصوفية» في ترجمة أحمد بن محمد بن أبي سعدان: «ولم يكن في زمانه أعلم بعلوم هذه الطائفة منه، وكان أستاذ شيخنا أبي القاسم الرازي»[3].

١٣ ــ جعفر بن محمد بن الحارث (٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، أبو محمد المراغي ــ نسبة إلى المراغة، أعظم وأشهر بلاد آذربيجان ــ أحد الرحالين في طلب الحديث وجمعه. سكن نيسابور، وسمع بدمشق وغيرها. وكان من أصدق الناس وأثبتهم، سمع ببغداد جعفر الفريابي، وبالموصل أبا يعلى الموصلي، وسافر إلى

---

(١) انظر أقوال السلمي في «طبقاته»، ص ٤٥٤ ــ ٤٥٧.

(٢) طبقات الصوفية، ص ٤٥٤ ــ ٤٥٧، طبقات السبكي: ٢٢٢/٣ ــ ٢٢٤، طبقات الشعراني: ١٤١/١، شذرات الذهب: ٥٠/٣، سير أعلام النبلاء: ١٤٦/١٦ ــ ١٤٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٣٦١/٤.

الحجاز، والشام، ومصر وغيرها. سمع منه الحاكم أبو عبدالله، وأبو علي الحافظ وغيرهما. توفي بنيسابور في رجب وهو ابن نيف وثمانين سنة[1].

١٤ ـ حسان بن محمد القرشي الأموي النيسابوري (٣٤٩هـ / ٩٦٠م)، الفقيه، شيخ الشافعية بخراسان. صنف التصانيف، وكان بصيراً بالحديث وعلله، ثقة. أثنى عليه غير واحد، وروى عنه كذلك أبو عبدالله، وقال: «هو إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد من رأيت من العلماء وأعبدهم». توفي في ربيع الأول[2].

١٥ ـ الحسين بن أحمد بن جعفر، أبو عبدالله الرازي. كان تلميذاً لأبي جعفر محمد بن عبدالله الفرغاني. وروى عن العباس بن المهتدي ـ المتوفى قريباً من سنة ٣١٧هـ ـ وعن أبي حلمان الصوفي[3]. يروي السلمي عنه، عن إبراهيم بن المولّد.

١٦ ـ الحسين بن علي بن زيد بن داود بن يزيد النيسابوري الصائغ، الإمام الحافظ أبو علي.

١٧ ـ الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، أبو أبي عبدالرحمن السلمي (٣٤٠هـ / ٩٥١م).

١٨ ـ سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد، أبو عمرو البرذعي ثم الطّرازي (٣٦٢هـ / ٩٧٣م). أحد الحفاظ، سكن طراز من بلاد

---

(١) اللباب: ٣/ ١٩٠، معجم البلدان: ٨/ ٥.

(٢) شذرات الذهب: ٢/ ٣٨٠.

(٣) طبقات الصوفية، ص ٣١٩، حاشية: (١)، مأخوذ من: Etude sur les Isnad . p. 407.

تركستان، وقدم بغداد حاجاً في سنة خمسين وثلاثمائة، وحدّث بها عن عبدالله بن الحسين بن بحر الشاماتي النيسابوري، ومحمد بن جعفر الكرابيسي البلخي، ومحمد بن حبان بن الأزهر البصري، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي، ومحمد بن يحيى بن منده. روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق، وأبو الحسن الدارقطني، ومحمد بن إسماعيل القطيعي، وابن الثلاج[1].

١٩ ــ سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي، أبو الطيب (٤٠٤هـ/ ١٠١٤م). شيخ الشافعية بخراسان، تفقه على والده الإمام أبو سهل محمد بن سليمان العجلي. وسمع من أبي العباس الأصم، وأبي علي الرفاء، وطائفة. ودرّس وتخرّج به أئمة. حدث عنه الحاكم وهو أكبر منه، وأبو بكر البيهقي، وأبو نصر محمد بن سهل الشاذياخي، والسلمي وغيرهم.

قال الشيخ أبو إسحاق: كان فقيهاً، أديباً، جمع رئاسة الدين والدنيا، وأخذ عنه فقهاء نيسابور. وقال الحاكم فيه: الفقيه الأديب، مفتي نيسابور وابن مفتيها، وأكتب من رأيناه من علمائها وأنظرهم، تصدر في اليوم الخامس من وفاة والده، واجتمع إليه الخلق ثم انتصب للفتوى والتدريس، والقضاء... بلغني أنه وضع في مجلسه أكثر من خمسمائة محبرة وقت إملائه، عشية

---

(١) تاريخ بغداد: ٩/١١٠ ــ ١١١، تاريخ الإسلام: ٢١/٢١٨، سير أعلام النبلاء: ١٦/٧٢، المنتظم: ٧/٦٢، تذكرة الحفاظ: ٣/٤١.

الجمعة، في الثالث والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة، وكان أبوه يعظّمه، ومن عبارته فيه سهل ولده.

نقل عنه الرافعي، وعن والده بأنهما قالا: «إن طلاق السكران لا يقع. وسئل عن الشطرنج فقال: «إذا سلم المال من الخسران، والصلاة عن النسيان، فذلك أنس بين الإخوان»[1].

وله ألفاظ بديعة. وكان بعض العلماء يعدّ أبا الطيب المجدد للأمة دينها على رأس الأربعمائة. وبعضهم عدّ الباقلّاني، وبعضهم عدّ الشيخ أبا حامد الاسفراييني وهو أرجح الثلاثة. توفي في رجب[2].

٢٠ ــ عبيدالله بن محمد بن حمدان بن العكبري الحنبلي، أبو عبدالله المعروف بابن بطّة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م). شيخ العراق، مصنف كتاب «الإبانة الكبرى» في ثلاث مجلدات. روى عن أبي القاسم البغوي، وابن صاعد، أبي ذر بن الباغندي وغيرهم. حدث عنه: أبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو نعيم الأصبهاني، وعبيدالله الأزهري وآخرون. قال العتيقي: توفي ابن بطّة ــ وكان مستجاب الدعوة ــ في المحرم. وقال أبو محمد الجوهري: سمعت أخي الحسين يقول: رأيت النبي صلى الله

---

(١) طبقات الشافعية للأسنوي: ٢/١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٠٧ ــ ٢٠٩، الأنساب: ٨/٦٤، تهذيب الأسماء واللغات: ١/٢٣٨ ــ ٢٣٩، وفيات الأعيان: ٢/٤٣٥ ــ ٤٣٦، العبر: ٣/٨٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٤/٣٩٣ ــ ٤٠٤، طبقات الشافعية للأسنوي: ٢/١٢٦ ــ ١٢٧، شذرات الذهب: ٣/١٧٢.

عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله، قد اختلفت عليّ المذاهب، فقال: عليك بابن بطّة، فأصبحت ولبست ثيابي، ثم أصعدت إلى عكبرا، فدخلت وابن بطّة في المسجد، فلما رآني قال لي: صدق رسول الله، صدق رسول الله[1]. حدث عنه السلمي بهذا السند: عن عبيدالله بن حمدان العكبري، عن جعفر بن عمر الحافظ، عن أبي زرعة الرازي، عن أمية، عن عيسى بن موسى التميمي، عن عبيدة العمي، عن فرقد السبخي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢١ ـ عبدالعزيز بن عبدالملك بن نصر الأبدلي (٣٦٥هـ / ٩٧٥م). توفي ببخارى[2].

٢٢ ـ عبدالله بن فارس، أبو ظهير العمري البلخي[3].

٢٣ ـ عبدالله بن محمد بن فضلويه المعلّم. روى السلمي عنه، عن كثير من المشايخ.

٢٤ ـ عبدالله بن محمد الدمشقي. روى السلمي عنه، عن إبراهيم بن المولّد، عن أبي الحراز.

٢٥ ـ عبدالله بن محمد بن علي بن زياد.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥٢٩/١٧ ـ ٥٣٣، تاريخ بغداد: ٣٧١/١٠ ـ ٣٧٥، ميزان الاعتدال: ١٥/٣، لسان الميزان: ١١٢/٤ ـ ١١٥، شذرات الذهب: ١٢٢/٣ ـ ١٢٤ وغير ذلك.

(٢) اللباب: ٨٩/١.

(٣) تاريخ الإسلام: ١١/ورقة ١٢٣، سير أعلام النبلاء: ٢٥٤/١٧.

٢٦ ـ عبدالله بن محمد الرازي.

٢٧ ـ عبدالواحد بن بكر الورثاني الصوفي (٣٧٢هـ / ٩٨٢م). من قرى شيراز، رحل في طلب الحديث وسمعه، وروى عن أبي بكر الإسماعيلي وغيره، وتوفي بالحجاز[١].

٢٨ ـ عبدالواحد بن علي السياري (٣٧٥هـ / ٩٨٥م). هو ابن أخي أبي العباس القاسم بن عبدالله السياري.

٢٩ ـ علي بن الحسين البلخي، أبو الحسين (٣٨٤هـ / ٩٩٤م)[٢].

٣٠ ـ محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، أبو جعفر (٣٤٤هـ / ٩٥٥م)، صاحب ابن وارة[٣]. قال الذهبي: لا أعرفه، لكن أتى بخبر باطل، هو آفته. أخبرنا بلال المغيثي، أخبرنا ابن رواج، أخبرنا السلفي، أخبرنا الثقفي، حدثنا السلمي إملاء، أخبرنا أبو جعفر محمد بن سعيد، حدثنا ابن وارة، حدثنا الفريابي، حدثنا سفيان، عن السدي، عن عبد خير، قال: كان لعلي أربعة خواتيم يتختم بها: ياقوت لقلبه، وفيروزج لبصره، وحديد صيني لقوّته، وعقيق لحرزه... وذكر الحديث[٤].

٣١ ـ محمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف، أبو بكر النعماني النيسابوري (٣٤٤هـ / ٩٥٥م)[٥].

---

(١) اللباب: ٣٥٨/٣ ـ ٣٥٩.

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٧٦/٧.

(٣) تاريخ الإسلام: ١١/ورقة ١٢٣.

(٤) ميزان الاعتدال: ٤٥٧/٣ ـ ٤٥٨.

(٥) لسان الميزان: ٢٢٣٥.

٣٢ ـ محمد بن أحمد الفارسي، أبو العباس.

٣٣ ـ محمد بن أحمد بن إبراهيم الفارسي، أبو الحسين (٣٧٠هـ / ٩٨٠م).

٣٤ ـ محمد بن أحمد بن حمدان، أبو عمرو (٣٧٦هـ / ٩٨٦م)[١].

٣٥ ـ محمد بن عبدالعزيز المكي (٤٢٣هـ / ١٠٣١م)[٢].

٣٦ ـ محمد بن عبدالله، الحاكم أبو عبدالله بن البيع (٣٠٥ ـ ٤٠٥هـ / ٩١٧ ـ ١٠١٤م). الحافظ الكبير، إمام المحدثين أبوعبدالله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. صاحب التصانيف محدث حافظ مؤرخ. ولد بنيسابور في ٣ ربيع الأول، ورحل في طلب الحديث، وسمع على شيوخ يزيدون على ألفي شيخ، وحدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهما، وقرأ القراءات على جماعة، وتفقه على ابن أبي هريرة، وأبي سهل الصعلوكي وغيرهم. بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء. وأخذ عنه أبو بكر البيهقي، والدارقطني، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو العلاء الواسطي وغيرهم. وهو زميل السلمي كل منهما روى عن الآخر. أكثر عنه السلمي في تفسيره. من تصانيفه الكثيرة: المستدرك، تاريخ نيسابور، الإكليل في الحديث، تراجم الشيوخ، وفضائل فاطمة الزهراء[٣].

---

(١) لسان الميزان: ٣٨/٥. (٢) المصدر السابق: ٢٦٢/٥.

(٣) لسان الميزان: ٢٩٢/٥، سير أعلام النبلاء: ٣٦/١١ ـ ٤٠، تذكرة الحفاظ: ١٣٩/٣ ـ ١٠٤٥، معجم المؤلفين: ٢٣٨/١٠.

٣٧ ـ **محمد بن عبدالله الطبري.**

٣٨ ـ **محمد بن عبدالله بن أحمد، أبو عبدالله الصفّار الزاهد الأصبهاني** (٢٤١ ـ ٣٣٩هـ / ٨٥٥ ـ ٩٥٠م). كان شيخاً زاهداً قدوة. سمع أحمد بن عصام، وأسيد بن عاصم، وأحمد بن مهدي، وعبيد الغزال، وعدة من أصبهان بعد الستين ومائتين. وسمع من المشايخ بفارس، وببغداد، وبمكة. جمع وصنف، وقدم نيسابور بعد الثلاثمائة فسكنها. وسمع المسند الكبير من عبدالله بن أحمد بن حنبل. وصحب الأولياء والعباد. حدث عنه: أبو علي الحافظ، وأبو عبدالله الحاكم، وأبو الحسين الحجاج والسلمي وغيرهم. وكان مجاب الدعوة.

وكان ورّاقه أبو العباس المصري خانه، واختزل عيون كتبه وأكثر من خمسمائة جزء من أصوله، فكان أبو عبدالله يجامله جاهداً في استرجاعها، فلم ينجع فيه، فذهب علمه بدعاء الشيخ عليه[1].

٣٩ ـ **محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي المذكر** (٣٧٦هـ / ٩٨٦م). كان جوّالاً كثير الأسفار. وروى حكايات الصوفية عن يوسف بن الحسين الرازي، وأبي بكر الكتاني، وأبي محمد الجريري، وأبي بكر بن طاهر الأبهري، وأبي بكر الشبلي وغيرهم. كان يعرف بالصوفيّ وينزل سمرقند

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٣٧ ـ ٤٣٨، الأنساب: ٨/٧٤ ـ ٧٥، المنتظم: ٦/٣٦٨، العبر: ٢/٢٥٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٣/١٧٨ ـ ١٧٩، شذرات الذهب: ٢/٣٤٩.

تارة، ومرة ببخارى، ومرة بنيسابور، ليس في الرواية بذاك. وكان أبو عبدالرحمن كثير الحكايات عنه، ملياً بالسماع منه. توفي بنيسابور يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وثلاثمائة[1].

٤٠ ــ محمد بن العلاّمة علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، أبو جعفر، رأس الإمامية، صاحب التصانيف. يضرب بحفظه المثل. يقال: له ثلاثمائة مصنّف منها: كتاب «دعائم الإسلام»، كتاب «الخواتيم»، كتاب «الملاهي»، كتاب «غريب حديث الأئمة»، كتاب «التوحيد»، كتاب «دين الإمامية». وكان أبوه من كبارهم ومصنفهم. حدث عن أبي جعفر جماعة: منهم ابن النعمان المفيد، وغيره[2].

٤١ ــ محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر القفّال الشاشي ــ نسبة إلى الشاش بما وراء النهر ــ (٢٩١ ــ ٣٦٦هـ / ٩٠٣ ــ ٩٧٦). كان أحد أئمة الدنيا في التفسير والحديث، والفقه، واللغة. وهو الفقيه المشهور الشافعي، رحل في طلب العلم ولقي كبار شيوخ عصره. تتلمذ السلمي عنده، وروى عنه[3].

٤٢ ــ محمد بن داود بن سليمان، أبو بكر النيسابوري (٣٤٢هـ / ٩٥٣م). زاهد، شيخ الصوفية. سمع محمد بن عمرو قشمرد، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، وابن الضريس، والنسائي،

---

(١) تاريخ بغداد: ٥/٤٦٤ ــ ٤٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٠٣ ــ ٣٠٤.

(٣) اللباب: ٢/١٧٤.

وأبي يعلى الموصلي، وأمثالهم بخراسان، والحجاز، والشام، ومصر، والموصل. وصنف الأبواب والشيوخ، وأملى زماناً. من تصانيفه: «أخبار الصوفية والزهّاد». حدث بنيسابور، روى عنه الحاكم والسلمي، وابن مندة وخلق. وكان يعدّ من الأولياء. قال الدارقطني: ثقة فاضل. وروى عنه قال: أكلت في أيام القحط رغيفاً واحداً في أربعين يوماً بالبصرة، كنت إذا جعت قرأت (يس) بنية الشبع. وقال الخليلي: معروف بالحفظ. بيّن حفظه وعلمه في فوائد أملاها[1].

٤٣ ــ محمد بن الحسن بن سعيد بن الخشاب المخرمي الصوفي (٣٦١هـ / ٩٧١م). صاحب حكايات عن أبي جعفر محمد بن عبدالله الفرغاني، وأبي بكر الشبلي. روى عنه أبو عبدالرحمن السلمي، والحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ. وكان قد نزل بنيسابور، ثم خرج إلى مكة فتوفي بها. قال محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري: محمد بن الحسن... المعروف بابن الخشاب، كان من أظرف من قدم نيسابور من البغداديين، وأكملهم عقلاً وديناً، وأكثرهم تعظيماً للسنة، وتعصباً لها. دخل بلاد خراسان وأقام عندنا سنين وسمع الحديث الكثير، ثم حج وجاور، ومات بها سنة ٣٦١هـ[2].

٤٤ ــ محمد بن الحسن بن العباس، أبو عبدالله البغدادي. حدث عن عبدالله بن معاوية الجمحي، وعبدالله بن أبي بدر القطربلي.

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٩٠١/٣ ــ ٩٠٢، معجم البلدان: ٢١٢/٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٢٠٩/٢.

روى عنه عبدالله بن زيدان الكوفي، وأبو العباس بن عقدة[1].

روى السلمي في تفسيره عن محمد بن الحسن البغدادي، عن جعفر بن محمد الخلدي، عن محمد الجريري، عن سهل بن عبدالله التستري.

٤٥ ـ محمد بن الحسين بن داود بن علي العلوي الحسيني، أبو الحسن النيسابوري (٤٠١هـ / ١٠١٠م). إمام محدث صدوق مسند خراسان، رئيس السادة. سمع محمد بن إسماعيل بن إسحاق، وأبا حامد ابن الشرقي، ومحمد بن الحسين القطّان وغيرهم. حدّث عنه: الحاكم، والبيهقي، وهو أكبر شيخ له، ومحمد بن القاسم الصفار، وخلق سواهم. قال الحاكم: هو ذو الهمة العالية، والعبادة الظاهرة، وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث، ثم في الآخر عقدت له مجلس الإملاء، وانتقيت له ألف حديث وكان يعدّ في مجلسه ألف محبرة، فحدّث وأملى ثلاث سنين. مات فجأة في جمادى الآخرة سنة ٤٠١هـ[2].

٤٦ ـ محمد بن سليمان، أبو سهل الصعلوكي النيسابوري (٣٦٩هـ / ٩٧٩م). إمام عصره. تفقه على أبي علي الثقفي بنيسابور، وروى الحديث عن أبي بكر بن خزيمة وأبي العباس السراج، وعبدالرحمن بن أبي حاتم وغيرهم. روى عنه الحاكم أبو عبدالله، وأبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور وغيرهما.

---

(١) تاريخ بغداد: ٢/١٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٧/٩٨ ـ ٩٩.

صحب له السلمي واستفاد منه الكثير. مات منتصف ذي القعدة: ٣٦٩هـ[١].

٤٧ ــ محمد بن محمد بن الحسن بن الحارث، أبو الحسن الكارزي ــ نسبة إلى كارز من قرى نيسابور ــ النيسابوري. روى عن علي بن عبدالعزيز البغوي كتب أبي عبيد القاسم بن سلاّم. روى عنه الحاكم أبو عبدالله، وأبو عبدالرحمن السلمي وغيرهما[٢].

٤٨ ــ محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى بن ماسرجس الماسرجسي النيسابوري (٢٦١ ــ ٣٥٠هـ / ٨٧٤ ــ ٩٦١م). رئيس نيسابور، أحد البلغاء والفصحاء. سمع الفضل بن محمد الشعراني، والحسين بن الفضل وعدّة. وبنى داراً للمحدثين وأدرّ عليهم الأرزاق. روى عنه السلمي والحاكم، وسعيد بن محمد بن عبدان. مات ليلة عيد الفطر سنة ٣٥٠هـ وله تسع وثمانون سنة[٣].

٤٩ ــ محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن معقل بن سنان بن عبدالله الأصمّ، أبو العباس المعقلي النيسابوري (٢٤٧ ــ ٣٤٦هـ / ٨٦٠ ــ ٩٥٧م). إمام مفيد ثقة، محدث المشرق. وكان يكره أن يقال له الأصمّ، قال الحاكم: إنما ظهر به الصمم بعد مجيئه من الرحلة، ثم استحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار. وكان

---

(١) اللباب: ٢/٢٤١ ــ ٢٤٢، ترجمة نفحات الأنس إلى اللغة التركية، ص ٣٥٢.

(٢) اللباب: ٣/٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٦/١٣ ــ ٢٤، تاريخ الإسلام: ١١/ورقة ١٢٣آ.

محدث عصره بلا مدافعة. سمع من أحمد بن يوسف وأحمد بن الأزهر. وكان أبوه المحدث يعقوب الوراق من أصحاب إسحاق بن راهويه. وقد ارتحل بابنه أبي العباس إلى الآفاق، وسمّعه الكتب الكبار في سنة خمس وستين، فسمع المحدثين بأصبهان، وبمكة، وبمصر، وبعسقلان، وببيروت، وبدمشق، وبطرسوس، وبالرقة، وبالكوفة، وببغداد. وحدث عنه جماعة، منهم: الحاكم، وابن مندة، وأبو عبدالرحمن السلمي ــ أكثر عنه ــ وأبو بكر الحيري، وأبو سعيد الصيرفي. قال الحاكم: حدث في الإسلام ستاً وسبعين سنة، ولم يختلف في صدقه وصحة سماعه. وهو بضبط والده. أذّن في مسجده. وكان حسن الخلق، سخيّ النفس. وربما كان يحتاج فيورق ويأكل، وكان يكره الأخذ على التحديث. وكان ورّاقه وابنه أبو سعيد يطالبان الناس فيكره ذلك، ولا يقدم على مخالفتهم. وكفّ بصره بآخره، وانقطعت الرحلة، ورجع أمره إلى أن كان يناول قلماً فإذا أخذ بيده علم أنهم يطلبون الرواية. توفي في ربيع الأول سنة ٣٤٦هـ[1].

٥٠ ــ محمد بن يعقوب بن الأخرم، أبو عبدالله الشيباني، الحافظ (٢٥٠ ــ ٣٤٤هـ / ٨٦٤ ــ ٩٥٥م). إمام حافظ متقن حجة. ويعرف قديماً بابن الكرماني. سمع من ولده يحيى بن محمد حيكان، وعلي بن الحسن الهلالي الدّرابجردي وغيرهما. جمع

(١) تذكرة الحفاظ: ٣/٨٦٠ ــ ٨٦٤، اللباب: ١/٧٠ ــ ٧١، سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٥٢ ــ ٤٦٠.

فأوعى، ومع حفظه وسعة علمه لم يرحل في الحديث بل قنع بحديث بلده. عاش أربعاً وتسعين سنة. حدث عنه أبو بكر بن إسحاق الصبغي، والحاكم، ويحيى بن إبراهيم، والمزكّي، والسلمي، وخلق كثير. من تصانيفه: كتاب «المستخرج على الصحيحين»، و«المسند الكبير»، و«المستخرج على كتاب مسلم»، و«المختصر الصحيح المتفق عليه». قال الحاكم: وكان أبو عبدالله من أنحى الناس، ما أخذ عليه لحن قطّ، وله كلام حسن في العلل والرجال. مات في جمادى الآخرة سنة ٣٤٤هـ(١).

٥١ ــ منصور بن عبدالله الأصبهاني. روى السلمي عنه، عن أبي القاسم الاسكندراني، عن أبي جعفر الملطي، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الصادق. لم أعثر على ترجمة له.

٥٢ ــ نصر بن محمد الصيدلاني. لم أظفر بترجمة له فيما لدي من المراجع.

٥٣ ــ يحيى بن منصور القاضي، أبو محمد النيسابوري (٣٥١هـ / ٩٦٢م). حدث عن علي بن عبدالعزيز البغوي، وأبي مسلم الكجي، وأحمد بن سلمة وغيرهم. وكان غزير الحديث. روى عنه الحاكم، ويحيى المزكّي، وسبطه عنبر بن الطيّب،

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٦٦ ــ ٤٧٠، تذكرة الحفاظ: ٣/٨٦٤ ــ ٨٦٦، شذرات الذهب: ٢/٣٦٨، العبر: ٢/٢٦٥.

والسلمي وغيرهم. قال الحاكم: ولي قضاء نيسابور بضع عشرة سنة، ثم عزل بأبي أحمد الحنفي في سنة تسع وثلاثين. وكان محدث نيسابور في وقته. وحمد في القضاء. وكان يحضر مجلسه الحفّاظ: أبو عبدالله بن الأخرم، وأبو علي الحسين بن محمد. مات في سنة ٣٥١هـ[1].

٥٤ ـ يوسف بن إسماعيل. لعلّه: الأصمّ البغدادي. حدث عن محمد بن صدران البصري. روى عنه سليمان الطبراني[2]. يذكره السلمي باسم أبيه دون النسبة واللقب. لذا يشكّ أن يكون هو يوسف بن إسماعيل، الأصمّ البغدادي.

٥٥ ـ عليّ بن عمر بن أحمد بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبدالله، أبو الحسن الحافظ الدارقطني ـ نسبة إلى دارقطن، بفتح الراء وسكون الألف وفتح الراء وضم القاف وسكون الطاء المهملة وفي آخرها نون: كانت محلّة ببغداد[3]. ينبغي أن تقدّم ترجمته حسب ترتيب الأسماء على حروف المعجم، إلاّ أننا قد تعمدنا تأخيره كي نفصّل ترجمة له. لأن أثره على السلمي في الحديث كثير. وسبق أن قمنا بتحقيق كتابٍ للسلمي، حيث جمع إجابات الدارقطني عن سؤالاته حول رواة الحديث.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٨، العبر: ٢/٢٩٣، شذرات الذهب: ٣/٩.
(٢) تاريخ بغداد: ١٤/٣١٣.
(٣) اللباب: ١/٤٨٣.

ولد الدارقطني سنة ست وثلاثمائة، وقيل سنة خمس وثلاثمائة[١].

كان والده رجل علم، ومن المحدثين الثقات، فلا بد أن يحرص على تعليم ولده وهو صغير، كما أنه بدأ الكتابة وهو صبي. قال الذهبي: سمع وهو صبي من أبي القاسم البغوي، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبي بكر بن أبي داود[٢]. ويبدو أنه حفظ القرآن وهو صغير، فقد قال عن نفسه: «كنت أنا والكتاني نسمع الحديث، فكانوا يقولون: يخرج الكتاني محدث البلد، ويخرج الدارقطني مقرىء البلد، فخرجت أنا محدثاً والكتاني مقرئاً[٣].

بعد أن سمع الدارقطني شيوخ بلده ارتحل إلى البصرة والكوفة وإلى غير ذلك من مدن العراق، والتي كانت مركزاً من مراكز العلم والعلماء، ورحل إلى الشام ومصر والحجاز. قال الحاكم: «دخل الدارقطني الشام ومصر على كبر السن، وحج واستفاد وأفاد، ومصنفاته يطول ذكرها»[٤].

وكانت رحلته إلى مصر على كبر السن، من أبرز رحلاته، إذ دارت حولها شبهات، وكان لها أثر علمي في أهل مصر. وقد جرى الحادث على النحو الآتي: أراد الوزير ابن حنزابة أن يصنف الدارقطني مسنداً، فخرج أبو الحسن إليه، وأقام عنده مدة يصنف له المسند، وحصل له من

---

(١) تاريخ بغداد: ٣٩/١٢ ــ ٤٠، تذكرة الحفاظ: ٩٩١/٣، سير أعلام النبلاء: ٤٤٩/١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥١٦/١٠.

(٣) المنتظم: ٨٧/٧.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٥٢٠/١٠ ــ ٥٢٤.

جهته مال كثير[1] وقد حدد الدارقطني وقت دخوله مصر فقال: «دخلت مصر في سنة سبع وخمسين»[2]، يعني وثلاثمائة. وقد لام اليافعي الدارقطني لارتحاله إلى مصر وأخذه المال من الوزير ابن حنزابة. فقال: «. . . فإنه وإن كان ظاهره كما قالوا المساعدة له في تخريج المسند المذكور، قلت: لا أرى مثل هذا لائقاً بأهل الدين، نعم لو كانت مثل هذه المساعدة لبعض أهل العلم والدين، ولا يشوبها شيء من أمور الدنيا، كان حسناً منه وفضلاً وحرصاً على نشر العلم والمساعدة في الخير»[3].

وقد دافع الذهبي عن الدارقطني في ذلك بعد أن أورد حكاية تدلّ على أن الدارقطني لم يكن في حالة ميَسَّرة من العيش، ولم يكن له نصيب وافر من المال. قال أبو الحسن العتيقي: «حضرت أبا الحسن وجاءه أبو الحسين البيضاوي بغريب ليقرأ له شيئاً، فامتنع واعتلّ ببعض العلل، فقال: هذا غريب، وسأله أن يملي عليه أحاديث فأملى عليه أبو الحسن من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين حديثاً متن جميعها: «نعم الهدية أمام الحاجة». فانصرف الرجل ثم جاءه بعد، وقد أهدى له شيئاً فقرّبه وأملى عليه من حفظه بضعة عشر حديثاً متون جميعها: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» »[4].

قال الذهبي: «قلت: هذه حكاية صحيحة. . وهي دالّة على سعة

---

(١) تاريخ بغداد: ٧/٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) سؤالات السهمي، الورقة ١٣ أ، التهذيب: ٤/٢٧٥.

(٣) مرآة الجنان: ٢/٤٢٧.

(٤) تاريخ بغداد: ١٢/٣٩، سير أعلام النبلاء: ١٦/٤٥٦، تذكرة الحفاظ: ٣/٩٩٣.

حفظ هذا الإمام، وعلى أنه لوّح بطلب شيء، وهذا مذهب لبعض العلماء، ولعلّ الدارقطني كان آنذاك محتاجاً، وكان يقبل جوائز دعلج السجزي، وكذا وصله الوزير ابن حنزابة بجملة من الذهب لما خرّج له المسند»[1].

قال الخطيب مثنياً على الدارقطني: «وكان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته. انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة، والفقه والعدالة، وقبول الشهادة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب، والاضطلاع بعلوم سوى علم الحديث، منها القراءات، فإن له فيها كتاباً مختصراً موجزاً جمع الأصول في أبواب عقدها أول الكتاب. وسمعت بعض من يعتني بعلوم القرآن يقول: لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته التي سلكها في عقد الأبواب المقدمة في أول القراءات، وصار القراء بعده يسلكون طريقته في تصانيفهم ويحذون حذوه. ومنها المعرفة بمذاهب الفقهاء، فإن كتاب السنن الذي صنفه يدلّ على أنه كان ممن اعتنى بالفقه، لأنه لا يقدر على جمع ما تضمن ذلك الكتاب إلا من تقدمت معرفته بالاختلاف في الأحكام. وبلغني أنه درس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري، وقيل بل درس الفقه على صاحب لأبي سعيد، وكتب الحديث عن أبي سعيد نفسه. ومنها أيضاً المعرفة بالأدب والشعر، وقيل إنه كان يحفظ دواوين جماعة من الشعراء، وسمعت حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق يقول: كان أبو الحسن الدارقطني يحفظ ديوان السيد الحميري في جملة ما يحفظ من الشعر. فنسب إلى التشيّع لذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٥٦/١٦.

وحدثني الأزهري: أن أبا الحسن لما دخل مصر كان بها شيخ علوي من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقال له مسلم بن عبدالله، وكان عنده كتاب النسب عن الخضر بن داود عن الزبير بن بكار، وكان مسلم أحد الموصوفين بالفصاحة المطبوعين على العربية، فسأل الناس أبا الحسن أن يقرأ عليه كتاب النسب ورغبوا في سماعه بقراءته، فأجابهم إلى ذلك. واجتمع في المجلس من كان بمصر من أهل العلم والأدب والفضل، فحرصوا على أن يحفظوا على أبي الحسن لحنة، أو يظفروا منه بسقطة فلم يقدروا على ذلك. حتى جعل مسلم يعجب ويقول له: وعربية أيضاً!

حدثنا محمد بن علي الصوري، قال: سمعت أبا محمد رجاء بن محمد بن عيسى الأنصاري المعدل يقول: سألت أبا الحسن الدارقطني فقلت له: رأى الشيخ مثل نفسه؟ فقال لي: قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾، فقلت له: لم أرد هذا، وإنما أردت أن أعلمه لأقول: رأيت شيخاً لم ير مثله، فقال لي: إن كان في فن واحد فقد رأيت من هو أفضل مني، وأما من اجتمع فيه ما اجتمع فيّ. فلا.

حدثني أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، قال: سمعت أبا ذر الهروي يقول: سمعت الحاكم أبا عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ ــ وسئل عن الدارقطني ــ فقال: ما رأى مثل نفسه. قال لي الأزهري: كان الدارقطني ذكياً إذا ذكروا شيئاً من العلم، أي نوع كان، وجد عنده نصيب وافر. ولقد حدثني محمد بن طلحة النعالي أنه حضر مع أبي الحسن في دعوة عند بعض الناس ليلة، فجرى شيء من ذكر الأكلة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة وحكاياتهم ونوادرهم حتى

قطع ليلته ـ أو أكثرها ـ بذلك. سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبدالله الطبري يقول: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث، وما رأيت حافظاً ورد بغداد إلا مضى إليه، وسلم له، يعني فسلم له التقدمة في الحفظ، وعلو المنزلة في العلم.

حدثني الصوري قال: سمعت عبدالغني بن سعيد الحافظ بمصر يقول: أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة: علي بن المديني في وقته، وموسى بن هارون في وقته، وعلي بن عمر الدارقطني في وقته.

قال لنا البرقاني: وما رأيت بعد الدارقطني أحفظ من عبدالغني بن سعيد. حدثنا الأزهري قال: بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار، فجلس ينسخ جزءاً كان معه وإسماعيل يملي. فقال له بعض الحاضرين: لا يصح سماعك وأنت تنسخ، فقال له الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك، ثم قال: تحفظ كم أملى الشيخ من حديث إلى الآن، فقال: لا، فقال الدارقطني: أملى ثمانية عشر حديثاً. فعدت الأحاديث فوجدت كما قال. ثم قال أبو الحسن: الحديث الأول منها عن فلان، ومتنه كذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان، ومتنه كذا، ولم يزل يذكر أسانيد الأحاديث ومتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها. فتعجب الناس منه.

أخبرنا البرقاني قال: سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: كتبت ببغداد من أحاديث السوداني أحاديث تفرد بها، ثم مضيت إلى الكوفة لأسمع منه، فجئت إليه وعنده أبو العباس بن عقدة فدفعت إليه الأحاديث في ورقة، فنظر فيها أبو العباس ثم رمى بها واستنكرها وأبى أن يقرأها

وقال: هؤلاء البغداديون يجيئوننا بما لا نعرفه. قال أبو الحسن: ثم قرأ أبو العباس عليه فمضى في جملة ما قرأه حديث منها، فقلت له: هذا الحديث من جملة الأحاديث، ثم مضى آخر، فقلت: وهذا أيضاً من جملتها، ثم مضى ثالث فقلت: وهذا أيضاً منها، وانصرفت وانقطعت عن العود إلى المجلس لحمى نالتني، فبينما أنا في الموضع الذي كنت نزلته إذا أنا بداقّ يدق على الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: ابن سعيد، فخرجت وإذا بأبي العباس، فوقعت في صدره أقبله، وقلت: يا سيدي لم تجشمت المجيء، فقال: ما عرفناك إلا بعد انصرافك، وجعل يعتذر إليّ ثم قال: ما الذي أخرك عن الحضور، فذكرت له أني حممت فقال: تحضر المجلس لتقرأ ما أحببت، فكنت بعدُ إذا حضرت أكرمني ورفعني في المجلس»[1].

قال الخلّال: كنت في مجلس بعض شيوخ الحديث، وقد حضره أبو الحسين بن المظفر، والقاضي أبو الحسن الجراحي، وأبو الحسن الدارقطني وغيرهم من أهل العلم، فحلت الصلاة، فكان الدارقطني إمام الجماعة، وهناك شيوخ أكبر سناً منه فلم يقدم أحد غيره[2]. وقال السلمي فيما نقله عنه الحاكم: شهدت بالله أن شيخنا الدارقطني لم يخلف على أديم الأرض مثله في معرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة والتابعين وأتباعهم[3].

---

(١) تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٤ ـ ٣٧.
(٢) تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٨.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٤٥٧.

وقد توفي الدارقطني، رحمه الله تعالى ــ بعد حياة أمضاها في التعلم والتعليم في خدمة كلام الله عز وجلّ وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يوم الخميس لثمان خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٥هـ. لا خلاف في سنة وفاته ولكن اختلف في اليوم والشهر الذي توفي فيه. قال ابن الفضل: توفي في ذي القعدة، وقال عبدالعزيز على الأزجي: توفي في يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة. وقال العتيقي: توفي ليلة الأربعاء، ودفن يوم الأربعاء، الثامن من ذي الحجة. وقد رجح الخطيب التاريخ الأول[1]. وذكر السلمي أنه توفي يوم الخميس لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة[2]. ودفن أبو الحسن في مقبرة باب الدير قريباً من قبر معروف الكرخي. وروى الخطيب عن علي بن هبة‌الله بن علي بن جعفر بن ماكولا أنه قال: «رأيت في المنام ليلة من ليالي شهر رمضان كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة وما آل إليه أمره فقيل لي: «ذاك يدعى في الجنة الإمام»[3].

---

(١) تاريخ بغداد: ١٢/٣٩ ــ ٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٦/٤٥٧.

(٣) تاريخ بغداد: ١٢/٤٠.

(هـ) تلاميذ أبـي عبدالرحمن السلمي:

رأينا أن أبا عبدالرحمن قـد لقي شيوخ عصـره، وسمع منهم الحديث، وتأدب بهم في الطريق. وقلّما كان ينزل بلداً به عالم في الحديث أو التصوف، دون أن يلقاه ويأخذ عنه، حيث يقول: «كنت مع النصرآباذي، أي بلد أتيناه، يقول: قم بنا نسمع الحديث»[1].

وقد رزق أبو عبـدالرحمن من القبـول ما لم يـرزق غيره من الشيوخ[2] حتى أقبل عليه التلاميذ والمريدون، يتأدّبون به ويأخذون عنه علوم القوم، وهو يومئذ راوية أخبارهم ونقالهم[3].

ولسنا بسبيل حصر من استفادوا بأبـي عبدالرحمن، أو تعلموا عليه، ولكنا نذكر أشهرهم وأسيرهم ذكراً، فمنهم:

١ ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبدالله، أبو بكر البيهقي ـ نسبة إلى بيهق، قرى مجتمعة بنواحي نيسابور ـ الحافظ الفقيه الشـافعي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ / ٩٩٤ ـ ١٠٦٦م). سمـع من أبـي عبدالرحمن[4]، وأخذ عنه. ولد في شعبان. من تصانيفه: «السنن الكبرى» و«السنن الصغرى» و«السنن الآثار»، و«دلائل النبوة»، و«شعب الإيمان»[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٢) تاريخ الإسلام: ٢١/٢٢١.

(٣) كشف المحجوب، الترجمة الإنجليزية، ص ٨١.

(٤) تاريخ الإسلام: ١١/١٢٤.

(٥) اللباب: ١/٢٠٢.

٢ ـ أحمد بن عبدالله الأصبهاني، أبو نعيم (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ / ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م). حافظ، محدث العصر، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء. ولد سنة ٣٣٦هـ. وأجاز له مشايخ الدنيا: فأجاز له من واسط المعمر عبدالله بن عمر بن شوذب، ومن نيسابور شيخها أبو العباس الأصمّ، ومن الشام خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ومن بغداد جعفر الخلدي وغيرهم. قال الخطيب: لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير أبي نعيم وأبي حازم العبدوي.

وله تصانيف مشهورة ككتاب «معرفة الصحابة» وكتاب «دلائل النبوة» وكتاب «المستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم»، وكتاب «تاريخ أصبهان» و«صفة الجنة»، وكتاب «الطب» وكتاب «فضائل الصحابة» و«كتاب المعتقد». مات أبو نعيم في العشرين من المحرم سنة ٤٣٠هـ[١].

يذكر أبو نعيم في حلية الأولياء كيف استفاد من السلمي، وأخذ الأخبار المتعلقة بالصوفية منه، واشتغل بإيضاح مذهبه في التصوف ليفهمه العامة فهماً صحيحاً يطابق الكتاب والسنة، ثم يذكر أنه كتب طريق النساك، ويسلك مسلك السلمي في هذا الباب[٢].

وتدلّ حلية الأولياء على مدى استفادة أبي نعيم من أستاذه أبي عبدالرحمن السلمي. وروى السلمي عنه. لذلك ذكره السبكي في عداد تلاميذ أبي نعيم[٣]. ولا شكّ أن استفادة أبي نعيم من السلمي أكثر من استفادة السلمي منه.

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٩٢ ـ ١٠٩٨.

(٢) انظر: حلية الأولياء: ٢/٢٥.

(٣) طبقات الشافعية: ٣/١٩٠.

٣ ـ أحمد بن عبدالواحد الوكيل، وهو الذي ينقل عنه صاحب «تاريخ بغداد» ما يرويه عن أبي عبدالرحمن[١].

٤ ـ أحمد بن علي الحسين التّوزي القاضي، كان ثقة[٢]. وروى عن أبي عبدالرحمن السلمي، وروى عنه الخطيب البغدادي في تاريخه[٣].

٥ ـ أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن خلف، أبو بكر الشيرازي (٣٩٨ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٠٧ ـ ١٠٩٤م)، ثم النيسابوري، مسند خراسان. روى عن أبي عبدالرحمن كتبه[٤]. وروى كذلك عن الحاكم أبي عبدالله وطائفة. قال فيه عبدالغافر: «هو شيخنا الأديب، المحدث المتقن، الصحيح السماع. ما رأينا شيخاً أورع منه، ولا أشد اتقاناً. توفي في ربيع الأول سنة ٤٨٧، وقد نيف على التسعين[٥].

٦ ـ عبدالله بن يوسف، أبو محمد الجويني (٤٣١هـ / ١٠٣٩م). إمام عصره بنيسابور، ووالد أبي المعالي الجويني. تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي. وقدم مرو، قصداً لأبي بكر عبدالله بن أحمد القفّال المروزي، فتفقه به، وسمع منه وقرأ الأدب، وبرع في الفقه، وصنف فيه التصانيف المفيدة. وكان

---

(١) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.

(٢) اللباب: ١/٢٢٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٨/٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٥) شذرات الذهب: ٣/١٦٦.

ورعاً، دائم العبادة، شديد الاحتياط، مبالغاً فيه. سمع أستاذيه: أبا عبدالرحمن السلمي، وأبا محمد بن بابويه الأصبهاني. ومات سنة ٤٣١هـ[١].

٧ ــ عبدالكريم بن هوازن، أبو القاسم القشيري (٣٧٥ ــ ٤٦٥هـ / ٩٨٦ ــ ١٠٧٣م). صوفي مفسر، فقيه، أصولي، محدث، متكلّم، واعظ، أديب، ناثر، ناظم. ولد في ربيع الأول، وتعانى الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية، ثم سمع الحديث. وتوفي بنيسابور في ١٦ ربيع الآخر. من تصانيفه: التيسير في التفسير، لطائف الإشارات، حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح، الرسالة القشيرية في التصوف، الفصول في الأصول، وأربعون حديثاً[٢]. والرسالة تمتلىء بالرواية عن السلمي، كما أن تفسيره الإشاري لطائف الإشارات كأنه ترتيب وتصبيغ «الحقائق» للسلمي بصياغة جديدة.

٨ ــ عبدالله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر الأزهري، أبو القاسم. من أشهر شيوخ الخطيب البغدادي[٣]. ينقل عنه الخطيب ما يرويه من أخبار، عن أبي عبدالرحمن[٤].

٩ ــ علي بن أحمد بن محمد بن الأخرم، أبو الحسن المديني

---

(١) معجم البلدان: ١٨٢/٣.

(٢) معجم المؤلفين: ٦/٦، سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/١٨ ــ ٢٣٥. وفيات الأعيان: ٣٧٦/١ ــ ٣٧٨.

(٣) اللباب: ٤٨/١.

(٤) تاريخ بغداد: ٢٤٨/٢.

(٤٩٤هـ / ١١٠٠م)، النيسابوري الزاهد، المؤذن، أملى مجالس عن أبي عبدالرحمن السلمي[١]. توفي في المحرم سنة ٤٩٤هـ[٢].

١٠ ــ علي بن سليمان بن داود الخطيبي، أبو الحسن الأوزكندي ــ نسبة إلى أوزكند، بلد بما وراء النهر، من نواحي فرغانة ــ قدم همدان سنة ٤٠٥هـ وروى عن أبي عبدالرحمن السلمي وغيره[٣].

١١ ــ عمر بن أحمد بن محمد بن موسى بن منصور (٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) الجوري النيسابوري، الحافظ أبو منصور[٤]. ثقة، فاضل، من أصحاب أبي حنيفة. جاور بالقرب من الجامع العتيق بنيسابور، ولازم طريق السلف. وكان من خواص أصحاب أبي عبدالرحمن، وصاحب كتبه. وكتب عنه الكثير. توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٩هـ.

١٢ ــ عمر بن إسماعيل بن عمر، أبو حفص الجصّيني ــ نسبة إلى جصّين، محلّة بمرو، اندرست وصارت مقبرة ودفن بها بعض الصحابة ــ وقيل إنه مروزي. روى عن أبي عبدالرحمن السلمي. وكان فقيهاً على مذهب الشافعي[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام: ١١/١٢٤.

(٢) شذرات الذهب: ٣/٤٠١.

(٣) معجم البلدان: ١/٤٠٤.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٨/٣٥٧ ــ ٣٥٨.

(٥) معجم البلدان: ٣/١٠٧.

١٣ ـ فضل بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني الصوفي، الشاعر الفارسي (٣٦١ ـ ٤٤٠هـ / ٩٧١ ـ ١٠٤٨م). ولد في «ميهنة»، أهم مدينة في إقليم «خابران» بخراسان، ودرس الفقه، واعتنق مذاهب الصوفية. مات سنة ٤٤٠هـ[١]. وقد رحل أبو سعيد بن أبي الخير إلى أبي عبدالرحمن السلمي، فتلقى الخرقة من يده[٢].

١٤ ـ القاسم بن الفضل بن أحمد الأصبهاني، أبو عبدالله الثقفي الجوباريّ ـ نسبة إلى جوبارة، محلّة بأصبهان ـ رئيس أصبهان (٣٩٧ ـ ٤٨٩هـ / ١٠٠٦ ـ ١٠٩٥م). روى عن أبي عبدالرحمن السلمي[٣]. وتوفي عن اثنتين وتسعين سنة، عام تسع وثمانين وأربعمائة[٤].

١٥ ـ محمد بن إسماعيل بن محمد، أبو بكر التفلسي ـ نسبة إلى تفلس، بلد بآذربيجان ـ النيسابوري المولد، الصوفي، المقرىء (٤٠٠ ـ ٤٨٣هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠٩٠م). روى عن أبي عبدالرحمن السلمي[٥]، ومات في شوال سنة ٤٨٣هـ[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦٢٢/١٧، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية): ٣٥٢/١ ـ ٣٥٤.

(٢) الصوفية في الإسلام، ص ٥٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/١٩ ـ ١٠.

(٤) شذرات الذهب: ٣٩٣/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١١/١٩ ـ ١٢.

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٢/١٩، وشذرات الذهب: ٣٦٨/٣.

١٦ ـ محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم بن الحاكم، أبو عبدالله الحاكم، الضبّي الطهماني النيسابوري الحافظ المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ / ١٠١٤م). رصيف أبي عبدالرحمن، وزميله في التلقي عن الشيوخ. روى عنه في كتابه «تاريخ نيسابور»[١]. توفي سنة ٤٠٥هـ[٢].

١٧ ـ محمد بن عبدالواحد، أبو الحسن. روى عنه الخطيب البغدادي، عن أبي عبدالرحمن[٣].

١٨ ـ محمد بن علي بن الفتح الحربي. روى عن أبي عبدالرحمن السلمي، وروى عنه الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد»[٤].

١٩ ـ محمد بن يحيى بن إبراهيم، أبوبكر المزكّي، النيسابوري. روى عن أبي عبدالرحمن[٥].

٢٠ ـ مهدي بن محمد بن العباس بن عبدالله بن أحمد بن يحيى المامطيري ـ نسبة إلى مامطير، بليدة من نواحي طبرستان[٦] ـ أبو الحسن الطبري، يعرف بابن سرهنك. قدم همدان في شوال سنة ٤٤٠هـ. وروى عن أبي عبدالرحمن السلمي[٧].

---

(١) تاريخ الإسلام: ٢١٩/٢١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٦٤ ـ ٧٢.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٤٨/٢.

(٤) تاريخ بغداد: ١٦٦/٢.

(٥) تاريخ الإسلام: ١٢٤/١١.

(٦) اللباب في تهذيب الأنساب: ١٥٥/٣.

(٧) معجم البلدان: ٣٦٨/٧.

٢١ ــ أبو بكر بن زكريا، ممن رووا عن أبـي عبدالرحمن[١].

٢٢ ــ أبو سعد بن رامش، وهو كذلك ممن لقوا أبا عبدالرحمن ورووا عنه[٢].

٢٣ ــ أبو صالح المؤذِّن، أحد الذين صحبوا أبا عبدالرحمن وأخذوا عنه[٣].

٢٤ ــ أبو العلاء الواسطي، القاضي. لقي أبا عبدالرحمن وروى عنه، ونقل الخطيب البغدادي بإسناد الواسطي عن أبـي عبدالرحمن[٤].

(و) مؤلّفات السلمي:

كان جد أبـي عبدالرحمن لأمه أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، سليل بيت ثري، ورث من آبائه أموالاً كثيرة، غورّث ملكه وعلمه، وطريقته حفيده لابنته أبا عبدالرحمن، حيث لم يكن له وارث سواه، كما قال السلمي: «خلف ثلاثة أسهم في قرية، قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وكانوا يتوارثون ذلك عن جده أحمد بن يوسف السلمي، وكذلك خلف ضياعاً ومتاعاً. ولم يكن له وارث غير والدتي»[٥].

لم يشغل أبو عبدالرحمن بمطالب العيش وإنما شغل بالعلم يجمع

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٥٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨.
(٥) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٩.

كتبه ـ وقد ورث قدراً كبيراً منها عن آبائه ـ ويتلقاه عن شيوخه في مختلف بقاع المشرق، ويعلّم الناس ويفيدهم. وقد كان له «بيت كتب...»[١] وكان ينقطع فيه للقراءة والتأليف، وكان شيوخ نيسابور يستعيرون منه بعض ما يحويه بيت كتبه من نفائس[٢].

وقد ابتدأ السلمي التأليف سنة نيف وخمسين وثلاثمائة، وهذا يعني أنه ظلّ يؤلف قريباً من بضعة وخمسين عاماً[٣].

ألف أبو عبدالرحمن في الحديث، وفي التفسير، وفي التصوف. جمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المئة أو أكثر. حدّث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء. وانتخب عليه الحفاظ الكبار[٤]. وقد صنف في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، من جمع الأبواب، والمشايخ وغير ذلك ثلاثمائة جزء[٥].

وقد صنّف في علوم القوم (أي التصوف) سبعمائة جزء[٦]. وأظن أن تلك الأجزاء العديدة ليس المقصود بها المجلدات، بل المقصود بالجزء يومئذ هو الكراسة التي يتألف من عدد منها جزء واحد اليوم. إذ يقول عبدالغافر إسماعيل: «بلغ فهرس كتبه المئة أو أكثر». وعلى أيِّ

---

(١) الرسالة القشيرية، ص ١٤٠.

(٢) تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨ ـ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٥٤، طبقات الشافعية: ٣/٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٧، كشف المحجوب، الترجمة الإنجليزية، ص ٢١٩.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٤٩.

(٥) نفس المصدر السابق: ١٧/٢٤٧.

(٦) المصدر السابق: ١٧/٢٤٧.

حال فإن هذه الثروة الضخمة التي كانت تزيد على مائة مصنف، لم يصل إلينا منها إلا القليل إذا قيس بالمفقود.

وأذكر هنا ما وجدته في المكتبات، وما عثرت على أسمائه في خلال أوراق المراجع من كتب أبي عبدالرحمن السلمي:

١ ـ الإخوة والأخوات من الصوفية:

ذكره الخطيب في ترجمة بكير الدراج[١].

٢ ـ آداب التعازي[٢].

٣ ـ آداب الصحبة وحسن العشرة:

حققه م. ي. قسطر، أورشليم، سنة ١٩٥٤م. له مخطوطات عديدة. منها ثلاث نسخ في خزانة كتب برلين إحداها ضمن مجموعة، من ورقة ٧٦ ظ إلى ورقة ٩٠ و، تحت رقم: ٥٥٨٥. وتحتفظ خزانة كتب البلدية بالإسكندرية، بمخطوطة رابعة غير مؤرخة، تقع في عشر ورقات وهي محفوظة بها تحت رقم: ٣٨٠٠ ج.

ومخطوطة خامسة في خزانة كتب جامع الشيخ بالإسكندرية، تحت رقم: ١٨٦.

وسادسة في خزانة كتب ليبزج، تحت رقم: ٨٨١، وسابعة في خزانة كتب الفاتح باستانبول، تحت رقم: ٥٤٠٨٣، وثامنة في خزانة روان كوشك، تحت رقم: ٤٣٠، وتاسعة في خزانة كتب

(١) تاريخ بغداد: ١١٢/٧.

(٢) كشف الظنون: ٤٢/١، هدية العارفين: ٦١/٢.

لندنبرج في برلين، تحت رقم: ٦٨، عنوانها: «نهاية الرغبة في آداب الصحبة»:

أوله: الحمد لله الذي أكرم خواصّ عباده بالألفة في الدين ورفعهم لإكرام عباده المخلصين.

وآخره: ونحن نسأل الله تعالى أن يوفقنا الأخلاق الجميلة وأن يجنبنا الأخلاق السيئة.. بكرمه وفضله، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

٤ ــ جوامع آداب الصوفية:

ذكره حاجي خليفة[1].

من هذا الكتاب مخطوطة نسخت في القرن الثامن الهجري، في خزانة الكتب السعيدية العامة بتفك في الهند، محفوظة تحت رقم: ٢٣٥ تصوف.

ومنه مخطوطة بخزانة كتب لاله لي، تحت رقم: ١٥١٦، ومخطوطة بخزانة كتب كوبريلي تحت رقم: ٧٠١، لـلأسف ضاعت تلك المخطوطة، ومخطوطة بخزانة كتب برلين، تحت رقم: ٣٠٨١.

وقد قمنا بنشره مع التحقيق برفقة الكتب التسعة لأبي عبدالرحمن، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، طبع بمطبعة جامعة أنقرة ــ تركيا. الكتاب الثالث من المجموعة من صفحة ٣٥ إلى ٩٢:

---

(١) كشف الظنون: ١/ ٢١٣.

أوله: الحمد لله الذي زيّن أولياءه بآداب الظواهر والبواطن... ثم إنه وقع لي أن أجمع شيئاً من آداب أرباب الأحوال والمتقدمين من أولياء الله تعالى الذين لقّبوا بالصوفية وهم الذين تأدّبوا بأهل الصفا وتخلّقوا بأخلاقهم... وذلك بعد أن استعنت بالله تعالى في ذلك وفي جميع أموري وبرئت من حولي وقوتي وصلّى الله على نبينا محمد وآله وسلم كثيراً.

وآخره: وأنا أسأل الله عز وجلّ أن يجعلني من المتأدبين بآداب كتابه والمتعلمين بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم... إنه سميع قريب، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

٥ ـــ آداب الفقر وشرائطه[١]:

منه نسخة مخطوطة في خزانة كتب الفاتح ضمن مجموعة الرسائل، تحت رقم: ٢٥٥٣، بين أوراق: ٦٠ ب ـــ ٦٢ ب. يوجز آداب الفقير وأخلاقه. وقد نشرناه في مجلّة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة قبل عدة سنين مع ترجمته إلى اللغة التركية. وأدرج هذا الكتاب في آخر كتاب «مسألة سلوك العارفين» الذي نشرناه بين الكتب التسعة للسلمي.

أوله: قال الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي، رحمة الله عليه: ينبغي أن يخاف الفقير على فقره أكثر مما يخاف الغني على غناه.

---

(١) كشف الظنون: ١/٤٢، مقدمة طبقات الشافعية، ص ٣.

وآخره: إذا صحّت له مراعاة ظاهره، ومراقبة باطنه يبدو بعد هذا حال المكاشفة، والله أعلم.

٦ ــ الأربعين في الحديث:

هو أربعون حديثاً في الزهديات اختارها أبو عبدالرحمن السلمي. وقد نشر هذا الكتيب في دائرة المعارف العثمانية النظامية. ذكره حاجي خليفة(١) وأشار إليه صاحب «الأربعين النووية»(٢). ومنها نسخة مخطوطة في خزانة كتب مراد البخاري، ضمن مجموعة من ورقة ٦٠ أ إلى ورقة ٦٤ ب، تحت رقم: ٣١٨.

٧ ــ الاستشهادات:

ذكره اليافعي فقال: «له المصنفات الحسان ككتاب التفسير... الاستشهادات»(٣). ولم يذكره حاجي خليفة.

٨ ــ أمثال القرآن:

ذكره حاجي خليفة واليافعي(٤).

٩ ــ بيان أحوال الصوفية(٥):

تضمنه مجموعة الرسائل تحت رقم: ١٥١٦ بخزانة كتب لا له لي بين أوراق: ١١٢ أ ــ ١١٨ ب. غير أن الأسلوب يختلف عما سبق

---

(١) كشف الظنون: ١/٥٣، هدية العارفين: ٢/٦١.

(٢) الأربعين النووية، المقدمة.

(٣) مرآة الزمان، ج ١١، حوادث سنة ٤١٢.

(٤) مرآة الزمان، ج ١١، حوادث سنة ٤١٢، كشف الظنون: ١/١٦٨، هدية العارفين: ٢/٦١.

(٥) بروكلمان، تاريخ التراث العربي: ١/٢٠٠، GAL. I. 200.

اعتباراً من ورقة ١١٥ أ، حيث تذكر الحكم وآداب العشرة بأسلوب يخالف أسلوب السلمي المألوف. يبدو أن النسّاخ أدرجوا تلك الأفكار في كتاب السلمي بدون شعور. إذاً هذه النسخة غير كاملة، ولم أعثر على نسخة كاملة له. فنشرنا ذلك الكتيب ناقصاً. أنقرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم. لأبي عبدالرحمن الحسين السلمي، رحمه الله، قال: اعلم وفقك الله للخيرات أن التصوف مأخوذ من أهل الصفة.

١٠ ــ بيان زلل الفقراء ومواجب آدابهم:

ذكره حاجي خليفة[1]. وهو في خزانة كتب السلطان محمد الفاتح، ضمن مجموعة من ورقة ٧٧ أ ــ ورقة ٩٩ ب، تحت رقم: ٢٦٥٠. يشرح بعض أخطاء الصوفية وآداب التصوف السليمة. وقد نشرناه ضمن الرسائل التسع للسلمي. أنقرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م بين صفحة ١٨٥ وصفحة ٢٠٧.

أوله: الحمد لله أولاً وآخراً... أما بعد: فإنه لمّا ظهر في فقراء الوقت من التعزّز بالفقر والتكبّر به...

وآخره: وأنا أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا بركات ما نوينا وسعينا بفضله ورحمته إنه قريب مجيب. آخر بيان زلل الفقراء، والحمد لله، وصلى الله على محمد وآله وسلّم.

---

(١) كشف الظنون: ٢/٩٥٥.

١١ ـ تاريخ الصّوفية:

وهو غير كتاب «طبقات الصوفية». فقد ترجم فيه لأبـي الحسن السيرواني[١]، ولأبـي نصر السراج[٢]. وكثيراً ما ينقل عنه الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام»، والخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد». ألّفه أبوعبدالرحمن قبل تأليفه «طبقات الصوفية» ولم يذكره حاجي خليفة.

١٢ ـ تاريخ أهل الصفة:

نقل عنه أبو نعيم الأصبهاني[٣]، وذكره الهجويري فقال: «ألّف تاريخاً ذكر فيه فضائل أهل الصفة وأسماءهم»[٤]. زعم حاجي خليفة أنه عين طبقات الصوفية[٥] وسماه «تاريخ أهل الصفوة».

١٣ ـ حقائق التفسير:

لقد كتبنا رسالة الدكتوراه حول هذا الكتاب سنة ١٩٦٨م. وأبرزنا أهميته البالغة من ناحية تاريخ التصوف، حيث يمكّن الباحثين أن يقفوا على نظرات الصوفية للتفسير، وعلى أفكارهم، وأحوالهم، وعواطفهم عند قراءة القرآن. لذلك جذب انتباه مفكري أوروبا، حيث قال آربري: «أهم خصائص السلمي، تفسيره الذي كتبه

(١) نفحات الأنس، ورقة ٧٧.

(٢) هو عبدالله بن علي الطوسي، الصوفي (٣٧٨هـ / ٩٨٨م)، من آثاره «اللمع» في التصوف. ترجمته: شذرات الذهب: ٩١/٣، مرآة الجنان: ٤٠٨/٢، كشف الظنون: ١٥٥٢، إيضاح المكنون: ٥٥٢/٢، هدية العارفين: ٤٤٧/١.

(٣) حلية الأولياء: ٨/٢٥.

(٤) كشف المحجوب، الترجمة الإنجليزية، ص ٨١.

(٥) كشف الظنون: ٢٨٦/١.

بالنظرة الصوفية. ولم يدرس هذا التفسير بعد، إلا أنه يبدو مهماً جداً، فإنه يري نظرة الصوفية لعلم التفسير الإسلامي»[١].

ويحثّ البروفسور أبلمان في مقال حول هذا الكتاب، المستشرقين على تحقيق الكتاب ونشره لأهميته البالغة بالنسبة إلى تاريخ مدرسة الصوفية بنيسابور خاصة، وإلى تاريخ التصوف عامة. ويعتبر أبلمان تحقيق ونشر هذا التفسير من أهم واجبات الباحثين الإسلاميين بأوروبا[٢]، وكذلك أشار البروفسور ماسنيون ور. هارتمان إلى أهميته[٣].

ووجود مخطوطات كثيرة له يدلّ على مدى اهتمام أوساط العلم به طيلة قرون. نذكر هنا نسخه المخطوطة في مختلف المكتبات، منه:

١ ــ نسخة في خزانة كتب داماد إبراهيم باشا، تحت رقم: ١٥٢، وقعت في حواشي المصحف لتفسير مكون من مجلّدين.

٢ ــ نسخة في خزانة كتب السلطان الفاتح، تحت رقم: ٢٦٠، أبعادها: ٢٢١ × ١٣٢، ٢٧٧ × ١٨١ ملليمتر، وأوراقها ١٦٤ ورقة، ومسطرتها: ٣٣، مجلّدة بالجلد.

٣ ــ نسخة في خزانة كتب السلطان الفاتح، تحت رقم: ٢٦١، كتبت

---

(١) Arberry, Sufism, p. 70.

(٢) مجلة إسلاميكا، الجزء الخامس، القسم الثاني، ص ١٣٠ ــ ١٣١، سنة ١٩٣٠م.

(٣) انظر:
— Shorter Encyclopedia of Islam, p. 551.
— Essai, sur les Origines, p. 13.
ــ مجلة كلّية الإلهيات بدار الفنون، سنة ١٩٢٤م، ص ٢٧٧.

بخط نسخي نفيس جداً، أبعادها: ٢٣٠×٨٩، ٣٢٠×٢٣٠، وأوراقها: ٣١٣ ورقة في حجم الربع، ومسطرتها: ٢٠، ولم يذكر تاريخ نسخها، وفي آخرها إجازة للسلمي تحمل تاريخ ٦٠١هـ للقراءة والرواية.

٤ ــ نسخة في خزانة كتب السلطان الفاتح تحت رقم: ٢/٢٦٢، أبعادها: ٢٣٠×١٧٥، ٣٢٨×٢٣٠، وأوراقها: ١٣٠ + ٢٩٤ ورقة، ومسطرتها: ٢١، وناسخها: أبو عبدالرحمن بن محمد الماردينى، وتاريخ نسخها: ٦٧٢، مجلّدة بالجلد. المجلّد الأول من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، والمجلّد الثاني من سورة مريم إلى آخر سورة الناس.

٥ ــ نسخة في خزانة كتب الحاج بشير آغا، تحت رقم: ٣٦، أبعادها: ٧٠×١١٠، ١٣٠×٧٠ ملليمتر، وأوراقها: ٣٣٨، ومسطرتها: ٢١، وناسخها: محمد ابن الحاج قورد، وتاريخ نسخها: ١٠٩١هـ، مذهب ومجلدة بالجلد.

٦ ــ نسخة في خزانة كتب سليمانية تحت رقم: ٩٧، أبعادها: ١٣٠×١٨٣، ٢٥٧×١٨٥ ملليمتر، وأوراقها: ٢٨٢، ومسطرتها: ٢٣، مجلّد بالجلد. وقد خرم جداً القسم السافل للجلد.

٧ ــ نسخة في خزانة كتب شهيد علي باشا، تحت رقم: ٢٧٠، أبعادها: ٢٢٣×١٣٠، ٢٦٥×١٨٠ ملليمتر، وأوراقها: ١١٨، ومسطرتها: ٢٧ ــ ٢٨ سطراً.

٨ ـ نسخة في خزانة كتب توبقابو، المكتبة الجديدة، تحت رقم: ١٧٢٥ أ. هـ. أبعادها: ٢١٥ × ١٥٠، وأوراقها: ٢٦٣، ومسطرتها: ٢٣ سطراً، وناسخها: محمد بن ثعلبي، وتاريخ نسخها: رجب ١١٦٧هـ / ١٧٥٤م. الصفحة الأولى والجداول مذهبة، وأول الفقرات أحمر. وقد جلِّدت بالجلد الأحمر الثقيل.

٩ ـ نسخة في خزانة كتب خالص أفندي (الجامعة)، تحت رقم: ٢٠٧٧، غير كاملة، إلى سورة الكهف فقط. كتب أول الفقرات بالحبر الأحمر. أبعادها: ٢١٢ × ١٤٨، وأوراقها: ١٦٤، ومسطرتها: ٢٣ سطراً، وناسخها: أحمد بن عثمان البيروني، وتاريخ نسخها: أواسط صفر الخير، سنة ١٠٣٨، مجلدة بالجلد البني الثقيل.

١٠ ـ نسخة في خزانة كتب رضا باشا (الجامعة)، تحت رقم: ٥٩٨. أوراقها: ٢١٧، وأبعادها ٢٧٣ × ١٩٥، ومسطرتها: ٢٩ سطراً وتاريخ نسخها: ٨٢٨ ولا يعرف ناسخها. وقد جلِّدت بالجلد البني الثقيل.

١١ ـ نسخة في خزانة كتب مراد ملاّ، تحت رقم: ٨١. أبعادها: ٢٥٠ × ١٦٧ ملليمتر. الورقة الأولى والتي بعدها نسخت فيما بعد. نسخ أولها إلى آخر سورة الكهف على أوراق كريمية اللون. وكتب القسم الثاني من سورة مريم إلى آخر القرآن على أوراق بيضاء من قبل ناسخ غير ناسخ القسم الأول. وتاريخ نسخها: ٦٩٣هـ. ومسطرتها: ٢١ سطراً.

١٢ ـ نسخة في خزانة كتب مراد ملاّ، تحت رقم: ٨٢، أبعادها: ٣٠٠×١٨٦ ملليمتر. وأوراقها: ٢٥٢. وقد خرمت أطراف الأوراق. ومسطرتها: ٣٣ سطراً. وناسخها: أبو سعيد قاسم الحاج شمس الأئمة السرايبي، وتاريخ نسخها: ٦٩٩هـ.

١٣ ـ نسخة في خزانة كتب كوبريلي، تحت رقم: ٩١. وقد نسخها مصطفى ابن الحاج رجب الأيوبسي، بأمر الوزير الأعظم الفاضل أحمد باشا في ٢٦ محرم، سنة ١٠٧٧هـ. كتبت بتعليق نفيس على أوراق رقيقة مائلة إلى الصفرة. أبعادها: ٢٦٠×١٧٠، ١٨٠×٩٠. ومسطرتها: ٢٧ سطراً، وعدد أوراقها: ١٧١ ورقة. تبدو هذه النسخة سليمة من الأخطاء. مذهبة، مجلّدة بالجلد، إلا أن طرفي الجلد مقطوع.

١٤ ـ نسخة في خزانة كتب كوبريلي، تحت رقم: ٩٢. وعلى الغلاف هذه العبارة: «تفسير حقائق سلمي لا نظير له لأنه مأخذ تفسير التأويل». وقد اكتملت في العشر الأخير لشهر صفر سنة ٧٣٩، على يد الناسخ: عوض بن أحمد بن محمود الملتعدوي محداً البرغلوي مولداً. أبعادها: ٢٤٠×١٦٥، ١٨٥×٢١٠، وعدد أوراقها: ٢٨٥، ومسطرتها: ١٥ سطراً. وقد جلّدت بالجلد البني الثقيل، وفي الجلد بلى.

١٥ ـ نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم: ١٥٠ قسم التفسير، نسخت بخط حسين بن عمارة بن عبدالرحمن نوفل القوصي. فرغ الناسخ منها في جمادى الأولى سنة ١٢٧٠هـ، أوراقها: ٣٧٩[1].

---

(١) طبقات الصوفية، مقدمة المحقق، ص ٣٥.

١٦ ـ نسخة في دار الكتب المصرية، تحت رقم: ٤٨١، قسم التفسير، نسخت بقلم عادي بخط أحمد عبدالعال الغالبي. فرغ منها يوم الاثنين الموافق لثلاث عشرة مضت من شهر شعبان، سنة ١٢٧١، عدد أوراقها: ٣٣٠، ومسطرتها: ٢٥[١].

١٧ ـ نسخة بخزانة الكتب الأزهرية بالقاهرة أيضاً، تحت رقم: (٣٥٠) ٤٢٤٨، تفسير، بخط نسخي قديم، غير مؤرخة، ولم يذكر اسم ناسخها، تقع في ٢٧٨ ورقة، ومسطرتها: ٢١ سطراً[٢].

ونسخها الأخرى كما يلي:

اسم المكتبة	مكانها	رقمها	ناسخها	تاريخ نسخها
يني جامع	استانبول	٤٣	ـ	ـ
وليّ الدين	استانبول	١٤٨	ـ	ـ
سليم آغا	استانبول	٧٧	ـ	٥٥٣هـ
عاشر أفندي	استانبول	٦٧٧	ـ	ـ
قاضي عسكر	استانبول	٨١	ـ	ـ
قاضي عسكر	استانبول	٨٢	ـ	ـ
حكيم أوغلي	استانبول	٩٩	ـ	ـ
خزانة الكتب الأزهرية	القاهرة	(١٠٩٣)٣١٨٨	محمد أبو العينين عطيّة	١٣٣٠هـ
British Museum		Add. ١٨٥٢٠[٣]	ـ	ـ

أولها: الحمد لله الذي خصّ أهل الحقائق بخواص أسراره، وجعلهم أهل الفهم لخطابه والعالمين بلطائف ودائعه... ولما

(١) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٣) قائمة المتحف البريطاني، Add. p.

رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفسر وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلّا آيات متفرقة نسبت إلى أبي العباس بن عطاء، وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد على غير ترتيب، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استنسختها، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتب على السور حسب وسعي وطاقتي، واستخرت الله تعالى في جمع شيء من ذلك واستعنت به في ذلك وفي جميع أموري وهو حسبي ونعم المعين.

آخر نسخة في خزانة كتب الفاتح تحت رقم: ٢٦٢:

وأعوذ بك منك حتى نسلم فيه من الشرك والغفلة، وإلّا فالمرء هالك من حيث يرجو النجاة، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب. برسم خدمة مولانا كتب ملك العلماء، علّامة الورى، أعجوبة الزمان، محق متحقق، مجتهد في الملة والحق والدين، نور الإسلام والمسلمين، مختار الملوك والسلاطين، أدام الله فضله وأطال عمره، وكثر في الإسلام مثله، أبي الفضل عبدالرحمن محمد بن إسحق المارديني غفر الله لهم ولوالديهم ولجماعة المسلمين أجمعين، إنه هو الغفور الرحيم. في الثاني من الشهر المبارك ذي الحجة في يوم الجمعة في سنة اثنتي وسبعين وستمائة من هجرة سيد النبيين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلّم.

[هنا ينتهي كلامنا على نُسخ كتاب «حقائق التفسير»، ونعود بعده إلى سائر كتب أبي عبدالرحمن السلمي فنذكر:].

١٤ ـ رسالة في غلطات الصوفية:

لم يذكرها حاجي خليفة، لكن ابن عربي أشار إليها في الفتوحات المكية[1] وكذلك ذكرها بروكلمان في تاريخ التراث وقال: إنها موجودة في خزانة دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم: ١٨٧، ضمن مجموعة من ورقة ٣٣ب ـ ٨٠أ[2]، فكتبنا إلى المسؤولين، فبعثوا صورة منها، فإذا هي غير ما طلبناه. إذاً أخطأ بروكلمان في تسجيله. ويرى آربري أنها انتحلت من كتاب «غلطات الصوفية» للسراج، قد يكون انتحلها واحد من الشُّاخ المغرمين بحب السلمي. وقد قارنهما في مجلة الأخبار الأسيوية، لسنة ١٩٣٧، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢، فلم يجد الفرق بينهما إلّا ضئيلاً جدّاً، عبارة عن بعض الحروف أو الكلمات.

أولها: قال أبو عبدالرحمن السلمي... الشطح للخراسانيين، لأنهم يتكلّمون عن أحوالهم.

وآخرها: وهذا كلّه خطأ وباطل. والصواب ما قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾، وهي مخلوقة ليس بينها وبين الله نسب ولا سبب، إلّا أنه خصّها بلطافة الخلقة.

---

(١) الفتوحات المكية: ٨٧١/٢، مصر، ١٢٩٣.

(٢) G.A.L. I, 200, S.I, 953, 362.

١٥ ـ رسالة الملامتية:

نشرها الأستاذ أبو العلا العفيفي مع مقدمة قيمة في القاهرة، سنة ١٩٤٥م. ولها عدة نسخ مخطوطة كما يلي:

نسخة ببرلين تحت رقم: ٣٣٨٨، ضمن مجموعة من ورقة ٧٤ب ـ ٨٥أ. وهي غير مؤرخة.

نسخة غير مؤرخة كذلك في دار الكتب المصرية بالقاهرة، ضمن مجموعة عنوانها «أصول الملامتية» تحت رقم: ١٧٨ مجاميع[١]. ومخطوطة غير مؤرخة كذلك، في خزانة المتحف البريطاني، ضمن مجموعة تحت رقم: Or. ٧٥٥٥[٢].

أولها: الحمد لله الذي اختار من عباده عباداً جعلهم أئمة في بلاده، سألتني ـ وفقك الله ـ أن أبيِّن لك طريقاً من طرق أهل الملامة وأخلاقهم وأحوالهم..

وآخرها: ونحن نسأل الله تعالى ذكره أن يوفقنا لمرضاته، ويعيننا على ما فيه الصلاح لدنيانا وأخرانا بفضله وسعة رحمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١٦ ـ الزهد:

ترجم فيه للصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وأشار إليه في مقدمة «طبقات الصوفية»[٣]. لم يذكره حاجي خليفة.

---

(١) فهرست دار الكتب المصرية (ج): ١/٢٦٧.

(٢) GAL. I. 200, Suppl. I. 361.

(٣) طبقات الصوفية، خطبة الكتاب، ص ١.

١٧ ـ السؤالات:

لقد تكوّن الكتاب بالسؤالات التي طرحها أبوعبدالرحمن السلمي عن رواة الحديث، ليجيب الدارقطني عنها. فجمع أبوعبدالرحمن إجابات أستاذه أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عن سؤالاته، فصارت كتاباً قيماً في نقد الرجال. ذكره الذهبي بقوله: «للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ والزواة سؤال عارف بهذا الشأن».

منه نسخة فريدة في خزانة كتب السلطان أحمد الثالث باستانبول في قصر توبقابو، محفوظة تحت رقم: ٦٢٤ من ورقة ١٥٧ أ ـ ١٧٢ أ. نسخها أبو بكر بن علي بن إسماعيل الأنصاري البهنسي الشافعي. وهو الكتاب الرابع عشر من مضامين المجموعة ولا زال مخطوطاً. أعددناه للطبع، وقد طبع تحقيقنا بعناية صاحب دار العلوم الدكتور عبد الله العوهلي سنة ١٩٨٨.

١٨ ـ سلوك العارفين:

ذكره السلمي في «زلل الفقراء» بعنوان «مسألة سلوك العارفين». فعلى هذا اسم الكتاب، كما ذكره السلمي. منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية، تحت رقم: ٧٤، قسم التصوف من ورقة ١٧ أ ـ إلى ورقة ٣١ أ. وقد نشرناه مع الرسائل التسع للسلمي، وهو الكتاب السابع لما نشرناه. بين صفحات ١٥٣ ـ ١٧٠.

أوله: اللهم أكرمنا بطاعتك. الحمد لله رب العالمين... سألتني أسعدك الله عن سلوك المحققين، ومراتب مقاماتهم، فاعلم...

وآخره: والله يختص برحمته من يشاء. ونحن نسأل الله أن لا يحرمنا بركاتهم، وأن يجعلنا من أتباعهم والمقتدين بهم، ولا يحرمنا ما رزقهم، ويسهّل علينا سبيل الخيرات، برحمته إنه على مايشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

١٩ ــ السمــاع:

أشار إليه الهجويري[١].

٢٠ ــ سنن الصوفية:

ذكره كل من ابن الجوزي والسيوطي وحاجي خليفة[٢].

٢١ ــ الصيهور في نقض الدهور:

ذكره القشيري عند ذكر حادث جرى بينه وبين السلمي[٣].

٢٢ ــ طبقات الصوفية:

أصبح هذا الكتاب مرجعاً وحيدًا لتاريخ الصوفية. وأقدم التآليف في هذا الباب، هوكتاب «طبقات النساك» لأبي سعيد العربي (توفي سنة ٣٤١هـ / ٩٥٣م) على معرفتنا الحالية. وجاء بعده «أخبار الصوفية والزهاد» لمحمد بن داود بن سليمان أبو بكر الزاهد النيسابوري (توفي سنة ٣٤٢هـ / ٩٥٣م) من شيوخ السلمي الذي أجازه به وقرأه عليه. واستفاد السلمي منه فيما كتب عن الصوفية

---

(١) كشف المحجوب، الترجمة الإنجليزية، ص ٤٠١.

(٢) تلبيس إبليس، ص ١٦٤، الجامع الصغير: ٣٥/١، كشف الظنون: ١٠٦/٢.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٤٩/٢.

بعد ذلك. ثم يأتي «تاريخ الصوفية» لأبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي (توفي سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م). لقد استفاد السلمي منهم، وملأ خزانة كتبه بتصانيفهم. وقد ضاعت الكتب السابقة لكتابه فبقي كتاب «طبقات الصوفية» مرجعاً وحيداً لما كتب بعده، كما كان تفسيره مرجعاً أساسياً للتفاسير الإشارية بعده. فقد نقل أبو نعيم في «حلية الأولياء»، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، والأنصاري في «الطبقات» والجامي في «النفحات»، والشعراني في «الواقح الأنوار في طبقات الأخيار» فيمن ترجموا لهم ما ذكره أبو عبدالرحمن في «طبقات الصوفية».

وهكذا نجد أن أبا عبدالرحمن بمقدار ما استفاد ممن تقدموه في التصنيف، أفاد من جاؤوا بعده، واشتغلوا بالتأليف في طبقات الزهد[1].

قال الأستاذ بروكلمان عند ذكر مؤلفات أبي إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري: إنه وسّع كتاب «طبقات الصوفية» للسلمي فأصبح كتاب الهروي أساساً لكتاب «نفحات الأنس» للجامي[2]. ونوّه الأستاذ متز بأن كتاب «طبقات الصوفية» للسلمي، هو أول مجموعة لسير الأولياء[3]، وأن أبا المحاسن استعان به في كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة».

---

(١) نورالدين شريبة، مقدمة طبقات الصوفية، ص ٥١.

(٢) GAL. I. 433.

(٣) الحضارة، ص ٢٨٢، وانظر: اعتقادات فرق المسلمين للرازي، ص ١٠، مقدمة آداب الصحبة للمحقق، ص ٥.

وقد حقق هذا الكتاب القيم الأستاذ نورالدين شريبة ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، مع مقدمة قيمة حول السلمي وتآليفه. وذكر المحقق خمس مخطوطات له، أغض النظر عن ذكرها لأن الكتاب مطبوع بتحقيق جيد، ومخطوطاتها مذكورة في مقدمة المحقق.

٢٣ ـ عيوب النفس ومداواتها:

ذكرها كل من إسماعيل باشا وبروكلمان[١]. منها عدة مخطوطات كالآتي:

(أ) خزانة كتب شهيد علي باشا، رقم: ١٣٤١/١، ضمن مجموعة، من ١ ـ ٧ أوراق.

(ب) خزانة كتب كوبريلي، رقم: ١٦٠٣، ضمن مجموعة من ورقة ١٩٢ أ ـ ٢١٠ ب. وقد لخصنا تلك النسخة ونشرناها في مجلّة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة.

(ج) خزانة كتب برلين، رقم: ٣١٣١، من ورقة ٢٨ ب ـ ٣٦ ب[٢].

(د) الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة، غير مؤرخة، رقم: ٧٤. ضمن مجموعة، ورقة ١ ب ـ ١٦ ب.

(هـ) المتحف البريطاني، رقم: Suppl. ٢٢٨[٣].

---

(١) هدية العارفين، ص ٦١، GAL. I. 200.

(٢) مقدمة طبقات الصوفية للمحقق، ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق: Suppl. Cal. arab. Mss. Br. Museum. p. 148.

أوله: الحمد لله الذي عرف أهل صفوته عيوب أنفسهم...

أما بعد... فقد سألني بعض المشايخ... أن أجمع فصولاً عن عيوب النفس...

وآخره: ويسقط عنها بذلك عيباً من عيوبها. والله يوفقنا لمتابعة الرشد... فإنه القادر عليه، والواهب له، برحمته وفضله.

٢٤ ـ كتاب الفتوة:

يوجد مخطوط فريد من هذا الكتاب الذي ذكره حاجي خليفة، في مكتبة آيا صوفيا، ضمن مجموعة من ورقة ٧٨ أ ـ ٩٩ ب، محفوظة تحت رقم: ٢٠٤٩. وقد كتب Taeschner بحثاً عنه في مجلة إسلاميكا، ج ٥ ص ٣١٤ ـ ٣١٥. حققناه ونشرناه بين منشورات كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، سنة ١٩٧٩م.

أوله: الحمد لله الذي أبدى آثار فضله على خواصِّ عباده...

٢٥ ـ كتاب المكنون في مناقب ذي النون:

نسب هذا الكتاب إلى السلمي كما ورد في فهرست دار الكتب الأهلية الفرنسية، رقم: ٢٠٤٣[١].

٢٦ ـ محن الصوفية:

لم يذكره حاجي خليفة. وذكره الذهبي في ترجمته لذي النون المصري، ولمحمد بن الفضل البلخي[٢].

---

(١) GAL, I. 200، مقدمة آداب الصحبة وحسن العشرة، ص ٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١/٥٣٤، ١٤/٥٢٥.

٢٧ ـ مسألة درجات الصادقين:

وهم بروكلمان[١] أنه في خزانة كتب السلطان الفاتح تحت رقم: ٢٦٥٣، وهو في تلك الخزانة، لكن تحت رقم: ٢٦٥٠، ضمن مجموعة من ورقة ٥٩ أ ـ ٧٠ أ. وفي تلك المجموعة رسالة بعنوان «مدار الشريعة»، حيث يحتمل أن تكون رسالة أخرى للسلمي. ويأتي بعدها «بيان زلل الفقراء» له أيضاً، من ورقة ٧٧ أ ـ ٩٩ ب.

أوله: الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وصلّى الله على محمد وآله وسلّم كثيراً. سألت وفقك الله لرشدك وإحسانك على طلب السبيل إليه... عن الفرق بين التصوف وطرق الملامة وسبل أهل المحبة...

آخره: تمت والحمد لله وحده وبه نستعين.

٢٨ ـ مقامات الأولياء:

لقد استفاد منها محيي الدين ابن عربي عند تأليف كتابه «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار»[٢]. وذكرها حاجي خليفة[٣] وغفل عنها بروكلمان.

٢٩ ـ مقدمة في التصوف:

لم يذكرها حاجي خليفة. منها مخطوطة في مجلّد بقلم عادي، كتبت في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف. وعدد أوراقها ست

---

(١) GAL., I. 200.

(٢) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، ص ٥، الطبعة العثمانية، مصر ١٣٠٥هـ.

(٣) كشف الظنون: ٢/١٧٨٤.

عشرة ورقة، محفوظة في خزانة كتب البلدية بالإسكندرية، تحت رقم: ٢٨٢٢د[1]. نشرناها محققة ضمن الرسائل التسع لأبي عبدالرحمن السلمي، مع الترجمة التركية. الكتاب الرابع، بين صفحات ٩٣ ـ ١٣٠.

أولها: الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. باب صحبة الصوفية...

آخرها: جعلنا الله وإياكم من المقتدين المهتدين بآثار السابقين من العلماء والعارفين، ومن المتصوفة الواجدين، إنه خير المعتمدين المنعمين.. وقد تمت هذه المقدمة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، والحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٠ ـ مناهج العارفين:

نسخة منها في خزانة كتب برلين، تحت رقم: ٢٨٢١، ضمن مجموعة من ورقة ٢٢ب ـ ٢٨ ب. ونسخة أخرى في خزانة كتب مونيخ بألمانيا الغربية، تحت رقم: ٢٦٤ من ورقة ٦٦ب ـ ٧٣. وقد نشرناها محققة مع الرسائل التسع للسلمي، وهي الرسالة الأولى لمجموعتنا من صفحة ٣ ـ ٢٠

أولها: التصوف له بداية ونهاية ومقامات، فأوله التوفيق، والتنبه من سنة الغفلة، وترك مألوفات النفس.

---

(١) مقدمة طبقات الصوفية، ص ٤١.

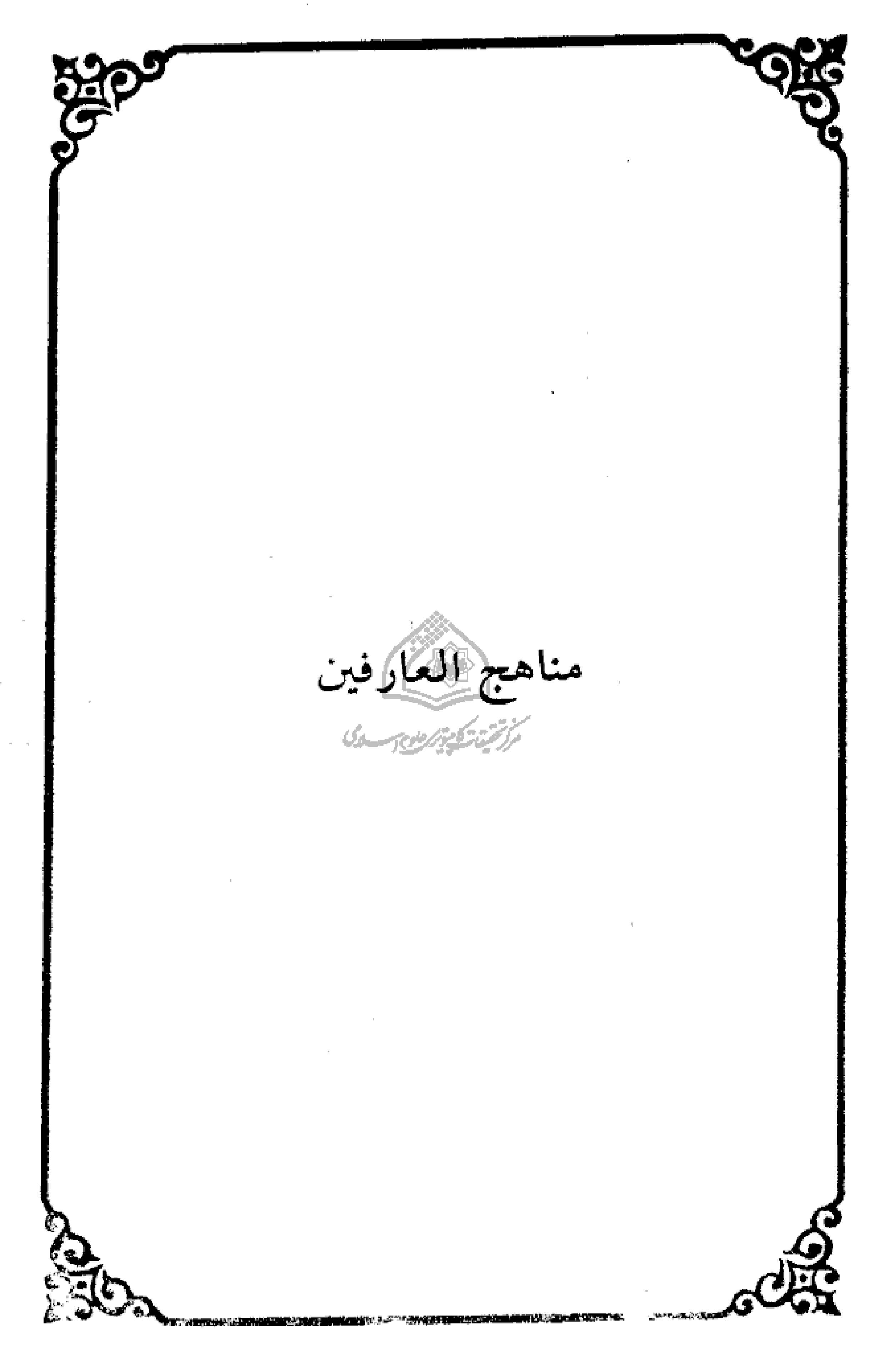
آخرها: نسأل الله تعالى أن يبلغنا إياها (أي الأخلاق السنية) وأن يجعلنا من أهلها، ولا يحرمنا ما مَنَّ الله به على أهل صفوته من كريم فضله وعزيز بره، إنه سميع مجيب، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم كثيراً.

لقد قمنا بتحقيق ما وجدنا من كتب السلمي، رحمه الله، لتلقي ضوءاً على كثير من قضايا التصوف، وليتعلّم الناس «التصوف الإسلامي» من مصادره الأساسية ويجدوا فرصة التمييز ما بين الأصيل والدخيل، ولكي يلتزموا ما يوافق الكتاب والسنة ويتجنبوا ما يخالفهما.

والله تعالى أسأل أن يوفّقنا لما يحبه ويرضاه، إنه مجيب قريب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

د. سليمان آتش

يوم الجمعة ١٤٠٧/٦/٨هـ
الموافق ١٩٨٧/٢/٦م



مناهج العارفين

بسم الله الرحمن الرحيم

Berlin Staatsbibliothek, 2821 numaralı nüshanın birinci sayfası.

صورة الصفحة الأولى من نسخة برلين Staatsbibliothek رقم ٢٨٢١

مناهج العارفين

بسم الله الرحمن الرحيم

التصوف له بداية ونهاية ومقامات فأوله التوفيق والتنبه من سنة الغفلة، وترك مألوفات النفس ومرادات الطبع، وهجران اخوان السوء، ومفارقة المكان الذي خالف فيه أمر الله تعالى، والرجوع بالنفس إلى طرق أهل الصلاح، فإذا انقادت له نفسه إلى ذلك وسلمت من الشرور عمل في إصلاح قلبه إلى أن يجيبه القلب ما أجابت النفس. فإذا أجاب القلب والنفس انقياداً واتفاقاً[1] سلّم قلبه[2] ونفسه إلى الله تعالى ويبرئ منهما ليحفظهما له مما رجع إليه. قال الله تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾[3].

ثم يقصد إماماً من أئمة القوم ممن ظهرت نصيحته بمن صحبه وتأدب به، ويكون في قصده خالياً من جميع أحكام نفسه وأحكام الخلق إلا حكم من قصده متعرٍ عن الأحكام، فعند ذلك الحكيم فيعلم بنظره إليه سبب دائه فيدلّه على دوائه فيقصده بدواء الداء فيبرأ بإذن الله

---

(١) في الأصل: انقدا واتفقا.

(٢) في الأصل: وقلبه.

(٣) سورة الزمر: ٥٤.

تعالى. وإن قصده وهو راجع إلى شيء من أسبابه وأوصافه ضيّع وقته ولم يؤثر فيه كلام الحكيم. قال أبو يزيد[1] رحمة الله تعالى: «كن بلا شيء حتى يكون لك كل شيء». ويجب على المقصود أن يدلّ القاصد على ما لا بد منه من أحكام الشريعة في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج. ويدلّه على تعلّم كتاب الله تعالى ودرسه. ثم على طلب قوت حلال، وبذل الوسع والجهد فيه، ثم على ترك الدنيا والإعراض عنها والإقبال على الآخرة وعلى ما يفوته منها على دوام الأوقات، وعلى قلّة الأكل وقلّة النوم وقلّة الكلام، وعلى الخلوة والعزلة وقلّة الانبساط وقيام اللّيل وكثرة البكاء على ما سلف من أيامه وتضييع أوقاته وخسرانه عمره، لأن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن

---

[1] أبو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسى بن سروشان (٢٦١هـ / ٨٧٤م). كان جدّه سروشان مجوسيًا فأسلم، وهم ثلاثة اخوة: آدم، وطيفور، وعلي. وكلّهم كانوا زهّاداً، عبّاداً، أرباب أحوال، وهم من أهل بسطام. وأسند الحديث.
سئل أبو يزيد: «بماذا يستعان على العبادة؟»، فقال: «بالله إن كنت تعرفه».
وقال: «أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملّكه». وقيل له: «بأي شيء وصلت إلى المعرفة؟» فقال: «ببطن جائع وبدن عار». وقال: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود، والوقوف عند الشريعة».
وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة. وفي نفس الوقت حكيت عنه شطحات ناقصات مثل: «سبحاني ما أعظم شأني». وقد تأوّلها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة. وقد قال بعضهم: إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة. (طبقات الصوفية للسلمي: ٦٧، الرسالة القشيرية: ١٦، البداية والنهاية: ١١/ ٣٤، ميزان الاعتدال: ١/ ٤٨١، طبقات الشعراني: ١/ ٦١، تذكرة الأولياء: ١/ ١١٥ وغير ذلك).

ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[1]. فإذا داوم على هذه الأحوال، منّ اللّه تعالى عليه بأن يجعل توبته نصوحاً.

فإذا صحّ له مقام التوبة لاح له لايح من أنوار المحبة، لأن اللّه تعالى يقول: ﴿إن اللّه يحب التوّابين ويحب المتطهّرين﴾[2]. وإذا صحّت توبتهم وصحّت طهارتهم فتلك اللايحة يحملهم على الاجتهاد وعلى المجاهدة ويقوي على الطاعات ويضعف النفس عن المخالفات والطبايع، فيحمل القلب النفس على ترك حظوظها وطبايعها المذمومة من الشحّ والبخل والبذاء[3] وسائر الصفات المذمومة أوصافاً محمودة. يروى عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال: «ما جبل اللّه ولياً إلاّ على السخاء»[4]؛ وبالغيبة والبهتان، الصدقَ والعدل. وفي الحديث قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «إن الرجل ليتحرى الصدق حتى يكتب عند اللّه صديقاً»[5]. وبالشناء والحقد سلامة الصدر وإرادة الخير. قال اللّه تعالى: ﴿إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم﴾[6]. وبالطمع القناعة.

---

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وراه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي وعن ابن مسعود. انظر: كشف الخفاء ومزيل الالتباس، ج ٢، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) في الأصل: والبذل.

(٤) رواه الديلمي بلفظ «ما جبل ولي اللّه إلا على السخاء وحسن الخلق» عن عائشة بسند ضعيف، ورواه الدارقطني في الأجواد وأبو الشيخ وابن عدي. انظر: كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٨٥.

(٥) رواه مسلم في كتاب البر، حديث: ١٠٤، ١٠٥، وفي كتاب الأدب: ٨٠، ورواه الترمذي في البر، باب: ٤٦، ورواه ابن حنبل، ج ١، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٤٠.

(٦) سورة الشعراء: ٨٩.

وكذلك على هذا، فإذا صفت له نفسه ولزم طريق رشده وتخلّق بهذه الأخلاق التي ذكرناها يدخل في حدود الإرادة.

ومقاماتها: أن يترك إرادته كلّها التي ألفتها النفس من أسباب الدنيا، فيتخلّى بالدنيا بكلّيتها حتى لا يرجع منها إلى معلوم ولا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، فيكون الدنيا عنده كما لم تكن. فإنها ما كانت وعن قريب لا يكون. والمريدون ثلاثة: مريد يريد اللّه تعالى لنفسه، فعلامته المعاملة على الرغبة والرهبة، ومريد يريد اللّه تعالى فعلامته المعاملة لا على رؤية عوض، بل فرحاً بمحلّ الأمر، ومريد مفوض لا يريد إلاّ ما يراد له ولا يجعل لنفسه مقاماً ولا حالاً ولا محلاً وهو أشرفهم. وهو إرادة الأنبياء صلوات اللّه عليهم أجمعين، وأجلّة الأولياء ألا ترى أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم كيف قال: «أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك»[1]. ترك ماله بالكلّية وسلّم إلى من له الأمر، إذ هو المتولّي لهم في كلّ الأوقات. والمريد إذا كان في مقام فالنفس بإزائه فيما يشاكلها، فإذا كان القلب مع اللّه تعالى كانت النفس في الأحوال. وإذا كان القلب في الأحوال كانت النفس في الآخرة. فإذا كان القلب مشتغلاً بالتوكّل كانت النفس متعوبة في طلب الحلال والكسب المباح. وإذا كان القلب في محلّ الكرامات والزلف كانت النفس مشتغلة في طلب الأولياء والأخيار، وإذا كان القلب مشتغلاً

---

(١) الحديث متفق عليه. انظر: البخاري، وضوء ٧٥، دعوات: ٥، ٦، ٨، توحيد: ٣٤؛ مسلم، ذكر: ٥٦، ٥٧؛ أبو داود: أدب: ٩٨؛ الترمذي، دعوات: ١٦، ١١٦؛ الدارمي، استئذان: ٥١؛ مسند ابن حنبل: ٤/٢٨٥.

بالبطالة كانت النفس مختبطة في الحرام. قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد»(١).

وقصد المريدين للحكماء على وجوه: فمريد يقصد تائباً على سبيل المعاشرة لا على حدود الحقائق، فحظه من مقصوده على حسب قصده، إلّا أنه ربما تعود بركات قصده فيحققه فيها كما روي عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قيل له: إن فلاناً يصلّي ويسرق، فقال: «ستنهاه صلاته»(٢). وكما قال صلّى اللّه عليه [وسلم] حاكياً عن ربه: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»(٣). ومريد يقصده تائباً فيدلّه على تصحيح توبته وطريق معاملته. ومريد يقصده بزهده فيدلّه على ترك الدنيا والتهاون ومخالفتها، وركوب المشاق. ومريد يقصده وينتظر حكم الحكيم فهو في غير حال ولا مقام يرغبه. فهو أولى القوم أن يجبره اللّه تعالى برؤية الحكماء. فإذا نظر إليه الحكيم ورأى خلوّه من الأسباب والأحوال نظر إليه نظر شفقة ورحمة ورعاية ومراعاة لأحواله فيدلّه في كلّ وقت على ما هو أولى وأليق بحاله، فيتأدب بأدبه ويتبع أمره فيسهل على المريد بحسن هدي إمامه له الهجوم على الأحوال ولا يعجز عن شيء من آدابه. وذلك لقوة دليله لا لقوة نفسه، لأن الدليل يحمل عنه ببركة نظره إليه

---

(١) صحيح البخاري، إيمان، ٣٩، م مساقاة، ١٠٧؛ ابن ماجه، فتن، ١٤؛ الدارمي، بيوع ١.

(٢) لم أجد له مصدراً آخر.

(٣) متفق عليه. عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث طويل في التماس الملائكة أهل الذكر ورواه الطبراني عن ابن عباس، والبزار عن أنس بلفظ: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم. وكان الأقدمون يتمادحون بذلك ويذمون من أغفله. انظر: كشف الخفاء، ج ٢، ص ٣٣٣.

وشفقته عليه أثقال المؤن والأهوال وبقدر نظره إليه وشفقته عليه يفتح عليه زوائد التوفيق في أوقاته. ألا ترى أن النبـي صلّى اللّه عليه وسلّم لما كان نظره إلى أبـي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه أتم وشفقته عليه أعم، وقلبه إليه أميل وحاله منه أقرب كيف أثر فيه بركات ذلك وكيف وفق أبو بكر رضي اللّه عنه لما سأل النبـي صلّى اللّه عليه وسلّم الصدقة، للخروج عن جميع ملكه حتى قال النبـي صلّى اللّه عليه وسلّم: «ماذا أبقيت لنفسك، قال اللّه تعالى ورسوله»[1]، أي الذي لا يفنى ويبقى أبداً. فإن اللّه هو الباقي لم يزل ولا يزال. حُكي عن أبـي بكر الواسطي[2] رحمه اللّه أنه قال: «لولا حشمة مشاهدته صلّى اللّه عليه وسلّم لما قال «ورسوله» عليه السلام وكان يفرد ألا ترى لما سقط عنه حشمة مشاهدته صلّى اللّه عليه وسلّم كيف رجع إلى التفريد فقال: «من كان يعبد محمداً

---

(١) رواه الترمذي عن عمر، وقال: حسن صحيح، وأبو داود، والحاكم، وصححه من حديث ابن عمر. انظر: كتاب اللمع، ص ٥٩٦، تحقيق عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور.

[2] أبو بكر الواسطي: محمد بن موسى المعروف بابن الفرغاني (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م). أصله من فرغانة. من قدماء أصحاب الجنيد، وأبـي الحسين النوري. وهو من علماء مشايخ القوم، لم يتكلّم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلّم هو. وكان عالماً بالأصول وعلوم الظواهر. دخل خراسان واستوطن كورة مرو، ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة. وكلامه عندهم. يقول السلمي: «ولم أر بالعراق من كلامه شيئاً، وذلك أنه خرج من العراق وهو شابٌ، ومشايخه في الأحياء، فتكلّم بخراسان: بأبيورد، ومرو، وأكثرُ كلامه بمرو». (طبقات الصوفية: ٣٠٢ ــ ٣٠٦، الرسالة القشيرية: ٣٢، طبقات الشعراني: ١/ ٧٩، تذكرة الأولياء: ٢/ ٢٠١ ــ ٢٠٨).

صلّى الله عليه وسلّم[1] فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت». وقرأ: ﴿وما محمد إلاّ رسول، قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾[2]. ولما كان نظر النبي صلّى الله عليه [وسلّم] إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون نظره إلى أبي بكر رضي الله عنه أثر فيه بقدر فجاء بنصف ماله: «ما[ذا] أبقيت لنفسك» قال: «نصف مالي» فروي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «ما بين صدقتيكما كما بين قوليكما» ولما كان نظره عليه السلام إلى سعد[3] رضي الله عنه دون ذلك فرده إلى ثلث ماله فقال: «والثلث كثير»[3]، وذاك لإشرافه على أحوالهم وعلمه بتأثير نظره في كلّ واحد منهم.

---

(١) في الأصل: + كيف رجع إلى التفريد فقال من كان يعبد محمداً صلّى الله عليه وسلّم.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤، انظر لقول أبي بكر: تهذيب سيرة ابن هشام، ١٥٥/٢.

[3] هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف (٥٥هـ / ٦٧٤م) وكنية مالك: أبو وقّاص. وهو مشهور بكنيته. أسلم سعد بعد ستة، وكان عمره سبع عشرة سنة. شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وأمّره عمر على الجيوش الذين قاتلوا الفرس بالقادسية وبجلولا فهزموهم. واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان، ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة بل لزم بيته ولم يطلب الجاه، بل طلب السلامة. وتوفي سعد سنة خمس وخمسين، وقيل ثمان وخمسين، وقيل أربع وخمسين. (أسد الغابة: ٢٩٢/٢ ـ ٢٩٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس، وفي رواية للبخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه مرض مرضاً أشرف منه على =

كذلك الحكماء إذا نظروا إلى المريدين بقدر نظر الحكيم إليه يظهر عليه البركات بحسب ذلك لأن النبـي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال: «طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني»[1]، أي طوبى لمن أثر فيه بركات نظري ومشاهدتي ولمن أثر فيه مشاهدة أصحابي ثمّ هكذا حالاً بعد حال إلى أن بلغ إلى حكماء الأمة وأولياء اللَّه تعالى في أرضه. فكلّ من أثر فيه نظر حكيم أو مشاهدة ولي فإنما بركة ذلك التأثير من نظر النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم إلى أصحابه على اختلاف أحوالهم، فأثر على كلّ واحد بحسب حاله. وكذلك جرى ذلك التأثير في المشايخ والمريدين ويجري إلى آخر الدهر. لأن إسناد الأحوال كإسناد الأحكام، وذلك أدق وألطف.

والتصوف حقيقة كان حيث لم يكن لسان ولا كلام وإنما هو بركات تعود على أربابها من جهة الأولياء والمشايخ وتأثير آداب وأخلاق. فإذا أثر في المريد نظر الحكيم وأصابته بركاته أشرح صدره وأنار قلبه. قال اللَّه تعالى: «أفمن شرح اللَّه صدره للإسلام فهو على نور من ربه»[2] فسئل النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم عن ذلك فقال:

= الموت، فأتى النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يعوده فقال: يا رسول اللَّه إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بالثلثين؟ قال: لا. قال: فالشطر؟ قال: لا. قال: الثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس. انظر: كشف، ج ١، ص ٣٣٥.

(١) رواه الطبراني والحاكم عن عبداللَّه بن بسر، وعبد بن حميد عن أبي سعيد، وابن عساكر عن واثلة. حديث حسن. انظر: كشف، ج ٢، ص ٤٨، ٤٩، فيض القدير، ج ٤، ص ٢٨٠.

(٢) سورة الزمر: ٢٢.

«هو نور يقذف في القلب فينشرح له الصدر» فسئل هل لذلك علامة، قال: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود»[1] وهو أن يمقت الدنيا ويبغضها ويعرض عنها وعمن أقبل إليها ويعلم أن النظر إلى الدنيا مباح للعوام ومكروه للخواص وحرام على الرسل صلوات الله عليهم أجمعين. قال الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة﴾[2]. فعلى المريد أن يؤدب نفسه في كلّ وقت بالرياضات والمجاهدات، ويشغل لسانه بالذكر وقلبه بالتفكر، وسره بالمراعاة والمراقبة، وروحه بصفاء المعرفة والمشاهدة، ويعلم أن من كان أصح (بداية) كان أتم نهاية. فإن النهايات ترجع إلى البدايات إذا صحّ فيها سالكها. فإن من كان أخلص خدمة كان أصفى مشاهدة، ومن كان أصدق حالاً كان أكمل ولاية، ومن كان أتم علماً كان أحسن تفويضاً، ومن كان أسلم معرفة كان أتم تسليماً، وكمال التفويض للحبيب صلوات الله عليه بقوله صلّى الله عليه وسلّم «فوضت أمري إليك»[3] وكمال التسليم للخليل عليه السلام بقوله ﴿أسلمت لرب العالمين﴾[4]. فقد جعل الله تعالى أسباب الوصول إلى الحقائق على مقام درجات، فقال عز وجلّ: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾[5] فابتداء المقامات والمراتب الصلاح وانتهاؤه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٣١١/٤ بزيادة: «والاستعداد للموت قبل نزوله». ورواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) سورة طه: ١٣١.

(٣) مر الحديث، متفق عليه.

(٤) سورة البقرة: ١٣١.

(٥) سورة النساء: ٦٩.

الصديقية. والنبوّة والرسالة منقطعان عن أحوال الخلائق ومباينان لها، لأن لهم كمال الأحوال، والخلق يمرون في حواشيها. ثم بعد الصلاح مقام الشهداء. والشهيد لا يكون شهيداً في الظاهر إلّا بعد القتل في المعركة وفي الحقيقة قتل النفس عن الشهوات مع بقاء حركات النفس ومتابعة ما ذكرته من آداب المريدين وأخلاقهم.

ثم بعد مقام الشهداء مقام الصدّيقين: وهو من أحوال الصوفية وأعلى مقام الصديقية موافقة الرسول صلّى اللّٰه عليه وسلّم في أوامره وأفعاله وأخلاقه وترك مخالفته في شيء من سيره. فأول ما يبتدىء بأحواله فإن أطاقها ركبها وإن لم يطق ذلك نزل إلى أخلاقه، فإن لم يطق ذلك نزل إلى آدابه. وإن فاته هذه المقامات فلا يفوته الاقتداء بسنّته ولا ينزل عن درجة اتباع السنّة بحال ويعلم أن أدنى منازل النبوّة منقطعة عن أعلى منازل الولاية، والتصوف، لأن الرسل والأنبياء صلوات اللّٰه عليهم مؤيدون بما لا يجري فيه اغترار ولا شبهة من الوحي ومشاهدة الغيب والاطلاع على أحكام الخلق، والرسل محكمون على الأنبياء عليهم السلام، والأولياء والصدّيقين والشهداء والصالحين. فمفزع العوام إذا نابتهم نائبة إلى أهل الصلاح إلى المريدين، ومفزع المريدين إلى العارفين، ومفزع العارفين إلى الصوفية، ومفزع الصوفية إلى ربهم. قال اللّٰه تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم اللّٰه عليهم من النّبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[1]. أنعم على قوم بما فتح عليهم من زوائد برّه وإنعامه ولا يشهد أحد منهم في حاله وأوقاته نفسه

---

(١) سورة النساء: ٦٩.

ولا فعله، بل يشاهد فعل الله تعالى به وفضله عليه. فإن من شهد نفسه نَفَساً سقط عن درجة المحققين.

وإذا تحقق المريد في إرادته فالواجب عليه أن يميز بين هذه الأحوال. وإذا وردت عليه مقامة من الزهد والتزهد، والصبر والتصبر، واليقين والتيقن، والورع والتورع، والحزن والتحزن، والبكاء والتباكي، والفهم والتفهم، والخوف والتخوف، والذوق والتذوق، وما يجري مجراها، فيميز بينها ويحمل نفسه على الأتم، لأن المتفعل قاصر عن درجة الفاعل، والفاعل أتم مقاماً وأسلم بركة. فإذا صحت له هذه المقامات وسلم له ظاهره وباطنه من الرّيب والتهم وساعده التوفيق بدا له أوائل التصوف.

قال الجنيد[4] رحمه الله: «إذا وفق الله المريد ألقاه إلى الصوفية فيجعل نهايته في الإرادة، بدايته في التصوف. لأن النهاية في الإرادة

---

[4] الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز (٢٩٧هـ / ٩٠٩م). وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: «القواريري». أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه بالعراق. تفقه على أبـي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو في العشرين من عمره. صحب السريّ، والحارث المحاسبيّ، ومحمد بن علي القصّاب البغدادي وغيرهم. ثم اشتغل بالعبادة ولازمها حتى علت سنّه، وصار شيخ وقته، وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية، وطريقة الوعظ. وله أخبار مشهورة وكرامات مأثورة. وأسند الحديث عن الحسن بن عرفة. وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة. قال جعفر الخلدي: «لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد. إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه». وكان يفضل الصحو على الفناء على خلاف أبـي يزيد البسطامي. (طبقات الصوفية: ١٥٥ ـ ١٦٣، طبقات الشافعية الكبرى: ٢/ ٢٨ ـ ٣٧، تاريخ بغداد: ٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٩).

صفاء الظاهر والباطن من كلّ دنس. فإذا صفى في إرادته صوفي في صفائه فسمي صوفياً. وإذا دخل في أوائل التصوف كان أشد مواظبة على الأوراد منه في حال الإرادة. لأنه كان في حال الإرادة تعباً مجاهداً وهو في حال التصوف مستروح فيه، لأنه صار مراداً بعد أن كان مريداً، ومحمولاً بعد أن كان حاملاً. فتراه دائم المجاهدة، ملازماً للعبادة، مستعملاً للسنن، معتقداً أصح اعتقاد، لازماً لطريق أئمته ومشايخه، مبايناً لمن يخالفه ويخالف أئمته، فإن الصوفي من يكون أفعاله، قدوة المريدين. فيراه إذا دخل في التصوف مستبشراً بعد أن كان عابساً، وضاحكاً بعد أن كان باكياً، ومنبسطاً بعد أن كان منقبضاً، ومتواضعاً بعد أن كان متكبراً. قد أباح ظاهره للخلق أكلاً وشرباً ومجالسة وعشرة، وسماعاً وغير ذلك. وضمن بباطنه أن يشرف عليه أحد كما كانت أخلاق المريدين وآدابهم ومجاهداتهم ظاهرة.

فأول ما يجب على الصوفي أن يأخذ نفسه بالأدب، ثم بالأخلاق ثم يمنّ الله تعالى عليه بالأحوال السنية، فيكون شعاره بين الخلق البِشْر والانبساط والاسترسال كما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه كان بسّاماً من غير ضحك، وقال: «إني لأمزح ولا أقول إلاّ حقاً»[1]. وكان أصحابه صلّى الله عليه وسلم يذكرون بين يديه أخبار الجاهلية وأشعارها فيضحكون ويتبسّم هو صلّى الله عليه وسلّم. ظاهرهم مبذول للخلق وأسرارهم مصونة للحق. لا يرون مكرمة إلاّ ابتدروا إليها ولا عملاً صالحاً

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عمر والخطيب عن أنس، حسن. انظر: فيض القدير، ج ٣، ص ١٣.

من أعمال الخير إلاّ حرصوا عليه. أوقاتهم وقف على ملازمة الطاعات والموافقات ودرس القرآن وتعليم ما يجب تعليمه من علم الشريعة.

وليس بصوفي من جهل أحكام اللّه تعالى وأحكام رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ومن لم يحكم أحكام الظاهر لم يوفّق لتهذيب أحكام الباطن. قال اللّه تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[1] وكيف يكون مؤتمناً على الحقائق والأسرار مَنْ ضيَّع أحكام ظاهر السنن عليه. إذ لا يتحقّق إلاّ سالك. فمن لم يكن له سلوك واجتهاد كيف يتحقق وفيما ذا يتحقق؟ فمن جهل أحكام اللّه تعالى عليه في الظاهر فليس بصوفيّ. ومن خالف أحواله العلم فليس بصوفيّ. قال الجنيد رحمة اللّه عليه لابن علوان[5] (هكذا): ليكن العلم مصحوبك والأحوال يندرج فيك، لأن اللّه تعالى يقول: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾[2] ومن باين أحواله السنّة فليس بصوفي، فإنه ينقل عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم أنه قال: «من تمسك بسنّتي عند فساد أمّتي كالقابض على

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

[5] ابن علوان: لعلّه محمد بن عليّان النسوي. من كبار مشايخ نسا، من قرية بيسمة. من جلّة أصحاب أبي عثمان. وكان محفوظ يقول: «محمد بن عليّان إمام أهل المعارف» وهو من أعلى المشايخ همة. له الكرامات الظاهرة. (طبقات الصوفية: ٤١٧ ــ ٤١٩، حلية الأولياء: ١/٣٧٦، طبقات الشعراني: ١/٣٧).

(٢) سورة آل عمران: ٧.

الجمرة»[1] ومن لم يكن أخلاقه وآدابه على موجب الكتاب والسنّة فليس بصوفيّ.

وهم الذين عاتب الله نبيّه صلّى الله عليه وسلّم فيهم فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[2] وقال: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾[3] فإنهم ما عدوا (هكذا) مرادنا وأحكامنا وهم الذين عرضوا عن الدنيا جملة فلم يرجعوا منها إلاّ إلى مقدار لم يبح لهم الشريعة تركه من ستر العورة وأخذ من الطعام مقدار ما يتقوون به على أداء الفرائض. جعلوا التقلل من الدنيا وهجرانها والإعراض عنها شعارهم فسموا فقراء. قال الله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾[4].

والفقر الذي اختاروه وسمّوا به، أن يكون فقره عن الأكوان أجمع وتركه لها كلّها إلى أن يكون فقره إلى مكوِّن الأكوان. وأن من أفقره شيء أغناه وجوده. ومن استغنى بشيء غير الله تعالى فهو المذموم في غناء. فهم لا يغنيهم إلاّ الحق، لأنهم ما افتقروا إلاّ إليه فلا يستغنون إلاّ به. لذلك قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[5] أي

(١) رواه ابن حنبل بلفظ «ويل للعرب من شر قد اقترب فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر» انظر: ج ٢، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) سورة الأنعام: ٥٢.

(٣) سورة الكهف: ٢٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٥) رواه أحمد بن منيع عن الحسن أو أنس مرفوعاً بزيادة وكاد الحسد أن يسبق القدر. وهو عند أبي نعيم في الحلية وابن السكن في مصنفه والبيهقي في =

كاد الفقر إلى سوى الله تعالى أن يكون كفراً. فالفقير على الحقيقة من يكون فقره إليه لا إلى أحد سواه. والفقر ضد الغنى والله تعالى حكم لنفسه بالغنى ووصف عبيده بالفقر فقال: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾[1]. وكما لا يجوز أن يتحول غنى الحق فقراً، لأنه صفة من صفات ذاته كذلك لا يجوز أن يتحول فقر العبيد غنى، بل يتحول فقرهم استغناء فيكون في حالة استغنائه أشد فقراً إلى من استغنى به في حال فقره إليه. فهذا طرف من حقيقة الفقر والغنى والاستغناء وهذا فقر الخصوص.

ثم فقر العامة وهو أن العبد فقير إلى ما يغنيه وجوده. فقير إلى دنيا يغنيه وجودها، وفقير إلى رئاسة يغنيه حصولها، وفقير إلى ولاية يغنيه كونها. وهذا كلّه من الفقر المذموم الذي تعوذ النبي صلّى الله عليه وسلّم منه حيث روي عنه في دعائه صلوات الله عليه «أعوذ بك من الفقر»[2]، وقال عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[3]، وقال صلوات الله عليه: «ليس الغنى بكثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس»[4] عما يفتقر إليه من هذه الأدناس.

= الشعب وابن عدي في الكامل بلا شك. ورواه الطبراني بسند فيه ضعيف ـ. وروى النسائي حديث «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل: ويعتدلان؟ قال: نعم» وهذا أصحهاوما قبله من المرفوع ضعيف الإسناد. انظر: كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(١) سورة فاطر: ١٥.

(٢) أبو داود، أدب ١٠١، النسائي، سهو ٩٠، استعاذة ١٦.

(٣) سبق الحديث.

(٤) رواه مسلم بلفظ «ليس الغنى عن كثرةالعرض ولكن الغنى غنى النفس» كتاب الزكاة، باب ٤٠.

وفقير عدم عروض الدنيا فظن أن له بذلك فضلاً على من ملكها وفضلاً عليهم بتخليه منها ولا يزال بالأغنياء ويمدح نفسه بفقره، فليس له بذلك فضل ولا درجة إلاّ بصبره فيه أو برضائه فيرجع الفضل في هذا الفقر إلى درجة الرضا والصبر، لأن هـذا ليس بفقر في الحقيقة، إنما هو عدم وحاجة، وأي فقير تطاول على غني بفقره فقد أظهر خسّته ونبه على مكان ما في يد الغني من قلبه. فإنه لو تحقق في مقام فقره لرحمه فيما هو فيه وحمد الله تعالى على ما هو عليه. روي عن رابعة رحمها الله أن قوماً ذموا الدنيا بين يديها فقالت: «من أحب شيئاً أكثر ذكره».

وأي غَنيّ لم يحترم الفقراء ولم ير فضلهم، فقد أظهر نذالته. لأنه ظن أن له بما (في) يده من العواري فضلاً. ورب مالك الأموال هو فقير فيهـا لرؤيته الملك للمالك وفقره إلى مالك الأملاك أبداً. ورب محتاج معدوم عار[1] لا يصح له اسم الفقر وإنما يلحقه اسم العدم والحاجة. ومن صح له مقام الفقر إلى الله تعالى والاستغناء به لا يضره توسعة الدنيا عليه وضيقتها، وتواتر الأرفاق وقطعها، لأنه حصل في مقام عدم الشيء ووجوده فيه واحد. والأرفاق تجري في ذلك المقام إلاّ لهم، وإنما تبدو الأرفاق لمن حببهم من المريدين فيكونوا هم أسباباً فيه. وهو كحال الوسائط في فقرهم لأن همتهم علت أن تسكن إلى شيء أو تلفت إليه إلاّ لمن افتقروا إليه واستغنوا به.

ثم إذا وضح لهم حال الفقر دخلوا في مقام الشفقة على الخلق

---

(١) في الأصل: عاري.

فزال عنهم رؤية الاعتراض عليهم. كما سمعت الشيخ أبا سهل[6] رحمه الله وقد سئل عن التصوف فقال: «الإعراض عن الاعتراض» فلا يرى في حاله ذلك عاصياً إلاّ رحمه ودعا له، ولا مطيعاً إلاّ عظّم حرمته، ولا مبتلى إلاّ أشفق عليه كأنه هو المبتلى بذلك البلاء. علم هذا في جميع أحواله بفهمه ذلك، يكون مفزعاً للخلق ومأوى للمهمومين، وملجأ للهاربين. من رآه استأنس به لأنسه بربه. ومن صحبه سكن إليه بسكونه إلى سيده. لا يتكبر على أحد ولا يعتب، بل يعذرهم فيما هم فيه. ثم يزداد عند ذلك رحمة للمريدين واحتراماً للمشايخ. قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا»(١) فلم يقل يرحم الصغير ويوقر الكبير، بل أضافهم إليه. فيرحم كل صغير سلك طريق الإرادة فيدلّه على سبيل الحق وطريقته ويوقر كل كبير بلغ محل الأئمة بحسن الاقتداء بمن به القدوة وهو المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فلا يخالفه في أفعاله وأقواله. فإن صغيرنا من تحقق في الإرادة، وكبيرنا من تحقق في المعرفة.

ثم يكرم قاصده والوافد عليه ويسأله عن حاله وبمن تأدب فإن من

---

[6] أبو سهل: محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري (٣٦٩هـ / ٩٧٩م). سبقت ترجمة له في المقدمة، بين أساتذة السلمي، تحت رقم: ٤٦.

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر وأبو يعلى عن أنس والعسكري عن عبادة بن الصامت رفعوه، بلفظ «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ومن لم يعرف لعالمنا حقه» ورواه الترمذي عن أنس بنفس لفظ السلمي ورواه الطبراني بلفظ «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا وليس منا من غشنا ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه» انظر: كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٧٣.

لم يتأدب بشيخ فهو بطّال، ومن لم يلحقه نظر شيخ وشفقته لا يجيء منه شيء. فإذا ذكر له من يعرفه ويعرف طريقته وعلم صحة مقصده وسلامة ابتدائه يسوسه بما يرى من سياسته ويؤدبه بما يبلغه به إلى حسن مناهجه. ويكون تأديبه لمن يرد عليه بألطف طريق وأكرم خلق ويحمله على أسهل المسالك والأرفق به. فإن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «إن اللّه تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»[1]. ويكون أكثر ما يؤدبه ويسوسه بأفعاله، ليتأدب به المريد إن كان كيّساً. فإن لم يؤثر فيه ذلك أدبه وساسه بقوله ووعظه له. فإن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم علّم الأعرابي الصلاة لما علم أنه يرى صلاة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك اللّه ثم اعمل كذا وكذا»[2]. ولما علم أن أصحابه يتأدبون بفعله قال لهم: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي»[3] ولم يقل كما أصلّي لعلمه صلّى اللّه عليه وسلّم بعجزهم عن بلوغ مقامه. فإن حقيقتهم في أفعاله رسوم بالإضافة إلى حقيقته صلوات اللّه وسلامه عليه. وأعلمهم أنهم على التمام إذا اقتدوا بتمام أفعاله وظاهر أحكامه، فإنهم في محلّ الشره

---

(١) رواه البخاري في الأدب وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن حنبل والبيهقي والطبراني. حديث حسن. فيض القدير، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢) رواه النسائي في السهو بلفظ «... إذا قمت تريد الصلاة فتوضأ، فأحسن وضوءك، ثم استقبل القبلة فكبّر، ثم اركع فاطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئنّ قاعداً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع، ثم افعل كذلك حتى تفرغ من صلاتك». النسائي، كتاب السهو، باب أقل ما يجزي من عمل الصلاة.

(٣) البخاري، أذان: ١٨، أدب ٢٧، آحاد ١، الدارمي، صلاة ٤٢، ابن حنبل، ج ٥، ص ٢.

والغبرة فيكون شرههم في المراعاة والمراقبة، فيؤدبهم بردهم إلى السنن والمجاهدة والأخلاق والآداب. فلا يخلو لهم وقت عن زيادة ظاهراً وباطناً. ويؤدبه هذا المقام إلى مشاهدة ما يرد على قلبه وسره وروحه من الزوائد، فيجول في ميادين الأنس باطناً، وظاهراً في ميادين الخدمة. ويطالب أحوال الباطن بالحقائق، ومجاهدة الظاهر بالإخلاص والصدق، فيزيله عن شغله بأحواله وأوقاته والتذاذه بها بالاشتغال بالخلق وما هم فيه، تأنّسه بربه وتروحه بخدمته، فيكون مهيباً في أعين العوام، عظيماً في أعين الأشكال، قريباً منهم بشخصه بعيداً منهم بحاله. وهو طرف من أحوال القبض والبسط الذي أشاروا إليه. وهذا المقام يسميه الصوفية مقام الحرية وهو أن يكون حراً عن جميع ما استعبد الخلائق من الأكوان وما فيها بالتزين بإخلاص العبودية لسيده، فإذا بلغه دخل في محلّ الأمناء فأشرف إذ ذاك على الأسرار وصار مكلّماً ومحدّثاً وصاحب فراسة، ويطلع إذ ذاك على شيء من المغيبات لأمانته، وأشرف على مقام المريدين وأحوال العارفين. وهذا منتهى الولاية.

ثم تظهر له الكرامات بإجابة الدعوات وبلوغ الطلبات، لأن الله سبحانه لا يطلق لسانه بالدعاء والسؤال إلاّ إذا قضى كونه، ولا يبسط يده في انقلاب الأعيان إلاّ إذا أراد إيصاله منه إلى مراده.

ثم يدخل في مقام أنوار القسم. كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه»[1].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٣٢٨/٤، وأبو نعيم في الحلية: ٧/١ بفرق «تنبو عنه أعين الناس» مكان «لا يؤبه له» عن أبي هريرة وابن حنبل ومسلم بلفظ رب أشعث مدفوع الأبواب لو أقسم على الله لأبره. انظر: الجامع الصحيح لمسلم، =

ثم يدخل في مقام الانبساط والمجادلة وذلك مقام الخليل صلوات الله وسلامه عليه حين قال: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾[1]، وكما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «عجبت من مجادلة العبد بربه»[2] فإن الخليل جادل شفقة على الخلق، والعبد يجادل إشفاقاً على نفسه.

ثم يصير داعياً. والدعاة على وجوه: داع إلى الله تعالى، وداعٍ إلى السنّة وهو الداعي إلى الأحكام، والداعي إلى الله تعالى هو الداعي إلى التحقيق والإخلاص والصدق فيه، وهو فناؤه عن حظوظه ورسومه. وقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...﴾[3] فسماه حكيماً واعظاً. وقال للداعي إليه: ﴿وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[4] حلاه بحلية الرسالة. فإذا تحقق في سبيل الله أوصله إلى مقام الوصلة والاتصال به. وهو أن يصل إلى مقام مراد الحق فيه ويتصل برضائه عنه.

ولكلّ داع مستجيبون وأتباع. والداعي إلى الله تعالى أقلّهم تبعاً لعزة سلطانه. والداعي إلى سبيله أكثر منه إجابة لنزول درجته. والداعي إلى السنّة أكثرهم تبعاً، لأنه حال يمازج النفس ويقارن الأفعال.

= كتاب البر والصلة، باب ٤٠، حديث: ١٣٨، فيض القدير، ج ٤، ص ١٤، ١٥.

(١) سورة هود: ٧٤.

(٢) لم أجد له مصدراً آخر.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٦.

وعلم التصوف مداره على ثلاثة أوجه: علم العبودية، وعلم المعرفة، وعلم الربانية. فعلم الربانية نفاذ المشية والأقدار، وعلم المعرفة لسان المعاملة مع الافتخار، وعلم العبودية التملك مع الاضطرار. كذلك حكي عن الجنيد رحمة الله عليه وبداية التصوف تمييز الوقت والنظر فيه والكون بإحكام الواجب عليك فيه على سرمد الأوقات. فلا يأتي عليه وقت إلاّ هو مشتغل بواجب عليه فيه، لا يخلو له وقت إلى الفراغة، ولا يدخل أحد في بداية التصوف وعليه بقية من المجاهدة والرياضة. وإنما دخوله في التصوف بعد استفراغه الوسع في تصحيح المعاملات بالإخلاص وتقييد الأحوال. كما حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: «لن يصل قلبك روح التوحيد وله عليك حق لم تؤدّه». وكما سئل عمن لم يبق من الدنيا إلاّ مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم. فإذا صحت له هذه المقدمات على الاختصار من غير استثناء دخل في التصوف.

وللتصوف ثلاث مقامات: آداب وأخلاق وأحوال. فالآداب اكتساب، والأخلاق قدوة والأحوال موهبة. فمن آدابه تذليل النفس، فمن كرمت عليه نفسه هان عليه دينه، والتخلّي من الدنيا، ومنع النفس عن مراداتها، والتأدب بإمام ناصح، وقبول ما يشير عليه، وعمارة الأوقات بما هو أولى، وتعظيم حرمات المسلمين، والحرص على خدمة المشايخ، وترك طلب الرخص من اختلاف العلماء، والتمييز في أخذ الأضداد، وقلّة دخول الأسواق، والتنزه عن صحبة أبناء الدنيا ومخالطتهم، وتأديب الأصحاب بالشفقة، والتعفف عن السؤال، وحفظ اللسان عن الجفاء، وقصد البقاع المباركة، وترك صحبة الأحداث، والتباعد من

أرفاق النسوان، وترك الادخار والتشبه بزيّ السلف وآدابهم، والتعلّم من العلم مقدار ما يحتاج إليه من شرايع دينه، وترك لفظة «أنا» و«نحن» و «فعلنا» وما يشبهه، وعرض الخواطر على الكتاب والسنّة إن كان من أهله، وإن لم يكن رجع فيه إلى إمامه، وما يجري مجرى هذا مما يطول شرحه.

ومن أخلاقهم حسن الخلق والسخاء والتواضع والاحتمال ودوام الحزن وكثرة البكاء على ما سلف من ذنوبه، واستقبال الأحكام بالرضا، وترك الاشتهار بالصلاح، وصدق النية في الطاعة، والاستغناء عن الأكوان، والافتقار إلى اللّه، وقوة القلب في الأمر بالمعروف، والورع، والكرم، وحب الخمول، ومعرفة عذر النفس، واستعمال المروءة والقناعة والتؤدة والوقار وبشر الظاهر وخوف الباطن. فإذا تأدب بهذه الآداب وتخلّق بهذه الأخلاق، يمنّ اللّه عليه بالأحوال السنية من الزهد والورع والتوكل والتفويض والتسليم والإخلاص واليقين والخوف والصدق والمعرفة والشوق والأنس والجمع والتفرقة والبقاء والفناء والقبض والبسط والتبريد والتلهيب والمشاهدة والمحادثة والمكالمة ومقام علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والاطلاع على العلم المجهول والإشراف على الكتاب المرقوم وغير ذلك من الأحوال السنية التي نسأل اللّه تعالى أن يبلغنا إياها وأن يجعلنا من أهلها ولا يحرمنا ما منّ اللّه به على أهل صفوته من كريم فضله وعزيز بره، إنه سميع مجيب وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآله وسلّم كثيراً.

* * *

درجات المعاملات

Berlin nüshasının baş tarafı

صورة من أوّل نسخة برلين

درجات المعاملات

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله

قال أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي نفعنا الله ببركاته. سألت أكرمك الله بجميل نظره بيان معاني ألفاظ ذكرتها على حد الاختصار، فعلّقت لك حروفاً تستغني بها إن ساعدك التوفيق، وأنا أسأل الله تعالى أن لا يخلّينا وإياك من جميل نظره.

فأول لفظ منها التوبة: والتوبة الرجوع من كلّ حال مذموم إلى كلّ حال محمود. والتوبة عمران كلّ خراب، وإخراب كلّ عمران. والتوبة إزالة الطبع، ومتابعة العلم. والتوبة رجوع العبد إلى الاستقامة بعد الاعوجاج. والتوبة دوام الندم على فايت الأوقات، والاشتغال بإصلاح ما ركب من أنواع المخالفات. والتوبة الرجوع من كلّ مذموم والثبات على رجوعك مقتضياً من نفسك، تدارك ما أهملت وإصلاح ما أفسدت.

ثم الإنابة: والإنابة رجوع السر إلى الصلاح كما رجع في الظاهر بالتوبة والإنابة. والإنابة الرجوع من كلّ الأشياء إلى من له الكلّ. الإنابة تطهير السر من الالتفات إلى الأغيار. الإنابة وقوف العبد مع الحق على

حسب إرادته فيه. الإنابة استبطاء المكث في الفانية شوقاً إلى مواصلة من أناب إليه.

ثم **التقوى**: هو الوقوف عند الشبهات والفرار من المحظورات، والمتقي هو المفرق بين الإلهام والوسوسة. قال اللّه تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا﴾[1]. والتقوى قرينة بين الإيمان، ولا يكون العبد متقياً إلاّ بعد تصحيح مقام الإيمان. والتقوى نتيجة التواضع وقبول حق من أيّ وجه كان، وترك التكبر والاعتلاء. والتقوى يورث الصدق. ومن لم يجعل المحكم على أفعاله وأحواله التقوى قطع به عن مقامات الوصول إلى الحقيقة.

ثم **الخوف والرجاء**: وهما زمامان على العبد تقوّمانه في أحواله وأفعاله وأوقاته فمتى ما زاد واحد منهما أو غلب صاحبه تعطّل العبد إلاّ أنه في حال الخوف يجب أن يلازم الرجاء وفي حال الرجاء يلازم الخوف ليعتدل حاله ويصفو عمله، ولأن الخوف إذا غلب يورث القنوط. والرجاء إذا غلب يورث الأمن والفترة. وعلامة الرجاء الإقبال على الطاعات بحسب الطاقة، وعلامة الخوف التباعد من المخالفات أجمع. ولا تصحّ حقيقة الخوف إلاّ لراج، ولا حقيقة الرجاء إلاّ لخائف. قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا»[2].

ثم **الزهد**: ولا يصح الزهد إلا بعد تصحيح التوبة والإنابة. والزهد

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٢) قال في اللآلي، هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح. وقال في المقاصد وتبعه في الدرر: لا أصل له في المرفوع وإنما يؤثر عن بعض السلف. انظر: كشف الخفاء، ج ٢، ص ١٦٦.

وجوه: زهد في الدنيا وعروضها، وزهد في الخلق وتعظيمهم والوجه عندهم، وزهد في الرياسة وزهد في الحرام، وزهد في الشبهات، وزهد في الحلال؛ والزهد الصحيح أن يكون في الحلال فإن هذه الوجوه الأخر، الزهد فيها فريضة والزهد الذي يكون فيه فضيلة الزهد في الحلال. كذلك سئل أبو حفص[7] فقيل له إن فلاناً زاهد فقال: «الزهد لا يكون إلّا في الحلال، ولا حلال في الدنيا ففي أي شيء يزهد». وقال الشبليّ[8]: «الزهد خسة فإن الزاهد يريد أن يتزهد في الدنيا وأهلها ولا خطر لها ولأهلها عند اللّه عز وجلّ فيجعل لما خطر له خطراً حتى يزهد فيها، وتعظيم ما صغره اللّه خسة». والزهد أن لا يفرح بما أقبل من الدنيا ولا يحزن على ما أدبر منها. والزهد ترك البد ولا يصح لأحد الزهد

---

[7] أبو حفص الحدّاد: عمرو بن سلمة النيسابوري (٢٦٧ أو ٢٧٠هـ/ ٨٨٠ أو٨٨٣م)، من أهل قرية يقال لها كورداباذ، على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخاري. صحب عبيداللّه بن مهدي الأبيوَردي، وعليّاً النصراباذي. ورافق أحمد بن خَضْرويه البلخي. وكان أحد الأئمة والسادة. انتمى إليه شاه بن شجاع الكرماني، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل. قال أبو حفص: «المعاصي بريد الكفر كما أن الحُمّى بريد الموت». (طبقات الصوفية: ١١٥ ــ ١٢٢. حلية الأولياء: ١٠/ ٢٩٩ ــ ٢٣٠، طبقات الشعراني: ١/ ٦٥ ــ ٦٦، الرسالة القشيرية: ٢٠، تذكرة الأولياء: ١/ ٢٦٨ ــ ٢٧٥ وغير ذلك).

[8] شبلي: دلف بن جحدر، أو جعفر، أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ. وأصله من أُسْرُوشَنَه، ومولده ــ كما قيل ــ سامرّا. تاب في مجلس خير النسّاج، وصحب الجنيد ومَنْ في عصره من المشايخ، وصار أوحدَ وقته حالاً وعلماً. وكان عالماً فقيهاً على مذهب مالك. عاش سبعاً وثمانين سنة ومات في ذي الحجة، ودفن في مقبرة الخيزران. وكتب الحديث الكثير ورواه. (طبقات الصوفية: ٣٣٧ ــ ٣٧٦، تاريخ بغداد: ١٤/ ٣٨٩ ــ ٣٩٧، حلية الأولياء: ١٠/ ٣٧٥ ــ ٣٧٦، طبقات الشعراني: ١/ ٨٢ ــ ٨٤).

في الدنيا إلّا بعد قصر الأمل. وتصحيح الزهد للزاهدين يورثهم الراحة في الدنيا والآخرة. وحقيقة الزهد أن يزهد العبد فيما سوى الله عز وجل.

ثم التوكّل: والتوكّل نتيجة تصحيح حقيقة الإيمان. لأن الله تعالى يقول: ﴿وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين﴾[1]. ولا يصح التوكّل إلّا بعد تصحيح الإيمان. والتوكّل سكون القلب إلى مضمون الله تعالى. والتوكّل خمود السر عن التشرف. والتوكّل استواء الحال عند الوجود والعدم. والتوكّل طمأنينة تمنع صاحبها عن الالتفات إلى الكون. وصحة التوكّل السكون عند العدم والاضطراب عند الوجود. والتوكّل تحقق بأن الحركة لا تغير المقدور. والتوكّل سر وظاهره سكون الخلق عند رؤيته ولا يشتغل إسرارهم به. والتوكّل الاعتماد على الله تعالى وتصديق وعده.

ثم الإخلاص: وكلّ فعل خلا عن الإخلاص فهو مشوب برياء ويكون للشيطان فيه سبيل. قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[2] والإخلاص تنزيه الأفعال عن رؤيتها ورؤية الخلق ووساوس الشيطان وطلب الأعواض عليه شغلاً منه بالفرح لما أهلّ له، أو خوطب به، والقيام بشكره. والإخلاص هو الذي يستر الأفعال عن الآفات، والإخلاص يحمل صاحبه على الورع، ويبعده عن الرخص.

ثم الوفاء: وهو القيام بحكم ما يقلّده من الأمانة ظاهراً وباطناً. والوفاء هو الوقوف على سبيل الاستقامة من غير أن يشوبه بما يضاده. والوفاء صحة العقيدة، وتمهيد سبل الشريعة، والوقوف مع الحق حيث

---

(١) سورة المائدة: ٢٣.

(٢) سورة البينة: ٥.

موقف، والوفاءخلوص الموافقة في السراء والضراء. والوفاء حفظ الود وكرم العهد. والوفاء مجانبة ما يستجلب الجفاء. والوفاء قبول السخط بالرضاء، وملاحظة المجانبة بالمعاينة، وتحسين قبائح الإخوان، والصفح عن عثراتهم. والوفاء صيانة السرّ عن توهم سوء الظن بالإخوان.

ثم **الفقر**: والفقر الخلوّ من جميع الأسباب في مشاهدةالمسبِّب. ويكون ذلك حال الاستغناء به عمن سواه. والفقير الذي لا يملكه مكون. والفقير الذي لا يدبر ولا يرجع إلى معلوم يعلم أنه مدبر ومكفى ومفروغ مما هو لاقيه. ومن صح له طرق الفقر زالت عنه الحاجات، وأورثه الرضا والصبر. وحقيقة الفقر ما يكون إلى اللّه، فإن الخلق كلّهم فقراء ولا يغني فقير فقيراً، ولا يغني الفقير إلا الغنيُّ الأزلي. قال اللّه تعالى: ﴿أنتم الفقراء إلى اللّه واللّه هو الغني الحميد﴾(١).

ثم **الجود والسخاء**: والجود أتم من السخاء. لأن اللّه تعالى تسمى به. والجود بذل من غير طلب عوض عليه. والجود يكون عن إرادة ومحبة له. والسخاء ربما يكون بذله عن تسخ لا عن سخاء. وأنشد للصنوبري[9]:

خلقوا أسخياء لا متساخين وليس السخيّ من يتساخى

والجواد من يجود بمعروفه على المستحق وغير المستحق، والسخيّ يطلب أهلاً لمعروفه. والجود عموم الإفضال، والسخاء خصوصه. والجود بحر والسخاء منه نهر. والجود بذل عن فضل، والسخاء بذل مع الإفضال.

---

(١) سورة فاطر: ١٥.

[9] الصنوبري: لم أعثر على ترجمة له.

ثم التفكر: وقيل من أدمن التفكر أورثه ذلك مكاشفات غيوبه والإشراف على مجاري أحواله ومن تجاوز ذلك في تفكر، كشف له عن مجاري الأقدار. والتفكر يكشف له عن منن اللّه تعالى ونعمه عليه. والتفكر سراج القلب يبصر به موارده ومصادره. ومفزع تفكره فوق الإلهام والوسوسة. والتفكر يزيد العبد معرفة بنفسه وعذرها، ويزيده حبّاً للّه وشكراً له على دوام نعمه، ومعرفةً بتقصيره في القيام بواجب شكره. والتفكر تجلّي القلب والاشتغال بتدبيره.

ثم الحياء: وهو انكسار القلب لمعرفة ما باشر من المخالفات. والحياء هو الأنفة من الطاعات لعلمه بقصورها عن محلّ الواجب. والحياء يسقط عن العبد الظنون. والحياء يبعد عن الدعاوى ويريه إفلاسه. والحياء يصفي الروح والعقل عن ملابسات الوساوس. والحياء واعظ القلب يمنعه من رؤية أحواله، واستحسان أفعاله. والحياء يتولّد من التعظيم ويزجر صاحبه عن الدعاوى.

ثم العناية: وهو جريان السعادة. سمعت أحمد بن جعفر بن مالك[10] ببغداد يقول، سألت الجنيد: العناية أولى أم البداية؟ قال: «العناية قبل الماء والطين، والعناية بلغت بالعارفين إلى مقام المعرفة وألزمتهم فيه المحبة، وأباح لهم الشوق والأنس. ولولا العناية لما وصل أحد إلّا إلى ما يليق به. ولكنّ العناية أوصلتهم إلى ما أهّلهم له الحق من المقامات الجليّة والرتب السنية».

---

[10] احمد بن جعفر بن مالك. لم أعثر على ترجمة له.

ثم الرضا: وهوسرور القلب بمر الرضا والسكون تحت مجاري الأقدار. والراضي لا يغيّره موارد الأحوال. والرضاء سكون السر فيما يقلق الأغيار، ومن تحقق في حال الرضا استوى عنده النعم والمحن. لأن الكلّ من عين واحد. والرضا قبول المقضي بقلب رحيب. والراضي يكون مستقيم الظاهر والباطن، لا يسكن إلى حال ولا يزعجه وارد.

ثم التصوف: وهو ما سمعت جدي إسماعيل بن نجيد[11] يقول: «التصوف عندي الصبر تحت الأمر والنهي». سمعت الحسين بن أحمد الرازي[12] يقول، سمعت الكتاني[13] يقول: «التصوف خلق، من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف». وقال ابن أبي سعدان[14]:

---

[11] إسماعيل بن نجيد، جد أبي عبدالرحمن السلمي. سبقت ترجمة له في المقدمة، رقم: ١١.

[12] هو الحسين بن أحمد بن جعفر، أبو عبدالله الرازي. سبقت ترجمة له في المقدمة، رقم: ١٥.

[13] هو محمد بن علي بن جعفر الكتّاني، أبو بكر (٣٢٢هـ / ٩٣٣م). بغداديّ، صحب الجنيد، وأبا سعيد الخرّاز، وأبا الحسين النوري، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات. وكان أحد الأئمة والسادة، فاضلاً، نبيلاً، حسن الشارة. حكي عن المرتعش أنه كان يقول: الكتّاني سراج الحرم. (طبقات الصوفية: ٣٧٣ ـ ٣٧٧، تاريخ بغداد: ٧٤/٣ ـ ٧٦، حلية الأولياء: ٣٥٧/١٠، الرسالة القشيرية: ٣١، صفة الصفوة: ٢٥٧/٢، اللباب في تهذيب الأنساب: ٢٨/٣، تذكرة الأولياء: ٩٩/٢ ـ ١٠٠).

[14] هو احمد بن محمد بن أبي سعدان، أبو بكر. بغدادي، من أصحاب الجنيد والنوري. سكن الري وحدث بها عن القاضي أبي العباس البرتي، ومحمد بن غالب التمتام. روى عنه عبدالصمد بن محمد الساوي وعلي بن محمد المروزي. =

«من لم يتظرف في التصوف فهو غبي. والتصوف صفوة الأحوال، فمن صفي في أحواله وأخذ من كلّ صفوته فهو صوفي. والتصوف الأخذ من كلّ صاف في الأحوال والأخلاق والأفعال أصفاه. والصوفي الذي لا يشغله وارد ولا يزعجه صادر. والصوفي قريب المنظر، بعيد المأخذ».

ثم الخلق: وهو ما أمر اللّه به نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم في قوله عز وجل: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1]. فلما تأدب بهذه الآداب قال اللّه عز وجل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2]. والخلق تحسين عيوب الإخوان، وإقالتهم في عثراتهم، وقبول أعذارهم، ومساعدتهم في أحوالهم ما لم يكن إثماً. والخلق هو المداراة وترك المماراة. والخلق رعاية حقوق المسلمين وحفظ عهد الإخوان.

ثم الزيارة: والزيارة على وجوه: زيارة لبيت اللّه الحرام في أداء فريضته فيه مع حفظ حرماته، وزيارة لقبر نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم مستشفعاً به إلى ربه في حوائجه. قال اللّه عز وجل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾[3].. الآية، وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: «من زار قبري

= كان أعلمَ مشايخ وقته بعلوم الطائفة، وعالماً بعلوم الشرع، مقدّماً فيه. وكان ذا لسان وبيان. يقول السلمي: «وبلغني أنه كان بطرسوس، فطلب من يرسل إلى الروم فلم يجدوا مثله في فضله وعلمه وفصاحته، وبيانه ولسانه». (طبقات الصوفية: ٤٢٠ ــ ٤٢٣، تاريخ بغداد: ٤/٣٦١، حلية الأولياء: ١٠/٣٧٧).

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة النساء: ٦٤.

وجبت له شفاعتي»[1]. ويزور قبره صلَّى اللَّه عليه وسلَّم رجاء شفاعته في الآخرة ورجاء إيصال بركات ذلك التراب إليه في الدنيا. وزيارةالعلماء مقتبساً من علومهم ومتأدباً بآدابهم. وزيارة أهل الصلاح متقرباً بذلك إلى اللَّه عز وجل. وزيارة الوالدين للبر بهم.وزيارة المشايخ للأخذ عنهم والتبرك بلقائهم. وزيارة الإخوان قاضياً لحقوقهم وتجديداً للأخوّة[2] وحفظ الكرم. وزيارة القبور للاعتبار.

وأما السماع: فالناس فيه يختلفون. منهم من كرهه للمريدين ومنهم من أباحه لهم على حدّ، ولم يبح أحد من السماع للمريدين مطلقاً، ولكن على حدّ وتقييد. وأهل المعرفة يباح لهم السماع، بل يستحب لهم ذلك. والواصلون لا يؤثر فيهم السماع بحال، لأنهم جاوزوا محل التلوين والتغيير واختلاف الواردات، فلا ترد عليهم حال ولا وارد إلا وحالهم أعلى من ذلك. لأن من حصل في الحضرة كان مصوناً عن اعتراض الحوادث. وسماع للعوام فلا اعتبار به، لأنه سماع طبع هم فيه كالطفل يسمع صوت أمه فيألفه، وكالجمال يحدو بها حاد فتسرع السير.

وأما الوجد والوجود والتواجد: فالوجود أتم من الوجد لأنك في الوجود مطلوب وفي الوجد طالب. والتواجد يجلب الوجد، واستجلاب الوجد من غير غلبة ولا مزعج. والوجد ما يقهرك ويأخذك عما لك وعن طبعك بصدمة الوارد وغلبة الوقت. والوجد ما يلازم الطبع يحمله على ما يجد في نفسه من أحواله، لا يكون صاحبه فيه مستغرَقاً. والتواجد

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عدي في الكامل، ضعيف. وقال ابن تيمية: موضوع غير صواب. انظر: فيض القدير، ج ٦، ص ١٤٠.

(٢) في الأصل: الآخرة.

لا يظهر على صاحبه زيادة لكنه يستدعي به أحوال بعض أحوال المستمعين، ربما يعطى ذلك ويؤهّل له وربما يحرم ذلك. وغاية الوجود غيبوبته عن وجوده وعن العلم بحاله والإخبار عنه بمشاهدة موجده. ومتى بقي فيه حال يمكنه الإخبار عما يجده كان الوارد ضعيفاً. ومن كان هكذا كان محفوظاً عليه أوقاته وأفعاله وأحواله عن هتك حرمة أو تخطّي عن الشرع بحال. وهذا صدق وجوده. ووجود المتمكنين وأهل الاستقامة ظهور هيبة منهم في أسرار الحاضرين وانقطاع الأنفاس بحضرتهم فلا يبقى لأحد معه نفس ولا وقت ولا رسم ولا صفة لتمام وقته وعلو حاله. وكذلك الشمس إذا بدت طمست الأنوارَ أنوارُها[1].

ثم الحق والحقيقة: الحق هو اللّه عز وجلّ لأنه حقّق الحقائق أو حقّ الحقوق والحقيقة تصفية الأحوال عن ملاحظات الأغيار. والحقيقة مرجع العارفين عند الوصول، ومستراح الواصلين في الوصلة، ومقام المشتاقين عند هيجان الوله. والحقيقة إذ صحّت أوصلت المتحقق إلى الحق من غير كلفة. والحقيقة تحقيق الحق في أسرار المحقّين.

ثم المعرفة: المعرفة موهبة من اللّه عز وجلّ ينوِّر بها قلوب عباده العارفين. وعلامته في الظاهر ملازمة العبادة من غير فترة. قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لحارثة: «ما حقيقة إيمانك؟» قال: «أسهرت ليلي وأظمأت نهاري وعزفت نفسي عن الدنيا». فقال له النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «عرفت فالزم»[2]. ومن لاحظ بسره شيئاً من الكون لا يصح له

---

(١) في الأصل: أنواره.

(٢) رواه البزار بسند ضعيف عن أنس، والطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك، وسنده ضعيف أيضاً.

المعرفة، لأن المعرفة إذا صحّت أذهلت عما سوى المعروف. والمعرفة العلم بالله وأسمائه وصفاته ببلاغ القدرة ونفاذ المشية وملازمة القلة والذلة والصغار. والمعرفة إذا صحت أفنت العارف عن مشاهدة معرفته لاستغراقه في مشاهدة المعروف.

ثم اليقين: وهو تحقيق ما عند الغير (من) خبر وأخبار[1]. واليقين مشاهدة الغيب بكشف السر واليقين أن لا يتعجب من شيء لعلمه بمصدره ومورده. واليقين استقرار القلب عند صدمات الموارد. واليقين ملاحظة ما يشار إليه لتحقيق ما يبينه العلم. وإظهار الكرامات من تحقيق درجة اليقين ومقام اليقين. ولا يصح لعبد صحبته مع الحق إلاّ بتصحيح مقام اليقين. ومقام اليقين لا يبقي عليه ريباً ولا اختلاجاً ولا استدلالاً ليس؟ قهراً للمشاهدة والمعاينة. واليقين خطرات فاثبت صار محلّ حضور ومكاشفة. واليقين لا يبقى معه معارضة ولا شك. ولا يثبت اليقين إلاّ بإزالة الشكوى.

ثم التفريد: والتفريد أن تنفرد بالحق فتجرّد بتفريدك به عن الأكوان وما فيها. ومن تجرّد لغير قصد التفرد سقط عن درجة التجريد، ولا يبلغ مقام التفريد. التفريد أن يفردك الحق به وله ويقطعك عما سواه فتكون به لا بك، بل يكون هو بفناء ما سواه. والتجريد أن تسقط عن الحق الإرادات والهمم والطلب والتشرف، فيكون مجرد الظاهر والباطن والسر والعلانية عن كلّ كائن ومكون لانفراده بالفرد الذي لا يقبل القرين. فمن قصده فهو في قصده يشاهد سواه فهو عن بلوغ حقيقة التفريد والفردانية بمعزل.

---

(١) في الأصل: خبر وأخبار بدون (من).

ثم الفراسة: وهو ضياء القلب بنور الحق فيبصر به المغيبات. ولا تصح الفراسة إلاّ لمن تحقق في درجات الإيمان. والفراسة على ثلاثة أوجه: فراسة في المشاهدة، وهي أدونها، وإخبار عن غيب وهي أوسطها، وحكم على الغيب ولم يكن هذا في الأمة إلاّ للصدّيق الأكبر رضي اللّه عنه. والفراسة التي لا يجوز فيها خطأ فإنه بنور ربه يتفرس لا باستدلال نفسه. وإذا أخطأت الفراسة فهو ظن وحسبان. وقال أبو حفص النيسابوري: «ليس لأحد أن يتفرس في أحد ولكنه يتقى من فراسته، لأن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه[1]. ولم يقل تفرسوا في المؤمنين».

ثم المحبّة: والمحبّة سقوط التمييز. وسميت المحبة محبة لأنها تمحو الرسوم ولا يثبت قدماً بحال. والمحب مستغرق الذات، فانيّ الصفات. والمحبة إذا توهجت في السر عرته وأفنته عن كلّ وارد شغلاً بمحبوبه. والمحبة تخرس المحب عن الإخبار عن حاله ووصفه وشكايته. والعشق غصن من أغصان المحبة، لأن العشق يبقى معه حال وتمييز ووصف ألا ترى أنه روي عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال: «من عشق فعف فكتم...»[2]. فأبقى فيه محلّ العفة والكتمان،

---

(١) رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي سعيد وقال في التمييز تبعاً للأصل: رواه الترمذي وقال غريب... انظر: كشف الخفا، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً، ورواه جعفر السراج عن سويد، ورواه ابن المرزبان، عن أبي بكر الأزرق، ورواه الزبير بن بكار عن مجاهد مرفوعا. انظر: كشف الخفا، ج ٢، ص ٢٦٣.

وأفنى المحب عن صفاته وشواهده بقوله صلّى اللّه عليه وسلّم: «حبك الشيء يعمي ويصم»[1].

ثم الصّدق: والصدق محتاج إليه في جلّ الأحوال، وجميع الأفعال. فكل حال وفعل عري عن الصدق فهو إلى الرد أقرب منه إلى القبول. والصادق لا يقع عليه مذمة في حال. وكلّ حال تحول على الصادق يكون فيه محفوظاً أو محموداً. والصادق لا ينفك من مقام الصدق وإن عاشر أو خالط. والصدق مقام الرجال. قال اللّه عز وجلّ: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه.. الآية﴾[2]. والصديق يورث الصدّيقية كما صدق أبو بكر رضي اللّه عنه في متابعة النبـي صلّى اللّه عليه وسلّم أورثه ذلك الصدّيقية.

ثم الشّوق: وهو انزعاج القلب من غلبات موارد المحبة في تهيج الشوق على حسب تهيج الحب. فمن كانت محبته أتم كان شوقه أغلب وانزعاجه أكثر. والشوق نار تلتهب في القلب وفي شدة سطوات المحبة تظهر على الجوارح منها فترة. ومنهم من علّل مقام الشوق فقال: «الشوق لا يكون إلاّ إلى غائب، ومتى يغيب المحب عن محبوبه؟ فإن الغيبوبة نقص في المحبة». ومنهم من صححه فقال: «الشوق في المشاهدة أشد من شوق الغيبة وشوق الغيبة لطلب القربة، وشوق التداني لطلب الرضا. وشوق لا يفارق في التداني والتنائي وهو الشوق الحقيقي».

ثم علم اليقين وعين اليقين: علم اليقين ظاهر الشرع على موافقة

---

(١) رواه البخاري في التاريخ وابن حنبل في المسند وأبو داود في السنن عن أبـي الدرداء حديث حسن. انظر: فيض القدير، ج ٣، ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣.

السنّة، وعين اليقين الإخلاص في المعاملة والاتباع. وعلم اليقين اكتساب وعين اليقين موهبة. وعلم اليقين بالاستدلال، وعين اليقين بالكشف. وعلم اليقين ظاهر الشرع وعين اليقين مكاشفة الغيب. وعلم اليقين بالإخبار، وعين اليقين بالإمرار. وعلم اليقين مساعدة الأمر ومتابعته، وعين اليقين مشاهدة الحق ومطالعته.

ثم الموافقة: وهو ترك ما يستجلب المخالفة. والموافقة ترك المخالفة، ومساعدة الإخوان في مراداتهم ما لم تكن إثماً. والموافقة ترك ما يجلب عليك عتباً أو معاتبة. والموافقة تطهير السر عن كلّ ما يضادها، والموافقة ترك مرادك أجمع لمراد من تصحبه مع تحري الصلاح والنصيحة.

ثم المشاهدة: وهو مطالعة الغيب بالبصيرة. والمشاهدة رؤية الخفيّات ببصر القلب والمشاهدة دنو السر من منازل القرب، والمشاهدة تورث الحضور في المعاملات والكشف في الأحوال. وصحة المشاهدة مما تسقط عن صاحبه الرجوع إلى شيء من الأكوان ويكون مشاهداً للحق أبداً. ومن شهد نفسه لحظة قطعه ذلك عن مشاهدة الحق. ومن شاهد الحق مرة، أفناه عن مشاهدة الأغيار جملة وكان مستغرقاً في مشاهدته. ومن شاهد مشاهدة الحق إياه ألزمه ذلك الذبول والخمول وقلّة الحركة إلّا بإذن.

ثم الأنس: ولا تصح الأنس إلّا مع ملازمة التعظيم والغيبة. فمن سكن قلبه عن دوام التعظيم وادعاء الأنس أدّاه ذلك إلى الزندقة. وإذا صحّ للعبد حال الأنس استوحش عن الكلّ، ويكون محدَّثاً من محبوبه في سره فيأنس به.

ثم السُكر: وصحة السكر أن يكون صاحبه محفوظاً في حاله عن

ارتكاب محظور أو يجري عليه ذم من جهة الشرع. ويكون صحوه من السكر إلى المجاهدة. فإذا جرى عليه خرق شرع أو تضييع فريضة فهو باين عن طريق الحقيقة. والسكر وارد يذهل العبد عما فيه من التميز. فإن كان الوارد عن صحة، أدّاه إلى السكون إلى الموافقات؛ وإذا كان الوارد معلولاً يشتّت عليه وقته وحاله ويكون معذوراً.

ثم الفناء والبقاء: والفناء في الظاهر فناء كلّ خلق رديّ عن العبد، والبقاء بقاء كلّ خُلُق حسن فيه. وفي الحقيقة فناؤه عن صفاته ببقائه عن مراد اللّه فيه. وفناء أحوال العبد ببقائه مع محوّل الأحوال. والفناء ذهاب حظوظه من رؤيه فنائه، والبقاء غلبة سلطان الحق على سره فيفنيه عنه ويبقيه به.

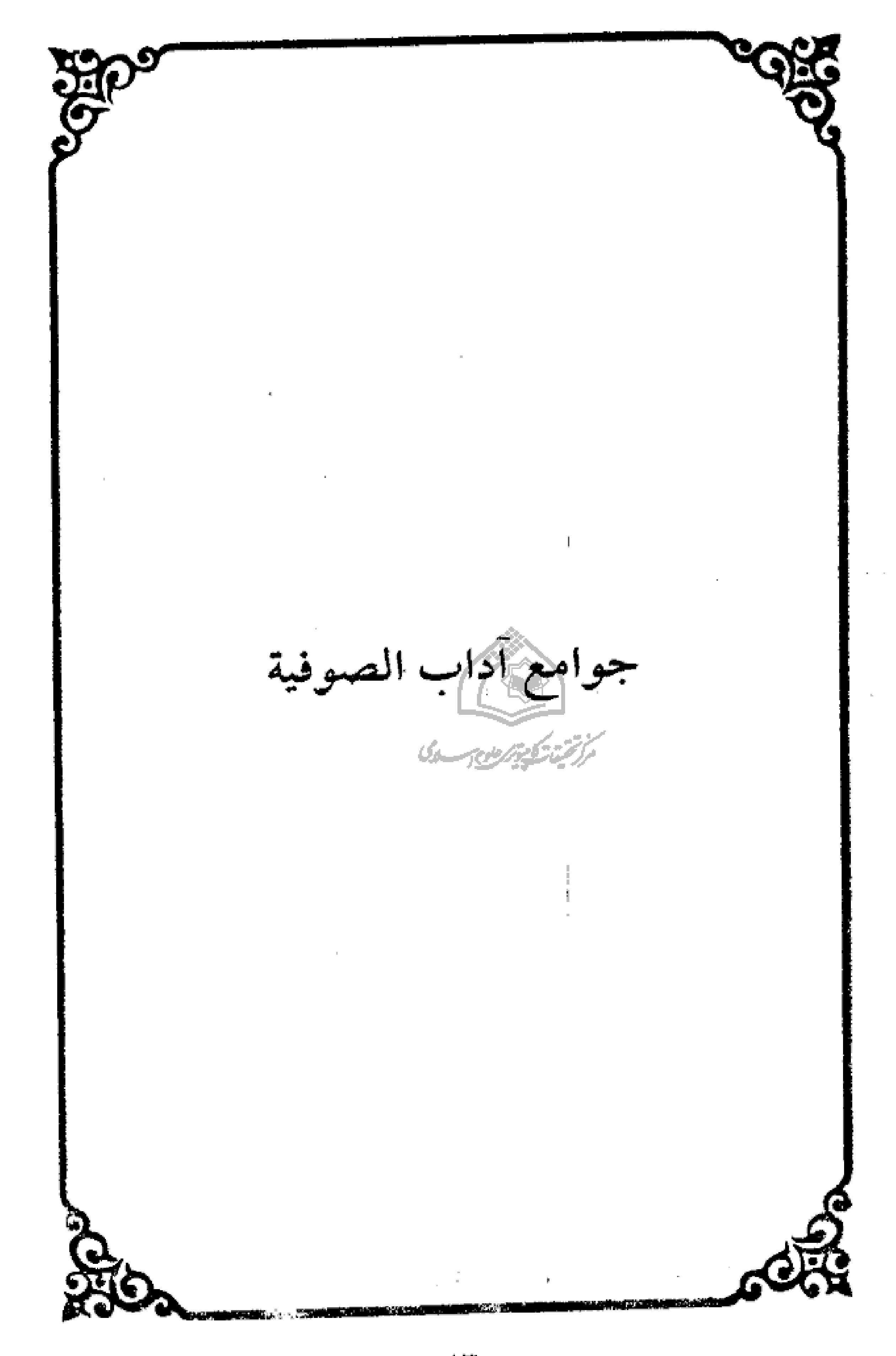
ثم الجمع والتفرقة: وهو ما سمعت النصرآباذي[15] يقول: «ما فرق من حيث جمع ولا جمع من حيث فرق، ولكن في الأوقات أشياء ليس لأحد أن يحكم على ذلك بل يحكم له في جميع الأحوال». وقال الخراز[16]: «اليقين يجمع، والعلم يفرق». وقال

[15] هو إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم النصرآباذي. سبقت ترجمته في المقدمة، تحت رقم: ٣.

[16] هو أحمد بن عيسى، أبو سعيد الخرَّاز (٢٧٩هـ / ٨٩٢م). بغداديٌّ، صحب ذا النون المصريَّ، وأبا عبدالله النباجي، وأبا عبيد البسري، وسريا السقطي، وبشر بن الحارث وغيرهم. وكان من أئمةالقوم وجلّة مشايخهم. قيل: إنه أول من تكلّم في علم الفناء والبقاء. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٢٢٨ ـ ٢٣٢، حلية الأولياء: ١٠/٢٤٦ ـ ٢٤٩، تاريخ بغداد: ٤/٢٧٦ ـ ٢٧٨، الرسالة القشيرية: ٢٩، طبقات الشعراني: ١/٧٣ ـ ٧٤ وغير ذلك).

این صفحه در اصل کتاب ناقص است





جوامع آداب الصوفية

Süleymaniye - nüshasının baş tarafı

صورة عن الصفحة الأولى من نسخة سليمانية

جوامع آداب الصوفية

لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي رحمه الله:

الحمد لله الذي زيّن أولياءه بآداب الظواهر والبواطن[١] حين أسبغ عليهم نعمه حيث قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢]، فجعل ظواهرهم متعيّناً لسنّة نبيه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وبواطنهم متزيّناً بمراقبته ومشاهدته ومنازلتهم الأحوال لما يرد ويصدر عليهم من فنون الزيادات[٣] التي يخصّهم الله بها في كلّ وقت ونفس ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٤] من عباده. ثم إنه وقع لي أن أجمع شيئاً من آداب أرباب الأحوال والمتقدمين من أولياء الله تعالى الذين لقّبوا بالصوفيّة. وهم الذين تأدّبوا بأهل الصفا، وتخلّقوا بأخلاقهم، ليعلم المنكر على جملتهم من غير حقيقة علم بهم وسيرتهم[٥] وآدابهم ليعتقد

---

(١) آ: الظاهر والباطن.

(٢) سورة لقمان: ٢٠.

(٣) آ: ـ الزيادات.

(٤) سورة البقرة: ١٠٥.

(٥) ب: وسيرهم.

فيهم حسب ما يستحقونه وذلك بعد أن استعنت بالله تعالى في ذلك وفي جميع أموري وبرئت[1] من حولي وقوتي وصلّى الله على نبينا[2] محمد وآله وسلّم كثيراً.

فمن ذلك ما أدّب الله تعالى نبيّه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، أمره[4] عز وجل بمعاشرة أمته على أحسن الأدب والأخلاق في الظاهر، ثم قطعه بالحقيقة عنهم بالرجوع إليه بقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

ومن ذلك ما أدّب الله به الخلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5].

وهذا أيضاً من جوامع الأدب ومحاسنها، وأجلّ زينة في الأدب الخلق الذي زيَّن الله به نبيه صلّى الله عليه وسلّم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6].

ومن ذلك ما أدّب الله تعالى[7] به أصحاب النبي صلّى الله عليه

---

(١) ب: ـ وبريت.

(٢) ب: على محمد النبي.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) آ: + عليه السلام ـ عز وجل.

(٥) سورة النحل: ٩٠.

(٦) سورة القلم: ٤.

(٧) آ: ـ الله تعالى.

وسلّم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)[1]﴾[2]. فكان بعد ذلك يتكلم شبه السرار[3] ولا يقرع بابه إلا بالأظافير، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)﴾[4].

ومن ذلك ما أدّب به المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم بقوله (تعالى)[5]: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)﴾[6]. وبقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[7]. وبقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[9]. وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[10]. وغير ذلك من كتاب اللّه ما يطول ذكره.

---

(١) آ: ــ ولا تجهروا... بعض.

(٢) سورة الحجرات: ٢.

(٣) آ: السر.

(٤) سورة الحجرات: ٥.

(٥) ب: ــ تعالى.

(٦) سورةالأنعام: ٥٤.

(٧) سورة الأنعام: ٦٨.

(٨) سورة الضحى: ٩.

(٩) سورة الأنعام: ٥٢.

(١٠) سورة الكهف: ٢٨.

وقد حذفت الأسانيد كلّها طلباً للاختصار. عن شقيق[18] قال، قال عبدالله[19]، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله أدّبني

---

[18] شقيق بن إبراهيم، أبو علي الأزدي البلخي (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، بلخيٌّ من مشاهير مشايخ خراسان. حسن الجري على سبيل التوكل وحسن الكلام فيه. صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة. وأسند الحديث. ويظن السلمي أنه أول من تكلّم في علوم الأحوال بكور خراسان. كان أستاذ حاتم الأصم. يقول أبو نعيم نقلاً عن حفيد شقيق علي بن محمد بن شقيق: «وقد كان لجدي ثلاثمائة قرية يوم قتل، ولم يكن له كفن يكفّن فيه، قدّم ذلك كلّه بين يديه، وثيابه وسيفه إلى الساعة معلّق يتبركون به. وقد كان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث، إلى قوم يقال لهم الخصوصية. وهم يعبدون الأصنام، فدخل إلى بيت أصنامهم وعالمهم فيه حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراء أرجوانية، فقال له شقيق: «إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء، رازق كلّ شيء». فقال له الخادم: «ليس يوافق قولك فعلك». فقال له شقيق: «كيف ذاك؟» قال: «زعمت أن لك خالقاً رازقاً قادراً على كلّ شيء، وقد تغيبت إلى ههنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول فإن الذي رزقك ههنا، هو الذي يرزقك ثم فتريح العناء». قال شقيق: «وكان سبب زهدي كلام التركي». فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم. وقتل بواشكرد في غزاة كولان. (طبقات الصوفية: ٦١ ـ ٦٦، حلية الأولياء: ٨/ ٥٩ ـ ٧٣، الرسالة القشيرية: ١٦، وفيات الأعيان: ١/ ٢٨٣، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣١٣ ـ ٣١٦، شذرات الذهب: ١/ ٣٤١).

[19] هو الصحابي الجليل: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب. أحد السابقين الأولين. كان سادس من أسلم. هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها. وكان صاحب نعلي رسول الله صلّى الله عليه وسلم. وكان يقول: «أخذت من في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة. شهد فتوح الشام، ثم سيّره عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أمور دينهم وبعث عماراً أميراً. مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠، أسد الغابة: ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٠).

فأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق (فقال)(١): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٢)» و(٣) عن شريك بن عبدالله[20] قال: «إن الرجل ليأتي العالم فما يتعلمه من أدبه أحب إليه مما يتعلّمه من حديثه». وقال ذو النون المصري[21]: «إن الله زيّن الإسلام بالعلم

---

(١) ب: ـــ فقال.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩. وأما الحديث فقد أخرجه ابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود، وأخرج ثابت السرقسطي شبيهه في الدلائل بسند واه. قال ابن تيمية: لا يعرف له إسناد ثابت. وقال في اللآلي معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية، فقال: لا يصح ففي إسناده ضعفاء ومجاهيل. انظر: كشف الخفاء، ج ١، ص ٧٢؛ والتذكرة في الأحاديث المشهورة، ص ١٦٠ ـــ ١٦١.

(٣) آ: سو.

[20] شريك بن عبدالله بن الحرث بن أوس، أبو عبدالله النخعي الكوفي القاضي (٩٥ ـــ ١٧٧هـ / ٧١٣ ـــ ٧٩٣م). ولد ببخارى، وكان جده قد شهد القادسية. أدرك عمر بن عبدالعزيز، وسمع كثيراً من الشيوخ، قدم بغداد مرات وحدث بها. صار قاضياً بواسط، ثم بالكوفة وكان يشرب النبيذ. قال الخطيب: «وكان خطيباً للسلطان. يختلف إلى باب الخليفة ببغداد. فجاء يوماً فوجدوا منه ريح نبيذ، فقال بعضهم: نشم رائحة أبي عبدالله، قال: مني، مني. قالوا: لو كان هذا منا لأنكر علينا. قال: لأنكما مريبان». (تاريخ بغداد: ٢٧٩/٩ ـــ ٢٩٥). قال ابن حجر: صدوق يخطىء كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة. وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع. (تقريب التهذيب: ٣٥١/١).

[21] ذو النون بن إبراهيم المصري، أبو الفيض (٢٤٥هـ / ٨٥٩م)، ويقال: ثوبان بن إبراهيم، وذو النون لقب. ويقال: الفيض بن إبراهيم. مولى لقريش، أحد المشايخ المشهورين. وكان حكيماً فصيحاً. وقد شكي عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق، فلما دخل عليه وعظه فأبكاه فرده مكرماً. فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثني عليه. (طبقات الصوفية: ١٥ ـــ ٢٦، حلية =

ورفعه بالأدب وأكرمه بالتقوى». وقال أبو حفص(١): «الأدب ميراث حسن المعاملة بالإخلاص مع الله». (وقال النباجي: «لكلّ شيء خادم وخادم الدين الأدب»(٢)). وقال النباجي[22]: «الأدب حلية الأحرار وهو حسن الصحبة مع الأكابر وقبول أقوالهم(٣)، والاقتداء بآدابهم وأخلاقهم، والتزام حرماتهم، وحسن الخلق مع الأقران والرفقاء». وقال أبو عبيد البسري(٤)[23]: «الأدب في العبادة أشرف وأحسن من طول الظماء في الهواجر ودوام السهر في الليالي، لأن الأدب يوجب القربة والظماء والسهر يوجبان الأجر والثواب، ومن ظهر فيه آداب المريدين استبشرت الملائكة برؤيته، وافتخر أهل الجنة بمشاهدته». (و) قال الصبيحي(٥)[24]: «سيرة الأولياء ثلاثة: الورع (وحسن الأدب

= الأولياء: ٣٣١/٩ ـ ٣٩٥، ٣/١٠ ـ ٤، طبقات الشعراني: ٨١/١ ـ ٨٤، الرسالة القشيرية: ١٠، تاريخ بغداد: ٣٩٣/٨ ـ ٣٩٧، البداية والنهاية: ٣٤٧/١٠ وغير ذلك).

(١) ب: أبو جعفر.
(٢) آ: ـ وقال النباجي... الأدب.

[22] هو ابو عبدالله سعيد بن يزيد النباجي، أحد عباد الله الصالحين. يحكي عنه حكايات وأحوالاً أحمد بن أبي الحواري الدمشقي وغيره. (الأنساب: ٥٥٢).

(٣) آ: الأقوال.
(٤) في الأصل: النسوي. وهو تصحيف، وفي نسخة: أبو عبدالله اليسري.

[23] هو أبو عبيد، محمد بن حسان البسري، من قدماء مشايخ الشام. صحب أباتراب النخشبي. (نتائج الأفكار القدسية: ١٦١/١، طبقات الصوفية، حاشية: (ب)).

(٥) ب: الخمي.

[24] الصبيحي: لم أعثر على ترجمة له.

والعبادة)(١)». وقال سهل (بن عبدالله)[25]: «لا يسلم من الهوى إلاّ الأنبياء وبعض الصديقين ليس كلّهم، وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب، لأن الحكماء قالوا: إن أزين شيء في العبد(٢) الأدب». وقال سهل (بن عبدالله): «الاستخفاف بالأدب يدعو إلى الاستخفاف بالحرمة، والاستخفاف بالحرمة يدعو إلى ترك التعظيم، وفي ترك التعظيم ترك الشكر، وبترك الشكر يخشى مفارقة الإيمان، لأن إيمان العبد لا يصح إلا بالأدب، وسوء الأدب يدلّ على قلّة المعرفة». وقال أبو عثمان[26]: «لم أجد للعبد منزلة خيراً له من الأدب الصالح، لأن حياة العقل الأدب، وبالأدب يبلغ العبد إلى سنيّ الأحوال ورفيع الدرجات في العالمين»(٣). وقيل: الأدب حفظ لسانك إذا نطقت،

---

(١) ب: والأدب وحسن العبادة.

[25] هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التستري، أبو محمد (٢٨٣ أو ٢٩٣هـ/ ٨٩٦ أو ٩٠٥م). أحد أئمة القوم وعلمائهم، والمتكلّمين في علوم الرياضات والإخلاص، وعيوب الأفعال. صحب خاله سوّار، وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة، وأسند الحديث. وهو أوّل من دوّن تفسيراً على المنهج الصوفي الإشاري. ترجمته في: (طبقات الصوفية: ٢٠٦ ـ ٢١١، حلية الأولياء: ١٠/١٨٩ ـ ٢١٢، الرسالة القشيرية: ١٨، طبقات الشعراني: ١/ ٩٠ وغير ذلك).

(٢) ب: العبيد.

[26] أبو عثمان ثلاثة ذكروا في الرسائل، وهم: أبو عثمان الحيري، وأبو عثمان المغربي، وأبو عثمان الأدمي. وسوف يترجم لهم عند ورود أسمائهم بصراحة. أما هنا فلم أقدر على تحديد المقصود.

(٣) ب: في الحالين.

وحفظ قلبك إذا خلوت». وقيل: «الأدب تعظيم من(١) فوقك والرفق بمن(٢) دونك، وحسن معاشرتك مع أقرانك». وقيل: «العاقل من أبصر العواقب، والأديب من أحكم التجارب». وقيل: «الأدب كفّ اللسان، وحفظه، وذلّة النفس، وسلامة القلب». وقيل: «أدب العارف فوق كلّ أدب لأن معرفته مؤدِّب قلبه». وقال سريّ السقطي [رحمة اللّه عليه][27]: «حسن (٣)الأدب من كمال العقل».

فمن آدابهم منعهم أنفسهم عن الشهوات. وقال أبو حفص (سمعت)(٤) ابن بشر الحافي[28] يقول: «تشهّا بشر الحافي سفرجلة

(١) ب: + هو.
(٢) ب: + هو.

[27] سريّ بن مغلّس السَّقطيّ، أبو الحسن (٢٥١هـ/ ٨٦٥م). يقال: إنه خال الجنيد، وأستاذه. صحب معروفاً الكرخيّ. وهو أول من تكلّم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال. وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وإليه ينتمي أكثر الطبقة الثانية من المشايخ المذكورين في طبقات الصوفية للسلمي. وأسند الحديث. ترجمته في: (طبقات الصوفية: ٤٨ ـ ٥٥، حلية الأولياء: ١١٦/١٠ ـ ١٢٧، تاريخ بغداد: ١٨٧/٩ ـ ١٩٢، الرسالة القشيرية: ٢٥، طبقات الشعراني: ٨٦/١ ـ ٨٧، وفيات الأعيان: ٢٥١/١ وغير ذلك).

(٣) آ: ـ رحمة اللّه عليه.
(٤) في الأصل: ـ سمعت. وفي نسخة ب: بنت أخت وهو صحيح لأن بشراً لم يتزوج.

[28] بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبداللّه الحافي، أبو نصر (١٥٠ ـ ٢٢٧هـ/ ٧٦٧ ـ ٨٤١م). أصله من مرو، سكن بغداد ومات بها. وهو ابن عم علي بن خشرم. وقد انحدر من نسل الزعماء والكتّاب. وكان جده أسلم على يد علي بن أبي طالب. صحب الفضيل بن عياض. وكان =

فقالت أمي اذهب واطلب سفرجلة، قال: فجئت بها، فأخذها وجعل يشمّها ثم وضعها بين يديه. قالت أمي: يا أبا نصر كلها، قال: ما أطيب رايحتها(١)، فما زال يشمّها حتى مات ولم يذقها».

ومن آدابهم تقريبهم الأجل وتقصيرهم الأمل. قال سري السقطي: «كان معروف الكرخي[29] يؤذّن ويقيم ولا يتقدّم فقدم بعض أصحابه

= عالماً ورعاً. قال المأمون: «لم يبق في هذه الكورة أحد يستحى منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث».
وكان محدثاً يحفظ الحديث الكثير، إلاّ أنه كره رواية الحديث ورآها طريقاً لطلب الدنيا حيث قال: «وما هو من سلاح الآخرة ولا من عدد الموت». فأمر دفن كتب الحديث التي كتبها. قال: «إني وإن أذنت للرجل وهو يحدث. فإنه عندي قبل أن يحدث أفضل كثيراً من كائن من الناس، وإنما الحديث اليوم طرق من طلب الدنيا ولذة، وما أدري كيف يسلم صاحبه، وكيف يسلم من يحفظه، لأي شيء يحفظه؟ وإني لأدعو الله أن يذهب به من قلبي، ويذهب بحفظه من قلبي، وإن لي كتباً كثيرة قد ذهبت، وأراها توطأ ويرمى بها فما آخذها، وإني لأهم بدفنها وأنا حيٌّ صحيح، وما أكره، تركُ ذاك خيرٌ عندي. وما هو من سلاح الآخرة ولا من عدد الموت». قال إبراهيم بن هاشم: «دفنّا لبشر بن الحارث ثمانية عشر ما بين قمطر وقوصرة ـ يعني حديثاً». (تاريخ بغداد: ٧/٧١). ترجمته في: (طبقات الصوفية: ٤٠ ـ ٤٧، حلية الأولياء: ٨/٣٣٦ ـ ٣٦٠، الرسالة القشيرية: ١٤٠، طبقات الشعراني: ١/٥٧، تاريخ بغداد: ٧/٦٧ ـ ٨٠، وفيات الأعيان: ١/٢٤٨ ـ ٢٥١).

(١) ب: ريحها.

[29] هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ (٢٠٠ أو ٢٠١ أو ٢٠٤هـ/ ٨١٥ أو ٨١٦ أو ٨١٩م). من جلّة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والفتوة. كان أستاذ سريّ السقطيّ. صحب داود الطائي، وقبره ببغداد ظاهر يستشفى به ويتبرك بزيارته. وأسند الحديث.
=

وهو محمد بن أبي توبة[30]، ليصلي فقال محمد: إن تقدّمت وصلّيت بكم هذه الصلاة لم أصلّ بكم صلاة أخرى، فقال معروف: «وأنت تحدّث نفسك أن تبلغ إلى صلاة أخرى، نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل. ولم يصلّ خلفه». وقال علي بن عبدالرحيم الصوفي[31]: من قصّر أمله واستوفى عمله لم يبق عليه حظ يشغله».

ومن آدابهم رؤية عيوب أنفسهم وقلّة الرضا عنهم. قال أبو سعيد الزيادي[32]: كان أبو حاتم العطّار[33] ظاهره ظاهر الفجّار وباطنه باطن

= واسم أبيه فيروز، أو فيروزان من الصابئة. وقيل: كان أبواه نصرانيين. وذكر السلمي أنه أسلم على يد عليّ بن موسى الرضا وكان بعد إسلامه يحجبه. فازدحم الشيعة على باب علي بن موسى فكسروا أضلع معروف، فمات، ودفن ببغداد. ولكن الذهبي لا يوافق قول السلمي قائلاً: «فلعلّ الرضا، كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق». (سير أعلام: ٣٤٣/٩). كما أن الذهبي يعتبر أن يكون المعروف قد صحب داود الطائي، وهماً من السلمي. وصفه الذهبي بقوله: «علم الزهاد، بركة العصر». وكان مستجاب الدعوة. وأفرد الإمام أبو الفرج ابن الجوزي مناقب معروف في أربع كراريس. (سير أعلام: ٣٤٣/٩). ترجمته في: طبقات الصوفية: ٨٣ ــ ٩٠، حلية الأولياء: ٣٦٠/٨ ــ ٣٦٨، الرسالة القشيرية: ١٢، تاريخ بغداد: ١٩٩/١٣ ــ ٢٠٩، سير أعلام النبلاء: ٣٣٩/٩ ــ ٣٤٥ وغير ذلك).

[30] محمد بن أبي توبة: هو هارون بن أحمد بن محمد بن الحداد بن محفوظ بن أبي توبة. لم أعثر على ترجمة له.

[31] علي بن عبدالرحيم، أبو الحسن القنادُ. من أئمة الصوفية، وممن سافر على التجريد، ولقي المشايخ. روى عن الحسين بن منصور الحلاّج شيئاً من كلامه. (الأنساب: ٦٤٢، طبقات الصوفية: ١٦٥، حاشية (١)).

[32] أبو سعيد الزيادي. لم أعثر على ترجمة له.

[33] هو أبو حاتم العطار البصري، سمع ابن سيرين، وروى عنه وكيع. (الأنساب: ٣٩٣، طبقات الصوفية، ١٤٦، حاشية (١)).

الأبرار، وكان ربما يتكلّم ويقول للفقراء: «سلوني، ولا تسألوني عن حالي، واعفوا لي عن مكاني واجعلوني لكم كالفتيلة أحرق نفسي وأضيىء لكم». و [كان](١) إذا نظر إلى أصحاب المرقعات والفوط من الصوفية يقول: «يا أصحابنا، قد نشرتم أعلامكم وضربتم طبولكم، فيا ليت شعري في اللقاء(٢) في أيّ الرجال تكونون».

ومن آدابهم علمهم بأقدار أنفسهم. قال الجنيد: «العلم أن تعلم قدرك، ومن عرف قدره هانت عليه العبودية».

ومن آدابهم المداومة على المجاهدة في كلّ الأحوال. قال إبراهيم بن أدهم[34] لرجل في الطواف: «اعلم أنك لا تنال درجة

---

(١) آ: ــ كان.

(٢) ب: ــ اللقا.

[34] إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، الخراساني، البلخي، نزيل الشام (مولده في حدود: ١٠٠ ــ ١٦٢هـ / ٧١٨ ــ ٧٧٨م). حدث عن أبيه ومحمد بن زياد الجمحي ــ صاحب أبي هريرة ــ وطبقتهم. وحدث عنه سفيان الثوري، وشقيق البلخي وغيرهم. ثقة مأمون، أحد الزهاد. وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته، ورفض الدنيا. وقال القشيري: هو من كورة بلخ، من أبناء الملوك، أثار ثعلباً أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ فنزل، وصادف راعياً لأبيه فأخذ عباءته، وأعطاه فرسه وما معه، ودخل البادية، وصحب الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام. وكان يأكل من الحصاد وحفظ البساتين. وتوفي سنة اثنتين وستين ومائة، وقبره بزار. ترجمته في (التاريخ الكبير للبخاري: ١/٢٧٣، =

الصالحين حتى تجوّزت عقبات: أولها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثاني تغلق باب العزة وتفتح باب الذلّ، والثالث تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابع تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامس تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادس تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت».

ومن آدابهم أن لا يجالسوا الفقراء ومعهم سبب. كذلك حكي عن الجنيد أنه قال: «جاء إبراهيم الصياد[35] إلى سريّ وهو متزر بحصير، فأشار سريّ إلى بعض جلسائه فأتى بجبّة صوف فامتنع من لبسه. فقال له سريّ: خذه فإنه كان معي عشرة دراهم من وجه طيّب، فدفعتها حتى اشتريت هذه الجبّة، فقال له: أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم. وامتنع من لبسه».

ومن آدابهم استعمال الورع ظاهراً وباطناً، [قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١) ورجوعهم عن المخالفة ظاهراً وباطناً](٢)، قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾(٣). قال

= الجرح والتعديل: ٨٧/٢، حلية الأولياء: ٣٦٧/٧، الكامل لابن الأثير: ٥٦/٦، تهذيب الكمال: ٢٧/٢ ـ ٣٩، سير أعلام النبلاء: ٢٨٧/٧ ـ ٣٩٦ وغير ذلك).

[35] إبراهيم الصياد: لم أعثر على ترجمة له.

(١) سورة لقمان: ٢٠
(٢) ب: ـ قال الله... وباطناً.
(٣) سورة الأنعام: ١٢٠.

يحيى بن معاذ الرازي[36]: «الورع ورعان: ورع في الظاهر وورع في الباطن، فأما ورع الظاهر فلا يتحرك إلّا لله، وأمّا ورع الباطن فلا يدخل قلبه شيء سوى الله».

ومن آدابهم لزوم الفقر. قال إبراهيم بن فاتك[37]: «نعت الفقير السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود».

ومن آدابهم قلّة الرضا عن النفس وسوء الظنّ بها في كلّ حال. قال عبدالله بن مبارك[38]: «لا يحسن الظنّ بنفسه إلّا من لا يعرف عذر

---

[36] يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا (٢٥٨هـ / ٨٧١م) تكلّم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه. وكانوا ثلاثة اخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم. أكبر سناً إسماعيل، ويحيى أوسطهم، وأصغرهم إبراهيم. وكلّهم كانوا زهّاداً. خرج يحيى إلى بلخ وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ومات بها. وروى الحديث. ترجمته في: (طبقات الصوفية: ١٠٧ ــ ١١٤، حلية الأولياء: ١٠/٥١ ــ ٧٠، تاريخ بغداد: ١٤٠/٢٠٨ ــ ٢١٢، الرسالة القشيرية: ٣١، طبقات الشعراني: ١/٩٤، سير أعلام النبلاء: ١٣/١٥ ــ ١٦ وغير ذلك).

[37] إبراهيم بن فاتك بن سعيد البغدادي، أبو الفاتك، أو أبو القاسم. كان والده شيخاً شاميًّا من بيت المقدس، وكان إبراهيم خادماً للحلّاج. صحب الجنيد والنوريّ. وكان الجنيد يكرمه. (كتاب الطواسين للحلّاج: ٢٠٦، طبقات الصوفية: ١٦٨، حاشية (١)).

[38] عبدالله بن المبارك المروزيّ التركيّ الأب، الخوارزميّ الأم (١١٨ ــ ١٨١هـ / ٧٣٦ ــ ٧٩٧م). ثقة ثبت، عالم جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير. أفنى عمره: في الأسفار حاجّاً، ومجاهداً وتاجراً. سمع سليمان التيمي، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وأممًا سواهم حتى كتب عمن هو أصغر منه. دوّن العلم في الأبواب، والفقه، وفي الغزو، والزهد، والرقائق وغير ذلك. وحدث عنه خلق لا يحصون. قال ابن مهدي: الأئمة أربعة: مالك، والثوري، وحماد بن زيد، وابن المبارك. وقد فضله أيضاً على الثوري. ترجمته في (تاريخ بغداد: ١٠/١٥٢ ــ ١٦٩، تذكرة الحفاظ: ١/٢٧٤ ــ ٢٧٩).

نفسه». وقال ذو النون (المصري)(١): «أعرف الناس بنفسه أسوأهم بها ظناً».

ومن آدابهم في السفر حفظ الهمِّ، وحسن الصحبة، وخدمة الرفقاء، وترك الخيانة في الأسباب. وسئل رويم[39] عن آداب المسافر قال: «أن لا يجوز همّه قدميه وحيثما وقف قلبه يكون منزله». قال محمد بن إسماعيل الفرغاني[40]: «كنا نسافر مقدار عشرين سنة، أنا وأبو بكر الزقاق(٢)[41] وأبو بكر الكتاني، لا نختلط بأحد من الناس

---

(١) آ: ـ المصري.

[39] رويم بن أحمد بن يزيد، أبو محمد (٣٠٣هـ / ٩١٥م) من أهل بغداد ومن جلّة مشايخهم. وجده حدث عن ليث بن سعد. وكان رويم فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرئاً. فقد قرأ على إدريس بن عبدالكريم الحدّاد. (طبقات الصوفية: ١٨٠ ـ ١٨٤، حلية الأولياء: ١٠/٢٩٦ ـ ٣٠٢، الرسالة القشيرية: ٢٤، طبقات الشعراني: ١/٧٠، تاريخ بغداد: ٨/٤٣٠ ـ ٤٣٢، صفوة الصفوة: ٢/٤٤٢).

[40] هو محمد بن إسماعيل الفرغاني. المحدّث الثقة، أبو العباس، صاحب مالك بن أركين الضرير الفرغاني التركي، نزيل دمشق. حدث عن الفلّاس، ومحمد بن المثنى وطبقتها. وعنه أبو علي بن هارون، وأبو عمر بن فضالة، ومحمد بن سليمان الربعي. وثقه الخطيب. ترجمته في: (سير أعلام النبلاء: ١٤/٢٥٨ ـ ٢٥٩، تاريخ بغداد: ٨/٢٧١ ـ ٢٧٢، الأنساب: ٤٢٤، ذكر أخبار أصبهان: ١/٣٠٢، وغير ذلك).

(٢) ب: ـ وأبو بكر الزقاق.

[41] هو محمد بن عبدالله، أبو بكر الزقاق ـ نسبة إلى الزق وبيعه وعمله ـ أحد شيوخ الصوفية الكبار. له كرامات ظاهرة. يفهم مما ورد من كلامه في الحلية أنه كان ضريراً، حيث قال: «كان سبب ذهاب بصري: أني خرجت في وسط أريد مكة، =

ولا نعاشر أحداً، فإذا قدمنا إلى بلد كان فيه شيخ سلّمنا عليه وجلسنا عنده ساعة، ثم رجعنا إلى المسجد، فيتقدم الكتاني ويصلّي من أول اللّيل إلى أن يصبح، ويختم القرآن، ويجلس الزّقّاق مستقبل القبلة، وأقعد أنا متفكراً إلى أن أصبح، ثم نصلّي كلّنا(١) صلاة الغداة بوضوء العتمة، قال: فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا». وسئل أبو عمران الطبرستاني[42] عن العجز الذي يلحق المسافر في سفره،

= وفي وسطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل. فرمدت إحدى عيني، فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وقرحتي، وأنا من سكر إرادتي لم أحس به. وإذا أثرت الشمس في يدي قلبتها ووضعتها على عيني رضاء من البلاء، وكنت في التيه وحدي. فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة، فهتف بي هاتفٌ من شجر البادية: يا أبا بكر كلّ حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر (حلية: ١٠/٣٤٤). وكان رحمه الله من أهل المجاهدات، وله أحوال عجيبة وكرامات منها ما ذكره الجنيد: «رأيت إبليس في منامي وكأنه عريان فقلت له: ما تستحي من الناس؟ فقال: يا لله، هؤلاء عندك من الناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء. فقلت له: ومن هم، فقال: قوم في مسجد الشونيزيّ قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى أكاد أحترق». قال جنيد: «فانتبهت ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزيّ وَعَلَيَّ ليلٌ، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس رؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي قد دخلت المسجد أخرج أحدُهم رأسَه وقال: يا أبا القاسم أنت كلّما قيل لك شيء تقبل»، قال أبو الحسن: ذكر لي أبو عبدالله بن جابار أن الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزيّ: أحدهم أبو حمزة، وأبو الحسين النوري، وأبو بكر الزقاق. (تاريخ بغداد: ٥/٤٤٢ ـ ٤٤٣).

(١) ب: كلانا.

[42] أبو عمران الطبرستاني: لم أعثر على ترجمة له.

قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾(١) يعني لا تبالي ما يلحقك في سفرك بعد أن تكون متوجهاً إلى ربك.

ومن آدابهم أخذ الرفق من الله (تعالى) وترك ما يترك لله تعالى. قال أحمد بن خضرويه[43]: «من أخذ من الله أخذ بعزّ ومن ترك لله ترك بعزّ، ومن أخذ من غير الله أخذ بذلّ، ومن ترك لغير الله ترك بذلّ».

ومن آدابهم حفظ الأدب مع الله في الخلوة. قال أبو يزيد: «قمت ليلة أصلّي، فعييت فجلست ومددت رجلي فسمعت هاتفاً يهتف بي يقول: من جالس الملوك ينبغي أن يجالس بحسن أدب». وقال (أبو)(٢) محمد الجريري[44]: «جلست ليلة في الخلوة ومددت رجلي،

---

(١) سورة القصص: ٧.

[43] هو أحمد بن خَضْرَوَيْه البلخي، أبو حامد (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب النخشبي، وحاتم الأصم، ورحل إلى أبي يزيد البسطامي. وهو من مذكوري مشايخ خراسان بالفتوة. ودخل نيسابور في زيارة أبي حفص النيسابوري. قال أبو حفص فيه: «ما رأيت أحداً أكبر همة، ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه». وكان معمراً حيث قال: «باباً كنت أقرعه منذ خمس وتسعين سنة، الساعة يفتح لا أدري يفتح بالسعادة أم بالشقاء». (انظر لترجمته: طبقات الصوفية: ١٠٣ ـ ١٠٦، حلية الأولياء: ٤٢/١٠، تاريخ بغداد: ١٣٧/٤، سير أعلام النبلاء: ٤٨٧/١١ ـ ٤٨٨، طبقات الشعراني: ٩٥/١ وغير ذلك).

(٢) آ: ـ أبو.

[44] هو أحمد بن محمد بن الحسين، أبو محمد الجَرِيرِيّ (٣١٢هـ/ ٩٢٤م). لقي سريّ السقطيّ والكبار وكان من أصحاب الجنيد. وكان الجنيد يتأدب معه. وصحب أيضاً سهل بن عبدالله التستري. وهو من علماء مشايخ القوم. أقعد =

فأخذني النوم فسمعت كأن قائلاً يقول لي: ما هكذا يجالس العبيد السادة». و(١) قال سريّ السقطي: «رجعت من بعض المغازي فمررت بجدار فألقيت نفسي على قفاي ومددت رجليّ على الجدار لأستريح فهتف بي هاتف: «يا سريّ هكذا تجلس العبيد بين يدي المولى؟»».

ومن آدابهم حفظ أحكام الفقر مع الفقراء. قال أبو سعيد الخرّاز: «دخلت الرملة[45] فذهبت إلى أبي جعفر القصاب[46] فبت عنده ثم

= بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله وصحة علمه. وأسند الحديث. حج في سنة إحدى عشرة (ومائتين)، فقتل في رجوعه يوم وقعة الهبير، وطئته الجمال النافرة فمات شهيداً في أوائل المحرم وهو في عشر التسعين. (طبقات الصوفية: ٢٥٩ ـ ٢٦٤، حلية الأولياء: ٣٤٧/١٠ ـ ٣٤٩، الرسالة القشيرية: ٣٠، تاريخ بغداد: ٤٣٠/٤ ـ ٤٣٤، نتائج الأفكار القسية: ١٧١/١ ـ ١٧٢، طبقات الشعراني: ١١٠/١ وغير ذلك).

(١) ب: ـ و.

[45] الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، كانت قصبتها. بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً. وهي مدينة قديمة. لما ولي الوليد بن عبدالملك الأمر ولى أخاه سليمان جند فلسطين، فنزل القدس ثم الرملة ومصّرها وبنى فيها قصره، واختطّ المسجد وبناه، ونقل الناس إليها وهي الآن بلدة على الطريق بين يافا والقدس، معروفة بآبارها العذبة وبساتينها الجميلة. (دائرة المعارف البستاني: ٦٧٧/٨).

[46] أبو جعفر القصّاب: هو محمد بن علي، أبو جعفر القصاب (٢٧٥هـ / ٨٨٨م). بغداديٌّ، كان أستاذ الجنيد وكان الجنيد يقول: «الناس ينسبونني إلى سريّ ـ يعني سريّ السقطي ـ وكان أستاذي محمد القصاب». سئل أبو جعفر القصاب: «ما بال أصحابك محرومين من الناس» قال: «لثلاث خصال: إحداها أن الله لا يرضى لهم ما في أيديهم، ولو رضي لهم ما لهم لترك ما لأنفسهم عليهم، والثانية أن الله لا يرضى أن يجعل حسناتهم في صحائفهم ولو رضي لهم لخلطهم بهم، والثالثة أنهم قوم لم يسيروا إلاّ إلى الله تعالى، فمنعهم كلّ شيء سواه وأفردهم به». (تاريخ بغداد: ٦٢/٣).

خرجت من الرملة إلى بيت المقدس فجاء إلى بيت المقدس خلفي وقد حمل معه كسيرات وقال: اجعلني في حلّ وكان هـذا في البيت ولم أدر(١)».

ومن آدابهم أن لا يواجهوا أحداً بمكروه حال. عن أنس بن مالك[47] قال: « «كَان رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لاَ يُواجِهُ أَحَداً بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ»(٢).

---

(١) في الأصل: ولم أدري.

[47] أنس بن مالك بن النضر... الأنصاري الخزرجي (١٠ قبل الهجرة ـ ٩٣هـ / ٦١٢ ـ ٧١١م)، خادم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. وكان يجتمع هو وأم عبدالمطلب ـ جدة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم سلمى بنت عمرو بن زيد ـ وكان يكنى أبا حمزة. كناه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ببقلة اجتناها. له صحبة طويلة منذ هجرة النبي إلى وفاته صلَّى الله عليه وسلَّم. روى عنه الحسن والزهري، وقتادة وجماعات. وكان يخضب بالصفرة أو بالحناء أو بالورس، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به. وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمه وقالت: «كان النبي يمدها ويأخذ بها». وداعبه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: «يا ذا الأذنين» كما دعا له النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بالبركة. وكان أحد الرماة المصيبين ويأمر ولده أن يرموا بين يديه وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة إصابته. وكان يلبس الخزّ ويتعمَّم به. توفي بالبصرة وهو ابن تسع وتسعين سنة. وإذا اعتبر أنه ولد قبل الهجرة بعشر سنين، يلزم أن يبلغ عمره ثلاثاً ومائة سنة. وقال محمد بن عبد الله الأنصاري القاضي إنه عاش مائة سنة وسبع سنين. وقد دفن في قصره على فرسخين من البصرة. (أسد الغابة: ١٢٧/١ ـ ١٢٩، طبقات ابن سعد: ١٧/٧؛ التاريخ الكبير: ٢٧/٢؛ سير أعلام النبلاء: ٣٩٥/٣ ـ ٤٠٦؛ الجرح والتعديل: ٢٨٦/٢ وغير ذلك).

(٢) رواه أحمد بن حنبل والبخاري في الأدب وأبو داود والنسائي، فيض القدير، ج ٥، ص ١٩١.

ومن آدابهم حرصهم على أن يجمعوا إخوانهم على رفق. عن علي[48] رضي الله عنه قال: «لأن أجمع ناساً من إخواني على صاع من الطعام أحبّ إليّ من أن أدخل سوقكم فأبتاع نسمة فأعتقها». قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ أَسْرَعَ صَدَقَةٍ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ طَعَاماً طَيِّباً ثُمَّ يَجْمَعَ عَلَيْهِ ناساً مِنْ إِخْوَانِهِ»(١).

ومن آدابهم تعظيم الأكابر والرفق بالمريدين وحسن العشرة مع الإخوان لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوقِّرْ كَبِيرَنَا»(٢). و(٤) يقل رسول الله(٣) صلّى الله عليه وسلّم الصغير والكبير. إن الصغير(١) من يقبل نصيحة الأكابر والمشايخ ومن

---

[48] هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، أبو الحسن (٣٣ قبل الهجرة ـ ٤٠هـ/ ٥٩٠ ـ ٦٦١م)، ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وصهره على ابنته فاطمة عليها السلام. هو أول الناس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها. هاجر إلى المدينة وشهد جميع المشاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا تبوك فإن الرسول صلّى الله عليه وسلّم خلّفه على أهله. كان إماماً عالماً متحرياً في الأخذ بحيث أنه يستحلف من يحدّثه بالحديث. وقد استشهد رضي الله عنه في سابع عشر رمضان من عام أربعين وسنه ثلاث وستون سنة (أسد الغابة: ٤/١٦ ـ ٤٠، تذكرة الحفاظ: ١/١٠ ـ ١٣).

(١) لم أجد هذا الحديث في مرجع آخر.

(٢) رواه الترمذي عن أنس، حديث صحيح. فيض القدير، ج ٥، ص ٣٨٨، ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب: ٥٨، وابن حنبل، ج ١ ص ٢٨٥، ج ٢، ص ١٨٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ج ٥، ص ٣٢٨.

(٣) ب: النبي.

(٤) ب: ـ الصغير.

فوقه في الحال والعلم والسنّ. وقوله: كبيرنا هو الذي يدلّ الصغير على سبيل الرشد وينصحه نصيحة شفقة ورفق.

ومن آدابهم آداب الأكابر (وهو) أن يستعمل الأدب ليأخذ الصغير عنه طريقته وشمائله. وأحسن الأدب ما يؤخذ عنه استعمالاً لا قولاً.

ومن آدابهم حفظ الجوارح على اتباع الأوامر. قال(١) أبو بكر الورّاق[49]: «الأدب حفظ لسانك إذا نطقت، وحفظ قلبك إذا خلوت، وحفظ عينك إذا خرجت، وحفظ حلقك إذا أكلت، وحفظ يدك إذا بسطت، وحفظ رجلك إذا مشيت، وحفظ أوقاتك في جميع تصرّفاتك. فمن لم يحفظ جوارحه وأهمل وقته رجعت جوارحه إلى سوء الأدب، ومن حفظ وقته وراقب سرّه حفظ اللّه عليه أوقاته وجوارحه».

ومن آدابهم ما قال محمّد بن علي الترمذي[50]، قال: «إن الأدب

---

(١) آ: وقال.

[49] هو محمد بن عمر الحكيم، أبو بكر الورّاق (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). أصله من ترمذ وأقام ببلخ. لقي أحمد بن خضرويه وصحبه. وصحب محمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخي. له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب وأسند الحديث. من آثاره: «العالم والمتعلّم». (طبقات الشعراني: ١٠٦/١، الرسالة القشيرية: ٢٩، طبقات الصوفية: ٢٢١ ـ ٢٢٧، حلية الأولياء: ٢٣٥/١٠ ـ ٢٣٧، نتائج الأفكار القدسية: ١٦٦/١ ـ ١٦٧، معجم المؤلفين: ٧٨/١١).

[50] هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي، أبو عبداللّه. لقي أبا تراب النخشبيّ، وصحب يحيى بن الجلاء، وأحمد بن خَضْرويه. وهو من كبار مشايخ خراسان. وكان ذا رحلة ومعرفة، وله التصانيف المشهورة. كتب الحديث الكثير ورواه. سمع الحديث بخراسان، والعراق، وحدث عن أبيه وعن =

أن يحافظ في معاملاته بحيث لا يعيب عليه الكبراء، ولا يأخذ من الدنيا ما يعيب عليه الزّهاد، ولا[1] يقع له من إيثار الدنيا على الأخرة[2] ما يعيب عليه الحكماء، ويكون في خلوته[3] مع سيّده بحيث لا يعيب عليه الحفظة. وأصل الأدب وتمامه أن لا ينظر بسرّه إلا إلى مولاه ولا يطلب (في الدارين)[4] إلا رضاه».

ومن آدابهم قلّة الأكل والنوم. قال الجنيد: «الصوفي طعامه طعام المرضى، ونومه نوم الغرقى». وقال محمد بن علي الترمذيّ: «اهجر النوم والأكل فإنك إذا أكلت كسلت وإذا نمت غفلت».

= قتيبة بن سعيد، وصالح بن عبدالله الترمذي وغيرهم. روى عنه يحيى بن منصور القاضي وغيره من علماء نيسابور.

قال السلمي: نفوه من ترمذ وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، كتاب «علل الشريعة». وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً، وأنه يفضل الولاية على النبوة». واحتج بحديث: «يغبطهم النبيون والشهداء» (أخرجه الترمذي في الزهد، رقم ٢٣٩٠، وابن حنبل في المسند: ٥/٢٢٩، ٢٣٩، ٣٢٨).

فقدم بلخ فقبلوه لموافقته لهم في المذهب. ثم اعتذر السلمي عنه ببعد فهم الفاهمين. وقال السبكي: ولعلّ الأمر كما زعم السلميّ، وإلاّ فما نظن بمسلم أنه يفضّل بشراً على الأنبياء عليهم السلام. (طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٢٠).

ترجمته في (طبقات الصوفية: ٢١٦ ـ ٢٢٠، حلية الأولياء: ١٠/٢٣٣ ـ ٢٣٥، سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٣٩ ـ ٤٤٢، تذكرة الحفاظ: ٢/٦٤٥ وغير ذلك).

(١) آ: أولا.

(٢) آ: ـ على الأخرة.

(٣) آ: في خلواته.

(٤) آ: ـ في الدارين.

ومن آدابهم إيثار طاعة اللّه في كلّ الأحوال، واتهام النفس، وقبول النصيحة من الإخوان. قال أبو بكر الورّاق: من جوامع الأدب أن يطيع العبد مولاه سرًّا وعلناً، لا يخالفه في لحظة ولا خطرة ويحسن إلى من أساء إليه، ولا يتبع مراد النفس، ويشكر عند النعمة، ويصبر عند الشدّة، ويتفضّل على من دونه، ويقبل مشورة من يشور(١) عليه».

ومن آدابهم أن لا يشغلوا جوارحهم إلا في موافقة مولاهم، وأن يعذروا إخوانهم فيما يجري عليهم، ولا يعيّرونهم إلاّ في ارتكاب كبيرة أو ترك فريضة. قال محمد بن حامد الترمذي[51](٢): «حسن الأدب مع اللّه أن لا تحرّك شيئاً من جوارحك إلاّ في مرضاته، وحسن الأدب مع الخلق أن تعذرهم فيما يجري الحق عليهم، ولا يعيّرهم إلاّ في مخالفة فريضة أو سنّة». وقال أبو عثمان الحيري[52]: «من أدّب نفسه تأدّب به

(١) ب: يشير.

[51] محمد بن حامد الترمذي، أبو بكر. من جلّة مشايخ خراسان. كان صاحب خلق حسن. لقى قدماء مشايخ بلخ مثل أحمد بن خضرويه ومن بعده. (طبقات الشعراني: ١/٨٠).

(٢) آ: + يقول.

[52] أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحيري النيسابوري (٢٩٨هـ/ ٩١٠م). أصله من الريّ. صحب قديماً يحيى بن معاذ الرازي، وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور إلى أبي حفص، وصحبه وأخذ عنه طريقته. وزوّج ابنته. وكان في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقة التصوف بنيسابور، وأسند الحديث. ومات بنيسابور. (طبقات الصوفية: ١٧٠ ـ ١٧٥، حلية الأولياء: ١٠/٢٤٤ ـ ٢٤٦، الرسالة القشيرية: ٢٥، تاريخ بغداد: ٩/٩٩ ـ ١٠٢، البداية والنهاية: ١١/١١٥، تذكرة الأولياء: ١/٢٢٨ ـ ٢٣٥).

كل أحد، ومن خالف أهل الأدب تخطا الحرمات وصار متبوعه بطّالين».

وقال يوسف بن الحسين[53]: «قيمة كل عامل أدبه، فمن تعطل من الأدب فلا قيمة له». وقال محمد بن الفضل[54]: «من استعمل آداب الظاهر تأدّب بظاهره(١) ظاهر أصحابه، ومن استعمل آداب الباطن وقعت له الهيبة في قلوب الخلق».

ومن آدابهم حفظ السر ومراعاة الظاهر. قال أبو عثمان الحيري: «الأدب أدبان: أدب السر وأدب الظاهر، فأدب السر طهارة القلب من العيوب، وأدب الظاهر حفظ الجوارح من الذنوب وزيادةالأخلاق».

ومن آدابهم إيثار الخلق على أنفسهم في كل الأحوال. كذلك سئل عبدالله المعروف بالأخوين المروزي[55] عن أدب هذه الطائفة فقال: «[أصل](٢) آدابهم إيثار موافقة الخلق فيما وافق الحق على موافقة أنفسهم فيما دقّ وجلّ».

---

[53] يوسف بن الحسين، أبو يعقوب الرازي (٣٠٤هـ / ٩١٦م) شيخ الريّ والجبال في وقته. كان أوحدَ في طريقته في إسقاط الجاه، وترك التصنع، واستعمال الإخلاص. صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشبي، ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره. وكان عالماً ديِّناً. (طبقات الصوفية: ١٨٥ ــ ١٩١، حلية الأولياء: ١٠/٢٣٨ ــ ٢٤٢، تاريخ بغداد: ١٤/٣١٤ ــ ٣١٩، الرسالة القشيرية: ٢٩، طبقات الشعراني: ١/١٠٠، البداية والنهاية: ١١/١٢٦، شذرات الذهب: ٢/٤٢٥).

[54] لعله محمد بن الفضل السدوسي، أبو النعمان البصري الحافظ، المعروف بعارم. كان ثقة. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٣٩٤).

(١) آ: بآدابه.

[55] عبدالله المعروف بالأخوين المروزي. لم أعثر على ترجمة له.

(٢) آ: ــ أصل.

ومن آدابهم حفظ شرائط الأدب على أنفسهم في القليل والكثير مخافة أن يتعدّى ذلك بهم إلى إهمال السنن والفرائض. قال عبدالله بن المبارك[56]: «من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان التوحيد».

ومن آدابهم حفظ الوقت والاكتفاء بأقلّ القليل. وقال[1] سهل: «من اكتفى باليسير في الملبس والمطعم لم يستعبده أحد من الخلق»، وقال: «وقيل الوقت أعزّ الأشياء، فاشغلها بأعز الأشياء».

ومن آدابهم اختيار الفقر والقلّة والمسكنة استجلاباً بذلك محبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإنه روي أنه قال: «الْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي إِلَى أَسْفَلِهِ». وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم للذي قال له: «إني أُحبُّك» «اسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً»[2].

ومن آدابهم ترك التدبير والاختيار. قال سهل [بن عبدالله][3]: «ذروا التدبير والاختيار تكونوا في طيب من العيش، فإن التدبير والاختيار

---

[56] سبقت ترجمة له تحت رقم: ٣٨.

(١) ب: كذلك قال.

(٢) رواه الترمذي في الزهد، باب: ٣٦، وأحمد: ج ٣ ص ٤٢ ونحوه. واللفظ في الترمذي هكذا: ... عن عبدالله بن مغفل قال: «قال رجل للنبي صلّى الله عليه وسلّم: يا رسول الله والله إني لأحبك. فقال: انظر ماذا تقول؟. قال: والله إني لأحبك. فقال: انظر ماذا تقول. قال: والله إني لأحبك ثلاث مرات. فقال: إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه».

(٣) آ: ــ بن عبدالله.

يكدّر على الناس عيشهم». و(١) سمعت النصراباذي يقول في قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾(٢)، قال: «تدبير المعيشة وسياسة النفس».

ومن آدابهم ترك التصدّر، ومجانبة الأستاذيّة، والعمل في القيام بخدمة الإخوان والأصحاب. قال الجنيد: «رأيت سريّ السقطي يوماً وهو كالواجد عليّ فقال: ما هذه الجماعة التي بلغني أنّهم يجتمعون عندك؟ وكره ذلك. فقلت: «يا أبا الحسين يجيئني الرجل منهم جائع فيقول أطْعمني وعندي فضل فأطعمه، ويجيئني الرجل وبه دم ويقول أريد الحجامة فأمنعه؟ ويجيئني الرجل وهو عريان وقد كادت سوأته أن تَبدُوَ وعندي ما أكسوه فأمنعهم ذلك؟ فقال: لا تمنعهم وانبسط وكلاماً نحو هذا».

ومن آدابهم السياحات والأسفار في ابتداء الإرادة. قال يحيى الجلاء[57]، سمعت بشر الحافي يقول: «سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا وقف تغير واصفرَّ».

ومن آدابهم أن لا يقعد مع قوم على حكم التجريد ومعه سبب [قال

---

(١) ب: ــ و.

(٢) سورة فاطر: ٣٤.

[57] يحيى بن الجلاّء: كان من عباد الله الصالحين. صحب بشر بن الحرث. روى عنه قوله: «سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب وإذا وقف تغير واصفر». قيل ليحيى: «لم سمي أبوك الجلاّء؟» فقال: «ما جلا أبي قطّ شيئاً، وما كان له صنعةٌ قطّ، وكان يتكلّم على الناس فيجلو القلوب فسمّي الجلاّء» (تاريخ بغداد: ١٤/٢٠٤ ــ ٢٠٥).

حسان أبو سنان][١][58]: كان أبو تراب النخشبي[59] وأصحابه قد اجتمعوا، فلحقهم فاقة وجوع، فقال أبو تراب: «ما قصّتكم تجتمعون وتجوعون. تفاتشوا». قال: «ففعلوا فوجدوا مع واحد منهم شيئاً»، فقال له أبو تراب: هب إنك ما رحمتنا، لم ترحم[٢] نفسك؟» فأخذ ما كان معه وأنفقه على أصحابه ولم ينله منه شيء ففتح عليه.

ومن آدابهم اشتغالهم بما وجب عليهم في أوقاتهم دون الاشتغال [بتدبير الأوقات المستقبلة. قال سهل بن عبدالله: «الاشتغال][٣] بوقت ماض تضييع وقت ثان». قال: «وقيل الوقت أعزالأشياء فاشغله بأعز الأشيا». قال شقيق: «حسرة أمور قد مضت وتدبير أمور قد بقيت ذهبت ببركة عمرك».



---

(١) ب: ـ قال حسان أبو سنان.

[58] حسان: أبو سنان. لم أحصل على ترجمة له.

[59] هو عسكر بن حصين، أبو تراب النَّخْشَبِيّ (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). صحب أبا حاتم البصري، وحاتماً الأصمّ البلخيّ. وهو من جلّة مشايخ خراسان، ومن المذكورين بالعلم والفتوة، والتوكل، والزهد، والورع. قال أبو عبدالله بن الجلاء: «لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة: أولهم أبو تراب النخشبي، توفي بالبادية، قيل نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ١٤٦ ـ ١٥١. حلية الأولياء: ٤٥/١٠ ـ ٥١، الرسالة القشيرية: ٢٢، طبقات الشافعية ٥٥/٢ ـ ٥٦، طبقات الشعراني: ٩٦/١، تاريخ بغداد: ٣١٥/١٢ ـ ٣١٨، البداية والنهاية: ٣٤٦/١٠ وغير ذلك).

(٢) آ: ما ترحمنا ما ترحم.

(٣) آ: ـ بتدبير. . . الاشتغال.

ومن آدابهم مطالعة الخلق بعين الشفقة والنصيحة دون غيرها. قال احمد بن شاهويه[60] سمعت يحيى بن معاذ يقول: «لا يصح لطالب طلبه ولا لمريد عمله حتى يكون منه ثلاث خصال: يلاحظ الأغنياء بعين النصيحة، والفقراء بعين التواضع، والنساء بعين الشفقة». قال شاه الكرماني[61]: «من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الحق عذرهم على ما هم فيه، وهل يستطيعون(١) غير ما جبروا عليه؟».

ومن آدابهم رياضة النفس على الاكتفاء بالقليل من الكثير. قال عبيد بن عمر(٢)[62]، سمعت بشر الحافي ورأيته بباب الطّاق فقلت له: «ما تصنع في هذا الموضع؟» فقال لي: إن نفسي اشتهت عليّ منذ ثلاثين سنة خيارة فأبيت عليها فقالت: إن لم تطعمني فأعرض عليّ، فأرضى منه بالنظر دون الأكل، فجئت لأنظر إليها فأرضيها بذلك».

---

[60] أحمد بن شاهويه: لم أحصل على ترجمة له.

[61] شاه بن شجاع الكرماني، أبو الفوارس (قبل ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). كان من أولاد الملوك. صحب أبا تراب النَّخْشبيّ، وأبا عبدالله بن الذّرّاع البصري، وأبا عبيد البسري. وكان من أجلّة الفتيان وعلماء هذه الطبقة. ورد نيسابور في زيارة أبي حفص ومعه أبو عثمان الحيري. ويقال إن أصله من مرو. (طبقات الصوفية: ١٩٢ ـ ١٩٤، الرسالة القشيرية: ٢٩، حلية الأولياء: ١٠/٢٣٧ ـ ٢٣٨، طبقات الشعراني: ١/١٠٥ وغير ذلك).

(١) في الأصل: ـ ن.

(٢) آ: محمد.

[62] عبيد بن عمر أو عبيد بن محمد. يبدو أنه من تلاميذ بشر بن الحارث. ولم أعثر على ترجمة له.

ومن آدابهم ترك الشكوى في [كلّ](١) الأحوال كما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: «منذ عرفت الله ما شكوت أحداً قطّ لعلمي بقيام الله بأحوال العبيد. كما قرأت في بعض الكتب: إن الله يقول سوّيت الحاجات قبل الضرورات».

ومن آدابهم توسعة الصّدر فإنها من شرف الهمة. قال سهل بن عبدالله: «كن شريف الهمة فإن شرف الهمة يوسّع الصدر».

ومن آدابهم الأخذ من الدنيا بنية القوام على مقدار الكفاية دون اللذة والشهوة. قال سفيان[63]: «إذا أخذت من الدنيا شيئاً فخذه بنية القوام، قوام الدّين ثم أبصر في ذلك القوام فإن أخذته للذة نفسك وترفّهها نعمة وراحة فلا تنجو من الحساب حلالاً كان أو حراماً، ويخاف عليك من العذاب في الشهوة. والشهوة ثلاث: شهوة في الأكل وشهوة في الكلام وشهوة في النظر. فاحفظ(٢) الأكل بالنيّة، واللسان بالصدق لتنجو من الكذب والغيبة، ومن لم يحفظ العين عن العبرة عمي عن الاعتبار».

ومن آدابهم أن يجتهدوا في أن يوافق حالهم لبستهم. قال: سمعت محمد بن علي الكتاني بمكة يقول لأصحاب المرقّعات: «إخواني، والله لئن كان لباسكم هذا موافقًا لسرايركم فقد أحببتم تطلّع

---

(١) آ: ـــ كل.

[63] سفيان اثنان: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة. سوف يترجم لكل واحد منهما عند ذكر اسمهما.

(٢) ب: واحفظ.

الناس عليها، وإن كان مخالفًا لقد هلكتم».

ومن آدابهم أن لا يقعدوا عن الكسب إلا بعد أن يصح لهم التوكل وطريقته. سمعت محمد بن عبدالله[64] يقول: سمعت أبا عثمان الأدمي[65] يقول: سمعت إبراهيم الخواص[66] يقول: «لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب إلا أن يكون رجلاً مطلوباً(١) بتركه قد وقعت حال من الأحوال فاقتطعه عن مواضع كسبه، قد أعيته الحال عن المكاسب. فأما ما كانت الحاجات باقية(٢) فيه قايمة، ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلّف، فالعمل أولى به والكسب أجلّ له، لأن القعود لا يصلح له إن لم يستغن عن التكلّف». وحكي عن أبي حفص أنه

---

[64] لعله محمد بن عبدالله، أبو جعفر الفرغاني الصوفي، من فرغانة الشاش. نزل بغداد، ولزم الجنيد، واشتهر بصحبته وروى عنه كلامه. روى عنه أبو العباس محمد بن الحسن بن الخشاب البغدادي. (الأنساب: ٤٢٤).

[65] أبو عثمان الأدمي. هو من تلاميذ إبراهيم الخواص، ولم أعثر على ترجمة له.

[66] هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص (٢٩١هـ/ ٩٠٣م) من أهل سرّمنرى وهو أحد شيوخ الصوفية وممن يذكر بالتوكل وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها على التجريد، وله مصنفات. روى عنه جعفر الخلدي وغيره.
مرض إبراهيم الخواص بالريّ في المسجد الجامع، وكان به علة القيام. وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد ويركع ركعتين. فدخل الماء مرة ليغتسل فخرجت روحه وهو في وسط الماء سنة إحدى وتسعين ومائتين، وقيل: أربع وثمانين ومائتين (طبقات الصوفية: ٢٨٤ ــ ٢٨٧، حلية الأولياء: ١٠/ ٣٢٥ ــ ٣٣١، تاريخ بغداد: ٦/ ٧ ــ ١٠، الرسالة القشيرية: ٣١، طبقات الشعراني: ١/ ١١٣ ــ ١١٥، نتائج الأفكار القدسية: ١/ ١٧٥ وغير ذلك).

(١) ب: رجل مطلوب.
(٢) ب: ــ باقية.

قال: «تركت العمل فرجعت إليه ثم تركني العمل فلم أرجع إليه».

سمعت أبا بكر الرازي[67] يقول، سمعت أبا القاسم الجريري[68] يقول، سمعت الجنيد يقول: «كل صوفي عوّد نفسه مدّ اليد إلى أخذ(١) الأسباب عند وقوع الشدائد فإنه لا ينفك من رقّ نفسه ولا يحمل الصبر بحال».

ومن آدابهم دقّة النظر في خفيّ مقامات التوكل. سمعت محمد بن شاذان(*) يقول: «إني لأستحيي من الله تعالى أن أدخل البادية على

---

[67] هو محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي المذكر (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م). كان جوّالاً كثير الأسفار، راوياً لحكايات الصوفية. وكان أبو عبدالرحمن كثير الحكايات عنه مليّاً بالسماع منه. وكان ابن شاذان تارة ينزل سمرقند، ومرة بخارى، ومرة نيسابور. وهو كما يقول الذهبي منهم، يروي الأوابد والعجائب. وقال الحاكم:

ورد محمد بن عبدالله بن شاذان نيسابور سنة أربعين وثلاثمائة، والمشايخ متوافرون وهو محمود عند جماعتهم في التصوف، وصحبة الفقراء ومجالستهم، فعلقت في ذلك الوقت عنه حكايات للمتصوفة. ثم إني دخلت الري سنة سبع وستين فصادفته بها وهو ينتسب إلى محمد بن أيوب، فأخبرني عبدالعزيز بن أبان أنه أملى عليهم: محمد بن عبدالله بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي. فقلت لعبدالعزيز: لا تذكر هذا لأحد حتى ألتقي به فخلوت به وزجرته فانزجر فترك ذلك النسب، ولو سمع أهل الري بذلك لتولّد منه ما يكرهه، فإن محمد بن أيوب لم يعقب ولداً ذكراً قطّ. ثم إنا التقينا بنيسابور سنة سبعين وثلاثمائة، وما كنت رأيته قبل ذلك يحدث بالمسانيد، فحدث عن علي بن عبدالعزيز وأقرانه. والله يرحمنا وإياه. (تاريخ بغداد: ٥/٤٦٤ ـ ٤٦٥).

[68] يفهم من السياق أنه من تلاميذ الجنيد البغدادي، ولم أعثر على ترجمة له.

(١) ب: حد.

(*) هو محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي. سبقت ترجمته قبل قليل.

التوكل وأني شبعان لئلا يكون شبعي زادي أتزوّد به». سمعت أبا القاسم الرازي[69] يقول، سمعت أبا بكر بن ممشاد الدينوري[70] يقول: «من لم يدقّق النظر في حال التوكل لا يصفو له التوكّل ولا يصحّ ؛ لأن التوكل سرّ بين الله وبين عبده فإذا قصّر في طرف منه حرّم الله عليه البلوغ إلى كماله».

ومن آدابهم في الكسب ما سمعت أبا بكر محمد بن [عبد](1)الله يقول، سمعت أبا عمرو الأنماطي[71] يقول: «مكث أبو جعفر الحداد[72]

---

[69] أبو القاسم الرازي: لم أعثر على ترجمة له.

[70] ممشاذ الدينوري (٢٩٩هـ/ ٩١١م)، من كبار شيوخ الصوفية. صحب يحيى بن الجلاّء ومن فوقه من المشايخ. عظيم المرمى في هذه العلوم، أحد فتيان الجبال، كبير الحال، ظاهر الفتوة. قال السلمي: «سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت ممشاذ يقول: «طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد». وبهذا الإسناد قال ممشاذ: «لو جمعت حكمة الأولين والآخرين وادعيت أحوال السعادة من الأولياء، فلن تصل إلى درجات العارفين، حتى يسكن سرك إلى الله تعالى، وتثق به فيما ضمن لك». (طبقات الصوفية: ٣١٦ ــ ٣١٨، حلية الأولياء: ١٠/٣٥٣، الرسالة القشيرية: ٣٣، طبقات الشعراني: ١/١٣٠، صفة الصفوة: ٤/٧٨، نتائج الأفكار القدسية: ١/١٨٣).

(١) آ: ــ عبدالله.

[71] هو علي بن محمد بن بشار بن سلمان، أبو عمر الأنماطي الصوفي. بغداديّ من أصحاب الجنيد. كان أبو العباس بن عطاء أوصى إليه بكتبه حين مات، وكان ينشط إليه، ومن جهته وقع إلى الناس كتاب ابن عطاء في فهم القرآن. ذكره أبو عبدالرحمن في تاريخه (تاريخ بغداد: ١٢/٧٣).

[72] هو أبو جعفر الحداد الكبير الصوفي. كان شديد الاجتهاد، معروفاً بالإيثار. وكان من رؤساء المتصوفة. وهو بغدادي من أقران الجنيد ورويم. وكان أستاذ أبي جعفر الحداد الصغير. سافر ودخل دمشق. (تاريخ بغداد: ١٤/٤١٢ ــ ٤١٣، تاريخ دمشق: ٤٧/٢٩ ــ ٣٧).

عشر سنين يكسب كلّ يوم ديناراً ويتصدّق به وربما أنفقه على الفقراء وهو أشدّ الناس احتياجاً(١) ويخرج بين العشائين(٢) ويتصدق من الأبواب، ولا يفطر إلاّ في وقت ما أُحِلَّ له الميتة وكان من رؤساء المتصوفة».

ومن آدابهم محبّة الأسفار وصحبة الغرباء. أخبرنا أبو بكر الرازي قال، أخبرنا أحمد بن(٣) صالح[73]، قال: حدثنا أحمد بن محمد المكي[74]، حدثنا بشر بن أنس بن راشد البزّاز[75]، حدثنا محمد بن منصور[76]، قال: حدثني خلف بن تميم[77]، عن سليمان بن ناجية[78]،

---

(١) في الأصل: اجتهاداً.

(٢) آ: ـ العشائين.

(٣) آ: أحمد محمد بن.

[73] أحمد بن صالح: لم أظفر بترجمة له.

[74] أحمد بن محمد المكي. لم أظفر بترجمة له.

[75] بشر بن أنس بن راشد البزاز: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

[76] لعله محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم، أبو جعفر العابد، المعروف بالطوسي. قال عنه أحمد بن حنبل: «لا أعلم عنه إلاّ خيراً، صاحب صلاة». وكان وابن حنبل يختلفان إلى أستاذ واحد. مات ببغداد يوم الجمعة لست بقين من شوال. وله من العمر ثمان وثمانون سنة. (تاريخ بغداد: ٢٤٧/٣ ـ ٢٥٠).

[77] خلف بن تميم بن أبي عتاب، أبو عبدالرحمن الكوفي (٢١٦ أو ٢١٣هـ/ ٨٣١ أو ٨٢٨م). نزل المصيصةوروى عن النوري، وأبي بكر النهشلي. وروى عنه أبو إسحاق الفزاري، وأحمد بن إبراهيم الدورقي. ثقة. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٩٠).

[78] سليمان بن ناجية: لم أعثر على ترجمة له.

سمعت سفيان الثوري[79] يقول: «وجدت قلبي يصلح بين مكة والمدينة(١) بين قوم غرباء أصحاب عباء».

ومن آدابهم كراهية السؤال وأن لا يكون معه شيء يعطى غيره سمعت جعفر[80] يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت سريّ السقطي يقول: «أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة(٢) قلت له(٣) ما هو؟ قال: لا تسأل أحداً شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكون معك شيء تعطي منه أحداً شيئاً».

ومن آدابهم الحرص على أداء الفرائض وحفظ الأصول، وتصحيح

---

[79] سفيان بن سعيد الثوري، أبو عبدالله (١٦١هـ / ٧٧٨م). أحد الأعلام علماً وزهداً. روى عن حبيب بن أبي ثابت، وسلمة بن كهيل، وابن المنكدر. وعنه: عبدالرحمن، والقطان، والفريابي، وعلي بن الجعد. توفي في شعبان (الكاشف للذهبي: ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(١) آ: ـ المدينة.

[80] هو جعفر بن محمد الخلدي، أبو محمد الخواص (٣٤٨هـ / ٩٥٩م). بغدادي المنشأ والمولد. صحب الجنيد بن محمد، وعرف بصحبته، وصحب أبا الحسين النوري، ورويماً، وسمنون، وأبا محمد الجريري وغيرهم من مشايخ الوقت. وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم، وحكاياتهم، وسيرتهم. وأسند الحديث ورواه. توفي ببغداد، وقبره بالشونيزية عند قبر سري السقطي والجنيد. (طبقات الصوفية: ٤٣٢ ـ ٤٣٩، حلية الأولياء: ١٠/٣٨١، الرسالة القشيرية: ٣٦، تاريخ بغداد: ٧/٢٢٦ ـ ٢٣١ وغير ذلك).

(٢) آ: ـ إلى الجنة.
(٣) آ: ـ له.

الأحوال، وترك الاشتغال بالدعاوى. سمعت ذا النون المصري يقول: «من صحح استراح، ومن تقرّب قرب، ومن صفى صفي له، ومن توكل وثق، ومن تكلّف ما لا يعنيه ضيَّع ما يعنيه». [سمعت أبا بكر بن شاذان يقول، سمعت جعفر الخلدي يقول، قال علي بن عبدالحميد الغضائري[81]، سمعت](١) محمد بن محمد بن أبي الورد[82] يقول: آفة الخلق في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فرض، وعمل جوارح بلا مواطأة قلب: وإنما منعوا من(٢) الوصول لتضييع الأصول».

ومن آدابهم استعمال أدب القعود على الفتوح سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله يقول، سمعت محمد بن جعفر[83] يقول، سمعت قيّم مسجد القلزم[84] يقول: «دخل ها هنا أبو تراب النخشبي ولم نعرفه

---

[81] علي بن عبدالحميد بن عبدالله بن سليمان، أبو الحسن الغضائري (٣١٣هـ / ٩٢٥م). سكن حلب وحدث بها، وكان ثقة. سمع السري السقطي. توفي في شوال (تاريخ بغداد: ١٢/ ٢٩).

(١) السند محذوف في ب.

[82] محمد بن محمد، أبو الحسن المعروف بحبشي بن أبي الورد الزاهد. من كبار مشايخ العراقيين وجلّتهم. كان من جلساء الجنيد وأقرانه. صحب سريّاً السقطيّ، وأبا الفتح الحمّال، وحارثاً المحاسبيّ، وبشر الحافي، وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٢٤٩ ـ ٢٥٣، حلية الأولياء: ١٠/ ٣١٥، تاريخ بغداد: ٣/ ٢٠١، طبقات الشعراني: ١/ ١١٥).

(٢) ب: ـ من.

[83] محمد بن جعفر: كثير من ذكر بهذا الاسم في تاريخ بغداد وغيره من العلماء والمشايخ، فلم أقدر على تحديد المقصود من بينهم.

[84] مسجد القلزم.

وأقام ها هنا أيّاماً لا يخرج من المسجد فتقدمت إليه، وقلت له: أكلت اليوم شيئاً؟ قال: لا. قلت: أمس؟ قال: لا. قلت أوّل من أمس؟ قال: لا. قلت: منذكم لم تأكل؟ قال: منذ سبعة أيّام. فخرجت إلى السوق وقلت: الحقوا رجلاً في المسجد لم يأكل منذ سبعة أيام. فجاءوا بطعام كثير فأكل حتى استوفى فأخذ جَرَّة من ماء فشرب، ثمّ أخذ ركوته وخرج من المسجد وما كلّم أحداً؛ فظننا أنه[1] يريد أن يتطهر ثم يرجع فأخذ طريق الخروج من البلد فتبعناه على ميل فإذا هو على طريق مكة. فتبعته وقلت له: سألتك باللّه من أنت؟ قال: أنا أبو تراب». وسمعت أبا بكر يقول، سمعت محمد بن جعفر الفرغاني يقول، سمعت أبا جعفر الحدّاد يقول: «أقمت في مسجد قزوين[85] بضعة وعشرين يوماً كنت أشتغل بطيور كانت بحذائي وكان[2] قد سقط ثلج عظيم، والدنيا بيضاء، ولم يكن يقدر الطير يطير ولا لها[3] سبب، وكنت مثله غريباً[4] بلا سبب،

(١) ب: ـ أنه.

[85] قزوين: مدينة مشهورة في شمال إيران، ٨٠,٠٠٠ ن، قريبة من شاطىء بحر قزوين، بينها وبين الريّ سبعة وعشرون فرسخاً، وإلى أبهر اثني عشر فرسخاً. استسلم أهلها صلحاً في عهد عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، فأسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضهم عشرية. ورتب البراء بن عازب قائد الجيش الإسلامي فيهم خمسمائة رجل من المسلمين وأقطعهم أرضين وضياعاً لا حقّ فيها لأحد. فعمّروها وأجروا أنهارها وحفروا آبارها. (معجم البلدان، طبعة أوفست من طبعة ووستنفلد، ٨٨/٤ تهران ١٩٦٥).

(٢) آ: قال وقد.

(٣) ب آ: لها.

(٤) في الأصل: عزيب.

فمكثت بحذائها ومكثت بحذائي بضعة وعشرين[(١)] يوماً. فلما كان بعد ذلك انكشفت السماء وخرجت هكذا وخرجت هكذا»[(٢)]. ورأيت بخط أبي منصور الحمشاذي[(٣)][86] سألت محمد بن الفراء[87]: كيف القعود على الفتوح؟ [والتوكل؟]» قال: «كما قعدوا أصحاب الصّفة متأدّبين بآداب الشرع مفوّضين أمورهم إلى اللّه». وسئل أبا جعفر: «ما أدب القعود على الفتوح]؟»[(٤)] قال: «أن يقعد في غير مكان معلوم، ولا في وقت معلوم، وأن لا يسأل ولا يتعرّض، وإذا فتح له شيء من غير سؤال يميّز ثم لا يأخذ إلّا مقدار الكفاية». وسئل يوسف بن الحسين: هل لمن قعد على الفتوح أن يسأل لغيره؟ فقال: «لا، من سأل لغيره فقد أظهر حاله؛ [ومن أظهر حاله][(٥)] كان قعوده على السبب». وقيل لبعضهم: «إن فلاناً قعد على الفتوح. فقال: «لو قعد على الفتوح لم تعرفه، إنما معرفتك له[(٦)] لتشرفه بمعرفتك إياه، ولو صح قعوده على الفتوح لما عرف حاله إلّا من كان قعوده له. وإنما يتعلّق قلوب الخلق

---

(١) ب: بضعة عشر.

(٢) آ: + قال.

(٣) في الأصل: الحمشادي. سقطت النقطة من الذال. هذه النسبة إلى حمشاذ وهو اسم لبعض أجداد أبي علي الحسن بن أحمد بن عبداللّه بن محمد بن حمشاذ الحمشاذي النيسابوري.

[86] أبو منصور الحمشاذي: لم أظفر بترجمة له لعدم ورود اسمه.

[87] محمد بن الفراء: لم أظفر بترجمة له أيضاً.

(٤) آ: ــ والتوكل. قال... على الفتوح.

(٥) آ: ــ ومن أظهر حاله.

(٦) ب: معرفته لك.

بهم ثم يتعلق بهم قلبه، ومن كان قعوده خالياً عن الأسباب [كان فتوحه من المسبِّب لا غير وينقطع عنه رؤية الأسباب][1] فإن رؤية السبب يقطع عن صحة التوكل والقعود على الفتوح. قال: ومن رأى السبب فهو مدّع[2].

ومن آدابهم حمل ما لا بدّ منه في السفر مما لا يصلح أداء الفرائض إلاّ به. [سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله يقول، سمعت الفرغاني يقول]: [3] كان إبراهيم الخواصّ يجرّد في التوكل ويدقّق فيه وكان لا تفارقه ابرةٌ وخيوط وركوة[4] ومقراض خصوصاً في السفر؛ فقيل له في ذلك لم تحمل مثل هذا وأنت تمنع من كل شيء؟ فقال: «حمل مثل هذا[5] لا ينقص التوكل لأن للّه علينا فرائض، والفقير يكون عليه ثوب واحد إما مئزرٌ أو قميص فربما تخرق ثوبه فإن لم تكن معه إبرةٌ وخيوط ربّما تبدو[6] عورته فلا يكون له صلوة! والركوة يريد أن يطّهر للصلاة فيحتاج أن يتباعد عن الناس لئلا ينظروا إلى عورته وما أشبه ذلك. والفقير إذا رأيته في السفر[7] ليس معه ركوة فاتهمه في صلاته».

ومن آدابهم حفظ حرمات من[8] أدّبهم وتأدّبوا به[9]. [أخبرنا

---

(١) آ: ــ كان فتوحه... الأسباب.

(٢) في الأصل: مدعى.

(٣) السند محذوف في ب.

(٤) آ: ــ وركوة.

(٥) آ: مثل ما.

(٦) ب: ــ تبدو.

(٧) ب: في السفر إذا رأيته.

(٨) ب: ــ من.

(٩) ب: وتأدبهم به.

أحمد بن محمد بن زكريا[88]، حدثنا أحمد بن محمد[89] بن عبدالوهاب بن محمد بن العباس بن الدرقش بن أحمد بن أبي الحواري ابن الوليد بن عتبة، قال: قال ابن المبارك](١). «طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدِّبون»(٢). [وأخبرنا أحمد، قال: حدثني أحمد، قال: حدثني الحسن بن أحمد القاضي[90] قال: قال المأمون[91]: قال

---

[88] أحمد بن محمد بن زكريا، أبو العباس النسوي (٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م). قدم بغداد وحدّث بها عن خلف بن محمد بن الخيام البخاري ونحوه من الخراسانيين، وكان ثقة. وتوفي بعينونة ــ منزل بالحجاز بين مكة ومصر ــ (تاريخ بغداد: ٥/ ٩).
ويذكر الخطيب عالماً آخر قريب الاسم من هذا، وهو أحمد بن محمد بن الحسن، أبو العباس النسوي. ذكره ابن الثلاّج أنه قدم بغداد حاجّاً وحدّث بها في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة عن محمد بن محمود بن عدي النسوي (تاريخ بغداد: ٤/ ٣٦٣).

[89] أحمد بن محمد بن عبدالوهاب: لم أعثر على ترجمة له.

(١) ب: ــ أخبرنا . . . المبارك.

(٢) ب: طلبنا الأذان حين فاتنا المؤذنون.

[90] الحسين بن أحمد بن سلمة، أبو عبدالله الأسدي القاضي. بغدادي روى عن أبي الحسين أحمد بن عبدالله، عن الصديق بن سعيد الصوناخي، عن محمد بن نصر المروزي، عن يحيى بن يحيى، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». (تاريخ بغداد: ٨/ ١١).

[91] لعلّه الخليفة العباسي، أبو العباس، عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٧٠ ــ ٢١٨هـ/ ٧٨٦ ــ ٨٣٣م). قرأ العلم والأدب، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ وعمل الرصد فوق جبل دمشق. وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً، ورأياً وعقلاً، وهيبة، وحلماً، ومحاسنه كثيرة في الجملة. بويع في أول سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر حكمه عشرين سنة إلى أن توفي في سنة ثمان عشرة ومائتين. ترجمته في: =

أبو عبيد][(١)]، قال محمد بن المبارك الصوري[92]: «الأدب للعارفين بمنزلة التوبة للمريدين». وقال أبو عبدالله النباجي: «من لم يعظِّم حرمة من تأدَّب به حُرِمَ بركات ذلك الأدب».

ومن آدابهم التأسّف على ما يفوتهم من الأخلاق السنية. [أخبرنا علي بن بندار[93]، قال: سمعت الحسين بن أحمد القاضي يقول: قال

= (سير أعلام النبلاء: ١٠/٢٧٢ ـ ٢٩٠، المعارف لابن قتيبة: ٣٨٧، الأخبار الطوال: ٤٠٠، تاريخ اليعقوبي: ٣/١٧٢، تاريخ الطبري: ٨/٤٧٨، مروج الذهب: ٢/٢٤٧ ـ ٢٦٩، تاريخ بغداد: ١٠/١٨٣، الكامل لابن الأثير: ٦/٢٨٦، البداية والنهاية: ١٠/٢٤٤ وغير ذلك).

(١) ب: ـ وأخبرنا أحمد... قال أبو عبيد.

[92] محمد بن المبارك الصوري، شيخ الإسلام أبو عبدالله القرشي القلانسي (١٥٣ ـ ٢١٥هـ / ٧٧٠ ـ ٨٣٠م). سمع سعيد بن عبدالعزيز، ومعاوية بن سلام، ومالك بن أنس وغيرهم. وعنه يحيى بن معين، والذهلي، ومحمد بن عوف، والدارمي وغيرهم. قال ابن معين: كان شيخ دمشق بعد أبي مسهر، ووثقه جماعة. ومن كلامه: «اعمل لله فإنه أنفع لك من العمل لنفسك». وعنه: «علامة المحبة مراقبة المحبوب وتحرّي رضاه». (تذكرة الحفاظ: ١/٣٨٧، تقريب التهذيب: ٢/٢٠٤).

[93] علي بن بندار الصيرفي، أبو الحسن (٣٥٩هـ / ٩٦٩م)، من جلّة مشايخ نيسابور، ورزق من رؤية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره. صحب بنيسابور أبا عثمان، ومحفوظاً، وبسمرقند محمد بن الفضل، وببلخ محمد بن حامد، وبجوزجان أبا علي، وبالري يوسف بن الحسين، وببغداد الجنيد بن محمد ورويماً، وبالشام طاهراً المقدسيّ، وأبا عبدالله بن الجلاّء، وأبا عمرو الدمشقيّ، وبمصر أبا بكر المصريّ، والزقّاق، وأبا علي الروذباريّ. كتب الحديث الكثير ورواه وكان ثقة. (طبقات الصوفية: ٥٠١ ـ ٥٠٤، طبقات الشعراني: ١/١٤٦، البداية والنهاية: ١١/٢٩٨، المنتظم: ٧/٥٢ وغير ذلك).

المأمون قال (أبو عبيد)[١] قال وهب بن الورد[94]: «بكى سفيان الثوري بكاءً شديداً، فسئل عن ذلك فقال: «إنّما أبكي لأنا قد كبرنا وذهب عمرنا ولا نحسن أن نتخلق بخلق من الأخلاق المؤدّية إلى مرضاة الله تعالى».

ودخلت على [أبي][٢] عمرو بن حمدان[95] فتأوّه تأوّهاً عظيماً، فقلت: ما لك أيها الشيخ؟ فقال: «تفكرت في طول عمري فلم أجد [فيه][٣] نفساً يصلح أن ألقى به الله عز وجلّ؛ وتفكرت في نفسي [فلم أجد][٤] فيه خُلُقاً من أخلاق الصالحين؛ فمن أولى بالتّأوّه مني؟».

ومن آدابهم أن لا يعمل في السر شيئاً يستحيي منه في العلانية. [سمعت منصور بن عبدالله[96] يقول: سمعت أبا علي الدقي[97]

---

(١) هذا السند محذوف في ب.

[94] في الأصل: وهب، سقطت الياء بعد الهاء وهو وهيب بن الورد القرشي (١٥٣هـ / ٧٧٠م)، أبو عثمان المكي الزاهد. يروي عن عطاء وجماعة، ويروي عنه فضيل بن عياض، وابن المبارك. قال عنه ابن المبارك: «كان يتكلم ودموعه تقطر». وكان ثقة. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٣٥٠).

(٢) آ: ـ أبي.

[95] هو محمد بن أحمد بن حمدان، أبو عمرو. محدث نيسابور، زاهد ثقة. رحل إلى الحسن بن سفيان، وإلى أبي يعلى. قال ابن طاهر: «كان يتشيّع». ولكنه لم يكن غالياً في تشيعه. وقد أثنى عليه غير واحد. (ميزان الاعتدال: ٣/٤٥٧).

(٣) آ: ـ فيه.

(٤) آ: ـ فلم أجد.

[96] منصور بن عبدالله، أبو الحسن الديمرتي الأصبهاني، من شيوخ أبي عبدالرحمن السلمي. روى السلمي عنه في تفسيره عن أبي القاسم الاسكندراني، عن أبي جعفر الملطي، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الصادق.

[97] أبو علي الدقي: لم أعثر على ترجمة له.

يقول][1] قال ذو النون المصري[2]: «من عمل في السر مايستحيي منه في العلانية ليس لنفسه[3] عنده قدر» [وسمعت منصور يقول سمعت أبا عمرو[4] الدمشقي[98] يقول][5]، قال حارث المحاسبي[99]: من اجتهد في باطنه ورّثه اللّه معاملة ظاهره، ومن حسّن معاملة ظاهره مع جهد باطنه ورّثه اللّه[6] الهداية. قال اللّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. [عن بعض المشايخ عن سهل بن عبداللّه يقول: أصل

---

(١) هذا السند محذوف في ب.

(٢) آ: ـ المصري.

(٣) آ: ـ لنفسه.

(٤) في الأصل: عمر.

[98] أبو عمرو الدمشقي (٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، من أجلّ مشايخ الشام. عالم بعلوم الحقائق. صحب أبا عبداللّه بن الجلاء، وأصحاب ذي النون المصري. وهو من فتى المشايخ. ردّ على من تكلّم في قِدم الأرواح والشواهد. (طبقات الصوفية: ٢٧٧ ـ ٢٧٩، حلية الأولياء: ١٠/٣٤٦، طبقات الشعراني: ١/١١٨، شذرات الذهب: ٢/٢٨٧، نفحات الأنس: ورقة ٣٨).

(٥) السند محذوف في ب.

[99] الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبداللّه (٢٤٣هـ / ٨٥٧م)، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والإشارات. له التصانيف المشهورة، منها «كتاب الرعاية لحقوق اللّه» وغيره. وهو أستاذ أكثر البغداديين. وهو بصري مات ببغداد. (طبقات الصوفية: ٥٦ ـ ٦٠، حلية الأولياء: ١٠/٧٣ ـ ١٠٩، تاريخ بغداد: ٨/٢١١ ـ ٢١٦، طبقات الشعراني: ١/٨٧ ـ ٨٨، طبقات الشافعية: ٢/٣٧ ـ ٤٣، وفيات الأعيان: ١/١٥٧، سير أعلام النبلاء: ١٢/١١٠ وغير ذلك).

(٦) ب: ـ اللّه.

هذا الأمر السكون إلى الله تعالى وقلة الغذاء والهرب من الخلق](١).

وسئل أبو عثمان الحيري: من العامل؟ قال: «من حسن رعاية باطنه واستعمل السنّة في ظاهره وحسن ظنه بالخلق [وساء ظنّه بنفسه](٢).

ومن آدابهم في الأسفار [ما](٣) سمعت محمد بن(٤) منصور الطرسوسي(٥)[100] يقول(٦): «أقل ما يلزم المسافر في سفره أربعة أشياء: يحتاج إلى علم يسوسه، وذكر يونسه، وورع يحجزه؛ ويقين يحمله، وإذا كان كذلك لم يبال أن يكون بين الأحياء أو بين الأموات».

ومن آدابهم قلّة المبالاة بالدنيا والتسخّي بها خصوصاً لمن خدمهم. [سمعت أبا العباس البغدادي[101]، قال: سمعت أبا جعفر



(١) هذه الجملة ساقطة من ب.

(٢) آ: ـ وساء ظنه بنفسه.

(٣) في الأصل ليست ما.

(٤) آ: ـ محمد بن علي.

(٥) آ: ـ الطرسوسي.

[100] في الأصل: الطرسوسي، لعله الطوسي ـ نسبة إلى طوس، مدينة بخراسان. وهو محمد بن منصور بن داود بن إبراهيم، أبو جعفر الطوسي. سبقت ترجمته تحت رقم: ٧٦.

(٦) ب: قال محمد بن علي الطرسوي.

[101] هو محمد بن الحسن بن سعيد بن الخشاب، أبو العباس المخرمي البغدادي الصوفي (٣٦١هـ / ٩٧١م)، صاحب حكايات عن أبي جعفر محمد بن عبدالله الفرغاني، وأبي بكر الشبلي. كان قد نزل نيسابور ثم خرج إلى مكة فتوفي بها. قال عنه محمد بن علي بن أحمد: «محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الصوفي، أبو العباس البغدادي المعروف بابن الخشاب، كان من أظرف من قدم نيسابور =

الفرغاني[102]، قال: قال أبو علي المزيّن[103]: «حلقت رأس أبـي تراب النخشبـي فدفع إليّ سبعين ديناراً».

ومن آدابهم احتمـال الصبـر على البـلاء. [أخبـرنـا علي بن عبدالله[104] بمكة قـال: حدثني أبـو بكر أحمـد بن عبدالسـلام[105] قال](١): «شكا فقير إلى الكتانيّ مما يلحقه، فقال له: خرج يوماً إبراهيم بن أدهم على الفقراء فنظر إليهم فقال: أهل بلاء الله في نِعَمِه وأهل نِعَمِ الله في بلائه. إن الله قد جعلكم للبلاء أهلاً فكونوا(٢) للصبر أهلاً».

= من البغداديين، وأكملهم عقلاً وديناً، وأكثرهم تعظيماً للسُّنَّة وتعصباً لها. دخل بلاد خراسان وأقام بها سنين وسمع الحديث الكثير، ثم حج وجاور بمكة، ومات بها». (تاريخ بغداد ٢/٢٠٩).

[102] أبو جعفر محمد بن عبدالله الفرغاني الصوفي. نزل بغداد ولزم الجنيد بن محمد، واشتهر بصحبته وروى عنه كلامه. حكى عنه أبو العباس محمد بن الحسن بن الخشاب وغيره. ومن كلامه: «التوكل باللسان يورث الدعوى، والتوكل بالقلب يورث المعنى». (تاريخ بغداد: ٥/٤٥٠ ـ ٤٥١).

[103] لعلّ في الكنية خطأ، والصحيح: أبو الحسن علي بن محمد المزيّن (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) بغدادي، صحب الجنيد، وسهل بن عبدالله، ومن في طبقتهما من البغداديين، وأقام بمكة مجاوراً إلى أن مات. وكان من أورع المشايخ وأحسنهم حالاً. (طبقات الصوفية: ٣٨٢ ـ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء: ٢٣٢، حلية الأولياء: ٨/٣٣٥ وغير ذلك).

[104] علي بن عبدالله.

[105] أبو بكر أحمد بن عبدالسلام.

(١) السند محذوف في ب.

(٢) ب: فاجعلوه للصبر أهلاً.

ومن آدابهم الإزراء بالنفس وإن كانت النفس تأمره بخير. [سمعت أبا سعيد نصر بن أحمد بن محمد بن سعيد الواسطي[106] ببغداد يقول، سمعت أبي يقول: سمعت الشبلي يقول: «فتح لي وقت من الأوقات بمئة دينار فجعلت في نفسي أن أخرج بالغداة وأعطيه أوّل من يستقبلني. فخرجت بالغداة فرأيت أعمى بين يدي مزيّن يأخذ شعره(١)، فتقدمت إليه وجعلت الصرّة في يده فقال: «أعطها المزيّن» فقلت: مئة دينار، فقال: «من سأل عنه ما هو؟ ادفعها إليه» فدفعتها إلى المزيّن. فقال المزيّن: «أنا اعتقدت أن لا آخذ منه شيئاً». فتشورت؟ وتأخرت ونثرت تلك الدنانير في الشارع وقلت: مكدّى أفتى منك ومزيّن أفتى منك. واعتقدت أن لا أدّعي بعد ذلك الفتوة».

ومن آدابهم قبول ما يشير به عليهم مشايخهم عرفوا وجه ذلك أو لم يعرفوا. سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول، سمعت أبا عبدالله الكرماني[107] يقول: كنت في الطواف فخطر على قلبي أن

---

[106] هو نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب، أبو الفضل الطوسي العطار (في حدود: ٣٢٠ ـ ٣٨٣هـ / ٩٣٢ ـ ٩٩٣م). سمع أبا محمد بن الشرقي، وأبا حامد بن بلال، وأبا عبدالله المحاملي وضبقتهم. وكان واسع الرحلة، حسن التصانيف. حدث عنه الحاكم، والسلمي، وأبو نعيم، وأبو سعد الكنجروذي وآخرون. قال الحاكم: «هو أحد أركان الحديث بخراسان مع ما يرجع إليه من الدين والزهد والسخاء، والتعصب لأهل السنّة». وقد صحب أبا بكر الشبليّ ببغداد. (تذكرة الحفاظ: ١٠١٦/٣، النجوم الزاهرة: ١٦٦/٤، سير أعلام النبلاء: ٦/١٧ ـ ٧، شذرات الذهب: ١٠٦/٣ وغير ذلك).

(١) آ: من شعره.

[107] أبو عبدالله الكرماني. لم أعثر على ترجمة له.

المسئلة التي سأل أبو عمرو الزجاجي[108] الجنيد(١) التوكّل. فلما فرغت من الطواف تقدمت إليه وسألته عن التوكل فقال: «يا أبا عبدالله ليس اليوم في السفر رياضة ولكن تزوُّج». فقلت: يا سيِّدي كيف أتزوّج وأنا لا أصل إلى ما يكفيني؟ فقال: أتظنّ أنك إذا تزوّجت يقطع عنك رزقك؟ تزوّج فإن في اتباع سنّة الرسول(٢) صلّى الله عليه وسلّم بركة. فلما تزوّجت وصلتُ إلى ما كنت أطلبه». سمعت الشيخ أبا(٣) سهل محمد بن سليمان [رحمه الله](٤) يقول: «من قال لأستاذه لم، لا يفلح أبداً». قال رجل لأبي حفص «بماذا وصلت إلى هذه الأحوال؟» قال: بقبول ما أشار عليّ مشايخي من غير شك في نفسي ولا اختلاج».

ومن آدابهم المجاهدة في أن يَنقص منهم أخلاق النفس والطبع. (سمعت أبا العباس النسوي[109] يقول: سمعت أبا عبدالله الكرماني

---

[108] محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد، أبو عمرو الزجاجي (٣٤٨هـ / ٩٥٩م)، نيسابوريّ الأصل. صحب أبا عثمان، و جنيد، والنوري، ورويما، وإبراهيم الخواصّ، دخل مكة وأقام بها وصار شيخها والمنظور إليه فيها. حجّ قريباً من ستين حجة. قال إسماعيل بن نجيد: «كنت بمكة وكان بها الكتاني، والنهرجوري، والمرتعش، وغيرهم من المشايخ فكانوا يعقدون حلقة حلقة وصدر الحلقة لأبي عمرو». وقال أبو عثمان المغربي فيه: «كان أبو عمرو من السالكين». (طبقات الصوفية: ٤٣١ ـ ٤٣٣، حلية الأولياء: ١٠/٣٧٦، المنتظم: ٦/٣٩١).

(١) في الأصل: هو.
(٢) آ، ب: رسول الله.
(٣) آ: أبي.
(٤) آ: ـ رحمه الله.

[109] هو أحمد بن محمد بن زكريا. سبقت الإشارة إليه تحت رقم: ٨٨.

يقول سمعت](١) أبا عمرو الزجاجي يقول: «ذرّةٌ تنقصٍ من بشريتي أحبّ إليّ من أن أمشي على الماء».

ومن آدابهم شكرهم على الضرّ والجوع(٢) (سمعت محمد بن الحسن البغدادي[110] يقول... بن أحمد بن محمد بن صالح قال محمد بن عبدون قال)(٣) (ابن عبيد) قال عبيد الورّاق[111]: «كنت يوماً عند بشر الحافي عند قبة الشعراء، فقام رجل فقال: «أنا والله جايع منذ ثلثة أيّام. فقام إليه بشر فكلّمه فجلس. فقلنا ترى أيش قال له بشر، حتى جلس؟ فقمت إليه وقلت له: أيش قال لك الشيخ؟ فقال: «قال لي: إن الله يعطي الجوع (من يشكره إليه ولا يعطيه)(٤) من يشكوه عليه».

ومن آدابهم الرضاء بما يبدو لهم وتصبيهم من المكاره. (أخبرنا أبو العباس البغدادي قال سمعت جعفر بن محمد بن نصير[112] يقول

---

(١) السند محذوف في ب.

(٢) ب: على الجوع والضر.

[110] محمد بن الحسن البغدادي: لعله محمد بن الحسن بن العباس، أبو عبدالله. حدث عن عبدالله بن معاوية الجمحي، وعبدالله بن أبي بدر القطربلي. روى عنه عبدالله بن زبدان الكوفي وأبو العباس بن عقدة.
أو محمد بن الحسن البغدادي. روى عنه أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي. (تاريخ بغداد: ٢/١٩٠، ١٩١).

(٣) ب: السند محذوف في ب.

[111] عبيد الورّاق: لم أقدر على تحديد اسمه، فلم أعثر على ترجمة له بهذه الكنية.

(٤) ب: ــ من يشكره... ولا يعطيه.

[112] جعفر بن محمد بن نصير، أو جعفر الخلدي، أو جعفر الخواصّ: جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم، أبو محمد الخواصّ، المعروف بالخلديّ (٢٥٢ =

. . . .

= أو ٢٥٣ ـ ٣٤٨هـ / ٨٦٦ أو ٨٦٧ ـ ٩٥٩م): بغدادي المنشأ والمولد. صحب الجنيد بن محمد وعُرف بصحبته، وصحب أبا الحسين النوري، ورويمًا، وسمنون، وأبا محمد الجريريّ، وغيرهم من مشايخ الوقت. وكان المرجع إليه في علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم. ينقل السلمي أنه قال: «عندي مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية». وكان من أفتى المشايخ وأجلّهم وأحسنهم قولاً. حج قريباً من ستين حجة. يروي الخطيب بسنده عنه أنه قال: «حججت نيِّفاً وعشرين حجة على قدميّ، ما حملت في شيء منها زاداً ولا درهماً ولا ديناراً، وكنت إذا نزل الناس في المنزل يكون حولي من المأكول والمشروب ما يكفي جماعة. فلما كان يوم من الأيام لقيتني امرأة ومعي ركوة فارغة فقالت: هل أصب لك فيها ماء، قلت: افعلي. فصبت في ركوتي الماءومشيت فأثقلني فصببته في أصل شجرة ثم سرت. وكان حالي في جميع الحج ما ذكرته». (تاريخ بغداد: ٧: ٢٣٠) كما يروي الخطيب بسنده عنه حكايات غريبة عجيبة، منها ما يلي: «قال جعفر: لو تركني الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا. مضيت إلى عباس الدوري وأنا حدث، فكتبت عنه مجلساً واحداً، وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هذا معك؟ فأريته إياه. فقال: ويحك تدع علم الخرق، وتأخذ علم الورق؟ ثم خرق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي. فلم أعد إلى عباس».

وقال جعفر: «كنت يوماً عند الجنيد بن محمد وعنده جماعة من أصحابه يسألونه عن مسألة، فقال لي: يا أبا محمد أجبهم. فأجبتهم، قال: يا خلدي من أين لك هذه الأجوبة؟ فجرى اسم الخلدي عليّ إلى يومي هذا، ووالله ما سكنت الخلد، ولا سكنه أحد من آبائي. وسألته عن السؤال فقال: قالوا: أنطلب الرزق، فقلت: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه، فقالوا: أنسأل الله ذلك؟ فقلت: إن علمتم أنه نسيكم فذكروه. فقالوا: أندخل البيت ونتوكل على الله؟ فقلت: أتجرّبون الله بالتوكل؟ فهذا شكّ. قالوا: فكيف الحيلة؟ فقلت: ترك الحيلة».

«وكان أهل بغداد يقولون: عجائب بغداد ثلاثة: إشارات الشبلي، ونكت =

. . . .

= المرتعش، وحكايات جعفر». وقال جعفر: «كنت في ابتداء أمري وإرادتي ليلة نائماً، فإذا بهاتف يهتف بي ويقول: «يا جعفر امض إلى موضع كذا وكذا واحفر، فإن لك هناك شيئاً مدفوناً». فجئت إلى الموضع وحفرت، فوجدت صندوقاً فيه دفاتر، وإذا فيه حزمة فأخرجتها وقرأتها فإذا فيها أسماء ستة آلاف شيخ من أهل الحقائق، والأصفياء والأولياء. من وقت آدم إلى زماننا هذا، ونعوتهم وصفاتهم، وكلّهم كانوا يدعون هذا ـ يعني مذهب الصوفية ـ». قال الراوي الحسن بن سليمان: وكان في تلك الكتب عجائب، فقرأ ولم يدفع إلى أحد، ثم دفنها ولم يظهر ذلك لأحد إلى أن مات.

وقال جعفر: «ودّعت في بعض حجّاتي المزيني الكبير الصوفي فقلت: زودني شيئاً. فقال: «إن ضاع منك شيء، أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: (يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا وكذا)، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء، أو ذلك الإنسان بتلك». «فجئت إلى الكتاني الكبير الصوفي فودّعته وقلت: زودني شيئاً، فأعطاني فصّاً عليه نقش كأنه طلسم وقال: «إذا اغتممت فانظر إلى هذا فإنه يزول غمك، فانصرفت فما دعوت الله بتلك الدعوة في شيء إلا استجيب، ولا رأيت الفصّ وقد اغتممت إلاّ زال غمي. فأنا ذات يوم قد توجهت أعبر إلى الجانب الشرقي من بغداد حتى هاجت ريح عظيمة وأنا في السميرية، والفصّ في جيبي، فأخرجته لأنظر إليه فلا أدري كيف ذهب مني الماء، أو في السفينة، أو ثيابي. فاغتممت لذهابه غماً عظيماً، فدعوت بالدعوة وعبرت. فما زلت أدعو الله بها يومي وليلتي ومن غد وأياماً. فلما كان بعد ذلك أخرجت صندوقاً فيه ثيابي لأغير منها شيئاً، ففرغت الصندوق فإذا بالفص في أسفل الصندوق، فأخذته وحمدت الله على رجوعه». (تاريخ بغداد: ٧/٢٢٨ ـ ٢٢٩).

توفي جعفر يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان.

(ترجمته في: طبقات الصوفية: ٤٣٤ ـ ٤٣٩، حلية الأولياء: ١٠/٣٨١، الرسالة القشيرية: ٣٦، نتائج الأفكار القدسية: ٢/٢، تاريخ بغداد: ٢٢٦ ـ ٢٣١، سير أعلام النبلاء: ١٥/٥٥٨ ـ ٥٦٠ وغير ذلك).

سمعت أبا عبدالله بن جابر[113] قال سمعت)(١) أبا جعفر الأنباري[114] يقول: «ركبت حماراً فلقيني بعض الجند فأنزلني عنه وركبه فأقبل يغنّي:

«فإن تغضب لذاك غضبت منه وإن ترض(٢) فإني قد رضيت»

فقلت يا سيدي قد رضيت. ورجعت إلى منزلي فما قررت(٣) أنا حتى قال لي قائل: «الحمار مشدود على الباب».

ومن آدابهم ما (سمعت أبا العباس البغدادي قال سمعت جعفر الخلدي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت)(٤) سهل بن عبدالله يقول: «من أخلاق الصادقين أن لا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم(٥) وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلّا والاستثناء دبر كلامهم، ولا يمزحون أصلاً».

---

[113] أبو عبدالله بن جابر: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

(١) السند محذوف في ب.

[114] هو محمد بن عبدالله، أبو جعفر الحذاء الأنباري. سمع فضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن حرب. روى عنه أحمد بن حنبل، وحنبل بن إسحاق، وإسحاق بن بهلول الأنباري وغيرهم. وكانت عنده أحاديث، وكان ثقة. (تاريخ بغداد: ٥/٤١٤ ــ ٤١٥).

(٢) في الأصل: إن ترضى.

(٣) آ: برحت.

(٤) السند محذوف في ب.

(٥) ب: ــ بطونهم.

ومن آدابهم في أوقاتهم(١) ما سمعت نصر بن أبي نصر[115] قال، سمعت الخلدي يقول، سمعت الجنيد يقول: «أصّلنا الذي أصّلنا على ثلاثة أشياء: أن لا نأكل إلا عن فاقة، ولا ننام إلا عن غلبة ولا نتكلم إلا عن ضرورة».

ومن آدابهم ملازمة آداب الفقر واعتناق حدوده وحفظ أحكامه ظاهراً وباطناً. [سمعت علي بن سعيد[116] يقول سمعت أحمد بن [محمد بن] هرون[117] يقول: سمعت أبا الحسن العلوي[118] يقول سمعت](٢) إبراهيم الخواص يقول: «إذا رأيت ضوء الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره». وسمعت علي يقول، سمعت أحمد بن

---

(١) ب: ــ في أوقاتهم.

[115] نصر بن أبي نصر العطار: لم أعثر على ترجمة له.

[116] هو علي بن سعيد الثغري. لم أعثر على ترجمة له.

[117] أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي، أبو بكر الخلّال (٢٣٤ ــ ٣١١هـ / ٨٤٨ ــ ٩٣٢م). شيخ الحنابلة وعالمهم، أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحاب أحمد بن حنبل، وتتلمذ لأبي بكر المروزي، وسمع من الحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر وخلق كثير. ورحل إلى فارس والشام، والجزيرة بتطلّب فقه الإمام أحمد، وفتاويه وأجوبته. وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى وصنف «الجامع في الفقه» وكتاب «العلل» وغيره. مات في ربيع الأول. (تاريخ بغداد: ١١٢/٥ ــ ١١٣، سير أعلام النبلاء: ٢٩٧/١٤ ــ ٢٩٨، طبقات الحنابلة: ١٢/٢ ــ ١٥ وغير ذلك).

[118] أبوالحسن العلوي. لم أعثر على ترجمة له.

(٢) السند محذوف في ب.

علي[119] يقول، سمعت أبا علي الخرقي[120] يقول، سمعت يوسف ابن الحسين يقول سمعت ذا النون(١) وسئل عن نعت الفقير الصادق قال: «السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود».

ومن(٢) آدابهم ما بلغني عن أبي عبدالله محمد بن خفيف[121]

---

[119] هو أبو القاسم أحمد بن علي بن جعفر القوال الجرجاني، كان ينزل في سكة الفرس، روى عن الجراح بن إسماعيل الدهستاني. (تاريخ جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم، الطبعة الثانية، حيدرآباد الدكن ـ الهند، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ٧١).

[120] أبو علي الخرقي: الحسين بن عبدالله بن أحمد (٢٩٩هـ / ٩١٢م) بغدادي، والد عمر بن الحسين صاحب المختصر في الفقه على مذهب أحمد بن حنبل. حدث عن أبي عمرو الدوري المقرىء، وغيره، روى عنه أبو بكر الشافعي، وأبو علي بن الصواف، وعبدالعزيز بن جعفر الحنبلي وغيرهم. يفهم من كلام أحمد بن كامل القاضي أنه كان خليفة المروذيّ، حيث يقول: «ومات أبو علي الحسين بن عبدالله الخرقي الحنبلي خليفة المروذي، يوم الخميس يوم الفطر من سنة تسع وتسعين ومائتين». (تاريخ بغداد: ٨/٥٩ ـ ٦٠، اللباب في تهذيب الأنساب: ١/٤٣٥).

(١) السند محذوف في ب.
(٢) آ: + جامع.

[121] هو أبو عبدالله محمد بن خفيف بن اسفكشاذ الضّبّي (٣٧١هـ / ٩٨١م). أقام بشيراز، كانت أمه نيسابورية وكان شيخ المشايخ في وقته. صحب رويماً والجريريّ، وأبا العباس بن عطاء، وطاهراً المقدسيّ، وأبا عمرو الدمشقيّ، ولقى الحسين بن منصور. وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق، وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٤٦٢ ـ ٤٦٦، حلية الأولياء: ١٠/٣٨٥ ـ ٣٨٧، الرسالة القشيرية: ٣٧، نتائج الأفكار القدسية: ٢/٦، طبقات الشعراني: ١/١٤٢، شذرات الذهب: ٣/٧٦ وغير ذلك).

قال: «آداب التصوّف عشر خصال: أوّلها تصفية القلب عن مقارنة الخليقة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية(١) وإزالة دواعي البشريّة، ومجانبة كل حال خسيسة، والتعلق بعلوم الحقيقة، ومنازلة الصفات الروحانية، واستعمال ما هو أولى في الحقيقة، والتزام النصح لكل أحد، والشفقة على الأمة واتباع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، والوفاء مع اللّه على السرمدية».

ومن آدابهم استعمال التظرف(٢) في كل حال من الأحوال. [سمعت أبا بكر الرازي يقول، سمعت علي بن](٣) عبدالحميد يقول: «التصوف نفي التكلّف، واستعمال التظرف، وحذف التشرّف».

ومن آدابهم مخالفة النفس أبداً، واستعمال ما هو أولى في كل وقت. [سمعت محمد بن عبداللّه الرازي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول](٤) سمعت الجنيد يقول: «مكابدة العزلة أحسن من مداراة الخاصة. والصبر على الشهوات أحسن على قلوب الأبرار من طلبها».

ومن آدابهم الميل إلى علو الهمم والتنزّه عن دنيّاتها(٥). سمعت أبا بكر (بن) الطبري[122] يقول، سمعت أبا الحسن الخوارزميّ[123]

(١) آ: الطبيعة.
(٢) آ: التصرف، ب: التصوف ربما تصحيف.
(٣) ب: السند محذوف أيضاً.
(٤) السند محذوف في ب.
(٥) ب: عن دنيا لهم.

[122] أبو بكر بن الطبري: لم أعثر على ترجمة له.
[123] أبو الحسن الخوارزمي: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

يقول: «[الأبدال](١) سمّوا أبدالاً لأنهم أبدلوا كل خلق سَيِّىءٍ بخلق حسنٍ وأبدلوا كل حال تباعد عن الله تعالى بحال توصل إلى الله تعالى». سمعت عبدالله الرازي[124] يقول، سمعت أبا بكر الدقي[125] يقول، سألت أبا بكر المغزلي عن التصوف فقال: «علوّ الهمّة»(٢).

ومن آدابهم في الأمراض [ما سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الحسين يقول: سمعت عبدالله الرضواني[126] يقول]:(٣) «مرض بشر الحافي ومعروف الكرخي فجعل الطبيب يختلف إليهما فيخبره بشر بعلته ويأبى معروف أن يخبره بعلته؛ فقال الطبيب لمعروف: «ألا تخبرني بعلتك كما أخبر بشر؟» فقال معروف: «أتحبّ أن أشكو الله إليك؟». فرجع الطبيب إلى بشر وأخبره بذلك، فقال بشر: «أيّها الطبيب ما شكونا الله إليك وإنما وصفنا لك(٤) قدرته فينا».

---

(١) في الأصل: ـ الأبدال.

[124] هو عبدالله بن محمد الخراز الرازي، أبو محمد (قبل ٣١٠هـ / ٩٢٢م) من كبار مشايخ الرازيين. جاور بالحرم سنين كثيرة، وهو من الورعين القائلين بالحق، والطالبين قوتهم من وجه حلال. صحب أبا عمران الكبير، ولقي أبا حفص النيسابوري وأصحاب أبي يزيد، وكانوا جميعاً يعظمونه. حكي عن أبي حفص أنه قال: «نشأ بالريّ فتى إن بقي على طريقته وسمْته صار أحد الرجال». (طبقات الصوفية: ٢٨٨ ـ ٢٩٠، الرسالة القشيرية: ٣١، طبقات الشعراني: ١/ ١١٤ وغير ذلك).

[125] أبو بكر الدقي: لم أعثر على ترجمة له.

(٢) آ: الهم.

[126] عبدالله الرضواني: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

(٣) السند محذوف في ب.

(٤) آ: ـ لك.

ومن آدابهم ترك الدعاوى والرجوع إلى حد الافتقار والضعف. سمعت محمد بن عبدالله يقول، سمعت يوسف بن الحسين يقول، سمعت أحمد بن أبي الحواري[127] يقول، سمعت أبا سليمان[128] يقول: «إلهي كل حكم تحكم به عليّ رضيت به» فأصابه وجع الضرس فقال: «إلهي إن لم تعافني منه تهوَّدْت أو تنصَّرت»(١).

ومن آدابهم ترك التدبير والرجوع إلى حال التسليم. قال أبو الحسين بن منصور[129]: «من سلّم إلى الله أمره صنع به وصنع له. ومن وجد الله لم يجد معه غيره، ومن طلب رضاه حباه الله بالمكنون من

---

[127] أحمد بن أبي الحواري (ميمون)، أبو الحسن (٢٣٠هـ / ٨٤٤م) من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ مثل سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزاري، ومضاء بن عيسى، وبشر بن السري، وأبي عبدالله النباجي. أبوه وأخوه وابنه مثله في الورع والزهد. فبيتهم بيت الورع والزهد. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٩٨ ــ ١٠٢، حلية الأولياء: ١٠/٥ ــ ٣٣ وغير ذلك).

[128] هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية، أبو سليمان العنسي الداراني (٢١٥هـ / ٨٣٠م) من أهل داريّا، قرية من قرى دمشق، كان أحد عباد الله الصالحين. ورد بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريّا حتى توفي. له حكايات كثيرة يرويها أحمد بن أبي الحواري الدمشقي. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٧٥ ــ ٨٢، حلية الأولياء: ٩/٢٥٤ ــ ٢٨٠، الرسالة القشيرية: ١٩، تاريخ بغداد: ١٠/٢٤٨ ــ ٢٥٠، طبقات الشعراني: ١/٩١ وغير ذلك).

(١) في ب: هذه المادة تأتي بعد مادة تليها.

[129] أبو الحسين بن منصور: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

سرّه وهو قوله [عزّ وجلّ][1]: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2].

ومن آدابهم دوام إقامتهم على الطاعات من غير فترة. قال اللّه تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾[3]. قيل: العبادة دائماً. قال[4] أبو عثمان الحيري: «من ذاق طعم الطاعة لم يفتر عنها، ومن فتر عنها فهو لقلّة علمه بمن[5] يطيعه ألا ترى إلى النبي صلّى اللّه عليه وسلّم كان يصلي حتى تورمت قدماه».

ومن آدابهم نصيحتهم لأنفسهم في مخالفتها وترك موافقتها. وإن من كرامة النفس نصيحة العبد لها. ومن ترك نصيحة نفسه فهو لهوانها عنده. سمعت يوسف بن عمر الزاهد[130] ببغداد يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير [يقول][6] سمعت الجنيد يقول: «من

---

(1) آ: ـ عز وجل.
(2) سورة النساء: ١١٠.
(3) سورة النحل: ٥٢.
(4) آ: وقال.
(5) ب: عمله بم.

[130] هو يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس (٣٠٠ ـ ٣٨٥هـ / ٩١٢ ـ ٩٩٥م)، كان صالحاً، زاهداً، صادقاً، ثقة، مأموناً يشار إليه بالخير والصلاح في وقته، وكان مجاب الدعوة. ألّف جزءاً في فضائل معاوية بن أبي سفيان. وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر. (تاريخ بغداد: ١٤/٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(6) السند محذوف في ب.

علامات(١) الناصح(٢) لنفسه ترك شهواتها، والإعراض عن لذاتها، وغضّ الأبصار والقلوب عن زينتها، والإقبال على المعاد، والتشاغل بالعدَّة والزاد». [وسئل إبراهيم بن شيبان[131]: ما علامة من ينصح لنفسه، قال: «علامته حملها على المكاره والمخالفات، وقلة الرضا عنها في حال من الأحوال، فما أقبلت النفس على موافقتها إلا وأضمرت فيها مخالفة الأنفس قد أُيِّدَتْ من اللَّه بالتوفيق»](٣).

ومن آدابهم ترك الاشتغال بالأحوال الماضية والمستقبلة، والعمل في مراقبة الوقت، والاشتغال بمنازلة ما هو أولى به في كل وقت مع قلة ملاحظته لها. [سمعت أبا سعيد الرازي[132] يقول، سمعت](٤) جعفر الخواص[133] يقول، سمعت الجنيد يقول، قال له بعض أصحابه(٥)



(١) ب: من علامة.

(٢) ب: المناصح.

[131] إبراهيم بن شيبان، أبو إسحاق القرميسيني ـ نسبة إلى قرميسين، مدينة بجبال العراق، على ثلاثين فرسخاً من همذان عند الدينور ـ (٣٣٠هـ / ٩٤١م)، شيخ الجبال على الإطلاق في وقته، له كرامات عجيبة. صحب أبا عبداللَّه المغربي، وأبا بكر عمر بن إسماعيل الحافظ القرميسيني، نزل الدينور، وحدث عن أبي قلابة الرقاشي، ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما. روى عنه أبو العباس أحمد بن إبراهيم التميمي. (اللباب: ٢٨/٣).

(٣) ب: ـ وسئل إبراهيم... بالتوفيق.

[132] أبو سعيد الرازي: لم أعثر على ترجمة له.

(٤) ب: ـ سمعت أبا سعيد... سمعت.

[133] هو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، سبقت ترجمة له تحت رقم: [112].

(٥) ب: أصحابنا.

«أوصني» فقال: «أوصيك بترك الالتفات إلى حال ماضية. فإن الالتفات إلى حال ماضية يشغل عن ما هو أولى من الحال[1] الكائنة. وأوصيك بترك الملاحظة للحال الكائنة، وأوصيك بتلقي المستقبل من الوقت الوارد بذكر مورده[2] فإنك إذا كنت هكذا كنت بذكر من هو أولى بك ولم يضرك رؤية الأشياء». [سمعت أبا أحمد الحسنوي[134] يقول، سمعت][3] عبدالله بن المبارك يقول: «من اشتغل بالأوقات الماضية والآتية ذهب عنه وقتٌ بلا فائدة».

ومن آدابهم مشورتهم مع مشايخهم وقبولهم ما يشيرون به عليهم. قيل لبعض مشايخهم: ما أكثر صوابكم في مصروفاتكم! فقال: «نحن جماعة وفينا عقلاء وعارفون، ومن جرّب الأمور، ونازل المقامات فنحن نستشيرهم ثم نطيعهم فيما يشيرون به علينا فيكثر صوابنا».

ومن آدابهم الإعراض عن الدنيا وأهلها، والعزوف عن شهواتها، والتطرف عن ملاحظتها، وبذل المجهود بعد ذلك في الأوامر كما أخبر حارثة عن نفسه حين سأله النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «مَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيا فَاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُهَا وَحَجَرُهَا

---

(١) آ: ــ الحال.

(٢) آ: موروده.

[134] ابو أحمد محمد بن احمد بن حسنويه الحسنوي (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، كان فاضلاً، سمع أبا بكر بن خزيمة، وكان من كبار مشايخ الصوفية. (اللباب: ١/ ٣٦٦ ــ ٣٦٧).

(٣) ب: ــ سمعت... سمعت.

فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً. الحديث»[1].

ومن آدابهم ملازمة الحقوق ومجانبة الحظوظ قلّ أو كثر. وأصلهم في ذلك ما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ [يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً]﴾[2].

ومن[3] آدابهم ما حكي عن أبي حفص أنه قال حين سئل عن أحكام الفقر وآدابه فقال: «حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك الخصومات في الأرفاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طريقهم، والمعاونة[4] في أمر الدين والدنيا[5]».

ومن آدابهم دوام التوبة مما علموا ومما لم يعلموا[6] مما جرى عليهم من الغفلات. كذلك حكي عن الحسين بن منصور[135] أنه قال:

---

(١) رواه أبو نعيم في ترجمة الجنيد بن محمد: ١٠/٢٧٣.
(٢) آ: ــ يصليها... مشكوراً.
(٣) آ: + جوامع.
(٤) ب: ــ والمعاونة.
(٥) ب: في أمر الدنيا والدين.
(٦) في الأصل: مما عملوا ومما لم يعملوا.

[135] الحسين بن منصور المعروف بـ «الحلاّج»، أبو مغيث (٣٠٩هـ / ٩٢٢م) من أهل بيضاء فارس ــ أكبر مدينة في كورة اصطخر ــ ونشأ بواسط والعراق. وصحب الجنيد، وأبا الحسين النوري، وعمرو المكي، والفوطي وغيرهم. والمشايخ في أمره مختلفون. رده أكثرهم وأبوا أن يكون له قدم في التصوف. وقبله قسم من =

«التوبة مما لا تعلم تبعثك على التوبة مما تعلم، والشكر على ما لا تعلم يبعثك(١) على الشكر على ما تعلم لأنه حرام على العبد الحركة والسكون إلا بأمر يؤدّيه إلى أمر اللّه».

ومن آدابهم الحضور وقت الذكر(٢)، ومجانبة الذكر على الغفلة. كذلك قال أبو منصور[136]: «من ذكر اللّه وهو يشاهد غيره لا يزداد منه إلّا بعداً، ويقسو قلبه ويكون مستدرجًا لا يهتدي إلى من يرشده». وأنشد لبعضهم:

ما إن ذكرتك إلا هم (يبلغني شوقي وفكري وذكري عند ذكراكا)(٣)
حتى كان رقيب منك يهتف بي: إياك ويحك والتذكار إيّاكا

= جلتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبداللّه محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصرآباذي، وأثنوا عليه، وصحّحوا له حاله، وحكوا عنه كلامه وجعلوه أحد المحقّقين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور عالم رباني». قتل ببغداد، بباب الطاق يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة. (طبقات الصوفية: ٣٠٧ ـ ٣١١، تاريخ بغداد: ١١٢/٨ ـ ١٤١، سير أعلام النبلاء: ٣١٣/١٤ ـ ٣٥٣، وفيات الأعيان: ١٨٣/١ ـ ١٩٠، شذرات الذهب: ٢٣٣/٢ ـ ٢٥٧).

(١) ب: تبعثك.

(٢) آ: + على.

[136] أبو منصور: لعله أحمد بن محمد بن عبداللّه، أبو منصور العنبري الصوفي النيسابوري (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، نيسابوري سكن بغداد نيفاً وعشرين سنة وأثرى بها بعد أن كان لبس المرقعة أكثر من ثلاثين سنة. حدث ببغداد عن عبداللّه بن أحمد بن عامر الطائي الذي يروي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا. روى عنه الحاكم أبو عبداللّه بن البيع النيسابوري. (تاريخ بغداد: ٤٦/٥ ـ ٤٧).

(٣) ب: ـ يبلغني... ذكراكا.

قال الجنيد: ذكر الغفلة يكون جوابه اللعن والطرد.

ومن آدابهم مجانبة الطبع، وحمل النفس على الاستقامة. كذلك ذكر عن الحسين أنه قال: «إذا كان الجوع لغير اللّه انفتح به باب الشرور كلها؛ وإذا كانت العبادة بالجهل انفتح منه باب الكبر والعجب، وعلى العبيد أن يجعلوا طعامهم رزق اللّه في كل وقت إذا كان من الحلال، وأن يجعلوا أدامهم المقدار الذي يكفي. والحلاوة ميراث الجوع، والملح يحاسب العبد عليه، ولباس الصوف لمن هو غائب من[1] بين الناس، والمأوى في المساجد لمن كان بين الناس. فإنه حصن من العدو وليكن شعاركم القرآن، وسراجكم الفكر، وطيبكم التقوى، وطهارتكم التوبة[2]، ونظافتكم الماء، وبيتكم الورع، وشغلكم باللّه، وصومكم إلى الممات، ووديعتكم عنده، وصمتكم مراقبته، ونظركم مشاهدته. ولا يقدر على هذا الأمر إلّا من امتحن[3] اللّه (تعالى) قلبه بالتقوى. قال اللّه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[*].

ومن آدابهم ترك التدبير، والسعي في طلب الرزق، والسكون في كل الأحوال إلى مسوق[4] القضاء وضمان الحق. كما قال الحسين بن منصور: «من أراد أن يذوق شيئاً من هذه الأحوال فلينزل نفسه إحدى ثلاث منازل[5]: إمّا أن يكون كما كان في بطن أمه مدبَّراً غير مدبِّر،

---

(١) آ: ـ من.
(٢) آ: التقوى والتوبة.
(٣) آ: عمر.
(*) سورة الحجرات: ٣.
(٤) ب: مرف.
(٥) آ: منازل ثلاث.

مرزوقاً من حيث لا يعلم، أو كما يكون في قبره أو كما يكون في القيامة». وقال أيضاً: «المتوكل رزقه من حيث لا يعلم بغير حساب[١] ولا يكون عليه فيه[٢] سؤال».

ومن آدابهم ترك لفظة «أنا» و«نحن» و«لي» وما شابهها كما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنَّهُ[٣] اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أحدٌ[٤] فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟» فقال: «أنا» فقال: «أنا أنا، كَأَنَّهُ كَرِهَهُ»[٥]. وحكي عن أبي منصور أنه [قال][٦]: «إذا قال العبد أنا، قال الله [عز وجل][٧]: تعست! بل أنا، وإذا قال العبد: لا بل أنت يا مولاي، قال المولى: بل أنت يا عبدي. فيكون مراده مراد الله فيه».

ومن آدابهم اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الخلق. ومداواتها بدائها. كذلك [أخبرني أحمد بن عبدالله[137] بن يوسف القرميسيني

---

(١) آ: ــ بغير حساب.
(٢) ب: فيه عليه.
(٣) ب: + إذا.
(٤) آ: واحد.
(٥) رواه مسلم في الآداب عن جابر بلفظ: «أتيت النبي صلّى الله عليه وسلم فدعوت فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «من هذا؟» قلت: «أنا». قال: فخرج وهو يقول: «أنا أنا». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/١٣٥).
(٦) آ: ــ قال.
(٧) آ: ــ عز وجل.

[137] أحمد بن عبدالله بن يوسف، أبو العباس القرميسيني: لم أعثر على ترجمة له.

حدثني أبي[138] عن علي بن عبدالحميد](1) عن السري قال: «من نظر في عيوب غيره عمي عن عيوب نفسه، ومن عمل بما كلّف لم يضيّع ما كلّف ومن تكلّف ما لم يكلّف ضيّع ما قد كلّف».

ومن آدابهم التأدّب بأوامر المشايخ وحسن الطاعة لهم. وبهذا الإسناد عن السري أنه قال: «من أطاع من فوقه أطاعه من دونه، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز».

ومن آدابهم حفظ اللسان عن حمد الناس وذمّهم. كذلك بهذا الإسناد عن السريّ أنه قال: «خير الدين الورع، وخير الورع حفظ اللسان عن المدح والذمّ».

ومن آدابهم الاتعاظ بمرور الأوقات عليهم(2) واجتناب إهمال أوقاتهم وتضييعها. [كذلك ذكر بهذا الإسناد عن السريّ أنه](3) قال: «خذ موعظتك من الدهر ولا تستلذّ بمرور الأيّام والليالي عليك في إنفاذ شهواتك، واستدلّ على ما لم يأت من الدهر بما قد مضى، وأصلح فيما بقي من عمرك ما أفسدته فيما مضى من(4) أيامك».

ومن آدابهم تفويض أمورهم إلى الله ليستريحوا. [كذلك ذكر بهذا

---

[138] عبدالله بن يوسف القرميسيني: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

(1) السند محذوف في ب.

(2) آ: ــ عليهم.

(3) ب: ــ كذلك. . . انه. + قال السري.

(4) ب: ــ من.

الإسناد] عن السريّ [أنه قال][1]: «من فوّض أمره إلى الله[2] اعتدل عند العطية والمنع لعلمه بحسن اختيار الله له منعاً وعطاءً».

ومن آدابهم ترك الشهوات والإعراض عنها. [كذلك ذكر بهذا الإسناد عن السريّ أنه][3] قال: «إنفاذ الشهوات مذلّة في الدّنيا، وندامة وأسف في الآخرة، وعمى القلب وحجاب عن الله تعالى».

ومن آدابهم الإيمان بأوامر القرآن ليدلّهم على الخيرات ويرشدهم إلى سنيّ المراتب، كذلك ذكر [بهذا الإسناد][4] عن السريّ [رحمه الله][5] أنه قال: «اجعل القرآن شغلك ليكون العلم دليلك، والحذر رقيبك، والخوف سائقك، والرجاء قائدك، والإشفاق لباسك؛ وفكّر في وعد ووعيد واشتق إلى ما شوّقك إليه تنال بذلك منال من قرب العزيز الجواد».

ومن آدابهم عرضهم في كل أوقاتهم وأحوالهم وأخلاقهم وأفعالهم على القرآن ليعرفوا بذلك نقصهم. كذلك ذكر [بهذا الإسناد][6] عن السريّ أنه قال: «اعرض أخلاقك على مواجب القرآن لكي تمقت لنفسك وتخضع لربك وتعرف نقصك وابرامك».

ومن آدابهم العمل في معرفة النفس، وبعدها عن طريق الحق

---

(١) ب: بذلك قال السري.
(٢) ب: إلى الله أمره.
(٣) ب: قال السري.
(٤) ب: ـ بهذا الإسناد.
(٥) آ: ـ رحمه الله.
(٦) ب: ـ بهذا الإسناد.

ليعرفوا بذلك عيوبهم، ويزول عنهم بذلك مواقف العجب. كذلك ذكر بهذا الإسناد عن السري أنه قال: «معرفة النفس جلب الخوف للصديقين، ولولاه لواقعوا العجب وأحبوا التزكية لأنفسهم».

ومن آدابهم الأسفار والمقام في المواطن التي يهان ولا يكرم فيها. كذلك ذكر [بهذا الإسناد][1] عن السريّ أنه قال: «خير الأشياء لك[2] السير والاغتراب في البلاد التي لا تُعْرَفُ فيها، وخمول الذكر، والصبر على فِلَقِ[3] الكسرة والدّون من الثياب ليأتيك الموت وأنت غير متأسّف على شيء من الدنيا».

ومن آدابهم العمل في إسقاط العجب عن النفس لئلا يستحسن من نفسه شيئاً فيهلك به [كذلك ذكر عن السريّ أنه قال: «من العجب أن يحتقر قليل الإساءة][4] ويستكثر قليل العمل فيما يماري به ويدّعي بذلك الفضل على غيره[5] فيزدري[6] بهم وذلك من قلة معرفته بنفسه. فإن من عرف نفسه أسقط[7] عنه العجب». وقال بعضهم: العجب يمنع من معرفة قدر النفس.

---

(١) ب: ـ بهذا الإسناد.

(٢) آ: ـ لك.

(٣) الفلق: بكسر الفاء ما تفلق من الشيء والواحد فلقة. وقد يقال لها فلق. (لسان العرب، مادة فلق).

(٤) آ: ـ كذلك ذكر . . . الإساءة.

(٥) آ: غيرك.

(٦) ب: ويزدري.

(٧) ب: سقط.

ومن آدابهم استعمالهم بالمروءة في كل أحوالهم كذلك ذكر [بهذا الإسناد](1) عن السريّ أنه قال: «المروءة هي القيام بأمر الله ونهيه، والتقرب إلى الله بأعلى الأخلاق وأشرفها». وقال الجنيد: «المروءة أن لا ترى لنفسك على أحد فضلاً». وقال أبو حفص: «هو أن تبذل لإخوانك جاهك ومالك في الدنيا وتخصّهم بالدعاء في(2) العقبى». وقال أبو عثمان: «المروءة أن تصون نفسك عن المخالفات». وقال عبدالله بن المبارك: «المروءة أن لا تعرض عمّن أقبل على الله تعالى(3)».

ومن آدابهم ملازمة الفقر، وأكل الكسرة، ولبس الخرقة، والتنزه عن التدنّس(4) بشيء من حطام هذه(5) الفانية اختياراً لا(6) اضطراراً [كذلك قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «يَا ابنَ آدَمَ يَكْفِيكَ مِنْهَا مَا سَدَّ جَوْعَتَكَ وَوَارَى عَوْرَتَكَ وَإِنْ كَانَ شَيْئاً وَارَى كَفَاكَ فِلَقُ الْخُبْزِ وَمَاءُ الحرّ(7) وَمَا فَوْقَ الإِزَارِ حِسَابٌ عَلَيْكَ»](8).

---

(1) ب: ـ بهذا الإسناد.
(2) ب: إلى.
(3) ب: ـ تعالى؛ + عز وجل.
(4) آ: التدنيس.
(5) آ: الدنيا.
(6) آ: الا.
(7) يوجد هذا الحديث في مواضع كثيرة باختلاف يسير: . . . «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» رواه الترمذي (قيامة: ٣٤) والحاكم (الرقاق: ٣١٢/٤) وصححاه والبيهقي. كذا رواه الطبراني والأحمد (٨١/٥). الترغيب، ج ٤، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.
(8) ب: ـ كذلك قال . . . عليك.

ومن آدابهم مناقرة(*) الصوفية فيما بينهم ومصالحتهم، والحفظ على إخوانهم ما يصغونه من أحوالهم، [سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول: سمعت الخلدي يقول: سمعت](١) رويمًا يقول: «لا يزال الصوفية بخير ما تناقروا، فإذا اصطلحوا هلكوا».

ومن آدابهم قلّة المقال وملازمة الفعال [سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول: سمعت محمد بن الفضل[139] يقول سمعت محمد بن الحسين النقاش[140] يقول سمعت](٢) رويمًا يقول: «إذا وهب الله لك المقال [والفعال فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تبال فإنها نعمة، وإن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال](٣) فإنها مصيبة وإن أخذ منك المقال والفعال فحينئذ نعمة».

(*) المناقرة: المنازعة ومراجعة الكلام. بيني وبينه مناقرة أي كلام. والمناقرة: مراجعة الكلام بين اثنين وحثهما أحاديثهما وأمورهما. لسان العرب: ٣/٧٠٢.

(١) السند محذوف في ب.

[139] لعله محمد بن الفضل السدوسي سبقت الإشارة إليه تحت رقم: [54]، أو محمد بن الفضل البلخي، أبو عبدالله (٣١٩هـ/ ٩٣١م)، بلخي ولكنه أخرج منها بسبب المذهب، فنزل سمرقند ومات بها. صحب أحمد بن خضرويه وغيره من المشايخ، وهو من أجلّة مشايخ خراسان. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٢١٢ ـ ٢١٦، حلية الأولياء: ١٠/٢٣٢).

[140] لعلّه محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، النقّاش (٢٦٦ ـ ٣٥١هـ/٨٧٩ ـ ٩٦٢م)، موصليّ ثم بغداديّ. علّامة مفسر شيخ القراء، لكنه متهم في الحديث. (الفهرست لابن النديم: ٥٠، تاريخ بغداد: ٢/٢٠١ ـ ٢٠٥، سير أعلام النبلاء: ١٥/٥٧٣ ـ ٥٧٦، وغير ذلك).

(٢) ب: السند محذوف في ب.

(٣) آ: ـ الفعال... المقال.

ومن آدابهم الإفضال والإيثار على الإخوان. [سمعت نصر بن أبي نصر يقول سمعت أبا الحسين المالكي[141] يقول](١) سئل بعض مشايخ الصوفية عن التصوّف وآدابه فقال: «هو أربع مقامات متى اجتمع في إنسان استحق التصوّف وهو الفضل، والإيثار، والصبر، والدراية [فالفضل أنه لو أوتي ملك الدنيا إنسان ثم سأل سائل لا تجده(؟) ثم رأى أن له الفضل أن جعله مكاناً للسؤال فليس بمتفضل. وأما الإيثار فالخروج من الشيء ودفعه إلى من كان وإن كان محتاجاً. وأما الصبر فحمل النفس على المكاره، وأما الدراية فالعلم النافع وإلّا فالسكوت](٢).

ومن آدابهم كراهية الأكل وحده. [أخبرنا نصر بن أبي نصر قال اخبرنا أحمد بن عبدالله بن الناقد[142]، قال ابن الروذباري[143]، قال ابن أحمد هرون بن أحمد بن محمد الحداد ابن محفوظ بن أبي توبة، عن سفيان بن عيينة[144]،

---

[141] أبو الحسين المالكي: لم أعثر على ترجمة له.

(١) السند محذوف في ب.

(٢) ب: ـ فالفضل انه . . . فالسكوت.

[142] أحمد بن عبدالله بن الناقد، لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

[143] هو أبو علي الروذباري، سبقت ترجمته تحت رقم: [17].

[144] سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ـ مولاهم ـ أبو محمد الأعور الكوفي (١٠٧ ـ ١٩٨هـ / ٧٢٥ ـ ٨١٣م). كوفي، ثم مكي، حافظ، إمام حجة، إلّا انه تغير حفظه بآخره وكان ربما دلّس، لكن عن الثقات. سمع من كبار التابعين، وسمع منه الأعلام كالأعمش، وابن جريج، وشعبة، والحميدي، والشافعي، وابن المديني وغيرهم. قال الشافعي عنه: «لولا مالك وابن عيينة =

عن الزهري[145]](١)، عن السايب بن يزيد[146]، قال: «كان الرجل في الجاهلية إذا أكل وحده عيِّر بذلك ولده من بعده» وروي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «وَشَرُّكُمْ مَنْ يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَيَمْنَعُ رَفْدَهُ»(٢).

ومن آدابهم مجانبة الرياء والعجب، [وعن نصر بن أبي نصر قال

= لذهب علم الحجاز». (خلاصة تذهيب الكمال: ٣١٩، التاريخ الكبير: ٩٤/٤، حلية الأولياء: ٢٧٠/٧، طبقات ابن سعد: ٤٩٧/٥، سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٨ ـ ٤٧٥، طبقات ابن سعد: ٤٩٧/٥، الجرح والتعديل: ٣٢/١، ٥٤...).

[145] هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري (١٢٤هـ/ ٧٤١م)، رأى عشرة من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. روى عنه جماعة من الأئمة منهم مالك وابن عيينة، والثوري. وقال مالك: «كان ابن شهاب من أسخى الناس، وثقياً ماله في الناس نظير». (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٣٥٩).

(١) السند محذوف في ب.

[146] السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، أبو عبدالله (٩١هـ/ ٧٠٩م). كان جده سعيد بن ثمامة حليف بني عبد شمس. قال السائب: حجّ أبي مع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأنا ابن سبع سنين، له نصيب من صحبة ورواية. حدّث عنه الزهري، وإبراهيم بن عبدالله بن قارظ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وآخرون. (التاريخ الكبير: ١٥٠/٤، الوافي بالوفيات: ١٠٤/١٥، سير أعلام النبلاء: ٤٣٧/٣ ـ ٤٣٩).

(٢) رواه الحاكم عن ابن عباس بلفظ: «ألا أونبئكم بشراركم: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده». وروى الطبراني شبيهه عن ابن عباس أيضاً. انظر: كنز العمال: ٥٢/١٦، حديث: ٤٣٨٩٧، ٤٣٨٩٨.

ابن جعفر الخلدي، قال: سمعت الجنيد يقول سمعت السريّ][1] يقول: «إنما أذهب أكثر أعمال الفقراء[2] العجب والريا».

ومن آدابهم قلّة الأكل واجتناب الشبع. وأصلهم فيه قول النبي صلّى الله عليه وسلّم للرجل الذي تَجشَّأَ عنده: «أكْفِفْ جُشَاءَكَ عَنَّا فإنَّ أكْثَرَكُمْ شِبَعاً في الدُّنْيا أطْوَلُكُمْ جُوْعاً يَوْمَ الْقِيَمَةِ»[3]. سمعت عبدالله بن عثمان بن يخبرة[147](؟) يقول: سمعت أبا عمرو بن السماك[148] يقول قال المرورزي[149]: «ما شبعت منذ خمسين سنة». سمعت علي بن سعيد يقول، سمعت أحمد بن البرذعي[150] يقول: سمعت العباس بن

---

(١) السند محذوف في ب.

(٢) في الأصل: القراء، ربما الفقراء.

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند رسول الله صلّ الله عليه وسلّم؛ فقال: كفّ عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة. رواه الترمذي، وابن ماجة من رواية يحيى البكاء عنه؛ وقال الترمذي: حديث حسن، الترغيب، ج ٣، ص ١٣٧؛ فيض القدير، ج ٥، ص ٨.

[147] عبدالله بن عثمان بن يخبرة: لم أعثر على ترجمة له.

[148] أبو عمرو بن السماك: عثمان بن أحمد بن عبدالله، أبو عمرو الدقاق المعروف بابن السماك (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) ـ سمع محمد بن عبيدالله بن المنادي، والحسن بن مكرم، ويحيى بن أبي طالب، وغيرهم. روى عنه الدارقطني، وابن شاهين، وأبو نصر بن حسنويه النرسي، وغيرهم. وكان ثقة، ثبتاً، يسكن درب الضفادع. وأكثر الكتاب، وكتب الكتب الطوال والمصنفات بخطه. توفي أبو عمرو يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الأول بعد الصلاة ودفن يوم السبت. (تاريخ بغداد: ١١/٣٠٢ ـ ٣٠٣).

[149] المرورذي.

[150] أحمد بن محمد بن علي بن هارون البرذعي، أبو العباس الحافظ. حدث بدمشق عن أبي الحسن علي بن مهرويه القزويني وغيره. وروى عنه أبو الحسين بن الميداني، ومكي بن محمد وغيرهما. (تاريخ دمشق: ٣/٣٦٤ ـ ٣٦٦، طبقات الصوفية: ١١٢، حاشية: (١)).

عبدالله[151] يقول، سمعت(١) سهل [بن عبدالله] يقول: «أصل هذا الأمر السكون إلى الله وقلة الغذاء والهرب من الخلق».

ومن آدابهم كراهية مجالسة الأغنياء لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»(٢). [سمعت عبدالله بن عثمان يقول سمعت أبا عمرو بن السماك يقول سمعت القاسم بن منبه[152] [يقول] سمعت](٣) بشر بن الحارث يقول [«إذا رأيتني أحبّ أن يجالسني غنيّ فاعلم أني قد تكسّبت» وقال بشر:](٤) «حسبك بمعرفة الناس، وصحبة الأغنياء رأس الدنيا، وإذا تركت مجالسة الناس وصحبة الأغنياء فهي الزهد».

ومن آدابهم كتم ما يمكن كتمانه من أحوالهم وأفعالهم [سمعت

---

[151] العباس بن عبدالله: لم أعثر على ترجمة له.

(١) السند محذوف في ب.

(٢) روى هذا الحديث أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه. إلا أن هناك «أسفل منكم» بدل «دونكم» و «فهو» بدل «فإن ذلك». انظر: الترمذي، قيامة ٥٨؛ ابن ماجه، زهد ٩؛ ابن حنبل، ج ٢، ص ٢٥٤، ٤٨٢.

[152] القاسم بن منبه بن ياسين، أبو محمد الحربي. روى عن بشر بن الحارث حكايات. حدث عنه أبو مقاتل محمد بن شجاع، ومحمد بن عمرو الرزاز (تاريخ بغداد: ١٢/٤٣٤).

(٣) السند محذوف في ب.

(٤) آ: ــ إذا رأيتني... وقال بشر.

عبدالله بن عثمان يقول سمعت أبا الفضل أحمد بن عبدالله[153] قال [أحمد بن محمد بن](١) هارون بن الحسن قال: «كنا عند معروف الكرخيّ عند صلوة العصر فجاءت سائلة فقالت: أعطوني شَيْئاً أفطر عليه فإني صائمة، فدعاها معروف فقال يا أختي أفشيت سرّ الله، وتأملين أن تعيشين إلى الليل».

ومن آدابهم العمل في إسقاط رؤيتهم عن أفعالهم وعباداتهم. سمعت أبا الطيب البصري[154] يقول: «من لم يتدرج(٢) وفاء العبودية في عز الربوبية لم تصف له العبودية، لمشاهدة نفسه وأفعاله وسكونه وحركاته».

ومن آدابهم حفظ التوبة على جميع جوارحهم الظاهرة والباطنة. [سمعت أبا الحسين الفارسي[155] (يقول) سمعت فارس الدينوري[156]

---

[153] لعلّه: أحمد بن عبدالله بن سليمان بن عيسى بن الهيثم، أبو الفضل الوراق المعروف بابن الفاني (٣٤٤هـ / ٩٥٥م). سمع أبا مسلم الكجي، ومحمد بن جعفر القتات وغيرهما. وكان ثقة. (تاريخ بغداد: ٤/٢٣٣).

(١) السند محذوف في ب.

[154] أبو الطيب البصري: لم أعثر على ترجمة له.

(٢) ب: يدرج.

[155] محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسين الفارسي (٣٧٠هـ / ٩٨٠م).

[156] فارس بن عيسى، أبو الطيب الصوفي الدينوري، صحب الجنيد بن محمد، وأبا العباس بن عطاء وغيرهما. وانتقل إلى خراسان فنزلها. وكان له لسان حسن. يقال إنه مات بسمرقند. قال أبو نعيم: «فارس بن عيسى الصوفي بغدادي، وكان من المتحققين بعلوم أهل الحقائق، ومن الفقراء المجردين للفقر وترك الشهوات. جالس الجنيد بن محمد ويوسف بن الحسين وأقرانهما من =

يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت](١) ذا النون يقول: «على كل جارحة توبة ظاهراً وباطناً. فعلى القلب مداومة الخطرات، وعلى الجوارح مداومة الحركات، وعلى السرّ حفظ محمود الإضمار، وعلى الأعضاء حفظ محمود الأفعال، وهي التوبة النصوح قال اللّه تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾(٢)».

ومن آدابهم تصحيح الابتداء ليصح لهم الانتهاء. كذلك ذكر عن أبي العباس بن عطاء أنه كان يقول: «لا يرتقي في الدرجات العُلى من لم يُحكم فيما بينه وبين اللّه أوائل البدايات وهي: الفروض الواجبة، والأوراد الزكيّة، ومطاوي الفضل، وعزايم الأمر؛ فمن أحكم ذلك مَنَّ اللّه [عليه](٣) بما بعده».

ومن آدابهم قلّة الكلام في حال لم ينازلوه، والإخبار عن طريق لم يسلكوه. كذلك روي عن الشبلي أنه قال: «ما أقبح بالرجل وَصَفَ طريقاً لم يسلكه وَوَصَفَ حالاً لم ينازله».

ومن آدابهم التجرّد في الدنيا بما أمكنهم [سمعت أبا الحسين بن أبي عمرو البلخي[157] يقول، سمعت عمر بن محمد[158] يقول،

= الشيوخ. ورد نيسابور وخرج ـ على أكبر ظني ـ سنة أربعين ومائتين، وسكن مرو. ثم لم أقف على أخباره بعد ذلك». (تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٩٠).

(١) السند محذوف في ب.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٠.

(٣) آ: ـ عليه.

[157] أبو الحسين بن أبي عمرو البلخي: لم أعثر على ترجمة له.

[158] عمر بن محمد بن إبراهيم.. بن سبنك البجلي البغدادي (٢٩٠ ـ ٣٧٦هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٨٦م)، من ذرية جرير بن عبدالله رضي الله عنه. سمع =

سمعت أبا العباس][(١)] بن عطاء[159] يقول: «كلّ آخذٍ من الدنيا إذا نقص ما له فيها اتضع عند النّاس إلا الصوفيّ، فإنّه كلما تجرّد من الدنيا كان أعظم عندهم وفي أعينهم».

ومن آدابهم ما سئل أبو حفص عن الأدب مع اللّه والأدب مع عباده فقال: «الأدب مع اللّه القيام بأوامره على حدّ الإخلاص، وصحة

= محمد بن حبّان، وعبداللّه بن إسحاق المدائني، ومحمد بن محمد الباغندي وجماعة. وعنه: القاضي عبدالوهاب المالكي، وعبيداللّه بن أحمد الأزهري، وأبو القاسم التنوخي وآخرون. وثقه الخطيب. (تاريخ بغداد: ١١/٢٦١ ـ ٢٦٢، سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٧٨، شذرات الذهب: ٣/٨٧).

(١) السند محذوف في ب.

[159] هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس الأدمي الصوفي (٣٠٩هـ / ٩٢٢م)، كان أحد شيوخهم الموصوفين بالعبادة والاجتهاد وكثرة الدرس للقرآن، وحدث بشيء يسير عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد صاحب أحمد بن حنبل ونحوهما. روى عنه محمد بن علي بن حبيش الناقد. روى أبو العباس بطريق الفضل بن زياد عن هارون بن معروف أنه قال: «أقبلت على الحديث وتركت القرآن، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: «من آثر الحديث على القرآن عوقب». فما حال عليّ الحول حتى ذهب بصري». وكان لأبي العباس في كلّ يوم ختمة وفي شهر رمضان كلّ يوم وليلة ثلاث ختمات. وبقي في ختمة يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة ليستروح إلى معاني مودعها، فمات قبل أن يختمها. قال عبداللّه بن محمد السجزي: «لم أر في جملة مشايخ الصوفية أفهم من ابن عطاء». قال أحمد بن عطاء الأدمي: «لا يكون غناء النفس إلا للأولياء خاصة، وقد يكون المؤمن غنيّ القلب ولا يكون غنيّ النفس. وكذلك إسلام النفس لا يكون إلا للأولياء خاصة، وقد يكون المؤمن سليم القلب ولا يكون سليم النفس». وقال على سؤال عن العبودية: «ترك الاختيار، وملازمة الافتقار». مات أبو العباس بن عطاء لأيام خلت من ذي القعدة. (تاريخ بغداد: ٥/٢٦ ـ ٣٠).

المعاملة في الظاهر والباطن مع الخوف من الله والهيبة منه، والصحبة مع الخلق بالرفق عند البلوى والحلم عند الاختيار والسخاء والكرم عند ما يخاف[1] هواه، والعفو عند المقدرة، والرحمة والشفقة عليهم، والأخذ بالفضل، وصلة القاطع، والإحسان إلى المسيء، وتعظيم جميع المسلمين فإن أحداً من المسلمين لا يخلو من فضل الله[2] ومنته».

ومن آدابهم تصحيح علم الظاهر والباطن جميعاً. كذلك حكي عن يحيى بن معاذ أنه قال: «علم الظاهر سلوك الطريق، وعلم الباطن علم آداب المنزل».

ومن آدابهم احتمال المحن[3] والبلايا في منافع الناس غاية جهدهم. [سمعتُ عبدالواحد بن بكر[160] يقول سمعت أحمد بن علي[161] يقول سمعت][4] علي بن عبدالحميد، يقول: «مثل الصوفيّ

(١) آ: ما يخالف.

(٢) ب: من فضله.

(٣) ب: المؤن.

[160] هو عبدالواحد بن بكر، أبو الفرج الورثاني الصوفي (٣٧٢هـ / ٩٨٢م)، كتب الكثير. دخل جرجان سنة خمس وستين وثلاثمائة، وسمع وحدث بها بأخبار وأحاديث وحكايات توفي بالحجاز. (تاريخ جرجان: ٢١١).

[161] لعله: أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان، أبو حامد المقرىء (٢٤٨ ـ بعد ٣٤٠هـ / ٨٦٢ ـ بعد ٩٥١م)، التاجر المعروف بالحسنويه النيسابوري. قال الخطيب: «لم يكن بثقة». وهو شيخ أبي عبدالله الحاكم. قال الحاكم: «لو اقتصر على سماعاته الصحيحة كان أولى به. حدث عن جماعة أشهد بالله أنه لم يسمع منهم، ولا أعلم له حديثاً وضعه، ولا إسناداً ركبه». (ميزان الاعتدال: ١/١٢١).

(٤) السند محذوف في ب.

مثل الشمس التي تطلع على كل أحد، والأرض التي يطأها[1] كل شيء والماء الذي يشربه كلّ شيء؛ والنار التي يستضيء بها كل شيء». وقال بعضهم: «مثل الصوفيّ مثل الأرض تحمل الأذى وتنبت المرعى».

ومن آدابهم الشفقة على الأصحاب وحسن الظن بهم، والكلام عليهم على[2] حدّ النصح. [أخبرنا أبو العباس [محمد بن الحسن] البغدادي قال: أخبرني محمد بن عبدالله الفرغاني[162] قال، سمعت الجنيد يقول؛ وقد كلّمه أصحابه في الذين يقفون على الحلقة فيسألونه؛ أنّهم ليسوا موضعاً لجوابه وأنهم يتعنتون [و] أحب أصحابه أن لا يجيبهم. فقال الجنيد: «رؤيتي فيهم غير رؤيتكم؛ إنما أومل أن يكونوا يتعلقون بكلمة فتكون سبباً لنجاتهم][3]».

ومن آدابهم حفظ حرمات المشايخ وبركات التأدّب بمجالستهم وآدابهم. [أخبرنا محمد بن الحسن الخشاب قال: سمعت محمد بن عبدالله الفرغاني يقول: سمعت][4] الجنيد يقول: «كنت أجلس إلى شيوخ بضع عشرة سنة وهم يتكلمون في هذه العلوم وما كنت أفهم ما يقولون ولا أنكر عليهم؛ وكان فائدتي منهم من جمعة إلى جمعة أنّي أجيىء فأسمع ما يقولون، وعندي أنه حق لم أبد بالإنكار عليهم.

---

(١) ب: يطأ عليها.

(٢) آ: في.

[162] هو محمد بن الحسن بن سعيد بن الخشاب، أبو العباس المخرمي الصوفي المعروف بابن الخشاب. سبقت ترجمته.

(٣) ب: ــ أبو العباس... لنجاتهم.

(٤) السند محذوف في ب.

فما مضت هذه المدة حتى إذا جرت مسئلة جاءوني إلى البيت فسألوني عنها وقالوا: جرت مسئلة كيت وكيت فأحببنا أن تسمعها أو نحو هذا من الكلام».

ومن آدابهم أن يجتهدوا أن لا يأكلوا بدينهم [سمعت محمد بن خالد البغدادي[163] يقول، سمعت عبدالله الفارسي[164] يقول، سمعت أبا الحسن الرازي[165] يقول، سمعت يوسف بن الحسين يقول، سمعت](١) أبا تراب النخْشبي يقول: «ما تمنت(٢) عليّ نفسي إلا مرّة تمنت(٢) علي خبز وبيض وأنا في سفر، فعدلت عن الطريق إلى قرية فلما دخلتها وثب عليّ رجل وتعلّق بي وقال: «كان في اللّصوص». فبطحوني وضربوني سبعين جلدةً، فوقف رجل عليّ فقال: «ويحكم هذا أبو تراب [النخشبي]»(٣). فأقاموني واعتذروا [إليّ](٤). أدخلني الرجل منزله وقدم إليّ بخبز وبيض. فقلت لنفسي: «كلي(٥) بعد سبعين جلدة».

ومن آدابهم التواجد في السماع والسكون فيه، إلاّ أن يكون عن

---

[163] محمد بن خالد البغدادي: لم أعثر على ترجمة له.

[164] عبدالله الفارسي: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

[165] ابو الحسن (الحسين) الرازي: لم أعثر على ترجمته أيضاً.

(١) السند محذوف في ب.

(٢) في الأصل: تمنيت.

(٣) ب: ــ النخشبي.

(٤) آ: ــ إلي.

(٥) ب: كلها.

غلبة(١) وجدٍ يعرف حقيقته. سمعت أبا بكر الرازي يقول، سمعت المرتعش[166] يقول: «من تواجد ولم يوافق(٢) تواجده زيادة؛ فينبغي له أن يستحيي ويتوب. فإن الله أحق أن يستحيي منه».

ومن آدابهم تناول الطعام على مقدار القوام. قال أبو العباس بن عطاء: «من طلب الطعام لغير القوام كان انتفاعه سقام».

ومن آدابهم ترك الكلام على عوام الناس إلاّ أن يجد مريداً طالباً لمقصده، فيتكلم عليه بمقدار ما يدله ولا يزيد على ذلك. فإنه قيل لأبي الحسين النوري[167] لمّا دخل مصر أن يتكلم على إخوانه قال:

---

(١) ب: عن غير غلبة.

[166] أبو محمد عبدالله بن محمد المرتعش النيسابوري (٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، صحب أبا حفص الحداد، وأبا عثمان الحداد، ولقي الجنيد وصحبه، وأقام ببغداد حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم، حتى قال أبو عبدالله الرازي: «كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاث: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخلدي». (طبقات الصوفية: ٣٤٩ ـ ٣٥٣، حلية الأولياء: ١٠/٣٥٥، تاريخ بغداد: ٧/٢٢١، سير أعلام النبلاء: ١٥/٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) آ: ولم يرق.

[167] أبو الحسين النوري = أحمد بن محمد (٢٩٥هـ / ٩٠٧م)، بغداديّ المنشأ والمولد، خراسانيّ الأصل، يعرف بابن البغوي. كان من أجلّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً. صحب سريّاً السقطيّ، ومحمد بن علي القصّاب، ورأى أحمد بن أبي الحواري (طبقات الصوفية: ١٦٤ ـ ١٦٩، حلية الأولياء: ١٠/٢٤٩ ـ ٢٥٥، تاريخ بغداد: ٥/١٣٠ ـ ١٣٦ وغير ذلك).

«لا، هم في سفر الوحشة [وذكر الحق بينهم غيبة][١]. ولو وجدت مريداً متحققاً، أو طالباً مسترشداً لتكلمت عليه بمقدار ما يتحقق به المريد أو يصل الطالب إلى مراده ومقصده. لكني أتحقق(*) إذا تكلمت [كلمة تكلمت][٢] بشهوة وإذا سمعوا سمعوا بلهو، ففائدتي في كلامي قضاء وطري فيه، والتزين به؛ وفائدتهم في سماع كلامي أن يدّعوا بما ليس لهم به علم ولا خبر».

ومن آدابهم ملازمة حال المراقبة والمشاهدة في ظاهرهم وباطنهم. كذلك قال أبو الحسين النوري: «من لم يعرف ولم يراقب اللّه في أعماله لم يشاهد اللّه في أحواله ومن [لم][٣] يذكر اطلاع اللّه عليه لم يحسن المراقبة له».

ومن آدابهم استعمال المروءة مع اللّه تعالى في معاملاته. كذلك قال يحيى بن معاذ: «عامل اللّه بالمروءة وهو: أن تشاهد مَنَّه[٤] عليك في أن وفقك لخدمته ولا تمنَّ عليه بطاعته، ولا تطلب على عملك جزاءً وتفني عمرك [في][٥] شكر ما أَهّلتَ له[٦] من خدمته وعبادته».

ومن آدابهم استعمال الأدب في طلب الحاجة من اللّه تعالى

---

(١) ب: وذكر الخلق بينهم عليهم.

(*) كذا في الأصل، ربما أتخوف.

(٢) ب: ــ كلمة تكلمت.

(٣) آ: ــ لم.

(٤) آ: منه منته.

(٥) آ: ــ في.

(٦) آ: ــ له.

وهو أن تطلب بلسان الافتقار، لا بلسان الحكم. ولزوم الأدب في طلب الحاجة دليل قرب نجاحها.

ومن آدابهم وصية أصحابهم بصحبة من يدلهم على السبيل إلى اللّٰه والإقبال عليه، ويزهد في الدنيا. سمعت محمد بن عبداللّٰه بن شاذان يقول، سمعت يوسف بن الحسين يقول، قلت لذي النون وقت مفارقتي له: «من أصحب ومن أجالس؟ قال عليك بمجالسة من يُذكِّرك اللّٰه رؤيتُه وتقع على باطنك هيبته(١) ويزيد في علمك(٢) منطقه، ويزهِّدك في الدنيا عمله(٣) ولا تعصي(٤) اللّٰه ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله». وقال رجل للجنيد: أوصني فقال: «من دلّك على اللّٰه فكن معه، ومن دلّك على الدنيا فتباعد عنه». وقال رجل لأبي حفص: أوصني. فقال: «كن لربّك عبداً حقاً ولأصحابك أخاً صدقاً، واعلم أنه لا أحد من المسلمين إلاّ وله مع اللّٰه سرٌّ فاحفظ حرمة ذلك السرِّ وإيَّاك وأن تحتقر(٥) أحداً من المسلمين فتزلّ زلّة لا تنعش منها أبداً». وقال رجل لمحمّد بن القصّاب [168]: أوصني. فقال: «أوصيك

---

(١) آ: هيبته على باطنك.

(٢) آ: عملك.

(٣) آ: علمه.

(٤) ب: ولا يعصي.

(٥) آ: تحقر.

[168] هو محمد بن علي أبو جعفر القصاب (٢٧٥هـ/٨٨٨م). كان أستاذ الجنيد. وكان الجنيد يقول: «الناس ينسبونني إلى سريّ ــ يعني السقطي ــ وكان أستاذي محمد القصاب». (تاريخ بغداد: ٦٢/٣).

بما أوصي به الفضيل[169] بعض أصحابه حين استوصاه فقال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟﴾(١).

ومن آدابهم التباعد عن خدمة الأغنياء طمعاً فيهم. [أخبرنا أحمد بن نصر النرسي[170] ببغداد قال: حدثني محمد بن مخلد[171] قال

---

[169] الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي، ثم اليربوعي (١٨٧هـ/٨٠٢م). خراساني من ناحية مرو، من قرية يقال لها «فندين». وذكر إبراهيم بن شماس أنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد. وقال عبدالله بن محمد بن الحارث: «فضيل بن عياض بخاريّ الأصل» ومعنى ذلك أنه تركي. مات في المحرم. وأسند الحديث. انظر لترجمته: (طبقات الصوفية: ٦ ـ ١٤، حلية الأولياء: ٨٤/٨ ـ ١٤٠، الرسالة القشيرية: ١١، طبقات الشعراني، ٧٩/١ ـ ٨٠، وفيات الأعيان: ٥٢٥/١).

(١) سورة يوسف: ٣٩.

[170] لعله أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون، أبو نصر البزار النرسي (٣٣٠ ـ ٤١١هـ/٩٤١ ـ ١٠٢١م). سمع محمد بن عمرو الرازي، وأبا عمرو بن السماك، وأبا بكر الأدمي وغيرهم. وكان الخطيب ممن كتب عنه. وكان صدوقاً، صالحاً. مات في يوم الجمعة لتسع خلون من ذي القعدة، من عمر بلغ إحدى وثمانين سنة. (تاريخ بغداد: ٣٧١/٤).

[171] هو محمد بن مخلد بن حفص، أبو عبدالله الدوري العطار (٢٣٣ ـ ٣٣١هـ/٨٤٧ ـ ٩٤٣م). كان أحد أهل الفهم، موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة، مذكوراً بالعبادة. ولد في شهر رمضان. سمع أبا السائب سلم بن جنادة، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، والفضل بن يعقوب الرخامي، وأبا يحيى محمد بن سعيد العطار، ومسلم بن الحجاج وغيرهم. روى عنه أبو العباس بن عقدة، ومحمد بن الحسين الآجري، وأبو بكر بن الجعابي، والدارقطني، ومن في طبقتهم. وكان ينزل في «الدورقي»، وهي محلة في آخر بغداد بالجانب الشرقي في أعلى البلد. ثقة، مأمون. قال الخطيب: حدثنا محمد بن عبدالعزيز البرذعي ـ حدثنا أحمد بن =

ابن عمر بن فيروز[172] سمعت](١) بشر بن الحارث يقول: «لو لم يكن في القنوع إلّا التمتع بالعزِّ لكفى صاحبه».

ومن آدابهم ترك جميع الشهوات. [أخبرنا أحمد بن نصر بن مخلد[173] قال](٢) بشر بن الحارث يقول: «إذا رأيت القارىء الفقير يُسَوّي ثياب غني [بطمع](٣) فاعلم أنه ممقوت».

ومن آدابهم التعزّز بالقناعة. [أخبرنا أحمد بن نصر قال حدثني ابن مخلد قال ابن محمد بن يوسف[174] قال حدثني أبو نصر غلام البزار[175]: سمعت](٤) بشر بن الحارث يقول: «أوحى الله إلى داود

= محمد بن عمران ـ حدثنا أبو عبدالله محمد بن مخلد العطار قال: «ماتت والدتي فأردت أن أدفنها في مقبرة درب الريحان فنزلت ألحدها أنا فانفرجت لي فرجة من قبر بلزقها، فإذا رجل عليه أكفان جدد على صدره طاقة ياسمين طرية، فأخذتها فشممتها فإذا هي أزكى من المسك، وشمها جماعة كانوا معي في الجنازة».
مات محمد بن مخلد يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وله سبع وتسعون سنة، وثمانية أشهر، وأحد عشر يوماً.
(تاريخ بغداد: ٣/٣١٠ ـ ٣١١).

[172] ابن عمرو بن فيروز ـ لم أحصل على ترجمة له.

(١) السند محذوف في ب.

[173] أحمد بن نصر بن مخلد: لم أحصل على ترجمة له أيضاً.

(٢) السند محذوف في ب.

(٣) ب: ـ بطمع.

[174] ابن محمد بن يوسف: لم أحصل على ترجمة له أيضاً.

[175] أبو نصر غلام البزار: لم أحصل على ترجمة له أيضاً.

(٤) السند محذوف في ب.

عليه السلام: يا داود حذّر أهلك أكل الشهوات، فإنّي إنما خلقت الشهوات لضعفة خلقي فما للأبطال والشهوات».

ومن آدابهم مجانبة الشبع من الحلال لئلاّ يتخطّى به الشبهة والحرام. [أخبرنا أحمد بن نصر قال حدثني ابن مخلد قال حدثني علي بن خليد[176] قال كان أبو العباس البغدادي بحلب يقول سمعت](١) بشر بن الحارث يقول: «لا تعوّدْ نفسك الشبع من الحلال فتخطّى بك إلى الشبهة والحرام».

ومن آدابهم التَّمْييزُ في إجابة الدعوات. [أخبرني أحمد بن نصر النرسي قال حدثني ابن مخلد قال حدثني موسى بن هرون الطوسي[177]، قال: حدثني محمد بن هيصم[178]،

---

[176] هو علي بن خليد، أبو الحسن الدمشقي. حدّث ببغداد عن عبدالله بن خبيق الأنطاكي، وأبي الحسن أحمد بن مسكين. روى عنه عباس بن يوسف الشكلي، ومحمد بن مخلد الدوري، ومحمد بن عبيدالله بن زبورا. (تاريخ بغداد: ١١/٤٢٣).

(١) السند محذوف في ب.

[177] موسى بن هارون بن عمرو، أبو عيسى الطوسي (٢٨١هـ/ ٨٩٤م). سمع الحسين بن محمد المروزي، ومعاوية بن عمرو الأزدي، وأبا بلال الأشعري، وغيرهم. روى عنه محمد بن مخلد، ومحمد بن أبي الفتح الخياط، وأبو الحسين بن المنادي، وغيرهم، وكان ثقة. مات في سكة الطوسيين، ناحية الحربية (تاريخ بغداد: ١٣/٤٨ ـ ٤٩).

[178] لعله: محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد، أبو عبدالله المعروف بأبي الأحوص، قاضي عكبرا (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). كان من أهل الفضل، ورحل في الحديث إلى الكوفة، والبصرة، والشام، ومصر فسمع من كثير وروى عنه كثير. وممن روى =

سمعت][(١)] بشر يقول: «كانوا أولئك الأخيار لا يجيبون إلا من يعرفون طعامه ومسكنه».

ومن آدابهم قلة المقام عند المريض في العيادة. [سمعت أبا العباس البغدادي يقول، سمعت جعفر الخلدي يقول، قال: حدثني أبو القاسم بن بندار[179] قال][(٢)] قال سري السقطي: «اعتللت بطرسوس[180] علّة قيام فعادني أناس من الفقراء، فجلسوا فأطالوا الجلوس. فقلت لهم: ابسطوا أيديكم حتى ندعو، فبسطوا أيديهم. فقلت: اللهم علّمنا كيف نعود المريض. ومسحت يدي على وجهي، فعلموا أنهم قد أطالوا فقاموا وانصرفوا».

ومن آدابهم ملازمة الورع في الأوقات كلّها [سمعت محمد بن

= عنه: محمد بن مخلد الدوري، وإسماعيل بن محمد بن الصفار، وأبو عمرو بن السماك. مات بعكبرا لخمس بقين من جمادى الأولى. (تاريخ بغداد: ٣/٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(١) السند محذوف في ب.

[179] أبو القاسم بندار: لعلّه أبو علي بن بندار بن الحسين الصيرفي، تأتي ترجمة لأبيه، ولم أحصل على ترجمة له.

(٢) السند محذوف في ب.

[180] طرسوس: مدينة بجنوب تركيا الأسيوية، قضاء تابعة لمحافظة ايجهل، وعدد سكانها حوالى ١٠٠,٠٠٠. فيها غار أصحاب الكهف. فتحها المأمون عبدالله بن الرشيد (٧٨٨م) فأدركته منيته فمات ودفن بها. وكانت من ثغور المسلمين، ثم استولى عليها نقفور ملك الروم فتركها بعض المسلمين وتنصّر بعضهم تحت ضغط الملك الظالم، ورضي بعضهم لدفع الجزية. ثم استردّها المسلمون الأتراك حوالي قبل تسعمائة سنة. ومنذ ذلك الوقت استعادت المدينة سماتها الإسلامية. (معجم البلدان، والمنجد).

الحسين بن خالد[181] يقول، سمعت أحمد بن محمد بن صالح[182] (يقول)، سمعت محمد بن عبدون[183] يقول، سمعت](١) أبا القاسم بن رزق الله[184] يقول: «خرجت يوماً من المسجد فإذا صبيان يلعبون ومشايخ(٢) قعود. فقلت لهم: يا هؤلاء ما تستحيون؟ مشايخ قعود وأنتم تلعبون؟ فقال لي بعض أولئك الصبيان: يا عمِّ قلَّ ورعهم فقلّت هيبتهم». وقال سهل بن عبدالله: «الورع قوام الأمور كلّها. فمن لزم الورع في جميع متصرّفاته أورثه الله محبة في قلوب أوليائه، وهيبة في قلوب أعدائه، وقبولاً عند أهل ولايته». وسُئل ابن يزدانيار[185]: ما الورع؟ فقال: «متابعة الكتاب والسنّة، والتأدّب بآداب الشرع، وترك ركوب الرخص بالتأويلات».

---

[181] محمد بن الحسين بن خالد: لم أحصل على ترجمة له.

[182] لعله أحمد بن محمد بن صالح بن عبدالله، أبو يحيى السمرقندي. حدث عن محمد بن محمود، صاحب يحيى بن معاذ الرازي وغيره. قدم بغداد سنة أربعين وثلاثمائة (تاريخ بغداد: ٥/٣٨).

[183] محمد بن عبدون بن عيسى، أبو بكر القطان. روى عنه أبو الحسن الدارقطني. (تاريخ بغداد: ٢/٣٩٤).

(١) السند محذوف في ب.

[184] لم أحصل على ترجمة له.

(٢) آ: والمشايخ.

[185] هو الحسين بن علي بن يزدانيار. من أهل أرمية. له طريقة في التصوف يختص بها. وكان ينكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم، وكان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات والمعارف وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٤٠٦ ـ ٤٠٩، حلية الأولياء: ١٠/٣٦٣، الرسالة القشيرية: ٣٦، طبقات الشعراني: ١/١٣٣ ـ ١٣٦).

ومن آدابهم حفظ الأوقات وملازمة الآداب في الأحوال. أخبرنا أبو العباس(١) بن محمد [بن الحسين بن الخشاب](٢)(*) قال: حدثني عبدالله بن أحمد النقاش[186]، سمعت أبي يقول، سمعت فهدان[187] يقول: «إنما أنت بين أوقات ثلاث: وقت قد مضى ليس إلى تلافيه سبيل، ووقت لم يأت لا تدري هو لك أم عليك وهو لك أم أنت له(٣) إنما أنت بوقتك فاحذر أن لا تغيب عن وقتك وعن تعهّد نفسك فيه».

ومن آدابهم حضور مجالس من يوثق بدينه وورعه. [سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت](٤) محمد بن علي الكتاني يقول: «مجالس أهل الدّراية تُجْلي عن القلوب صدأ الذنوب».

---

(١) ب: ـ أبو.

(٢) ب: ـ بن الحسين بن الخشاب.

(*) هو محمد بن الحسن بن سعيد بن الخشاب، أبو العباس المخرمي الصوفي (٣٦١هـ / ٩٧١م)، صاحب حكايات عن أبي جعفر محمد بن عبدالله الفرغاني، وأبي بكر الشبلي. روى عنه أبو عبدالرحمن السلمي، والحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ. وكان قد نزل بنيسابور ثم خرج إلى مكة فتوفي بها. قال الحاكم أبو عبدالله: «محمد بن الحسن بن سعيد، أبو العباس البغدادي، كان من أظرف من قدم نيسابور من البغداديين، وأكملهم عقلاً وديناً، وأكثرهم تعظيماً للسنّة وتعصباً لها. دخل بلاد خراسان، وأقام عندنا سنين، وسمع الحديث الكثير، ثم حج وجاور بمكة ومات بها». (تاريخ بغداد: ٢/ ٢٠٩).

[186] عبيدالله بن أحمد النقاش: لم أعثر على ترجمة له.

[187] فهدان: لم أحدد شخصيته.

(٣) آ: أهو عليك أم لك أم أنت له.

(٤) السند محذوف في ب.

ومن آدابهم قلة النظر إلى عيوب الإخوان لمحبته لهم وحسن ظنه بهم. [سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الرازي قال سمعت](١) أبا عمرو الزجاجي يقول: «بلغني أن رجلاً صحب إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال: يا أبا إسحق هل رأيت مني شيئاً تكرهه؟ فقال: إنّ شدّة محبّة الله غيّبتني عن النظر إلى مساويك»(٢).

ومن آدابهم الستر على قبائح الإخوان، وذكرهم بالجميل. [سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبيد الغسال[188] يقول](٣) سرق رجل مصحفاً لإبراهيم بن أدهم، ثم أتى به إلى(٤) السوق يبيعه فقيل له من يعرفك؟ فجاء بهم إلى إبراهيم [بن أدهم](٥) فقالوا له تعرفه؟ قال: نعم أعرفه. فقيل له(٦) هذا الذي سرق مصحفك. فقال(٧): عرفت ذلك، ولكني لم أحبّ أن أهتِكَ سرّه. قال(٨): وقال رويم لرجل ذكر أخاً من إخوانه بين يديه بسوء فقال: «هل تعرف منه خيراً؟ فقال الرجل: نعم. قال: فاذكره، فإنه خير لك وأسلم».

ومن آدابهم [ملازمة الكسب إلى أن يُقْعِدَهُمُ التوكل والثقة بالله

---

(١) السند محذوف في ب.
(٢) آ: ما سألت عنه.

[188] عبيد الغسال:

(٣) السند محذوف في ب.
(٤) ب: ــ إلى.
(٥) آ: ــ بن أدهم.
(٦) ب: ــ له.
(٧) ب: قال.
(٨) ب: ــ قال.

عن الكسب][1]. سمعت أبا بكر[2] محمد بن عبدالله [بن شاذان [3] يقول، سمعت أبا عثمان [الأدمي][4] يقول، سمعت إبراهيم الخواص يقول: «لا ينبغي للصوفيّ أن يتعرّض للقعود عن الكسب إلاّ أن يكون رجل مطلوب بتركه، قد وقعت به حالة[5] من الأحوال، فاقتطعته[6] عن مواضع كسبه، قد أعيته الحال عن المكاسب». فأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عُزوف يحول بينه وبين التكلّف فالعمل أولى به، والكسب أحلّ له وأبلغ[7]. لأنّ القعود لا يصلح [لمن لم يستغن عن التكلّف][8]. وسمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول، سمعت أبا علي الروذباري يقول: «إذا قال الصوفيّ بعد خمسة أيّام «أنا جائع» فألزموه السوق وأمروه بالعمل والكسب»[9].

ومن آدابهم التنزه عن السؤال عند شدة الحاجة. [سمعت أبا بكر

---

(١) ب: العبارة بين القوسين في ب هكذا: ومن آدابهم أن لا يقعدوا عن الكسب إلاّ بعد أن يصح لهم التوكل وطريقته.
(٢) ب: ـ أبا بكر.
(٣) ب: ـ ابن شاذان.
(٤) آ: ـ الأدمي.
(٥) ب: حال.
(٦) ب: فاقطعه.
(٧) آ: ـ وأبلغ.
(٨) ب: له إن لم يستغن عن التكلف.
(٩) ب: ـ وسمعت محمد... والكسب؛ + «وحكي عن أبي حفص أنه قال تركت العمل... الصبر بحال». هذه الجملة نقلت في مادة أخرى في نسخة ب.

الرازي يقول، سمعت أبا القاسم الجوهري[189]، يقول سمعت](١) الجنيد يقول: «كل صوفيّ عوّد نفسه الميل إلى أخذ الأسباب عند الحاجة فإنه لا ينفك من رقٍّ(٢) نفسه ولا يحمله الصبر». وقال أبو عثمان: «من سأل عند الحاجة من غير ضرورة فإنه بعيد من طريق الورعين».

ومن آدابهم إذا بدا لأحدهم بركة في صحبة شيخ من مشايخهم(٣) أن يلزمه ولا يفارقه بسبب من الأسباب وعلّة من العلل. [سمعت محمد بن عبدالله[190] يقول سمعت أبا بكر[191] يقول](٤) قال رجل من الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وقد توفّيَ والده: «أتأذن لي أن أمرّ وأدفن والدي؟ قال [عيسى عليه السلام](٥) دع الموتى يدفنون موتاهم واتّبعني».

ومن آدابهم اجتناب الكسل والضجر. سمعت محمد بن عبدالله

---

[189] أبو القاسم الجوهري: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

(١) السند محذوف في ب.

(٢) آ: من رزق.

(٣) ب: من صحبة مشايخهم.

[190] لعله محمد بن عبدالله، أبو جعفر الفرغاني، سبقت ترجمة له.

[191] لعله محمد بن موسى، أبو بكر الواسطي، سبقت ترجمته.

(٤) السند محذوف في ب.

(٥) ب: ــ عيسى عليه السلام.

الطبري[192] يقول، سمعت عليّ بن بابويه[193] يقول(١): «إيّاك والكسل والضجر. فإنك إذا كسلت لم تؤدّ [حقّ اللّه تعالى](٢) وإذا ضجرت لم تصبر على حق اللّه [تعالى](٣)».

ومن آدابهم كتمان كراماتهم، والنظر إليها بعين الاستدراج. [سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت](٤) أبا علي الروذباري يقول: «كما فرض اللّه [تعالى](٥) على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات، كذلك فرض [اللّه تعالى](٦) على الأولياء كتمانها لئلا يفتتن بها الخلق». وقال أبو عثمان المغربي[194]: «لا يكون الوليّ مفتونًا في ولايته ولا متعذراً».

---

[192] محمد بن عبداللّه الطبري: لم أعثر على ترجمة له.

[193] هو علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، صاحب التصانيف. يضرب بحفظه المثل. من تصانيفه: «دعائم الإسلام»، كتاب «الخواتيم»، كتاب «غريب حديث الأئمة»، كتاب «التوحيد»، كتاب «دين الإمامية». وكان أبوه من كبارهم ومصنفيهم. (سير أعلام النبلاء: ١٦/٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(١) ب: ـ يقول.

(٢) آ: الحق.

(٣) آ: ـ تعالى.

(٤) السند محذوف في ب.

(٥) آ: ـ تعالى.

(٦) آ: ـ اللّه تعالى.

[194] أبو عثمان سعيد بن سلّام المغربي (٣٧٣هـ / ٩٨٣م)، من ناحية قيروان، من قرية كركنت. صحب أبا علي بن الكاتب، وحبيباً المغربي، وأبا عمرو الزجاجي. ولقي أبا يعقوب النهرجوري، وأبا الحسن الصائغ الدينوري وغيرهم من المشايخ. وكان أوحد في طريقته، وزهده، لم ير مثله في علو الحال، وصون الوقت، وصحة الحكم بالفراسة وقوة الهيبة. ورد نيسابور ومات بها. (تاريخ بغداد: ٩/١١٢، الرسالة القشيرية: ٣٨، نتائج الأفكار القدسية: ٢/٤١٢، طبقات الشعراني: ١/١٤٣، اللباب: ٣/٣٦ وغير ذلك).

وقال ذو النون: «الولي [من][1] توالت ولايته وتولّى الله عليه حركاته وأنفاسه، وقطعه عن الخلائق أجمع، وزهّدهم فيه، وأظهر عليه بركات نظره وسعته. وكرامة الوليّ إذا صحت ظهرت بركاتها[2] عليه وعلى من صدّقه في كراماته».

ومن آدابهم ملازمة الفقر واستعمال آدابه. [سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت][3] أباعبدالله المغربي[195] يقول: «الفقير المجرّد من الدنيا وإن لم يعمل شيئًا من فضائل الأعمال ذكر[4] منه، أفضل من كثير

---

(١) آ: ــ من.
(٢) آ: ــ بركاتها.
(٣) السند محذوف في ب.

[195] أبو عبدالله المغربي، محمد بن إسماعيل (٢٩٩هـ/ ٩١١م). كان أستاذ إبراهيم الخواص، وأسند الحديث عن عمرو بن أبي غيلان. وتوفي على جبل الطور، وأوصى أن يدفن إلى جانب أستاذه علي بن رزين. وعاش كلّ واحد منهما عشرين ومائة سنة فهما على جبل الطور.
قال أبو عبدالله المغربي: «ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة». قال إبراهيم بن شيبان: وذلك أنه كان يتقدمنا بالليل المظلم ونحن نتبعه وهو حاف، حاسر، وكان إذا عثر أحدنا يقول: يميناً وشمالاً، ونحن لا نرى ما بين أيدينا. فإذا أصبحنا نظرنا إلى رجله كأنها رجل عروس خرجت من خدرها. وكان يقعد لأصحابه يتكلّم عليهم فما رأيته انزعج إلاّ يوماً واحداً، كنا على الطور وهو قد استند إلى شجرة خرّوب وهو يتكلّم علينا. فقال في كلامه: لا ينال العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد. فانزعج واضطرب ورأيت الصخور قد تدكدكت (أي تحطمت، وتهدمت) وبقي في ذلك ساعات فلما أفاق كأنه نشر من تبر. (صفة الصفوة: ٤/٣٣٦).

(٤) ب: ــ ذكر.

من هؤلاء المتعبّدين المجتهدين ومعهم الدنيا». وقال أبو عبدالله بن خفيف: «أدب الفقر السرور به، وكتمان الحاجة، والرضا بكل حال يرد عليه[1] منه يتيقّن أن الفقر كرامة يكرم به خواصّ عباده فمن قبل كرامة الله آنس به ولم يشك منه ومن شكا منه فقد ردّ [عليه][2] كرامته».

ومن آدابهم استجلاب سنيّ الأحوال بملازمة المعاملة وصحتها بمشاهدة من يعمل له[3]. قال أحمد بن أبي الحواري: «اعلم أن كلّ عبد حجب عن معاملة الله فقد حجب عن مطالعة الله، وكل من حجب عن مطالعة الله [حجب عن مشاهدة الله][4] وبعد عن الله ومن بعد عن الله شقي».

ومن آدابهم كتمان الأحوال بالإشكال عن الإظهار، وبالستر عن الكشف، وبالكناية عن الإفصاح. كذلك حكي عن أبي الحسين النوري أنه اجتمع جماعة من المشايخ من أقرانه في مجلس سماع، فتواجد القوم وسكن النوري فقيل له في ذلك. فقال: «ما بلغ مقامي الذي أتواجد به[5] فيه». فقالوا له: إيش مقامك وما حالك؟ فقال: «الرمز إليه بالإشارة دون الإيضاح، وبالكناية دون الإفصاح وأنشد على إثره شعر[6]:

ربّ ورقاء هتوف بالضحى ذات شجو صرخت في فَنَنِ

---

(١) آ: عليك.

(٢) آ: ـ عليه.

(٣) ب: ـ له.

(٤) ب: ـ حجب عن مشاهدة الله.

(٥) آ: ـ به.

(٦) ب: ـ شعر.

ذكرت إلْفاً ودهراً صالحاً　　فبكت حزناً فهاجت حَزَني

فبكائي ربما أرَّقَهَا　　وبُكَاها ربَّما أرَّقني

فإذا ما بدأتْني أسعدها　　وإذا ما أَبْدأُها تُسْعِدُنِي

ولقد أشْكو فما أُفْهِمُها　　ولقد تَشْكو فما تُفْهِمُني

غير أنّي بِالْجَوى أعرفها　　وهي أيضاً بِالْجَوى تعرفني

قال: فتواجد الكلّ من كلامه وصاحوا وسلّموا له حاله التي خصّ[1] هو بها.

ومن آدابهم الاحتمال عن الخلق أجمع. فقد حكي عن أبي جعفر أنه قال: «لا يكون الصوفيّ صوفيًّا حتى يكون الخلق كلّهم عيالاً له[2]».

ومن آدابهم العمى عن رؤية النفس ومطالعة الأفعال. [كذلك سمعت منصور بن عبدالله يقول، سمعت أبا عمرو الأنماطي قال، سمعت][3] أبا العباس بن عطاء يقول: «أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها، وأشدّ من ذلك مطالعة الأعواض على[4] أفعالها». وقال الجنيد: «الدنيا والنفس والخلق[5] حجاب قلوب الخواصّ».

ومن آدابهم دوام المجاهدة، واستعمال العلم ظاهراً وباطناً. قال الحارث المحاسبي: «من اجتهد في باطنه ورّثه الله تعالى حسن المعاملة في ظاهره، ومن حسّن معاملته في ظاهره ورّثه الله الهداية؛ قال الله تعالى:

---

(١) ب: حالة التي حضر.

(٢) آ: عليه.

(٣) السند محذوف في ب.

(٤) ب: عن.

(٥) ب: والخلق والنفس.

﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١)؛ وقال بعضهم: العلم ما استعملك، واليقين ما حملك».

ومن آدابهم الصبر على ما يلحقهم من تذليل النفس في السؤال وغيره. سمعت بعض مشايخنا يقول: قال رجل للشبلي: «يا أبا بكر نذهب فنطلب منهم شيئاً فيُذِلُّونا». قال: «ويحك وهل طريقك إلاّ الذّل وهل عيشك إلاّ بالذلّ، وهل عزّك إلا في الذلّ، وهل تصل إلى ما تريد إلا بالذلّ؟» وسكت ساعة ثم قال للرجل: «اخرج إليهم لا ترى نفسك ولا تراهم فتسلم ويسلمون». وقال حمدون القصّار[196]: «لا يفلح من لم يذق ذلّ إهانة الردّ عند السؤال». وقال أبو عبدالله بن الجلاّء(*): «من نظر إلى نفسه بعين العزّة والتعظيم فإنّه حقّ على الله أن يذلّه بردّ طلبه(٢) من الأجناس». وقال فارس البغدادي[197]: «رأيت الشبليّ يوماً

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

[196] حمدون بن أحمد بن عمارة، أبو صالح القصّار النيسابوري (٢٧١هـ/ ٨٨٤م)، شيخ أهل الملامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامة. صحب سلم بن الحسن الباروسيّ، وأبا تراب النخشبي، وعليًّا النصراباذيّ. وكان عالماً فقيهاً، يذهب مذهب الثوريّ وطريقته طريقة اختص هو بها، ولم يأخذ عنه أحد طريقته أحد من أصحابه كأخذ عبدالله بن منازل، صاحبه عنه. توفي بنيسابور ودفن في مقبرة الحيرة. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ١٢٣ ــ ١٢٧ حلية الأولياء: ١٠/ ٢٣١ وغير ذلك).

(*) هو يحيى بن الجلاّء.

(٢) ب: طلبته.

[197] لعله فارس بن محمد بن محمود بن عيسى، أبو القاسم الواعظ المعروف بالغوري (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م). سمع حامد بن شعيب، والحسين بن محمد بن عفير، ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي وطبقتهم. حدث عنه ابنه محمد بن =

في الجامع وهو يقول: من معه لله شيء فليعطني، فقد أحوجني الوقت إليكم. فأعطاه رجل جُمْلَهُ[1]. فقال: أعطوها البقال. ثم بكى، ثم قال: وما من حرفة إلا والكدية[2] أخسّ منها[3] وكيف نعرف الله ونحن نأخذ بأخسِّ[4] الحرف؟».

ومن آدابهم العمل في الوقوف على ما يرد عليهم من الأحوال وما يمرّ بهم في الأوقات، وترك الغفلة عن حال من الأحوال[5]، ومعرفة الوقت فإنه أعزّ الأشياء وأفرضها، على العارف أن لا يغفل عنها؛ فإن الوقت إذا فات لا يستدرك. حكي عن الحسين بن منصور أنه قال: «احفظ أنفاسك وأوقاتك وساعاتك وما مرّ بك و[ما][6] أنت فيه فمن عرف من أين جاء، عرف إلى أين يذهب، ومن علم ما يصنع علم ما يصنع به، [ومن علم ما يريد] علم ما يراد منه، ومن علم ما يراد منه، علم ما له؛ ومن علم ما له، علم ما عليه، ومن علم ما عليه علم ما معه. ومن لم يعلم من أين أتى[7] وأين هو وكيف هو [ولمن هو][8] فذاك[9] ممن لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ويظن أنه يعلم».

= فارس، وأبو الحسن بن رزقويه، وعبدالعزيز بن محمد الستوري. وكان ثقة. (تاريخ بغداد: ١٢/٣٩١).

(١) الجمل والجمل: الحبل الغليظ.

(٢) الكدية: حرفة السائل.

(٣) ب: خير منها.

(٤) ب: بأحسن.

(٥) وترك الإغفال عن حالة من الأحوال.

(٦) آ: ـ ما.

(٧) ب: جاء. (٨) ب: ـ ولمن هو. (٩) ب: فذاك.

ومن [آدابهم][(١)] المجاهدة في معرفة الدواعي، ومطالبة كلِّ وقت بآداب ما يهتف به داعي ذلك الوقت. قال الحسين بن منصور: «داعي الإيمان يدعو إلى الرشد، وداعي الإسلام يدعو إلى الأخلاق، وداعي الإحسان يدعو إلى المشاهدة، وداعي الفهم يدعو إلى الزيادة، وداعي العقل يدعو إلى المذاق؛ وداعي العلم يدعو إلى السمّاع، وداعي المعرفة يدعو إلى الرَّوْحِ والرَّاحة[(٢)]، وداعي النَّفْس يدعو إلى العبادة، وداعي التوكّل يدعو إلى الثقة، وداعي الخوف يدعو إلى الانزعاج، وداعي الرجا يدعو إلى الطمأنينة، وداعي المحبّة يدعو إلى الشوق، وداعي الشوق يدعو [إلى الوله، وداعي الوله][(٣)] يدعو إلى اللّه. وخاب من لم يكن له داعية من هذه الدواعي؛ أولئك [من][(٤)] الذين أهملوا في مفاوز التحير ومن [الذين][(٥)] لا يبالي اللّه بهم».

ومن آدابهم حمل أصحابهم على سياسة أنفسهم[(٦)]، وطلب الزيادة في أحوالهم. [سمعت عبداللّه بن محمد الدمشقي[198] يقول سمعت][(٧)]

---

(١) آ: ــ آدابهم.

(٢) ب: + والرايحة.

(٣) ب: إلى الوصلة وداعي الوصلة. (٤) ب: ــ من.

(٥) ب: ــ الذين. (٦) ب: نفوسهم. (٧) السند محذوف في ب.

[198] عبداللّه بن محمد الدمشقي. هو الإمام المسند المفتي أبو أحمد؛ عبداللّه بن محمد بن عبداللّه بن الناصح الدمشقي المعروف بابن المفسر (٣٦٥هـ / ٩٧٥م). سمع أبا بكر بن أحمد بن علي المروزي، وعبدالرحمن بن القاسم الرَّاس، ومحمد بن إسحاق بن راهويه. انتخب عليه الدارقطني، وحدث عنه ابن منده، وعبدالغني بن سعيد، وأبو القاسم علي بن محمد الفارسي وغيرهم. (طبقات الشافعية: ٣/٣١٤ ــ ٣١٥، سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٨٢ ــ ٢٨٣، شذرات الذهب: ٣/٥١ وغير ذلك).

أبا عمر الدمشقي يقول وسألته: «أيُّ الخلق أعجز؟» قال: «من عجز عن سياسة نفسه». قلت: «فأيّ الخلق[(١)] أقدر؟» قال: «من قدر على مخالفة هواه». قلت: «فأيّ الخلق أعقل؟» قال: «من ترك المكوّنات وأقبل على مكوّنها». قال: فسألته: «ما سياسة النفس؟» فقال: «ملازمة الأدب». فقلت: «ممّن يؤخذ الأدب وممن يتأدّب المريد؟» فقال[(٢)]: «ممن تأدّب بالصغير و[(٣)] الأدنى[(٤)] وأخذ منه الأدب وهم الأئمة من الصحابة، أو من السنن المروية، أو ممن أخذ الأدب من الله تعالى وهو النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم. فمن لزم سنّته وتأدّب بها فهو الذي ساس نفسه بأحسن السياسة»[(٥)].

ومن آدابهم وصيتهم لإخوانهم عند أسفارهم ونصيحتهم إياهم. سمعت أبا القاسم الدمشقي[199] يقول لرجل وهو يوصيه في سفر يريد أن يخرج فيه: «يا أخي، لا تصحب غير الله فإنه الذي يكفيك المهمات، ويشكرك على الحسنات، ويستر عليك السيئات، ولا يفارقك في خطرة من الخطرات».

ومن آدابهم قلة اشتغالهم بالدنيا لعلمهم بوبالها وزوالها. سمعت

---

(١) آ: القدر.
(٢) آ: ــ فقال.
(٣) ب: السفير.
(٤) آ: ــ و.
(٥) ب: سياسة.

[199] أبو القاسم الدمشقي: لم أعثر على ترجمة له.

عبدالله بن محمد بن الفضل[200] يقول: «الاهتمام والاشتغال بالدنيا يذهب بالدنيا والآخرة».

ومن آدابهم مجانبة صحبة الأشرار. قال أبو الحسن محمد بن أبي إسماعيل العلوي الصوفي[201] يقول سمعت عبدالرحمن بن أحمد[202] يقول سمعت القاسم بن منبه يقول سمعت(١) بشر الحافي يقول: «صحبة الأشرار تورث سوءَ الظَّنِّ بالأخيار». وروي عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنه قال: «لَا تُصَاحِبْ(٢) إلَّا مُؤْمِناً وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ»(٣).

ومن آدابهم شغلهم بأوقاتهم في عمارتها دون ذكر ما مضى وذكر المستقبل. [سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان [يقول] سمعت محمد بن علي[203] يقول سمعت](٤) أبا سعيد الخرّاز[204] يقول: «الاشتغال بوقت ما مضى يضيّع وقتَ ثانٍ يأتي»(٥).

---

[200] عبدالله بن محمد بن الفضل: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.
[201] أبو الحسن محمد بن أبي إسماعيل العلوي الصوفي: لم أعثر على ترجمة له.
[202] عبدالرحمن بن أحمد: لم أعثر على ترجمة له.
(١) السند محذوف في ب.
(٢) في الأصل: لا تصحب.
(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذيّ وابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري، صحيح. فيض القدير، ج ٦ ص ٤٠٤.
[203] محمد بن علي: لعله محمد بن علي الكتاني، أبو بكر. سبقت ترجمته.
(٤) السند محذوف في ب.
[204] سبقت ترجمة له.
(٥) آ: وقت آتي.

ومن آدابهم تطهير أفواههم عند ذكر الله(١) تعالى ظاهراً بالسواك وباطناً بالتوبة والندم والاستغفار. فإنه روي عن النبـي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السِّوَاكُ مَطْهَر[ةٌ] لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»(٢). وروي(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نَظِّفُوا أَفْوَاهَكُمْ فَإِنَّهَا طُـرُقُ الْقُرْآنِ»(٤). وحكي عن أبـي يزيد البسطامي(٥) قال: «كنت ثلثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل فمي(٦) وأسناني(٧) إجلالاً لله جل تعالى»(٨).

ومن آدابهم لزوم المجاهدة على الدّوام إلى أن يبلغ إلى مقام الوصلة. قال الله تعـالى: ﴿فَنَادَتْـهُ الْمَلَائِكَـةُ وَهُوَ قَـائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾(٩). وقال أبو حفص[205]: «المحراب باب كل خير». وجاء



(١) ب: عند الذكر.

(٢) رواه أحمد عن أبـي بكر الشافعي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في السنن عن عائشة وابن ماجه عن أبـي أمامة، صحيح. فيض القدير، ج ٤ ص ١٤٧.

(٣) هذا الحديث ساقط من ب.

(٤) في سنن ابن ماجه حديث نحوه: إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك.

(٥) آ: ــ البسطامي.

(٦) ب: ــ فمن.

(٧) آ: لساني.

(٨) ب: عز وجل.

(٩) سورة آل عمران: ٣٩.

[205] هو أبو حفص النيسابوري، الصوفي الكبير، سبقت ترجمته.

رجل إلى أبي الخير الأقطع[206] فقال: «كيف الطريق إلى اللّه؟» فقال: «الماء والمحراب». فقال الرجل: سألتك عن الطريق إلى اللّه تعالى(١)؟» فقال: «الطرق كثيرة شتى ولكن من ها هنا وجدنا طريق الوصول إليه»(٢).

ومن آدابهم في الرياضات مكابدة الجوع والذلّة [وفي الأحوال ملازمة الصدق والاخلاص] سمعت أبا عبداللّه الرازي[207] يقول، سمعت محمد بن علي الكتاني يقول: «جرّبنا الرياضات فما وجدنا أهذى للبدن من الجوع والذلّة(٣) ومخالفة النفس؛ ونازلنا الأحوال فما وجدنا شَيْئاً أصحّ من الصدق والإخلاص».

ومن آدابهم دوام الاشتغال بما يلزمهم في كل وقت وحين ونَفَس ومجانبتهم الفراغ(٤) كذلك قال سهل بن عبداللّه: «يدخل الخلل على الفارغ. لأن المشغول في مزيد، والتكلّف للفارغ لا للمشغول».

---

[206] أبو الخير الأقطع التيناتي، عباد بن عبداللّه (٣٤٩هـ/ ٩٦٠م)، أصله من المغرب، سكن التينات. صحب أبا عبداللّه بن الجلاء، وغيره من المشايخ. وكان أوحد في طريقته في التوكل. كان يأنس إليه السباع والهوّام، وكان حادّ الفراسة، وله آيات وكرامات يطول ذكرها. (طبقات الصوفية: ٣٧٠ ـ ٣٧٢، معجم البلدان (W): ١/ ٩١٠، حلية الأولياء: ١٠/٣٧٧).

(١) آ: ـ تعالى.

(٢) آ: الطريق إلى الوصول إليه.

[207] أبو عبداللّه الرازي: لم أعثر على ترجمة له.

(٣) ب: ـ وفي الأحوال. . . والذلة.

(٤) آ: بالفراغة.

ومن آدابهم قطع القلوب عن الأسباب بمشاهدة المسبِّب. وقال سهل: [بن عبدالله][1] «من ظنّ أنّ معاشه بسبب فقد اتهم الله في وعده، وأَعْظَمَ الفِريَةَ عليه. ولا يصحّ لعبد طاعة حتى يكون الله سببه ويكون راضياً قانعاً». وقال أبو بكر الورّاق: «لا عبد أذلّ من عبد يدعوه إليه سيّده وهو يشتغل بما [نهاه] سيِّده عنه». وسئل سهل: ما القوت؟ قال: «القوت على الحقيقة الله. فإن به قوام الكلّ ومن كان قوامه بغيره فهو عاجز، ومن كان حياته بغيره فهو ميّتٌ» وأنشد[2] في هذا المعنى: [شعر][3]:

إذا كنت قـوت النفس ثـم هجـرتـهـا
فلم تلبث[4] النفس التي أنت قـوتـهـا
ستبقى بقـاء الضّبّ في المـاء أو كمـا
يـعيش بِبَيْـدَاء الْـمَـهَـامـهِ حُـوتُـهـا

ومن آدابهم التعزز بالانقطاع إلى الله علماً بأنّ من سواه فَقير إليه وأنه الغنيّ المتعال وأن من تعزز بغيره فهو ذليل أبداً فيتعزز به ليُعِزّه في الدّارين ويكفيه مِنْ همّها فلا يقدر على ذلك غيره. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] واشتغالهم في كل الأوقات بما هو أولى بهم حالاً وعلماً وأدباً ومجاهدةً. وأدب العلم أن يزيّن علمه

---

(١) آ: ـ بن عبدالله.

(٢) ب: وأنشدني.

(٣) ب: ـ شعر.

(٤) ب: تثبت.

(٥) سورة المنافقون: ٨.

بنفسه لا نفسه بعلمه؛ ويعلم أنَّ قلبَه لا يسع العلوم، فيودعه منها ما يصلح أن يكون في سبيله زاده[1] إلى ربه وما يدلّه على القيام بأوامره؛ ويعلم أن ماله لا يسع الخلق كلّهم فيخصّ به[2] أهل الحق ومتبعيه؛ ويعلم أن أخلاقه لا يسع استعمالها[3] مع الخلائق كلّهم فيستعملها مع من يوافقه في طريقه[4] واعتقاده ويعاشره[5] ويخصّ به أهل نِحْلَتِه فيخصّهم بخواصّ أخلاقه ويبذل[6] للباقين من عشرته وبشر[7] وجهه وطلاقته ويستعمل الورع بحقيقته[8] وشرائطه. وهو أن يكون قيامه إلى العلم بلا فترة، وزهده بلا رغبة، ويقظته بلا شك[9]، وشكره بلا[10] كفران فيه مع الحلم مع الثبات حتى إذا جهل عليه جاهل يحلم عنه، وإن ظلمه لم يظلمه[11] وإن كذب عليه لم يغضب، وإن مدحه لم يفرح لتمام شفقته ورحمته وسلامة صدره، ويجتنب الحرص والكبر والشحّ فإنها أصول الشرّ. وفروعها: الشبع، والريّ، وكثرة النوم، والراحة، وحبّ الرياسة، ومتابعة الشهوات ومدار هذا كلّه ينتهي إلى

---

(١) ب: زاده في سبيله.
(٢) ب: فيحويه.
(٣) ب: اشتغاله لها.
(٤) ب: طريقته.
(٥) آ: ومعاشرته.
(٦) آ: ويبذ، ب: ويبدل.
(٧) وبشر.
(٨) حقيقه.
(٩) آ: ويقينه بلا شك وتيقظه بلا غفلة.
(١٠) ب: لا.
(١١) آ: وإن ظلم لم يظلم.

حبّ الدنيا [فمن أحبّ الدنيا][1] جرّه إلى هذه البلايا فإنها كلّها من فروع الدُّنْيا وقد وصف اللّه تعالى الدّنيا وأخبر عنها فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾.. إلى آخر الآية[2]، فمن أحبّ شيئاً من هذه المقدّمات فقد أحبّ الدنيا[3] ومن أحب الدنيا [فقد][4] أحبّ ما أبغضه[5] اللّه وقد روي عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال: «إنَّ اللّهَ [تعالى] لَمْ يَنْظُرْ إلى الدُّنْيا مُنْذُ خَلَقَها بُغْضاً مِنْهُ لَها»[6].

وأربع خصال تباعدك عن الدنيا وتقرّبك إلى الآخرة: التباعد من هذه الدنيا ونعيمها والنظر إليها بعين الحدث والفناء. فقد قال الجنيد: «من كان بين طرفَيْ فناءٍ فهو فانٍ». والورع [عن كلّ ما][7] اشتبه عليك[8] والوقوف عن كل ما استعجلك إليه الهوى، والصبر على مرارة التقوى، والرضا عند المصائب».

---

(١) آ: ـ فمن أحب مس الدنيا.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

(٣) ب: فقد أحبها للدنيا.

(٤) آ: ـ فقد.

(٥) ب: ما يبغضه.

(٦) رواه الحاكم في التاريخ باختلاف يسير عن أبي هريرة، ضعيف. واللفظ هناك هكذا: «إن اللّه تعالى لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا. وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها». ورواه البيهقي مرسلاً. وهو بعيد عن روح الإسلام، حاشى للرسول أن يقول هذا الكلام. لماذا لا ينظر الله إلى الدنيا وهو يقول: «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض» فمن الذي يدبِّر الدنيا إذا لا ينظر اللّه إليها.

(٧) ب: عما.

(٨) آ: ـ علمه.

ومن آدابهم حبّ الخلوة فإن فيها الخيرات لمن حلا بعلم. سمعت أبا عثمان المغربي يقول: «لا تصلح الخلوة والسماع إلا للعالم[1] الرباني». وقال سريّ [السقطي][2]: «الذي يورث الخلوة خمسة أشياء: الراحة من خلطاء السوء، والزهد في الدنيا، والصمت، ووجدان حلاوة العمل إذا غاب عن أعين الناس، وترك الإزراء على الناس حين لا يرى أحداً يعصي الله».

ومن آدابهم قلّة الأكل والشرب. قال النبي صلّى الله عليه وسلّم[3]: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعىً وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاء»[4] [وروي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «كَثْرَةُ الأكل شئومٌ»[5]. وقال صلّى الله عليه وسلّم للرجل الذي تجشى عنده: «أكْفِفْ جَشَاءكَ عَنَّا فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعاً يَوْمَ الْقِيَامةِ»[6]][7].

ومن آدابهم مداومة التوبة في كل وقت. فإن العبد لا يخلو في كل وقت من واجب الله تعالى فيه ينقص[8] عن أدائه[9] ونعمة تجدّد[10]

---

(١) ب: إلا العالم.

(٢) آ: ـ السقطي.

(٣) في الأصل: + قال.

(٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه. صحيح. فيض القدير. ج ٦، ص ٢٥١.

(٥) لم أجده في مصدر آخر.

(٦) تقدم الحديث. انظر: ابن ماجه، الأطعمة، باب: ٥٠.

(٧) ب: ـ وروي عنه... القيامة.

(٨) ب: تقصير.

(٩) ب: عن أدائها.

(١٠) آ: ـ ونعمة تجدد.

عنده[1] فيغفل عن شكرها فيلزمه بذلك[2] توبة واستغفار.

ومن آدابهم مجانبة الحرص والشَّرَهِ فإن فيهما الشك وسوء الظنّ. فإن الحرص يبعثك على طلب الدنيا، والشره يدلّك على حفظها من وجوه حقوقها.

ومن آدابهم إخفاء ما يظهر اللّه عليهم[3] من كراماته وكتمانها. فقد ذكر بعضهم أنه قال: «ألطف ما يُخدع به الأولياء الكرامات وإظهار الآيات عليها».

ومن آدابهم كتمان أسرار معروفهم[4] فلا يظهرونها إلا عند أهلها لئلاّ يفتتن بها الخلق، ولا يتصنّع بها، ولا يتلبسون عند العوام بشيء منها.

ومن آدابهم سكوتهم عند شهوة الكلام، وكلامهم عند شهوة السكوت. كما ذكر عن بشر الحافي أنه قال: «إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلّم».

ومن آدابهم أن يتهموا أنفسهم في كل الأوقات ولا[5] يقع لهم رضا عنها بحال، ولا يتركها يُخبر عن علم لم يستعمله، أو حالة لم ينازلها، وأن لا يحملهم[6] المعرفة على تخطّي بشيء من الشرع وآدابه والتهاون

---

(١) ب: عنه.

(٢) ب: ذلك.

(٣) ب: عليه.

(٤) آ: معرفتهم.

(٥) آ: ولم.

(٦) آ: + على علم.

به، بل يجتهدوا في تعظيم الشرع، وظاهر العلم في كل وارد ويتركوا الدعاوى كلّها ما صغر منها وما كبر. فلا يدَّعوا بشيء من أفعالهم وأحوالهم، ولا يستحسنوا شيئاً من كلامهم وأقوالهم، ويلزموا أنفسهم خدمة من أطاع سيِّدهم بكل جهد، ويكونوا راضين بالقضاء، متوكِّلين على الله، مفوِّضين أمورهم إليه، ويحفظوا أوقاتهم وأحوالهم وأنفاسهم ولا[1] يضيِّعوا منها شيئاً إلّا بما هم مأمورون به، ويجتهدون في بسط وجوههم لإخوانهم، وبذل معروفهم لهم. وفي الحقيقة يستأنسون بربّهم؛ ويستوحشون من الخلق، ويراعون ظاهرهم، ويراقبون باطنهم، ويحفظون ألسنتهم، ويحسنون ظنونهم بإخوانهم، ويسيئون الظنّ بأنفسهم.

ولا يصحّ الأدب لأحد إلّا بالتأدّب بإمام من أئمة القوم يدلّه على عوراته وسقطاته وعثراته؛ فإن من قتل نفسه في المجاهدة وأفنى أوقاته في الزهد يكون مصحوب نفسه، متكبراً فيه، لا يعرف عيب ما هو فيه؛ إلّا أن يدلّه على ذلك من سلك المقامات ونازل الأحوال، وأصابته بركات [بمشايخه وأنوار][2] شفقتهم فيدلّ هذا المريد على طريقته، ويبيِّن له صلاح أوقاته من فسادها، ويخبره بخيره من شرِّه. و[3] عند ذلك يهتدي إلى سبيل رشده إن وفقه لذلك فإن خطأ[4] هذا السالك الذي قد سلك المقامات ونازل الأحوال رجع إلى عالم ناصح مستعمل لعلمه،

---

(١) آ: فلا.

(٢) ب: ـ بمشايخه وأنوار.

(٣) آ: ـ و.

(٤) هنا تنقطع نسخة ب.

معرض عن دنياه، فيعرض عليه حاله ويقبل منه ما ينصحه، ويشير به عليه فلن يعدم إذ ذاك رشده. وإذا صحّ للمريد إرادته قيّض اللّه له سالكاً قريباً، أو عالماً ناصحاً، فإنّ من أقبل على اللّه بكلّيته تكفّل اللّه له بجميع مراده، ولا يهمله في وقت من أوقاته، وإن عدم العالم الناصح والوليّ السالك رجع بالكلية إلى ربه، ليكون هو متولي تأديبه وتعليمه إذا رأى منه صحة الإرادة والعزم.

وأنا أسأل اللّه عزّ وجلّ أن يجعلني من المتأدبين بآداب كتابه، والمتعلّمين بسنّة نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم العاملين بكتابه وسنّة نبيه ولا يجعلني من المحرومين من بركاتهما ولا يخالف[1] بي عن طريقهما وأن يُلَقّنني[2] رشدي عند عرض الأديان، وأن يلقني حجتي عند مسئلة الملكين[3] منكر ونكير عليهما السلام، وأن يأمنني[4] يوم الفزع الأكبر ويرزقني الدواء يوم العطش الأكبر، وأن يأنسني في لحدي ليلة وحدتي، يفعل ذلك بي وأحبّائي ووالدي وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بمنّه وجوده وفضله وكرمه ورحمته إنه سميع قريب والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد للّه رب العالمين.

* * *

---

(١) في الأصل: ولا تخالف.
(٢) في الأصل: وإن تلقني.
(٣) في الأصل: الملكان.
(٤) في الأصل: يامتني.

كتاب المقدمة في التصوف

تسجيل شعبة التصوير لدار الكتب أدناه:

المكتبة البلدية بالإسكندرية رقم التصوير: ٢٧٣ــ٤٥١٧

٢٨٢٣ ــ د

اسم الكتاب: مقدمة في التصوف.

تاريخ النسخ: ١٠٨٢هـ، قلم عادي

عدد الأوراق: ١٦ المقياس: ١٥ × ١٩

نقيب زاده

كتاب المقدمة في التصوف وحقيقته

للإمام أبي عبدالرحمن محمد بن أحمد بن[1] الحد
البغدادي رحمه الله. هو أحد أئمة الصّوفيّة توفي سـ
وأربعمائة

مهر: كتبخانه ـ مجلس بلدي اسكندرية.

(١) بن احمد خطأ. لأن أب السلمي الحسين، ليس احمد.

كتاب المقدمة في التصوُّف

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلاّ على الظالمين. والصلاة والتسليم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب صحبة الصّوفيّة:

قال محمد بن أحمد البغدادي[208] «من صحب الصّوفيّة فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك، فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ قصده». وقال إبراهيم: «بصحبة الفقراء العارفين

---

[208] هو محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، سبقت ترجمته تحت رقم: ١٧، وقد كتب السلميّ اسمه في طبقات الصوفية نقلاً عن أحمد بن عطاء / محمد بن محمد بن القاسم (ص ٣٥٤). وفي تاريخ بغداد: محمد بن أحمد بن القاسم. وقال الخطيب: «ولا أشك أن الذي حكى عن أحمد بن عطاء، هو الواهم في اسم أبي علي. وذلك أن اسمه محمد بن أحمد بن القاسم. ذكره غير واحد، وحكت عنه أخته أم سلمة فاطمة بنت أحمد، وزوجته أم اليمن عزيزة بنت محمد بن عمرو بن فارس. وحدثني محمد بن علي الصوري قال: رأيت أجزاء بخط أبي علي الروذباري، وفي آخرها مكتوب: وكتب محمد بن أحمد بن القاسم». (تاريخ بغداد: ١ / ٣٣٠).

يصل العبد إلى مقام العارفين». حكي عن أحمد بن عبدالله الشرابني[209] (أو الشروديني) أن أبا بكر بن دانيال الأرموني[210] رآه في النوم فقال: «أيّ الأعمال وجدته (أ)نفع؟» فقال: «ما وجدت بعد التوحيد أنفع من صحبة الفقراء». قلت: «فأيّ الأعمال أضر؟» فقال: «الوقوع في الصوفية ولولا أنهم استوقفوني لكنت من الهالكين، وكاد أن يحبط عملي كلامي فيهم، فبفضل معرفتهم نجوت».

وحكي عن إبراهيم بن شيبان(١) قال: «كنا لا نصحب من يقول بغلي وركوتي»(٢). وقال أبو أحمد القلانسي[211] أستاذ الجنيد: «دخلت

---

[209] أحمد بن عبدالله الشرابني (لعله: الشرابي): لم أحصل على ترجمة له.

[210] أبو بكر بن دانيال الأرموني: لم أحصل على ترجمة له.

(١) في الأصل: شيانة.

(٢) الركوة: إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء.

[211] مصعب بن أحمد بن مصعب، أبو أحمد القلانسي (٢٧٠هـ / ٨٣٣م). كان أحد الزهاد، وهو بغدادي المولد والمنشأ، وأصله من مرو. وكان أبو سعيد الأعرابي ينتمي إليه في التصوف. وقال: «صحبته إلى أن مات فما رأيته يبيّت ذهباً ولا فضة». وكان من أقران الجنيد ورويم، وصاحب أبي حمزة. وماتا في وقت واحد. حج أبو أحمد سنة سبعين ومائتين فمات بمكة بعد انصراف الحج بقليل ودفن بأجياد. حدث أحمد بن محمد الزيادي سبب زواج مصعب كما يلي: «كان سبب تزويج أبي أحمد القلانسي بعد تعزبه وتفرده ولزومه المساجد والصحاري: كان يصحبه شاب يعرف بمحمد الغلام ــ وهو محمد بن يعقوب المالكي ــ وكان حدث السن فقال: أنا أحب أن أتزوج. فسأل أبو أحمد بريهة أن تطلب له زوجة، فكلّمت إنساناً يقال له ابن المطبخي من النساك، في بنت له فأجاب بها. واتعدنا منزل بريهة ليعقد أبو أحمد النكاح، ومعنا رويم والقطيعي، وجماعة. فحضر أبو الصبية، فلما عزموا على النكاح جزع محمد الغلام وقال: قد بدا لي، فغضب أبو أحمد عليه وقال: تخطب إلى رجل كريمته =

على قوم من الفقراء بالبصرة فأكرموني ويجّلوني فقلت يوماً: أين إزاري؟ فسقطتُ من أعينهم». قال إبراهيم بن المولد[212]: «دخلت طرسوس، فقيل لي: إن جماعة من إخوانك مجتمعين في دار، فدخلت عليهم، فرأيت سبعة عشر فقيراً كلّهم على قلب واحد».

وقال أبو سعيد الخراز: «صحبت الصوفية خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف». قيل: «ولم ذلك؟» قال: «لأني كنت على نفسي».

وقال ذو النون: «لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالمحاربة. وكان من عاده وجل هم المفلحون [؟]»...

وأما التوبة فإنها تورث المدح. قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١).

وأما الطينية [؟] فإنها تورث العقوبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دون الله...﴾(٢).

= ثم تأبى، لا يتزوجها غيري، فتزوجها في ذلك اليوم. فلما عقدنا النكاح قام أبوها وقبل رأس أبي أحمد وقال: ما كنت أظن أن قدري عند الله أن أصاهرك، ولا قدر ابنتي أن تكون أنت زوجها، وكانت معه حتى مات عنها». (تاريخ بغداد: ١٣/١١٤ ـ ١١٥، وله ترجمة في الحلية: ١٠/٣٠٦ ـ ٣٠٧، اللباب: ٣/٦٧، المنتظم: ٥/٧٩ ـ ٨٠).

[212] إبراهيم بن المولد: أبو إسحاق من كبار مشايخ الرقة. أسند الحديث، وكان من أفتى المشايخ وأكثرهم علماً. ومن أصحابه أبو عبدالله الجلاء الدمشقي، وإبراهيم القصار الرقي. (طبقات الصوفية).

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾.

وأما العنايتيّة فلمحمد صلّى الله عليه وسلّم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1] فإنها تورث الدنوّ والقربة. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى﴾[2].

[باب المحبة]:

وقال أبو القاسم النصراباذي: «المحبة والمحنة لفظتان مقرونتان، ما المحنة بعين المحنة وعين المحبة؟ فينبغي للمحب أن ينظر إلى المحنة بعين المحبة حتى تصحّ له المحبة».

انشدت لبعضهم يقول:

بين المحبين سر ليس يفشيه   قولٌ ولا قلمٌ للخلق يحكيه

(الحبّ) حرفان: حاء وباء، والحاء آخر الحروف من الروح والباء أول الحروف من البدن. (والمحبّ) يكون روحاً بلا بدن وبدناً بلا روح. ولكل شيء عبارة إلا المحبّة. فإنها لا عبارة لها. وهي ألطف وأجلّ من أن تدخل في العبارة. ولذلك خلق الله تعالى الملائكة للخدمة، والجن للقدرة، والشياطين للّعنة، وخلق العارفين للمحبة. فالمحبة نار حطبها أكباد المحبِّين، والخوف نار، والحب نور ولا تكون أبداً نارٌ بلا نور.

وقال الجنيد: «رأيت صبيًا يضرب شيخاً والشيخ يضحك فقلت له:

ـ لم تضحك؟ قال:

---

(1) سورة آل عمران: ٣١.

(2) سورة النجم: ٨.

- كيف لا أضحك ويده روحي، وسوطه قلبي، وعيشه عيشي، فكيف أشكو من نفسي!

ولبعضهم:

إذا ما قنعنا بالرسائل بيننا فلا أنت معشوقٌ ولا أنا عاشق
إذا لم يتمّ البذل والوصل في الهوى فإنّ الهوى من بعد هاتين طالق

وقال سمنون[213]: «كان في جيراننا رجل وكان له جارية وكان معها مبتلًا شديد الميل إليها، فاعتلّت الجارية فقام الرجل يصلح لها حلساً فبينما هو يحرِّك القدرة إذ قالت الجارية: آه!.. فدهش الرجل، فسقطت الملعقة من يده وجعل يحرِّك القدرة بيده حتى تساقطت أصابعه. قالت الجارية:

- ماذا صنعت؟ فقال الرجل:

- هذا موضع قولك آه!

[213] سمنون بن حمزة (أو سمنون بن عبدالله)، أبو القاسم (أو أبو الحسن) مات قبل الجنيد (٢٩٧هـ / ٩٠٩م). صحب سريّاً السقطيّ، ومحمد بن علي القصّاب، وأبا أحمد القلانسي، ووسوس. وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، لذلك يذكر بـ«المحب». وهو من كبار مشايخ العراق. مات بعد الجنيد على قول السلمي، وقبل الجنيد على قول الخطيب. وسمّى نفسه كذّاباً بسبب أبياته التي قال فيها:

فليس لي في سواك حظّ فكيفما شئت فامتحنّي

فحصر بوله من ساعة، فسمى نفسه: «سمنون الكذّاب» وله أشعار جميلة في المحبة. (طبقات الصوفية: ١٩٥ ـ ١٩٩، تاريخ بغداد: ٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٧، حلية الأولياء: ١٠/ ٣٠٩ ـ ٣١٤ وغير ذلك).

وأنشد لمحمد بن داود الأصفهاني[214]:

إني لأحسد والديك إذا هما نظرا إليك وفاتحاك كلاما
وددت أنهما استعارا ناظري وبأملاك بمقلتي قداما

حكي عن محمد بن عبدالله البغدادي[215] أنه قال: «رأيت بالبصرة[216] شابًا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول:

---

[214] محمد بن داود بن علي الأصبهاني، أبو بكر (٢٥٤ ـ ٢٩٧هـ/ ٨٦٨ ـ ٩٠٩م)، كان أحد من يضرب له المثل بذكائه، وكان فقيهاً، وله كتاب «الزهرة» في الآداب. حدّث عن أبيه، وعباس الدوري، وأبي قلابة الرقاشي وغيرهم. حدث عنه نفطويه، والقاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجماعة. ومات قبل الكهولة وقلّ ما روى. تصدّر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباس بن سريج، ولا يكاد ينقطع معه.
وكان من أجمل الناس وأكرمهم خلقاً، وأبلغهم لساناً، وأنظفهم هيئة مع الدين والورع. من تصانيفه كتاب «الإنذار» و«الإعذار» وكتاب «التقصّي في الفقه»، وكتاب «الإيجاز» ولم يتمّ، وكتاب «الانتصار من محمد بن جرير الطبري»، وكتاب «الوصول إلى معرفة الأصول». عاش ثلاثاً وأربعين سنة. (سير أعلام النبلاء: ١٣/١١٩ ـ ١١٦، الفهرست: ٣٠٥، تاريخ بغداد: ٥/٢٥٦ ـ ٢٦٣ وغير ذلك).

[215] لعله محمد بن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن هارون البغدادي، أبو بكر الدقاق (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، ويعرف بابن أخي ميمي. سمع أبا القاسم البغوي، وأبا جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول، وابن صاعد. حدّث عنه أبو طالب العشاري، وأبو محمد بن هزارمرد، وجماعة. (تاريخ بغداد: ٥/٤٦٥، سير أعلام النبلاء: ١٦/٥٦٤ ـ ٥٦٥، شذرات الذهب: ٣/١٣٤).

[216] البصرة: مدينة ومرفأ في العراق على شط العرب، قاعدة محافظة ومركز قضاء البصرة: ٤٣٥٠٠٠ن، تأسست في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ٦٣٨م فأصبحت إحدى أهم المدن في العراق. عندها جرت معركة الجمل ٦٥٦م. =

«من مات عشقاً فليمت هكـذا ألا لا خير في عشق بلا موت!»

ثم رمى بنفسه إلى الأرض، فحملوه ميتاً.

وأنشد لبعضهم حين قال:

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصـاح المحبّ بـالصبـر صبـراً

قال بعضهم: الصبر في المحبة ترك صدق الصبر، لأن الصبر في المحبة محو المحبة؛ وترك الصبر في المحبة صدق الصبر. ولبعضهم:

الصبـر عنك فمـذمـوم عـواقبـه والصبر في سائر الأشياء محمود

وقال أبو الفتح[217]: «دخلت على الشِّبليِّ يوماً في مرضه فقلت له:

ـ ألا نأتيك بطبيب؟ فقال لي:

ـ كيف أشكو إلى طبيب، طبيـي، والذي قد أصابني من طبيبـي!

فأخذت المِرْوحة لأرَوِّح بها فقال:

= ازدهرت على عهد العباسيين وأصبحت مع الكوفة مهداً للدروس اللغوية. أحرقها الزنج ٨٧١م، ثم القرامطة ٩٢٣م. بدأت بالانحطاط بعد ١٢٥٨م. فتحها الأتراك ١٦٦٨م ثم احتلها الانكليز ١٩١٤ حقول نفط. (المنجد).

[217] أبو الفتح: لعله يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس. سبقت ترجمة له تحت رقم: ١٣٠، أو محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، أبو الفتح البغدادي (٣٣٨ ـ ٤١٢هـ / ٩٥٠ ـ ١٠٢٢م)، محدث بغدادي، معروف بصلاحه وأمانته ووثوقه وحفظه. (تاريخ بغداد: ٣٥٢/١ ـ ٣٥٣، تاريخ نيسابور: ١٠٠).

إذا مرض الحبيب وطال حبه فحيث الداء ثم يكون طبّه
وإن أعيا دواء الطبِّ يوماً فطبّك أن يحبّك من تحبّه

وقال عبدالواحد بن زيد[218]: «رأيت رجلًا مهزولاً ضعيفاً شاحِباً لونه؛ فسلّمت عليه وقلت له:

ــ رياضتك بلغتك هذا المبلغ؟ قال:

ــ لا. قلت:

ــ فماذا؟ قال:

ــ محبة دائمة، واشتعال نار في فؤادي. قلت:

ــ لمن؟

فصاح صيحة غشي عليه فلما أفاق قلت:

ــ يا هذا ألا تدعي ومن ربك لا تستحي؟

فنظر إلى السماء وقال:

ــ بحقي عليك ألاّ قَبَضْتَنِي بين الخطوتين إن كنت صادقاً.

وسجد فمكث طويلاً فلم يبرح. فنظرت فكأنه لم يكن. فلم أنكر على محبّ بعد ذلك.

[218] عبدالواحد بن زيد: من أوائل الصوفية ــ اعتبره ابن تيمية «الصوفي الأول». اشتهر بمواعظه الروحية، حتى قيل إن رجلاً مات في مجلس وعظه من شدة التأثر، وقيل أيضاً في حقه: «لو قسم بث عبدالواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم». وتوفي رحمه الله سنة ١٧٧ هجرية.

أحبّ اللّه قوماً فاستقاموا على طرق الوداد فلم يناموا
سقاهم بالصفا من كأس ود فصاموا في محبته وقاموا

سأل ذو النون المصري امرأة عابدة في تيه بني إسرائيل عن المحبّة، فقالت: «ليس لها ابتداء فتدرى ولا انتهاء فتدرك؛ لأن المحبوب لا نهاية له. فأول الحب على التوكل[1] وأوسطه على القناعة وليس لأخره غاية». ثم غشي عليها، ثم أفاقت وهي تقول: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[2] إنّهم[3] نظروا إلى من سواه(*) بعد ما نظروا إليه بعين المحبة.

وللشبلي:

جور الهوى أحسن من عدله وبخله أظرف من بذله
لو عدل الحب لأهل الهوى لمات كل الخلق من عدله

فصاحبُ المحبّة ساعة يطلب، وساعة يهرب، وساعة يحزن، وساعة يطرب، ليس له حال دائم، ولا أمر قائم. وكيف يدوم حال من يذبح ساعة، ويحيا ساعة، ويشقى ساعة، ويغني(**) ويكشف عن فؤاده ساعة، ويحجب عن مراده ساعة.

وقال ذو النون رحمه الله:

---

(١) في الأصل: الكل.
(٢) سورة البقرة: ٢٧.
(٣) في الأصل: إن ي.
(*) يبدو أن في الجملة سقطاً. لعله: «بعين الفناء».
(**) هكذا في الأصل. لعله: «يفني».

وتمنيت أن أراك فلما رأيتكـا
غلبت دهشة السرور فلم أملك البكا

المحبة نار والشوق لهيبها. أوحى اللّه إلى داود عليه السلام: «يا داود من طالبني قتلته في هواي شوقاً إلى لقائي. من أحبَّني أحببته أي أشغفته حتى لا صبر له دوني».

حكي أن أبا الحسين النوري جاء إلى الجنيد فقال: «بلغني أنك تتكلم في شيء من المحبة، فتكلم بما شئت حتى أردَّه عليك»[1]. فقال الجنيد[2]:

ـ أحكي لك حكاية: كنت أنا وجماعة من أصحابنا في بستان. فأبطأ علينا من يجيئنا بما نحتاج إليه. فصعدنا نطلع [على سطح البستان][3] فإذا[4] بضرير معه غلام جميل[5] الوجه. والضرير يقول له:

ـ أمرتني يا هذا بكذا وكذا فامتثلت. ونهيتني عن كذا وكذا، فتركت وما خالفتك في شيء تريده؛ فماذا تريد مني؟ فقال الغلام:

ـ أريد أن تموت. فقال الضرير:

ـ ها أنا ذا أموت. وتمدد وغطى[*] وجهه.

---

(١) في كتاب الفتوة: إنك تتكلم في كل شيء، فتكلم فيما شئت حتى أزيده عليك.
(٢) في كتاب الفتوة: + فقال أبو القاسم: فيماذا أكلمك؟ فقال: في المحبة...
(٣) من كتاب الفتوة.
(٤) في الأصل: وإذا، في كتاب الفتوة: فإذا.
(٥) في كتاب الفتوة: حسن.
(*) في الأصل: وغطا.

فقلت لأصحابي:

ـ ما بقي على هذا الضرير شيء، قد تشبه بالموتى ولكن لا يمكنه الموت في الحقيقة. فنزلنا [وخرجنا](١) إليه وحركناه(٢) فإذا هو ميِّت. فقام النوري وانصرف.

حكي أنّ ذا النون(٣) دخل إلى مريض يعوده فوجده يئنّ فقال:

ـ لا يصدق في محبته من لم يصبر على ضربه؛ فقال المريض:

ـ لا يصبر في محبته من لا يتلذذ بضربه. فنودي من زاوية البيت:

ـ ليس بصادق في محبتنا من لم ييأس من حبّ غيرنا.

سئل:

ـ كيف محبتك لصديقك فقال:

ـ إذا رأيته أشتهي أن لا أرى شيئاً سواه، وإذا سمعت كلامه أشتهي أن لا أسمع شيئاً سوى كلامه.

قال المتنبيء[219]:

---

(١) من كتاب الفتوة.

(٢) في كتاب الفتوة: فحركناه.

(٣) في الأصل: ذو النون.

[219] المتنبيء: هو الشاعر المشهور أحمد بن الحسين بن عبدالصمد، أبو الطيب الجعفي (٣٠٦ ـ ٣٥٤هـ / ٩١٨ ـ ٩٦٥م). كان أبوه يعرف بعيدان السقّا، وكان يسقي الماء على بعير له، وكان شيخاً كبيراً. ونشأ المتنبيء بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه. ولزم جناب سيف الدولة حمدان وامتدحه، =

ولو أنّي استطعت حفظت طرفي فلم أنـظر بـه حتى يـراكـا[1]

وقال الشبلي: «حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن تحبه فلا يبقى فيك لك شيء». حكي أنّ بعض المتحابين ركبا في البحر فسقط أحدهما في البحر وغرق، فألقى الآخر نفسه في البحر، فقام الغوا[صون] فأخرجوهما سالمين. فقال الأول لصاحبه:

ــ أما أنا فسقطت في البحر، فأنت لم ألقيتَ نفسك؟ فأنشد:

«أنـا غـائب بـك عني تـوهّمت أنّـك أنّـي»

= وحظى عنده، ثم صار إلى مصر وامتدح الإخشيد ثم هجاه وهرب منه، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها، وقدم الكوفة ومدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار. ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له اموالاً جزيلة تقارب مائتي ألف دينار. ثم دسوا عليه، فغضب عليه عضد الدولة، ودس عليه طائفة من الأعراب فقتلوه أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد. في يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان. [وقد ادّعى المتنبىء أنه نبي يوحى إليه وزعم أنه أنزل عليه قرآن، فمن ذلك قوله: «والنجم السيار، والفلك الدوّار، والليل والنهار، إن الكافر لفي خسار، امض على سَنَنك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين. فإن الله قامع بك من ألحد في دينه، وضلّ عن سبيله». وهذا من خذلانه، وكثرة هذيانه وفشاره. فسجن دهراً طويلاً من قبل الأمير لؤلؤ، ثم أطلق سرحه بعد أن تاب ورجع إلى الإسلام.

وله ديوان شعر مشهور، فيه أشعار رائقة ومعانٍ ليست بمسبوقة، بل مبتكرة شائقة. وهو في الشعراء المحدثين كامرىء القيس في المتقدمين. وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر واللغة نحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً. (البداية والنهاية: ١١/٢٥٦ ــ ٢٥٩).

(١) البيت في ديوان المتنبىء هكذا:

ولو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصـر بـه حتى أراكـا

وقال بشر بن الحارث: «ليس من المروءة أن تحبَّ ما يبغضه حبيبك».

وقال أبو بكر الصديق(*) رضي اللّه عنه: «ما من شيء أشدّ من فراق الأحبة».

(*) أبو بكر الصديق: الخليفة الأول لرسول الله صلىّ الله عليه وسلّم: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي التيمي (بعد الفيل: ٣ ـ ١٣هـ / ٥٧٢ ـ ٦٣٤م)، اسمه عبداللّه وهو معروف بكنيته أبو بكر، واسم أبيه عثمان وهو معروف بكنيته أبو قحافة. ولد أبو بكر بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر. وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، محبباً فيهم، مؤلفاً لهم، غنياً يشتغل بالتجارة، وهو أول من أسلم من الرجال. هاجر رضي اللّه عنه مع رسول اللّه وصحبه في الغار، لقد أشار القرآن إلى تلك الصحبة بقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (سورة التوبة: ٤٠). وشهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم المشاهد كلها، وأمّره الرسول على الحجاج سنة تسع، كما أمره أن يصلي بالناس عند مرضه الأخير. وقال صلّى اللّه عليه وسلّم في فضله: «قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى اللّه أن أكون اتخذت منكم خليلاً، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً وإن ربي اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

وكان رضي اللّه عنه كثير التصديق لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، لذلك سمّاه صلّى اللّه عليه وسلّم صدّيقاً. وقد أنفق ما ملكه من الأموال في سبيل نصرة دين اللّه. وأعتق سبعة كلهم يُعَذَّب في اللّه: أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، وزِنِّيرَة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني مؤمل، وأم عُبيس زِنِّيرة. ولما توفي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، تنازع الأصحاب فيمن يكون بعده خليفة له. وبعضهم ترددوا في تصديق خبر وفاة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم حيث قال عمر: «لا يتكلّم أحد بموته إلاّ ضربته بسيفي هذا». ثم جاء أبو بكر فأكبَّ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم حتى كاد وجهه يمس وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فنظر حتى استبان أنه توفي فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (سورة =

باب المعرفة:

فأما المعرفة فهو أوّل فرض افترضه اللّه على عباده بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١). قال ابن عباس[220]: «أي ليعرفونِ». سئل النبي صلّى اللّه عليه وسلّم:

= الزمر: ٣٠). قالوا: «يا صاحب رسول اللّه صلّ اللّه عليه وسلّم توفي رسول اللّه صلّ اللّه عليه وسلم؟ قال: نعم. فعلموا أنه كما قال».

وقد أراد الأنصار أن يختاروا لهم أميراً عليهم من الأنصار، ثم أجمعوا في اختيار أبي بكر وذلك باقتراح عمر بن الخطاب. وكان أول من بايعه عمر رضي اللّه عنه في السقيفة يوم وفاة رسول اللّه صلّ اللّه عليه وسلّم. ثم كانت البيعة من الغد. وتخلف عن بيعته علي، وبنو هاشم، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن عبادة الأنصاري، إن الجميع بايعوه بعد موت فاطمة رضي اللّه عنها إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع إلى أن قتل في الشام غيلة.

وقد وحّد رضي اللّه عنه قبائل العرب وأدّب من تمرّد في منع الزكاة، وجمع القرآن. واستمر خلافته سنتين وأشهر وتوفي يوم الاثنين، لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. وله مزايا وفضائل كثيرة يطول شرحها. (أسد الغابة: ٣/٢٠٥ ـ ٢٢٤).

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

[220] عبداللّه بن عباس بن عبدالمطلب (٦٨هـ / ٦٨٧م) ابن عم رسول اللّه صلّ اللّه عليه وسلّم. كان يسمى البحر وحبر الأمة لسعة علمه. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلّ اللّه عليه وسلّم مرتين فقال: «اللهم علّمه الحكمة». روى عن النبي صلّ اللّه عليه وسلّم وعمر، وعليّ، ومعاذ بن جبل، وأبي ذر. وروى عنه: عبداللّه بن عمر، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل وغيرهم. وشهد مع علي صفين وكان أحد الأمراء فيها، واستعمله علي بن أبي طالب على البصرة فبقي عليها أميراً ثم فارقها قبل شهادة علي كرم اللّه وجهه، وعاد إلى الحجاز. لما وقعت الفتنة بين عبداللّه بن الزبير وعبدالملك بن مروان، نزل عبداللّه بن عباس ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما مكة لم يبايعا ابن الزبير الذي طلب منهما البيعة له وقالا: «أنت وشأنك لا نعرض لك =

«بماذا عرفت الله عز وجل؟» فقال: «ما شاء الله إني لا أعرف ربي بشيء بل عرفت الأشياء به»(١).

وقال أبو بكر الصدّيق: «سبحان من لم يجعل لخلقه طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته».

وقال أبو الدرداء[221]: «سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن المعرفة فقال: سألت جبريل عليه السلام عن المعرفة فقال: سألت الله عز وجل فقال الله عز وجل: سرٌّ من أسراري لا أودعه إلاّ في سرٍّ يصلح لمعرفتي»(٢).

= ولا لغيرك». ثم أخرجوا من مكة وأنزلوا منى. ثم خرجوا بهم إلى الطائف. فمرض عبدالله هناك وتوفي سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة. وعند وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم كان ثلاث عشرة سنة. وكان يصفر لحيته، وكان جميلاً أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه. (أسد الغابة: ١/١٩٥).

(١) لم أعثر عليه في الكتب المشهورة بهذا اللفظ.

[221] أبو الدرداء: عويمر بن مالك بن زيد، تأخر إسلامه قليلاً. حسن إسلامه وكان فقيهاً، عاقلاً حكيماً، آخى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بينه وبين سلمان الفارسي، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «عويمر حكيم أمتي». شهد ما بعد أحد من المشاهد. ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان وتوفي قبل قتل عثمان بسنتين. (أسد الغابة: ٥/١٨٥ ــ ١٨٦). مرّ رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنباً وكانوا يسبونه، فقال: «أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟» قالوا: «بلى». قال: «فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم». قالوا: «أفلا تبغضه؟» قال: «إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي». (أسد الغابة: ٤/١٦٠).

(٢) لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ في الكتب المعروفة.

سئل يوسف بن الحسين عن أصل المعرفة فقال: «أصل المعرفة رحمة اللّه على العبد ونظره إليه وتوفيقه له أن يدرك الآية. قال اللّه عز وجل: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]. سئل: بماذا يعرف العبد ربه؟ فقال: «العبد عاجز عن معرفة نفسه فكيف معرفة ربه. فمن عرف اللّه باللّه فقد عرفه به واهتدى إليه واستدلّ عليه».

سئل الجنيد: «بماذا عرفت ربك؟» فقال: عرفت ربي بربي؛ فلولا ربي ما عرفت ربي».

وقال أبو الحسين النوري: «المعرفة معرفتان: معرفة حقّ ومعرفة حقيقة. أما معرفة الحق فهو إثبات الوحدانية على ما أبرز من الصفات. وأما معرفة الحقيقة لا سبيل إليها لامتناع الصمدانية وتحقيق الربوبية».

وقال أبو يزيد: «حسبك من المعرفة أن تعرف أنّه يراك، ومن العلم أنّه مستغن عن عملك».

وقال بعضهم: «الطريق إلى اللّه هو اللّه. لأنه لا يعرف اللّه إلاّ باللّه، لقوله عز وجل: ﴿وعلى اللّه قصد السبيل﴾ ».

وقال الشبلي: «علامة المعرفة المحبة، لأن من عرفه أحبّه». وقال الجنيد: «المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار». وقيل: «المعرفة تحقيق القلب بوحدانية اللّه». وقال بعضهم: «عرفت اللّه به وعرفت ما دون اللّه بنور اللّه».

المعرفة ثلاثة: معرفة اللسان وهو الإقرار، ومعرفة القلب وهو التصديق، ومعرفة الروح وهو اليقين.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

وقال ذو النون: «أوّل المعرفة التخيير ثم الاختيار ثم الإيصال». وقيل: «معرفة اللّه أن تلزم قلبك على قيام اللّه عليك». وقيل: «معرفة اللّه ترك التدبير والاختيار». وقيل: «من عرف اللّه هابه كلّ شيء وسقط عنه خوف كلّ شيء، ومن عرف اللّه خرس لسانه». وقيل: «صحة المعرفة بالعلم، وصحة العلم بالمعرفة. لا يستغني أحدهما عن صاحبه. المعرفة علم القلب بوجود الرب. المعرفة مطالعة القلب بإفراده على لطائف تعريفه». وقيل: «المعرفة العلم بصفاته والحيرة بذاته».

حكي أن فقيراً دخل على الحارث المحاسبي[1] وكان قد صنّف كتاباً في المعرفة فقال:

ــ أسألك مسألة؟ فقال:

ــ سل. فقال الفقير:

ــ أخبرني عن المعرفة، أحقّ للعبد على الحقّ أم حقّ للحق على العبد؟ قال: فتحيّر الحارث وترك التصنيف!

وقال بعضهم: «للعارف ثلاث علامات: لسانه بالحكمة ناطق، وقلبه بالمعرفة صادق، وبدنه بالخدمة موافق». وقال: اطلبوا معرفة اللّه في قلوبكم، واطلبوا معرفة الديانة من العلماء. فإنه حجّة اللّه عليكم ولا تستغنوا باللّه عن اللّه، ولا بالعلم عن العلم، واعلموا أنّ لكلّ علم علماً وفوق كلّ ذي علم عليم.

حكي أنّ رجلاً جاء إلى أبي الحسين النوري فقال له:

---

(١) في الأصل: الحلبي.

ـ ما الدليل على الله؟ فقال:

ـ الله. قال:

ـ فما بال العقل؟ قال:

ـ العقل عاجز والعاجز لا يدلّ إلا على عاجز مثله.

وقيل: «العارفون بالله هم الملوك حقاً». وقال أبو علي الدقاق[222]: «من عرف الله اعتصم بالله ومن اعتصم بالله نال الهداية من الله». وقال الشبلي: «من عرف الله زال عنه الحزن». وقال الجنيد: «من عرف الله طال حزنه». وقال أبو يزيد: «ما أعطي الناس من معرفة الله إلا بقدر الحاورسة يعني الدخنة». وقال أبو بكر الوراق: «صدر العارف مشروح وقلبه مجروح وبدنه مطروح». وقال الجنيد: «العارفون إذا نظروا فليس بينهم وبين الله حجاب غير الدنيا فيهتكوا». وقال الشبلي: «من عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة».

وسئل بعض المشايخ عن المعرفة، فقال: «تحقيق القلب بإثبات وحدانيته وكمال صفاته وأسمائه، وأنه المنفرد بالعز والقدرة والسلطنة والعظمة بلا كيف ولا شبه ولا مثال بنفي الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب». وقال سهل بن عبدالله: «كنت أسير في البَرّ إذ رأيت غلاماً أسود وبين يديه أغنام وعلى وجهه من المعرفة أعلام. فقال لي:

---

[222] هو أبو علي إبراهيم الدقاق، من أوائل الصوفية. عرف بالزهد والتوكل. وقد ذكر لنا الكلاباذي بعض أقواله في التوبة.

او أبو علي الدقاق، أحمد بن محمد بن بنان، أبو علي الدقاق، يعرف بكردي. حدث عن يوسف بن موسى القطّان. روى عنه أبو حفص الزيّات. (تاريخ بغداد: ٤/٤٠٠).

ـ أنت حضري؟ فقلت:

ـ نعم. فقال:

ـ بمَ عرفت مولاك؟ فقلت بالشواهد. فقال:

ـ هيهات من عرف ربه بالشواهد غرق في بحار الشدائد، وفاته من اللَّه كريم الفوائد. ثم أنشد وجعل يقول:

إني لأعرف مولاي بمولاي ... ولست آمله إلاّ لبلواي

هو الجواد فلم يدركه من أحد ... رؤيته بدليل العقل والراي

باب التوكل:

وقد ذكره اللَّه تعالى في مواضع من القرآن العظيم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]، أي حسبه اللَّه من جميع خلقه. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2]. وقال اللَّه تعالى لرسوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[3]. وقال عمر بن الخطاب[*] رضي اللَّه عنه: قال صلَّى اللَّه عليه وسلم: «لو [أَنَّكُمْ] تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ،

---

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) سورة إبراهيم: ١١.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(*) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين (بعد وقعة الفيل: ١٣ ـ ٢٤هـ/ في حدود: ٥٨٣ ـ ٦٤٤م)، ولد بعد وقعة الفيل بثلاث عشرة سنة. وكان إليه السفارة في الجاهلية. وكان عند المبعث شديداً على المسلمين ثم أسلم. فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق. وقد دعا رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم قبل إسلام عمر: «اللهم أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب». فأصبح عمر فغدا على رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلّم. وقال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلّم: «رأيت =

= في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن»، وهذا لما فتح الله على عمر من البلاد وحمل من الأموال وما غنمه المسلمون من الكفار. اختاره أبو بكر قبل وفاته خليفة بعده، فأجمع المسلمون على خلافته.

لقد فتح الفتوح ومصر الأمصار ففتح العراق، والشام، ومصر، والجزيرة، وديار بكر، وأرمينية، وآذربيجان، وبلاد الجبال، وبلاد فارس، وخوزستان وغيرها. وأدرّ العطاء على الناس ونزل نفسه بمنزلة الأجير وكآحاد المسلمين في بيت المال، ودوّن الدواوين، ورتّب الناس على سابقتهم في العطاء والإذن والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه، وكان عليّ أولهم وكذلك فعل بالعطاء، وأثبت أسماءهم في الديوان على قربهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبدأ ببني هاشم والأقرب فالأقرب. وعدله معروف يضرب به المثل. قال يحيى بن سعيد بن المسيب: «لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح ثم كوّم كومة من البطحاء فألقى عليها طرف ردائه ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط». فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن.

طعنه غلام المغيرة بن شعبة، علج من العلوج عندما كبّر أمير المؤمنين للصلاة فقال: «قتلني، أو أكلني الكلب» حين طعنه. فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمرّ على أحد يميناً وشمالاً إلاّ طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة. فطرح رجل عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وقد جعل الخلافة شورى في ستة رجال الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف. واستأذن عائشة رضي الله عنها أن تسمح له أن يُدفن حيث دفن الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر. فدفن حيث شاء وذلك بعد عمر دام ثلاثاً وستين سنة، وقيل كان عمره خمساً وستين سنة. رحمة الله عليه وجزاه الله أحسن الجزاء. (أسد الغابة: ٤/٥٢ ـ ٧٨، الإصابة: ٢/٥١٨ ـ ٥١٩).

لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ. [تَغْدُو] خِمَاصاً وَتَرُوحُ[١] بِطَاناً[٢]». وقال عبدالله بن مسعود(*): قال الله عز وجل: حسب من يتوكل ومن لا يتوكل أن لله عز وجل كافي الخلق جهلوا أم علموا لأنه خالقهم ولا يملك كفايتهم غيره. وروي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «مَنْ ضَمِنَ لِي خَصْلَةً أَضْمَن لَهُ الْجَنَّةَ»[٣]. وقال ثوبان[223]: قال

---

(١) في الأصل: وتعود: لعلها تصحيف.

(٢) الحديث في سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: ١٤، والترمذي، الزهد: باب: ٣٣، وفي مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ٣٠، ٥٢.

(*) عبدالله بن مسعود، صحابي معروف. أحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين، ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين. توفي سنة اثنتين وثلاثين (٦٥٢م) وله من نحو ستين سنة. أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده إلى أهل الكوفة وكتب لهم: «إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبدالله بن مسعود معلّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا، وقد آثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي». (تذكرة الحفاظ: ١/١٣ ـ ١٤).

(٣) رواه الحاكم في الكنى، والعسكري في الأمثال عن جابر بلفظ: «من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له دخول الجنة». انظر: كنزل العمال: ١٥/٨٠٦ حديث: ٤٣٢٠٥.

[223] ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقيل ابن جحدر، أبو عبدالله وهو من حمير اليمن، وقيل هو من سعد العشيرة من مذحج أصابه سباء فاشتراه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأعتقه وقال له: «إن شئت أن تلحق بمن شئت منهم وإن شئت أن تكون منا أهل البيت». فثبت على ولاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفراً وحضراً إلى أن توفي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة، وابتنى بها داراً، وابتنى بمصر داراً، وبحمص دارا، وتوفي بها سنة أربع وخمسين (٦٧٣م) وشهد فتح مصر. روى عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أحاديث ذوات عدد، =

لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لاَ تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً» فكان إذا أسقط السوط من يده لا يكلف أحداً يناوله[1]. فكانت عائشة(*) رضي الله

= روي عنه شدّاد بن أوس، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم. روى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها». (رواه أحمد في المسند: ٥/٢٧٨، ٢٨٤، ٤/١٢٣، ورواه مسلم في الفتن: ١٩، أبو داود: فتن ١٤، وابن ماجه: فتن ٩). (أسد الغابة: ١/٢٤٩).

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٢٧٩، ٢٨١.

(*) هي عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة (٩ قبل الهجرة ــ ٥٧، ٥٨هـ/٦١٣ ــ ٦٧٧، ٦٧٨م)، زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم وأشهر نسائه. تزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة بسنتين وهي بكر وعمرها ست سنين، وقيل سبع سنين. وبنى بها في السنة الثانية من الهجرة وهي إحدى عشرة سنة على الأقل وذلك بناء على حسابنا، أما الذين ينقلون الرواية بدون تدبر فيقولون: بنى بها في السنة الثانية الهجرية وهي تسع سنين وهذا يناقض ما روي من أن الرسول تزوجها قبل الهجرة بسنتين وهي سبع سنين. إذن أثناء الهجرة بلغ عمرها تسع سنين، وإذا تم البناء بعد الهجرة بسنتين، معناه أن عمرها بلغ إحدى عشرة سنة.

وهي ممن ولد في الإسلام وهي أصغر من فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بثماني سنين. وكانت امرأة بيضاء جميلة. ومن ثم يقال لها: الحمراء. ولم يتزوج الرسول صلّى الله عليه وسلّم بكراً غيرها. ولا احبّ امرأة حبّها. وكان تزويجه بها، وبسودة، إثر وفاة خديجة في وقت واحد. ثم دخل بسودة فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر. وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً. وصلّى عليها أبو هريرة. ولما توفي النبي صلّى الله عليه وسلم كان عمرها ثمان، أو تسع عشرة سنة. (أسد الغابة: ٥/٥٠١ ــ ٥٠٤، طبقات ابن سعد: ٨/٥٨ ــ ٨١، سير أعلام النبلاء: ٢/١٣٥ ــ ٢٠١).

عنها تقول: تعاهدان ثوبان والأمان؟ وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: «من توكل وقنع كفي الطلب»(١). وقال الحسن البصري[224]: «من توكل وقنع

(١) في سنن ابن ماجه: «... ومن توكل على اللّه كفاه التشعب». الزهد: ١٤.

[224] الحسن بن يسار (١١٠هـ / ٧٢٨م)، مولى الأنصار، سيد التابعين في زمانه بالبصرة. كان ثقة في نفسه، حجة، رأساً في العلم والعمل، عظيم القدر.
وكان كثير التدليس، كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، ويقول: حدّثنا، وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة.
وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وأبوه يسار من سبي ميسان. سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن رحمة اللّه عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ثم نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة.
وروي أن أمه كانت تخدم أم سلمة، زوج النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وكانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها، وتخرجه إلى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهو صغير. فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر فدعا له وقال: «اللهم فقّهه في الدين وحبّبه إلى الناس». (أخبار القضاة: ٢/٥). لكن هذه الرواية إسنادها مرسل. وروي أن ثدي أم سلمة درّ عليه ورضعها غيرمرة. (الحلية: ٢/١٤٧).
وكان الحسن ورعاً زاهداً، مؤثراً كلامه، يتكلّم بكلام كأنه الدر. قال علقمة بن مرثد: «فما رأينا أحداًأطول حزناً منه. ما كنا نراه إلا حديث عهد بمصيبة. ثم قال: نضحك ولا ندري لعلّ اللّه قد اطّلع على بعض أعمالنا وقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بحاربة اللّه ـ يعني قوة ـ واللّه لقد رأيت أقواماً ما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم ولا يجد عنده إلاّ قوتاً فيقول: «لا أجعل هذا كله في بطني، فيتصدّق ببعضه ولعله أجوع إليه ممن يتصدّق به عليه». وقال: «ضحك المؤمن غفلة من قلبه».
يفهم من رواية موسى بن إسماعيل أن الحسن أحرق ما كتبه من الأحاديث =

ورضي أتاه الشيء بلا طلب». وقال علي بن عبدالرحيم القناد: «دخلت قوقسيا[225] سنة خمسة عشر وثلاثمائة فرأيت فيها شيخاً يعرف بأبي الأزهر[226]، له أربعمائة من التلامذة كلهم يقول بالتوكل وترك الكسب».

حكي أنّ اللّه تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: توكّل عليّ أكفيك ولا تتولّ غيري أخذلك. لكنه من استغنى باللّه اكتفى ومن انقطع إلى غير اللّه يغتم.

وقال الجنيد: «لا تهتم الرزق الذي كفيته واعمل عملك الذي كلّفته. فإنّ ذلك من عمل الكرام والفتيان».

= ما عدا صفحة واحدة: «حدثنا سهل بن الحصين الباهلي، قال: بعثت إلى عبداللّه بن الحسن البصريّ: ابعث إليّ بكتب أبيك، فبعث إليّ أنه لما ثقل قال لي: اجمعها لي، فجمعتها له وما أدري ما يصنع بها، فأتيت بها فقال للخادم: اسجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة فبعث بها إليّ وأخبرني أنه كان يقول: ارو ما في هذه الصحيفة. ثم لقيته بعد فأخبرني به مشافهة بمثل ما أدّى الرسول». (سير أعلام النبلاء: ٤/٥٨٤).
(انظر لترجمته وأقواله: حلية الأولياء: ٢/١٣١ ـ ١٦١، طبقات ابن سعد: ٧/١٥٦، أخبار القضاة: ٢/٣، سيرأعلام النبلاء: ٤/٥٦٣ ـ ٥٨٨، وغير ذلك).

[225] قوقسيا: قفقاسيا: جبال في جنوب غربي الاتحاد السوفياتي، بين بحر قزوين والبحر الأسود، تمتد على طول ١,٢٠٠ كم. أعلى قممها بركان البرز: ٥,٦٣٣ م. المنجد). والمقصود هنا مدينة من المدن بتلك المنطقة التي يسكنها المسلمون.

[226] أبو الأزهر: نزيل نيسابور، وهومن أعيان علماء كوفة. (تاريخ نيسابور: ٢٠).

وقال سفيان بن عيينة: قيل لأبي حازم[227]:

ـ «ما مالك: فقال: «فيَّ[1] مالان: الثقة بالله والإياس مما في أيدي الناس». وقال الحسن البصري: «من اتكل إلى حسن الاختيار من الله فالواجب عليه أن لا يتمنى أنه في غير حاله الذي اختار الله له».

نُكْتَة: أطول الناس هماً أسوأهم بالأرزاق ظناً. قال سهل بن عبدالله: «من اهتمّ بالخير فليس له عند الله قدر».

وقيل لأبي عثمان:

ـ من أين تأكل؟ فقال:

ـ إن كنت مؤمناً فأنت مستغن عن هذا السؤال. وإن كنت جاحداً فلا خطاب عليك. ثم تلا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2].

وقال أبو يزيد البسطامي: «يقول الله عز وجل: من أتاني منقطعاً إلّا جعلت إرادتي في إرادته وجعلت له حياة لا موت فيها».

---

[227] هو سلمة بن دينار المخزومي ـ مولاهم ـ، أبو حازم المدني (١٤٠هـ / ٧٥٧م)، التمار القاضي الواعظ، الزاهد، عالم المدينة وقاصّها. سمع سهل بن سعد الساعديّ، وسعيد بن المسيب، والنعمان بن أبي عياش وعدة. وعنه مالك، والسفيانان، والحمادان، وأبو ضمرة وخلق. روي أنه قال: «كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرّك متى متّ». وقال الخليفة هشام لأبي حازم: «ما النجاة من هذا الأمر يعني الملك». قال: «هينّ: لا تأخذ شيئاً إلّا من حِلّه، ولا تضعه إلّا في حقّه». وكان فقيهاً ثبتاً كثير العلم، كبير القدر. وكان فارسياً وأمه روميّة. (تذكرة الحفاظ: ١/١٣٣ ـ ١٣٤).

(١) في الأصل: اني.

(٢) سوة هود: ٦.

باب صفة التوكّل:

أمر اللّه سبحانه وتعالى بالتوكّل وجعله مقروناً بالإيمان لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]. فجعل التوكل عليه حقيقة الإيمان. والتوكل جند اللّه في الأرض يقوي به قلوب المريدين. والجوع طعام اللّه في الأرض يشبع به أبدان الصديقين. والحرص راية اللّه في الأرض يضعها على رقاب الراغبين. وقال سهل بن عبداللّه: «أوّل مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي اللّه عز وجل كالميِّت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف يشاء». وترك الكسب إنما هو وبال.

سئل ذو النون المصري عن التوكل فقال: «خلع الأرباب وترك الأسباب». وقال رويم: «التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى الوسائط». وقال الجنيد: «التوكل اعتماد جواهر القلوب على اللّه بإزالة الأطماع عما سواه». ويقال: «ذاتية التوكل انتظار السبب من المسبب من غير رؤية السبب بلا اهتمام ولا كرب ولا حزن ولا طرب».

وقال إبراهيم بن أدهم: «التوكل أن يستوي عندك أفخاذ السباع والمتكى على الحشايا». وقال الدقاق: «التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط همِّ غد». وقال رويم: «التوكل الثقة بالوعد». وقال أبو عثمان: «التوكل الصبر على الدنيا وقطع القلب عنها». وقال الخواص: «سنة المتوكلين: التوكل هو اعتقاد القلب على أن اللّه تعالى هو الخلّاق الرزّاق، هو المعطي للأشياء، المانع الضارّ النافع، القابض الباسط، لا معجِّل لما أخَّر ولا مؤخِّر لما عجَّلَ. وأنّ العبد بحركته لا يزداد في

---

(١) سورة المائدة: ٢٣.

رزقه، ولا بعدم سعيه وقعوده وترك طلبه ينقص من رزقه. لأنّ اللّه تعالى قد قسَّم الأرزاق وفرغ منها وتولّى القيام بالقسمة دون غيره. فبعض الرزق يجيء بطلب، وبعضه يجيء بغير طلب، فمن يكون من أهل المعرفة يستحيي من اللّه جلّ جلاله أن يتوكل عليه ليكفيه أمر رزقه، خاصّة. لأن الكفاية من اللّه قائمة للخلق فهويستحيي منه أن يبدي شيئاً تولى اللّه كفايته. وإنما يتوكل على اللّه في أمر الآخرة الذي لم يضمن له كفايته، مثل الموت وروعته، والسكون إلى اللّه عند نزوله، ووحشة القبر وانفراده فيه، ولقاء منكر ونكير، والبعث، والنشور، وطول القيام، والوقوف في القيامة، وشدة الحر في يوم طويل. فاعمل في هذا التوكل إذا أحكمت التوكل على اللّه، فهذا توكّل قد غفل عنه كثير من المتوكلين.

«وقال: من ترك التدبير عاش في راحة التوكل وهو أن يكون العبد كالطفل الصغير في حجر أمه تقلّبه كيف شاءت بأحسن تدبير». وقال إبراهيم الخواصّ في كتاب المتوكّلين: «هو أن لا يركن القلبُ إلى مال ولا لتجارة ولا لسبب ولا لمخلوق، بل يركن القلب إلى اللّه حتى يجد للمنع حلاوة ما يجد عند العطاء. وهو سكون القلب إلى ما في الغيب مما قد قسّم له[1] وغيبه وأخفاه إلى تو[2] فيكون سكونه إلى ما في الغيب كسكونه إلى ما في اليد لأنّ ما في اليد تحدث عليه الحوادث وما عند اللّه باق يأتي به في أوقاته. فإذا عرف ذلك العبد معرفة غير منقطعة كان قويًّا عند زوال الدنيا وإقبالها وعند المنع والعطاء».

---

(١) في الأصل: إليه.

(٢) أي إلى موعد محدد ووقت معلوم.

وقيل: «الرزق ثلاثة: رزق العام(1) من الحركة، ورزق الخاص من القسمة، ورزق خاصِّ الخاصِّ من القدرة!». وقال محمد بن كرام[228]: «حسبك من التوكل أن لا تطلب لنفسك ناصراً غيره، ولا لرزقك خازناً غيره، ولا لعلمك شاهداً غيره». وقيل لإبراهيم بن شيبان:

ـ ما هو التوكل؟ فقال:

ـ هو سرّ بين اللّه وبين العبد، فالواجب أن لا يطلع على سرّه غيره.

قال يحيى بن معاذ الرازي: «التوكل ثلاث: أوّلها ترك الشكاية والثاني الرضا بالمقسوم، والثالث المحبة(2). فأوّلها للصالحين، والثاني للأبرار، والثالث للأنبياء».

وسئل الشبلي(3) عن التوكل فقال: «نسيان التوكل في وقت الحضور». ثم قال:

«كم حاجة لي إليك أسترها أخاف عند التلاق أذكرها»

وقال سهل بن عبداللّه: «من طعن في الحركة فقد طعن في السنّة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان».

---

(1) في الأصل: العامي.

[228] هو محمد بن كرام أبو عبداللّه السجستاني، وهو شيخ طائفة (الكرامية) وهي فرقة من أهم فرق المسلمين.. وتوفي محمد بن كرام سنة ٢٥٥ هجرية، وهي السنة التي حدثت فيها ثورة الزنج بالبصرة.

(2) في الأصل: للمحبة.

(3) في الأصل: الشيبي.

باب ثواب توكّل الكفاية:

المتوكِّلون على ثلاث طبقات: توكل المؤمنين وتوكل أهل الخصوص وتوكل خصوص الخصوص. فهو كما قال الشبلي حين سئل عن التوكل، فقال: أن تكون لله كما لم تكن، فيكون الله لك كما لم يزل. فأما توكل المؤمنين(١) فشرطه ما قال أبو تراب النخشبي حين سئل عن التوكل فقال: «طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والانقطاع إلى الله بالكلية، فإن أعطي شَكَر، وإن منع صبر راضياً وموافقاً للقدر».

سئل ذوالنون عن التوكل فقال: «ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة». وأما توكل الخصوص فهو كما قال أبو العباس بن عطاء: «من توكل على الله بغير الله، لم يتوكل على الله، حتى يتوكل على الله بالله لله، ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر. وكما قال أبو يعقوب النهرجوري[229]: «التوكل موت النفس عن ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة».

وأما توكل خصوص الخصوص فهو كما سئل الجنيد عن التوكل

---

(١) في الأصل: المؤمنون.

[229] أبو يعقوب النهرجوري، إسحاق بن محمد (٣٣٠هـ / ٩٤١م)، من علماء مشايخ الصوفية. صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبا يعقوب السوسي وغيرهم. أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً وبه مات. وكان أبو عثمان المغربي يقول: «ما رأيت في مشايخنا أنور من النهرجوري». (طبقات الصوفية: ٣٧٨ ـ ٣٨١، حلية الأولياء: ١٠/٣٥٦، الرسالة القشيرية: ٣٥، نتائج الأفكار القدسية: ١/١٩٥، طبقات الشعراني: ١/١٣٠، سير أعلام النبلاء: ١٥/٢٣٢ ـ ٢٣٣ وغير ذلك).

فقال: «اعتماد القلوب على الله في جميع الأحوال». وقال سهل بن عبدالله: «يعطى أهل التوكل ثلاثة أشياء: حقيقة اليقين، ومكاشفة الغيوب، ومشاهدة قرب الرب». وقال أبو بكر الكتاني: «من عزم على التوكل فليحفر لنفسه قبراً، ويدفن نفسه فيه، ويتوكل على الله في دفن نفسه؛ ثم إذا خرج توكل عليه في التوكل عليه».

سئل حاتم الأصمّ[230] على ماذا ثبت أمرك من التوكل على الله؟ فقال: «على أربع خصال: علمت أنّ رزقي لا يأكله غيري فاطمأنّت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخيل من عين الله حيث كنت فأنا أستحيي منه».

وسئل أبو بكر الجريني[231] عن التوكل، فلم يجب. فقيل له بذلك فقال: «في بيتي أربع دوانق(١) حتى أذهب فأخرجها فإني أستحيي من

---

[230] حاتم بن عنوان الأصمّ البلخي، أبو عبدالرحمن (٢٣٧هـ / ٨٥١م) من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ. صحب شقيق بن إبراهيم، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه. وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي، وله ابن يقال له: «خَشْنَام بن حاتم». مات بواشَجْرُد، عند رباط يقال له: «رأس سرونده» على جبل فوق واشجرد». (طبقات الصوفية: ٩١ ــ ٩٧، حلية الأولياء: ٧٣/٨ ــ ٨٤، تاريخ بغداد: ٢٤١/٨ ــ ٢٤٥، سير أعلام النبلاء: ٤٨٤/١١، شذرات الذهب: ٨٧/٢ وغير ذلك).

[231] أبو بكر الجريبي (أو الجريني): لم أعثر على ترجمة له.

(١) الدانق: قطعة صغيرة من العملة المتداولة في ذلك الوقت ما يعادل سدس الدرهم.

اللّه أن أتكلّم في التوكل، وفي بيتي أربع دوانق». وقال: «المتوكل لا يهتم اليوم ثانيه لمعرفته بقسمته».

قال سفيان الثوري: «لو أن السماء لم تقطر والأرض لم تنبت ثم اهتممت بشيء من رزقي لظننت أني كافر».

قال عامر بن عبدالقيس[232]: «واللّه ما اهتممت برزقي منذ قرأت ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾..»(١).

نكتة: كن آمناً باللّه ولا تكن آمناً عن اللّه، واطرح تدبيرك إلى من خلقك تستريح.

---

[232] عامر بن عبد قيس: القدوة الوليّ الزاهد، أبو عبداللّه العنبري البصري. روى عن عمر وسليمان، وعنه الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو عبدالرحمن الحبليّ، وغيرهم. وقلّما روى. كان ثقة من عبّاد التابعين. رآه كعب الأحبار فقال: هذا راهب هذه الأمة. وكان يقرىء الناس. روي أنه أجلاه زياد بكتاب عثمان إلى الشام، فتحرّى معاوية حاله فوجده في غاية الزهد فكتب إلى عثمان يذكر حاله، فكتب: اجعله أوّل داخل وآخر خارج، ومر له بعشرة من الرقيق، وعشرة من الظّهر، فأحضره وأخبره. فقال عامر: إنّ عليّ شيطاناً قد غلبني، فكيف أجمع عليّ عشرة. وكانت له بغلة. وقد ترك النساء، وكان يسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه، فكان لا يبالي أذكراً لقي أم أنثى. قيل له: «إنك تبيت خارجاً، أما تخاف الأسد؟»، قال: «إني لأستحيي من ربي أن أخاف شيئاً دونه». قال قتادة: «لما احتضر عامر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل». وتوفي في زمن معاوية وقبره ببيت المقدس. (انظر لترجمته: تاريخ ابن عساكر: ٣٤٠، طبقات ابن سعد: ١٠٣/٧، طبقات خليفة: ١٩٤، أسد الغابة: ٨٨/٣، سير أعلام النبلاء: ١٥/٤ ــ ١٩، وغير ذلك).

(١) سورة هود: ٦.

قيل: ما الراحة؟ فقال: ترك مطالبة ما لا يجري في القسمة.
والمتوكل لا يسأل ولا يردّ ولا يخسّ. وقال بعضهم: التوكل لا يصحّ للمتوكل حتى تكون[1] السماء عنده كالصخر، والأرض كالحديد، لا ينزل من السماء قطرة، ولا ينبت من الأرض نبات، ويعلم مع ذلك أنّ الله عز وجل لا يخلفه ما ضمن له من الرزق. من يكل أمره إلى الله فإنه يكفيه مهمّ الدارين. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[2]. قال حاتم الأصمّ: «معناه وما لنا أن لا نثق بالله وقد أعطانا الإسلام والهدى».

وقال إبراهيم الخواص: «إن المتوكل على الله لو جاء الأسد من خلفه فالتفت خرج من التوكل».

حكي عن عثمان بن تزدار[233] قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: قطعت البادية مراراً على التجريد، فكنت أساكن الواردين من خلفي، ثم خرجت خرجة، اعتقدت فيها اعتقاداً، وعاهدت الله عهداً، وسألته التوفيق أن لا أساكن مستقبلاً ولا مستدبراً، ولا ألتفت يميناً ولا شمالاً؛ فخرجت بهذه النية. فلما سرت في بعض سوادالعراق، كنت أسير يوماً بين الصلاتين في موضع سبع فسمعت خلفي حساً فطلبتني نفسي بالالتفات، فذكرت العهد[3] بيني وبين الله فبقيت على حالتي ثم اشتد عليّ الحر فمشيت على حالي وسكنت نفسي على الفزع، حتى

---

(١) في الأصل: يكون.

(٢) سورة إبراهيم: ١٢٠.

[233] في الأصل: عثمان بن تزدار، لعله يزداد، ولم أعثر على ترجمة له.

(٣) في الأصل: العقد.

قرب المشي، وأحسست[١] بمشي الأسد وزئيره ومشيت على حالي، فإذا خدّه على كتفي الأيمن، وخد آخر على كتفي الأيسر. فثبت اللّه جناني فلحسا حذائي ثم رجعا في طريقهما ومشيت أنا على حالتي ورجوت أنّه قد صح التوفيق فيما اعتمدته. انتهى.

باب الرضا:

قال اللّه عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٢]. كما سئل عن الرضا بعض المشايخ فقال: «أن ترضى بمرِّ القضاء».

وقال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «يا معشر الفقراء اعطوا الرضا من قلوبكم تثبتوا بثبوت فقركم وإلّا فلا»[٣]. وقال أحمد بن حنبل[233آ] رضي اللّه عنه: «الرضا ثلاثة أشياء: ترك الاختيار، وسرور القلب بمرّ القضا، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم اللّه لها وعليها».

---

(١) في الأصل: حسست.

(٢) سورة البينة: ٨.

(٣) لم أجد له أصلاً في الكتب المعروفة للحديث.

[233آ]هو الإمام الجليل أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبداللّه (١٦٤ ـ ٢٤١هـ / ٧٨٠ ـ ٨٥٥م). إمام المحدثين، مروروزي الأصل، ولد ببغداد ونشأ بها، وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخ بغداد، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة. فكتب عن علماء ذلك العصر. وحدث عنه كثير من المحدثين، وحتى الكثير من شيوخه. وكان نسبه من بني ذهل بن شيبان. قال عبداللّه بن أبي داود: «لم يكن في زمان أحمد مثله». (انظر لترجمته: تاريخ بغداد: ٤/٤١٢ ـ ٤٢٣، وغير ذلك من المراجع).

وقال صلَّى اللّه عليه وسلَّم: «ثَلاَثٌ يُدْرِكُ بِهِنَّ الْعَبْدُ رَغَائِبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلاَءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَالدُّعَاءُ في الرَّخَاءِ»[1].

وقال الحسن البصري: «ما قضى اللّه المؤمن من قضاء قطّ أحبَّه أو أكرهه إلا كان له خيراً». وقال بعض المشايخ: «همة الراضين قطع الاختيار والمنى، والرضا بحكم اللّه وقضائه، وإيثار محبة اللّه على محبة نفسه».

[قال] بشر الحافي: «الرضا عن اللّه إذا ابتلاه في بدنه لم يحبّ العافية، فإن عافاه لم يحبّ ينقله حتى يكون هو الذي يحوِّله. وإن أغناه لم يحبّ أن يفقره وإن [أ]فقره لم يحبّ أن يغنيه، وأن يَرْضَى ما يرضاه ويهوى ما يهواه».

وقال الفضيل بن عياض: «استخيروا ولا تختاروا، فكم من عبد يختار[2] لنفسه أمراً كان هلاكه فيه».

وقال أبو سليمان الداراني: «إذا سلم القلب من الشهوات فهو راض».

وقال سهل بن عبداللّه: «خلق اللّه عزَّ وجلَّ الخلق وجعل حجابهم تدبيرهم. فاترك تدبيرك إلى مولاك ووليِّك يرعاك ويحفظك».

سئل أبو الحسين النوري عن الرضا، فقال: «لو كنت في الدرك الأسفل من النار كنت أرضى ممن هو في الفردوس الأعلى».

---

(١) رواه أبو الشيخ عن عمران بن حصين؛ والديلمي عن أبي هلال، ضعيف. فيض القدير، ج ٣، ص ٣١٤.
(٢) في الأصل: تخير.

وسئل الشبلي عن الرضا فقال: «لو أن جهنّم على عيني اليمين ما سألته أن يحوّلها إلى الشّمال».

وقال جعفر الصادق[234] رضي اللّه عنه: «العبودية ثلاثة: الأمن بوعد اللّه، والشغل بأمر اللّه، والصبر لحكم اللّه».

قال أبو عثمان النيسابوري[235]: «أنا منذ أربعين سنة ما أقامني اللّه تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته». وقال أيضاً: «الرضا سرور القلب عن القضا. وأفضله أن لا تسكن إلى الرضا والحياة الطيبة في الرضا».

وسئل الشبلي في حال الرضا: «هل يسأل الجنة أو يستعيذ من النار؟» فقال: «الراضي لا يسأل الجنة ولا يستعيذ من النار، لأنهما جرم، أمن منهما».

---

[234] جعفر بن محمد الصادق، أبو عبداللّه القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني (٨٠ ـ ١٤٨هـ). ولد سنة ثمانين ورأى بعض الصحابة. حدّث عن أبيه أبي جعفر محمد الباقر، وعبيداللّه بن أبي رافع، وعروة بن الزبير وغيرهم. حدث عنه ابنه موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبداللّه وغيرهم. وكان ثقة صدوقاً، وغالب رواياته عن أبيه مراسيل. قال أبو أحمد بن عدي: له حديث كثيرعن أبيه، عن جابر وعن آبائه، ونسخ لأهل البيت. وقال أبو حاتم: «ثقة لا يسأل عن مثله». وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفربن محمد». ترجمته في: (سير أعلام النبلاء: ٦/٢٥٥ ـ ٢٧٠، تاريخ البخاري: ٢/١٩٨، حلية الأولياء: ٣/١٩٢، تذكرة الحفاظ: ١/١٦٦، ميزان الاعتدال: ١/٤١٤ ـ ٤١٥ وغير ذلك).

[235] أبو عثمان النيسابوري.

باب الفتوة:

سئل سفيان الثوري عن الفتوة فقال: «العفو عن زلل الإخوان».

وأنشد الفقيه منصور في معناه:

هبني أسأتُ كما زعمتَ ... فأين عاقبة الأخوّة
وإذا أسأتَ كما أسأتُ ... فأين فضلك والمروّة

ومن الفتوة أن يحفظ الفتى على نفسه هذه الخمسة أشياء، وهي: الأمانة، والصيانة، والصّدق، والأخوة الصالحة، وإصلاح السريرة. فمن ضيّع واحدة منهن، فقد خرج عن شرط الفتوة.

وقال بعض الحكماء: «من وجدت فيه ست خصال، فاحكم له بالفتوّة التامَّة؛ وهو أن يكون شاكراً للقليل من النعمة، صابراً على الكثير من الشدائد، يداري الجاهل بحلمه، ويؤدب البخيل بسخائه ولا يطلب عوضاً كما يطلبه أحد[1] من الناس، ولا ينقض ما كان بناه من الإحسان من قبل».

وقال عمرو بن عبيد[236]: «لا تكمل مروءة الرجل حتى تجتمع فيه ثلاث خصال: يقطع رجاءه عما في أيدي الناس، ويسمع الأذى فيحتمله، ويحب للناس ما يحبه لنفسه». وقيل لبعضهم: «ما المروءة؟» فقال: «لا تذكر أحداً بسوء».

---

(١) في الأصل: محمدة.

[236] في الأصل عمر. وهو عمرو بن عبيد بن باب التميمي ــ مولاهم ــ أبو عثمان البصري (٢٤٤هـ / ٨٥٨م)، رأس المعتزلة على زهده. كان أبوه نسّاجاً، ثم صار شرط الحجاج. وقد تركوا حديثه، بل رموه بالكذب. ولعلّ الذي جر ذلك عليه هو الاعتزال. وكان المنصور العباسي يعتقد صلاحه. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٤٧).

ومن أدب الفتوة: إذا ورد الضيف يبدأ أوّلاً بإنزاله وبإكرامه، ثم بإحضار الطعام، ثم يكلّمه بالكلام الطيّب. ألا ترى كيف بدأ إبراهيم بالطعام بعد السلام؟ قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾(١)، وهو تعجيل ما حضر.

وقال محمد بن علي الترمذي: «ليس من الفتوة طلب الأجر على العمل، فإن طلب بالعمل أن يأخذ بدله أو أجرة عنه فقد بان عن حقارة نفسه وخسته! ألا ترى سحرة فرعون لما جاءوا إليه قالوا: ﴿أإنَّ لَنَا لَأَجْراً إن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾(٢). طلبوا الأجرة منه وكان عاقبة إبطال سعيه». وقال أيضاً: «ليس من الفتوة تذكر الصنايع وتزدادها على ما صنعت معه. ألا ترى فرعون كيف ذكر صنعه، ولم يكن له فتوة، فقال امتناناً على موسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «فضل الفعال على المقال مكرمة، وفضل المقال على الفعال مبغضة».

ثم أصل الفتوة في كل الأحوال استواء السرّ والعلانية في جميع الأفعال والأقوال مع ترك الافتخار بالأعمال، وحفظ مراعاة الدين ومتابعة السنّة، واتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

ثم من موجبات الفتوة الصّدق، والوفاء، والسخاء، والحياء، وحسن الخلق، وكرم النفس، وملاطفة الإخوان، ومجانبة القبايح

---

(١) سورة هود: ٦٩.

(٢) سورة الشعراء: ٤١.

(٣) سورة الشعراء: ١٨.

واستماعها[1] في حق الأصدقاء، والوفاء بالعهد، والتباعد عن[2] الحقد، والعنف والموالاة في الله والمعاداة[3] فيه، والتوسعة على الإخوان بالمال والجاه، وترك الامتنان عليهم بذلك، ومحبة الأخيار ومصاحبتهم، وأشباه ذلك. ونحن نسأل الله أن يمنَّ علينا بالأعمال الفاخرة، ويوفقنا لما نسعد به في الدين والدنيا والآخرة، ولا يؤاخذنا بتضييع أوقاتنا، ولا يحرمنا مرضاته إنه قريبٌ مجيبٌ.

باب السخاء:

وأما السخاء فقد ذكره الله في كتابه العزيز في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4].

وسئل أبو حفص النيسابوري عن ذلك فقال: «أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك في أمر آخرتك ودنياك. وقد مدح الله عز وجلّ السخاء في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[5].. الآية. وذم من بخل فقال: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[6]. وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «السخاء شجرة في الجنة ثابتة، فلا يلج الجنة إلا سخيٌّ، والبخل شجرةٌ في النار فلا يدخل النار إلاّ كل بخيل»[7].

---

(١) في الأصل: واستماعه.

(٢) في الأصل: من.

(٣) في الأصل: الموالات.. والمعادات.

(٤) سورة الحشر: ٩.

(٥) سورة الإنسان: ٨.

(٦) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٧) روى البيهقي وابن عدي وأبو نعيم والخطيب والديلمي نحوه. فيض القدير، ج ٤، ص ١٣٨.

وقال أبو هريرة[237]: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «السخيُّ قريبٌ [من اللّه قريب من الناس قريب] من الجنة، بعيد من النار. والبخيل بعيد من اللّه، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. وجاهل سخيٌّ أحبّ إلى اللّه من عابد بخيل»(١). وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: «لا يدخل الجنة [خِبٌّ ولا بخيل ولا] منان»(٢).

روت عائشة رضي اللّه عنها أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «الجنة دار الأسخياء»(٣). قال اللّه تعالى: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ

---

[237] أبو هريرة، عمير بن عامر (٥٨هـ / ٦٧٧م). وكان اسمه قبل الإسلام على اختلاف الروايات: عبداللّه بن عامر، أو عبدشمس، أو عبدالعزى، ويروى أنه قال: «كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عبدالرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي: أنت أبو هريرة». وقيل: رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وفي كمه هرة فقال: يا أبا هريرة. وكان من أصحاب الصفّة، وقد أسلم يوم خيبر وشهدها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ثم لزمه رغبة في العلم فدعا له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. توفي في سنة ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. (أسد الغابة: ٥/٣١٥ ـ ٣١٧).

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني في الأوسط عن عائشة. ضعيف وحكم الترمذي بغرابته. انظر: فيض القدير، ج ٤، ص ١٣٩.

(٢) رواه الترمذي عن أبي بكر الصديق في كتاب البر، باب: ٤١ وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه ابن عدي والقضاعي عن عائشة. ضعيف. فيض القدير، ج٣، ص ٣٦٢؛ كنز العمال: ٦/٣٤٦، حديث: ١٥٩٨٥. وروى ابن عدي وأبو الشيخ والخطيب في كتاب البخلاء، والديلمي عن أنس عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «الجنة دار الأسخياء والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة بخيل ولا عاقٌّ لوالديه ولا مَنَّانٌ بما أعطى». كنز العمال: ٦/٣٩٣، حديث: ١٦٢١٦.

﴿إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾(١). فقال بماذا أكرم أضيافه؟ فقال: خدمهم بنفسه.

وقال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليحسن قرى ضيفه»(٢). وقالت عائشة: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته منصوبة».

قال أبو العبّاس الزوزني[238]: بلغني أن اللَّه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: «أتدري لم اتخذتك خليلي؟» قال: «لا يا رب». قال: «لأني اطلعت على سرك فكان العطاءمنك أحبّ عندك من الأخذ».

وقال أبو عبداللَّه بن الحارث: «من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا من إبراهيم صلوات اللَّه عليهم أجمعين». وقال حاتم الطائي[239]:

---

(١) سورة الذاريات: ٢٤.

(٢) الحديث متفق عليه بمعناه.

[238] هو أبو العباس الوليد بن أحمد بن محمد الزوزني (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، واعظ ساكن نيسابور. كان عالماً زاهداً صوفيًا عابداً. له رحلة إلى الشام والعراق وغيرهما. سمع أبا حامد الشرقيّ وعبدالرحمن بن أبـي حاتم وغيرهما. روى عنه الحاكم أبو عبداللَّه وأثنى عليه. ومات في شهر ربيع الأول. (اللباب: ١/ ٨٠).

[239] هو حاتم بن عبداللَّه بن سعد بن الحشرج، أبو سفّانة الطائي، والد عدي بن حاتم الطائي الصحابـيّ. كان جواداً ممدوحاً في الجاهلية. وكذلك كان ابنه في الإسلام. وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها. وكانت ابنته بين سبايا طيِّىء في غاية الجمال. فقالت لرسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بـي أحياء العرب فإنّي ابنة سيد قومي، وإن أبـي كان يحمي الذمار، ويفكّ العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام. ولم يردّ طالب حاجة قطّ، وأنا ابنة حاتم طيِّىء». فقال النبـي صلَّى اللَّه عليه =

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله

فيخصب عندي والمحل جديب

وما الخصيب للأضياف أن يكثر القرى

ولكن وجه الكريم خصيب

قيل: علامات السخاء ثلاثة: البذل مع الحاجة، خوف المكافآت، واستقلال العطاء، والحمد على النفس إغشاماً لإدخال السرور على قلوب الناس. وقيل: السخاء بذل أجلّ ما عندك لأدنى الخلق.

وسئل بعضهم عن السخاء فقال: «المبادرة إلى العطية قبل السؤال».

وسئل عمرو بن عبيد عن السخاء فقال: «أن تكون بمالك مَتَبرِّعاً وعن مال غيرك متورِّعاً».

وقال عمر بن عبدالعزيز[240]: «السخاء يطوي العيوب».

= وسلّم: «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقّاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق». فقام أبو بردة بن دينار فقال: «يا رسول اللّه، واللّه يحب مكارم الأخلاق؟» فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلّا بحسن الخلق». (البداية والنهاية: ٢/٢١٢ ـ ٢١٣، والحديث رواه البيهقي).

[240] عمر بن عبدالعزيز بن مروان، أبو حفص الأموي (١٠٢هـ / ٧٢١م)، أمير المؤمنين، وأمه ليلى بنت عاصم بن عمربن الخطاب رضي اللّه عنهما. كان تابعياً جليلاً روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبداللّه بن سلام، وعن خلق من التابعين. وعنه جماعة من التابعين وغيرهم. بويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبدالملك. ويقال كان مولده سنة إحدى وستين، وقيل ثلاث وستين، وقيل: تسع وخمسين. وكان قد جمع القرآن =

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «أحسنوا إلى جميع الناس، فإن الإنسان ينبغي أن يكون محسناً إلى من أساء عليه ليكون من المحسنين».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «السخاء ترك الامتنان عند العطاء».

وقال أحمد بن أبي الحواري: «إتمام الإحسان خير من ابتدائه. لأن الابتداء هواء، والإتمام صبر، والصبر أشدّ من الهوى». وقال أبو عثمان الحيري(١): «من شرط المعروف تعجيله وتصغيره وستره». وكان الربيع بن خيثم [241] يتصدق بالرغيف ويقول: «إني لأستحيي أن تكون صدقتي كسراً، كسراً».

= وهو صغير. واستمرت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام. توفي يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة إحدى أو ثنتين ومائة. (البداية والنهاية: ١٩٢/٩ ـ ٢١٨).

(١) في الأصل: الخيري. تقدمت ترجمته تحت رقم: [52].

[241] الربيع بن خيثم بن عائذ، أبو يزيد الثوري الكوفي (٦٥هـ / ٦٨٤م)، أحد الأعلام. أدرك زمان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وأرسل عنه. وروى عن عبدالله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري وعمرو بن ميمون. وهو قليل الرواية إلاّ أنه كبير الشأن. وكان يعد من عقلاء الرجال. حدث عنه الشعبي، وإبراهيم النخعي، وهلال بن يسار وغيرهم. قال ابن مسعود له: «يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأحبّك، وما رأيتك إلاّ ذكرت المخبتين». (سير أعلام النبلاء: ٢٥٨/٤ ـ ٢٦٢، طبقات ابن سعد: ١٨٢/٦، تاريخ البخاري: ٢٦٩/٣، تذكرة الحفاظ: ٥٤/١، البداية والنهاية: ٢١٧/٨، وغير ذلك).

سئل أبو عبدالله[242]: «متى يحصل للإنسان وصف السخاء؟» فقال: «إذا خرج من ماله من غير منّ، وأعطى للقريب وللبعيد» قال:

«فأنفق فإن الفقر في طلب الغنى
هو الفقر ما الذي أنت منه تفزع!»

وقيل لأبي سعيد الخراز: «ما غاية السخاء؟» فقال: «بذل النفس والمال والروح للخلق على غاية الحياء». قال في المغني:

قد مات قوم ولا ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «إن الله يحب السخاء ولو بشق تمرة»(١).

حكي أن أعرابيًا أتى عمرو بن العاص[243] فسأله شيئًا فقال

[242] كثير من المشايخ ذكر بهذه الكنية: أبو عبدالله المغربي: محمد بن إسماعيل، وأبو عبدالله النباجي: سعيد بن يزيد، وأبو عبدالله بن الجلاء: أحمد بن يحيى، وأبو عبدالله الكرماني، وأبو عبدالله المخزومي، وأبو عبدالله الحضرمي الفقيه، وأبو عبدالله الرازي: الحسين بن أحمد بن جعفر. ومن الصعب تحديد المقصود هنا من بينهم.

(١) لم أعثر عليه في مصدر آخر إلاّ أن البخاري ومسلم رويا ما بمعناه: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيِّبة». بخاري، أدب، باب: ٣٤، زكاة ١٠؛ مسلم، زكاة: ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠؛ ترمذي، قيامة ١.

[243] عمرو بن العاص، أبو عبدالله السهمي (٤٣هـ/ ٦٦٣م)، وأمه نابغة بنت حرملة، سبية من بني جلان بن عتيك بن أسلم، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت وهو الذي أرسلته قريش إلى =

للغلام أعطه خمسماءة، فذهب الغلام ثم رجع فقال: أخمسماءة دينار أم خمسماءة درهم؟ فقال: إذْ رجعت فاجعلها خمسماءة ديناراً. قال: فقبضها الأعرابي ثم جلس فعاد يبكي. فقال له عمرو: ما لك تبكي؟ لعلك استقلَلْت العطاء؟ فقال: لا، ولكن أبكي كيف تأكل الأرض مثلك؟

وقال مطرف بن عبدالله[244] لأصحابه: إذا كانت لكم إليّ حاجة

= النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين، فلم يفعل النجاشي. أسلم عمروعام خيبر، وكان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر. واستعمله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على عمان، فلم يول عليها إلى أن توفي صلّى الله عليه وسلّم. ثم سيره أبو بكر أميراً إلى الشام فشهد فتوحه، وولي فلسطين لعمر بن الخطاب ثم سيره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها ولم يزل والياً عليها إلى أن مات عمر، فأمره عثمان عليها أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبدالله بن سعد بن أبي سرح. فاعتزل عمرو بفلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً، وكان يطعن على عثمان. فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده وشهد صفين ومقامه فيها مشهور. وهو أحد الحكمين والقصة مشهورة.

ثم سيره معاوية إلى مصر فاستنقذها من يد محمد بن أبي بكر وهو عامل لعلي عليها، واستعمله معاوية عليها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين. وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر، فصلّى عليه ابنه عبدالله ودفن بالمقطم، ثم صلى العيد. وولي بعده ابنه ثم عزله معاوية واستعمل أخاه عتبة بن أبي سفيان. (أسد الغابة: ٤/١١٥ ــ ١١٨).

[244] مطرف بن عبدالله بن الشخير، أبو عبدالله العامري الحرشي البصري (٩٥هـ / ٧١٣م). كان رأساً في العلم والعمل. وله جلالة في الإسلام، ووقع في النفوس. حدث عن أبيه وعن علي، وعمار، وعمران بن حصين، وعدّة. روى عنه أخوه يزيد أبو العلاء، وحميد بن هلال، وثابت بن أسلم البناني وجماعة. وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب. وكان سيداً كبير القدر، يلبس فاخر الثياب، ويركب الخيل، ويدخل على السلطان. (تذكرة الحفاظ: ١/٦٤ ــ ٦٥).

فاكتبوها في رقعة وارفعوها إليّ ولا تسألوني مواجهة، فإني أكره ذلّ السؤال في وجوهكم.

وقيل: جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك فقال: عليّ سبعماءة درهم من الدين. فكتب له الوكيل فجرى القلم بسبعماية دينار، فدفع ذلك إليه فقال: أردتُ شيئاً فأراد الله خلافه.

وقال طلحة بن عبدالله[245]: إنا لنجد أموالنا فما نجد بجلا، ولكن نتصبر؟ وقال: لو أن الدنيا كلها لقمة واحدة في فم طفل لاستقللها له.

وروي عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، أنه قال: «أشدُّ الأَعْمَالِ ثَلاَثَةٌ: إنصاف الناس من نفسك ومواساة الأخ في مالك، وذكر الله تعالى في كل حال»(١).

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «الصبر والحلم والسخاء من أخلاق الأنبياء، فمن أكرمه الله بكرامة الأنبياء أدخله الجنة مع الأنبياء بغير حساب»(٢).

وقال عبدالله بن المبارك: سخاء النفس بالبذل أشدُّ من السَّخاء

---

[245] طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري (٩٩هـ / ٧١٧م)، قاضي المدينة زمن يزيد. حدث عن عمه عبدالرحمن بن عوف، وعثمان، وسعيد بن يزيد، وابن عباس. وعنه سعد بن إبراهيم، والزهري، وأبو الزِّناد وجماعة. وكان شريفاً، جواداً، حجةً، إماماً يقال له النَّدى. (سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٤ ــ ١٧٥، وله ترجمة في: طبقات ابن سعد: ٦/ ١١٨، تاريخ البخاري: ٨/ ٣٩، تذكرة الحفاظ: ١/ ٦٣ وغير ذلك).

(١، ٢) لم أجد مصدر الحديثين.

بما في أيدي الناس. وحكي أن رجلاً اتخذ ضيافة وأسرج فيها ألف سراج في مجلس واحدٍ. فقيل له: لقد أسرفت. فقال: أي سراج رأيته لغير الله فأطفه. فما قدر أن يطفىء منها سراجاً واحداً. ولبعضهم قال:

يستأنس الضيف في أبياتنا فرحاً فليس يعرف فينا أيُّنَا الضيف
الضيف أملك منا عند رؤيته منًا بأنفسنا فالمنُّ للضيف

باب الشفقة:

سئل الجنيد عن الشفقة على الخلق، فقال: أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحمِّلهم ما لا يطيقون. وسئل رويم: كيف شفقتك على إخوانك؟ فقال: ما سرَّني من الدنيا إلا ما سرَّهم، ولا ساءني من الدنيا إلاَّ ما ساءهم. وقال: سئل بعض الفتيان: كيف محبتك لإخوانك وشفقتك عليهم؟ فقال[1]: أحسد عيني إذا أبصرتهم [كيف لا يكون جوارحي كلها عيوناً فتبصرهم][2] وأحسد سمعي إذا سمع كلامهم كيف لا تكون جوارحي كلها سمعاً فتسمع[3] كلامهم. كما قال بعضهم: [وكنت ليلةً عند الخضر رحمه الله، فغنى [قوال][4]:

غَنَّتْ فلم تبق فيَّ جارحةٌ إلاَّ تَمنَّتْ أنَّها أذن[5]

قال ذو النون: إني لأحسد التراب الذي يطأون عليه إخواني كيف لا يكون خدي عوضاً عنه يطأون عليه(*) بدلاً منه.

---

(١) في كتاب الفتوة قائل هذا الكلام ذو النون المصري رحمه الله.
(٢) من كتاب الفتوة للسلمي، و ٥٧.
(٣) في الأصل: يسمع. لكنها في كتاب الفتوة هكذا.
(٤) من المصدر السابق. (٥) في الأصل: اذك.
(*) في الأصل: + و.

وقال في معناه:

وأشفق أن يمشي على الأرض غيـري
فيـا ليت خـدّي مـا حييت وطـاؤه

وقيل لبعضهم: كيف شفقتك على إخوانك؟ فقال: إذا سقط الذباب على خدّ أحدهم أجد له ألماً في قلبي.

وقال بعضهم: الأخوّة في الدين التزام الشفقة والنصيحة للإخوان ظاهراً وباطناً.

وقال عبدالله بن المبارك: لا تكن خصماً لنفسك على الخلق، ولكن كن خصماً للحق على نفسك. وكان يقول: لا سرور في الدنيا يعادل رؤية الإخوان، ولا غمّ من غمّها يعادل مفارقتهم. وقال أبو بكر الكتاني: لأن أحفظ قلب المؤمن أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّةً مبرورةً.

باب حسن الخلق والتواضع.

قال الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] فمدح اللهُ عزّ وجلّ نبيَّهُ صلّى اللّهُ عليه وسلم بحسن الخلق. وسئل بعضهم عن هذه الآية الشريفة، فقال: الخُلُقُ مع الخَلْق والسرّ مع الخالق. روى أبو الدرداء أنّ النبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[2].

وقال أنس بن مالك: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «أيّ

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أم الدرداء، ضعيف. فيض القدير، ج ٣ ص ٨٨.

الأعمَال أفْضَلُ؟ قالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ»(١). وقال: «إنَّ الرجل لَيَنالُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ أعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ غَيْرُ عَابِدٍ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنالُ بِسُوءِ الْخُلُقِ أسْفَلَ دَرَكٍ في النَّارِ وَهُوَ عَابِدٌ»(٢) وقال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «ألا أخبركم بأحَبِّكُمْ إليَّ وَأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يوم القيامة؟ قالوا: بلى يا رسول اللَّه. قال: أحسنكم أخلاقاً، الموطئون للناس أكنافاً الذين يألفون»(٣).

حسن الخلق، جمال في الدنيا وكمال في الآخرة. وسوء الخلق يفسد العمل. وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال: إيثار المحبوب والبشاشة في جميع الأسباب.

وقال حارث المحاسبي: حسن الخلق هو احتمال الأذى، وقلة الغضب وبشر الوجه وطيب الكلام. وقال أبو يزيد البسطامي: أقرب الخلق إلى اللَّه أوسعهم لخلقه خُلُقاً، فتواضعوا.

وقال صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «كَرَمُ الْمَرْءِ دِينُهُ وَمُروءَتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُه خُلُقُهُ»(٤).

---

(١) رواه أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٨٥.

(٢) شبيه هذا الحديث متفق عليه. ولكني لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ.

(٣) عن جابر أن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا: يا رسول اللَّه قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون». سنن الترمذي، البر، ٧١.

(٤) رواه أحمد والحاكم والبيهقي في السنن وضعفه البيهقي ورده الذهبي بأن فيه مسلماً الزنجي ضعيف. وقال البخاري منكر الحديث، وقال الرازي لا يحتج به. انظر: فيض القدير، ج ٤، ص ٥٥٠.

وقال أبو العبَّاس بن عطاء يوماً لأصحابه: بم يرتفع الإنسان؟ فقيل: بترك المنّ وبذل النفس. وقال آخرون: بالمحاسنة والموازنة؛ فقال ابن عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلاّ بحسن الخلق، وما ناله كاملاً إلاّ النبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

وقيل: أقرب الخلق من اللَّه السالكون آثاره والمقتفون أخباره.
وقال سهل بن عبداللَّه: إنّ اللَّه ينظر في القلوب، والقلوب بيده. فإذا كان القلب متواضعاً خصّه اللَّه تعالى بما يشاء.

وقيل: رأس مال العارف التودد إلى الخلق كما روي عن النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: «أُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِأَدَاءِ الْفَرْضِ»[1].

وقال بعضهم: أصل المروءة التوسعة للخليقة، وأصل سوء الخلق من ضيق القلب. قال اللَّه تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه﴾[2]. فمن كان على نور من اللَّهِ كان قلبه واسعاً وخلقه حسناً. ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]. من كان قلبه قاسياً كان قلبه ضيِّقاً وخلقه سَيِّئاً. وعلامة الخلق السيِّىء أن لا يحمل شيئاً من الناس لسوء خلقه. وسئل بعض الصوفية عن حسن الخلق فقال: كفُّ الأذى عن الناس واحتمال الأذى منهم.

= وروى ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة هذا الحديث: «إن الرجل ليكون له المنزلة عند اللَّه فما يبلغها من عمل، فلا يزال اللَّه يبتليه بما يكره حتى يبلّغه إيّاها». كنز العمال: ٣/٣٢٧، حديث: ٦٧٨٦.

(١) لم أجد مصدره.

(٢) سورة الزمر: ٢٢.

(٣) سورة الزمر: ٢٢.

وحكي عن الأحنف بن قيس[246] أنه كان له غلام أسود سيّىء الصورة والخلق، وكان يحمله ويصبر على سوء خلقه. فقيل له في ذلك، فقال: إنما أمسكه لأتعلم فيه الحلم.

وقال أبو علي الروذباري: لا يرفع أحد إلا بالتواضع ولا يتضع أحد إلاّ بالكبر.

وقال أبو الحسن البوشنجي[247]: «من أذلّ نفسه أعزّه اللّه ومن أعزّها أذلّه اللّهُ في أعين العباد». وقال الأحنف بن قيس: «إنّ أدوأ الداء اللسان البذيء والخلق الرديء».

---

[246] الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين (٦٧ أو ٧١هـ / ٦٨٦، ٦٩٠م)، الأمير الكبير، العالم النبيل، أبو بحر التميمي، أحد من يضرب له بحلمهوسؤدده المثل. اسمه ضحّاك. وقيل: صخر، وشهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل. كان سيد تميم. أسلم في حياة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، ووفد على عمر. حدّث عن عمر، وعلي، وأبي ذر وغيرهم. وعنه عمرو بن حاوان، والحسن البصري، وعروة بن الزبير. كان من قوّاد جيش علي يوم صفين. وكان ثقة مأموناً، قليل الحديث. وكان صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه إلى الكوفة فمات عنده بالكوفة. (طبقات ابن سعد: ٩٣/٧، التاريخ الكبير: ٥٠/٢، سير أعلام النبلاء: ٨٦/٤ ـ ٩٦، أسد الغابة: ٥٥/١، البداية والنهاية: ٣٢٦/٨ وغير ذلك).

[247] علي بن أحمد بن سهل، أبو الحسن البوشنجي (٣٤٨هـ / ٩٥٩م). كان أوحد فتيان خراسان. لقي أبا عثمان، وصحب ـ بالعراق ـ ابن عطاء، والجريريّ، وبالشام طاهراً، وأبا عمرو الدمشقي. وتكلم مع الشبلي في مسائل. وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد، وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد. وكان ذا خلق، متديّناً، متعهداً للفقراء. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٤٥٨ ـ ٤٦١).

وقال الزهري(١)[248]: «شرط الخدّام التواضع والاستسلام».

سئل عبدالله بن المبارك عن تواضع الصوفيّ فقال: «كبره على الأغنياء». وقال سهل بن عبدالله: «ألزموا أنفسكم التواضع تسلموا من الدعوى. من تواضع لله لم يتكبر على خلق الله. قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢). والتواضع سلّم الشرف».

ومن أخلاق الصوفية الحلم، والتواضع، والسخاء، والكرم، والإعراض عن الدنيا والزهد فيها، وترك مدحها وذمّها، والتأدّب بالمشايخ، وتأديب الأصحاب، والشفقة على عامّة المسلمين، ورؤية فضلهم ونقصه، وتعظيم من كان منهم، والنصيحة للمسلمين، وبذل ماله ونفسه لهم.

باب مكارم الأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٣). لما نزلت هذه الآية قال جبريل: «يا محمد أتيتك بمكارم

(١) في الأصل: الزهدي.

[248] هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب، أبو بكرالزهري (٥٠ ــ ١٢٤هـ / ٦٧٠ ــ ٧٤٢م)، أعلم الحفاظ. حدث عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك وغيرهم. وعنه عقيل، ويونس، والزبيدي، وصالح بن كيسان وغيرهم. قال أبو داود: حديثه ألفان ومائتان، النصف منها مسند. وفد في حدود سنة ثمانين على الخليفة عبدالملك فأعجب بعلمه ووصله وقضى دينه. ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة. توفي في رمضان (تذكرة الحفاظ: ١/١٠٨ ــ ١١٣).

(٢) سورة الحجر: ٨٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

الأخلاق». قال: «وما هي يا جبريل؟» قال: «أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحسن لمن أساء عليك»(١). فقال بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لكي يقتدي به أمته من بعده.

قال محمد بن حرب[249]: جمع اللّه تعالى المروءة والفتوة في هذه الآية. وروي عنه صلّى اللّه عليه وسلّم لما شُجَّ رأسه وكسرت رباعيته قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»(٢). وروي عنه صلّى اللّه عليه وسلم أنه لما دخل المدينة قال: «أيها الناس أَفْشُوا السَّلاَمَ، وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ»(٣).

وقال علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه: «إذا أحببت أنك تدعي من أهل المكارم فاجتنب المحارم».

حكي أن أنس بن مالك رضي اللّه عنه مرض فعاده إخوانه، فقال

---

(١) انظر لقول جبريل: جامع البيان للطبري، ج ٩، ص ١٠٥.

[249] محمد بن حرب، أبو عبداللّه الخولاني الحمصي الأبرشي (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، كاتب الزبيدي، حدث عن الزبيدي، وبحير بن سعد، ومحمد بن زياد، وعدة. روى عنه أبو مسهر، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن وهب بن عطية وغيرهم. ولي قضاء دمشق. وثقه ابن معين وغيره. وحديثه في الكتب الستة. (تذكرة الحفاظ: ١/ ٣١٠ ـ ٣١١).

(٢) رواه البخاري في الأنبياء، ٥٤، والمرتدين ٥، ورواه مسلم في: جهاد ١٠٤؛ وابن ماجه في: فتن ٢٣؛ وأحمد في: ١/ ٣٨٠، ٤٢٧، ٤٣٢.

(٣) رواه الترمذي في: قيامة ٤٢، وابن ماجه، إقامة ١٧٤، أطعمة ٣٩؛ والدارمي، صلاة ١٥٦؛ وابن حنبل في: ٢/ ١٥٦، ١٧٠.

لجاريته: هلمّي إلى إخواننا شيئاً ولو كسراً. فإني سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: «مَكَارِمُ الأخْلاَقِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَنَّةِ»(١).
وسئل أبو القاسم الحايم[250]؟ عن الكرم فقال: «قول لَطيف يتبعه فقر شريف». وقيل لإسكندر[251]: «ما سرك من ملكك؟» فقال: «قدرتي أن أكافي من أحْسَنَ إليّ بأكثر من إحسانه».

وقال الجنيد: «الكريم لا يحوجك إلى وسيلة». قيل لأبي عمرو(٢) المكي[252]: «ما الكرم؟» فقال: «التغافل عن زلل الإخوان». وقال أبو عثمان: «الكريم يعتذر، واللئيم لا يزال يفتخر».

وسئل عبداللّه بن خفيف(٣): «متى يصح للإنسان الكرم؟» فقال: «إذا احتمل أذى الخلق ولم يكافئهم بسوء».

وقال أبو حفص النيسابوري: «الكرم طرح الدنيا لمن احتاج إليها، والإقبال على اللّه لاحتياجك إليه».

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن أنس، حسن. فيض القدير، ج ٥، ص ٥٢٨.

[250] أبو القاسم الخاتم (في الأصل: الحايم): لم أحصل على ترجمة له.

[251] هو اسكندر بن فليبس اليوناني المصري، باني إسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم. كان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة. وكان آرسطوطاليس الفيلسوف وزيره. قتل دارا بن دارا وأذلّ ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. (البداية والنهاية: ٢/١٠٥).

(٢) في الأصل: عمر.

[252] أبو عمر المكي.

(٣) هكذا في الأصل. أظن أن فيه سقطاً. وهو أبو عبداللّه محمد بن خفيف.

وقال ذو النون المصري: «ليس بكريم من أذلّ سائله، وليس بكريم من أعطى على المسئلة، وليس بكريم من أحوجك إلى شفيع».

وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «الكريم تتبين عند الفاقة طعمته وعند الإنفاق نعمته».

وقال سفيان الثوري: «ليس من أخلاق الكرام التواني عن قضاء حوائج الإخوان». وأنشد بعضهم يقول:

كم قتيـل لشهـوة أف منـهـا   لم ينل منها إلا خلاف الجميل
شهـوات الإنسـان تـكـسـبـه   الذل وتلقه في البـلاء الطويـل

وقال بشر بن الحارث: «خصلتان يقسيان القلب: كثرة الأكل والنوم». وقال سري السقطي: ما شَبع عبد شَبعةً إلاّ فارق من عقله شيئاً لا يعود أبداً. وقال الجنيد: من فتح على نفسه باب سيِّئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يشعر. وقال الفضيل بن عياض: «من رضي من الله بما قسم له فأرض الله له واسعة، ومن لم يرض لم يبارك له فيه ولم تسعه أرض». وروى أبو هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لَأنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنَ الْحَطَبِ فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا[1] خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً يُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ»[2]. وأنشدوا في المعنى:

لَنقل الصخر من قُلَلِ الجبال   أحبّ إليّ من مِنَن الـرجـال
يقـول الناس: كسب فيه عـارٌ   فقلت الـعـار في ذلّ الـسؤال

(١) في الأصل: فيبيعه.

(٢) رواه مسلم، في: زكاة، ١٠٧؛ نسائي، في: زكاة ٨٣؛ ابن حنبل ٢/ ٤٥٥.

قيل: من اكتفى عن السؤال فقد أعطي خير النوال. هان عليك من احتاج إليك. وقال بعضهم: إذا أردت أن تعيش حرّاً، فلا تلزم مؤنة نفسك غيرها. وقيل: استغن عن من شئت تكن نظيره، واسأل ما شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره. وقال بعضهم:

ومن يرغب إلى الناس يكن للناس مملوكاً
إذا ما أنت خفّفت عن الناس حبّوكا
وإن ثقّلت كابوك ولاموكا وسبّوكا!

روى عمران بن الحصين[253] أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «مَن انْقَطَعَ إلَى اللّهِ كَفَاهُ مُؤْنَةَ رِزْقِهِ من حيث لا يحتسب وَمَن انْقَطَعَ إلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللّهُ إلَيْهَا»(١). وقال صلّى اللّه عليه وسلّم:

---

[253] في الأصل عمر بن الحصين، تصحيف. وهو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، أبو نجيد الخزاعي (٥٢هـ / ٦٧٢م) صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد سنة سبع. وله عدة أحاديث. ولي قضاء البصرة وكان عمر بعثه إلى البصرة ليفقه أهلها. فكان الحسن يحلف: ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين. وكان ممن اعتزل الفتنة ولم يحارب مع علي. مسنده مائة وثمانون حديثاً. (سير أعلام النبلاء: ٢/٥٠٨ ـ ٥١٢، طبقات ابن سعد: ٤/٢٨٧، التاريخ الكبير: ٦/٤٠٨، أسد الغابة: ٤/٢٨١، أخبار القضاة: ١/٢٩١ ـ ٢٩٢ وغير ذلك).

(١) في سنن ابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل حديث بهذا المعنى. واللفظ هكذا: «من لزم الاستغفار جعل اللّه له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب». ابن ماجه: أدب: ٥٧؛ أبو داود، وتر ٢٦؛ أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٢٤٨.

«لَوْ يَعْلَم النَّاسُ مَا فِي الْمَسْأَلَة مَا سَأَلَ أَحَدُ شَيْئاً»[1].

وروي عن أنس بن مالك أن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «من أصبح وهمه الدنيا فليس من اللّه»(*).

وقال الجنيد: من كان مشغولاً باللّه عن نفسه فهو الذي يبدأ بالعطاء قبل السؤال. وقيل: الطيب من الرزق، ما يتناوله الإنسان في وقت الاضطرار مقدار استغناء المهجة لأداء الفرائض.

وقال ابن عباس رضي اللّه عنه في قوله «مما آتاه اللّه»(**) زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة.

سئل أبو سعيد عن الفتوة فقال: اليأس من الخلق، وترك السؤال بالتفويض، وكتمان الفقر، وإظهار الغنى والتعفف.

وقال إبراهيم بن شيبان: كان أبو عبداللّه المغربي لا يأكل إلاّ من بُقُول الأرض مدة ثلاثين سنة، ولا يطلب الأسباب إلا عند وجود الفاقات. فإن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «جوعوا أنفسكم تقوون على عدوكم وصلاتكم»[2]. ومن قنع بالقليل استراح من الهمّ والتعب، وما نقص من القناعة زاد في الطمع.

---

(١) لفظ الحديث في النسائي هكذا: «لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً». زكاة، المسألة.

(*) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(**) سورة الطلاق: ٧: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

(٢) لم أجد له أصلاً.

وقال ذو النون المصري: الحيلة فيما كفيته قصور، والتعريض فيما لا يغنيك جهل. وروي في بعض الأخبار: من طعن في الاكتساب طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

وسئل الجنيد عن المكاسب فقال: استقاء الماء والتقاط النوى.

وروى في الخبر «أَطْيَبُ مَا أَكَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ»(١).

وروي عمَّار[254] قال: أجَر علي كرّم اللّه وجهه، نفسه من يهودي على أن ينزع(*) له أكلة دلو بتمرة، فلما جمع ملء كفه ذهب به إلى

---

(١) الحديث في: نسائي، بيوع، ١؛ ابن ماجه، تجارات ١؛ دارمي، بيوع ٦؛ ابن حنبل، ج ٦، ص ٣١، ٤٢، ١٢٧، ١٩٣، ٢٢٠.

[254] عمار بن ياسر بن عامر بن مالك، أبو اليقظان (٣٧هـ / ٦٥٧م)، أسلم قديماً، وكان ممن يعذّب في اللّه هو وأبوه وأمه سمية. ويقال: إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه. وقد شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. في فضله أحاديث كثيرة. منها: «قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: لقد ملىء عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه..» وقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم له: «تقتلك الفئة الباغية». قتل رضي اللّه عنه بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة. طعنه أبو الغادية، فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه. ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص: «انـدار فواللّه إنكما لتختصمان في النار». فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما فقال له عمرو: «واللّه إنك لتعلم ذلك، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة». صلّى عليه علي رضي اللّه عنه ولم يغسله، وصلّى معه على هاشم بن عتبة. وكان آدم اللون، طويلاً بعيداً ما بين المنكبين: أشهل العينين، رجلاً لا يغير شيبه رضي اللّه عنه وعن والديه. (انظر لترجمته: أسد الغابة: ٤/٤٣ ـ ٤٧، الإصابة: ١/٥١٢، البداية والنهاية: ٧/٣١٢ ـ ٣١٣).

(*) هكذا في الأصل. لعله ينزح.

فاطمة فقال لها: أطعمي أضيافك(١). فما بال الرجل لا يعد الاكتساب أفضل من المسئلة. وقد روي في الخبر أنه ما من رجل سأل رجلاً لحاجة فقضاها أو لم يقضها إلاّ طار ماء وجهه أربعين يوماً.

حكي عن إبراهيم بن شيبان قال: لقيت ستة آلاف شيخ من هذه الطائفة كلهم قالوا: المسئلة حرامٌ والتعريض شبهة. وقال عبدالسلام بن سلامة[255]: شكوت إلى إبراهيم فرعي[256] من الفقر مع قلة إنصاف الإخوان، فقال لي: يا ابن سلامة، عليك بالقنوع فإن من قنع استغنى وإياك أن تمدن عينيك إلى ما في أيدي الناس فقد ذهب الذين كانوا يتواضعون في اللّه. ـ انتهى.

وحكم الفقير أن يجلس تحت الرضا، ينتظر الورود من السماء، تعيُّشه مُنى. وحاله رضا، وباله رخي، ويعلم أن الكسب والحركة لا تزيد في رزق العبد وتركها لا ينقص منه شيء لأن الأرزاق بمشيئة المعبود، لا العباد.

باب الوصايا:

قيل: سأل رجل النبيَّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم فقال: «أوْصِنِي فَقَال: لَا تَغْضَبْ، فقالَ: زِدْنِي. قالَ: تَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِي مِنْ

---

(١) انظر لأصل هذا الخبر: حلية الأولياء: ٧١/١: قال علي: «جئت إلى حائط أو بستان فقال لي صاحبه: دلواً وتمرة فدلوت دلوأبتمرة فملأت كفي ثم شربت من الماء ثم جئت إلى رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وسلَّم بملء كفي فأكل بعضه وأكلت بعضه».

[255] عبدالسلام بن سلامة: لم أعثر على ترجمة له.

[256] إبراهيم فرعي: لم اظفر بترجمة له أيضاً.

صَالِحِ جِيرَانِكَ»(١). وقال رجل لسلمان الفارسي[257]: أوصني. فقال:

---

(١) جاء رجل إلى النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم قال: «علمني شيئاً ولا تكثره عَلَيَّ لعلي أعيه. قال: لا تغضب. فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول لا تغضب». بخاري، أدب، ٧٦؛ موطأ، حسن الخلق، ١١؛ ابن حنبل، ج ٢، ص ١٧٥، ٣٦٢، ٤٦٦، ج ٤، ص ٤٨٤، ج ٥، ص ٣٤، ٣٧٠.

[257] سلمان الفارسي، أبو عبداللّه، سابق الفرس إلى الإسلام. صحب النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم وخدمه وحدّث عنه. وروى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وغيرهم.

يقال: توفي سنة ثلاث وثلاثين (٦٥٣م) بالمدائن. وقصته مفصلة في كتب السير والتاريخ، لكن معظم الأخبار الواردة فيه غريب أسطوريّ. قال الذهبي: ومجموع أمره وأحواله، وغزوه، وهمته، وتصرفه، وسفّه للجريد، وأشياء مما تقدم ينبيء بأنه ليس بمعمر ولا هرم. فقد فارق وطنه وهو حدث، ولعلّه قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل. فلم ينشب أن سمع بمبعث النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم ثم هاجر، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة. وقد نقل الذهبي الروايات التي تروي أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، أو مائتان وخمسين سنة، ثم قال: «فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة، وما أراه بلغ المائة. وقد نقل طول عمره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره. وما علمت في ذلك شيئاً يركن إليه». (سير أعلام النبلاء: ١/٥٥٥ ـ ٥٥٦).

وخلاصة ما ذكر فيه: أنه نشأ مجوسياً في بلده، ثم جاء إلى أرض الشام فاهتدى إلى المسيحية. وبعد فترة سمع أنه أدرك وقت نبي آخر الزمان الذي يخرج بأرض تهامة، فتوجه نحوها قاصداً رؤيته. إلاّ أن قوماً من الأعراب أصابوه في الطريق فاستعبدوه وباعوه حتى وقع في المدينة عبداً. وبعد هجرة النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم أسلم سلمان وكاتب مولاه بأجر فأصبح حراً.

وكان رجلاً قوياً حازماً، خطَّ الخندق عام الأحزاب فاجتمع المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسيِّ فقال المهاجرون: «منا سلمان». وقالت الأنصار: «سلمان =

لا تخالط الناس. وحكي عن الجنيد أنه أوصى بعض أصحابه فقال: يا بني، الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد لا يكون[1] مصحوبك إلاّ العلم لأن اللّه تعالى يقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾[2].

وقال أبو عبيد بن خفيف[258] لما فارقت رويم بن عبداللّه قلت له: أوصني[3] فقال: يا بني ما هو إلاّ بذل الروح والنفس، يعني التصوف، فإن قدرت على ذلك، وإلاّ فلا تشتغل بترهات الصوفية.

قيل لحاتم الأصم: أوصني فقال: اجعل روحك عندك عارية، ونفسك رهينة، والموت نازل بك لا محالة.



= مناء. فقال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم: «سلمان منا أهل البيت». (أخرجه ابن سعد: ٤/٥٩، والحاكم في المستدرك: ٣/٥٩٨ وسنده ضعيف). وقد أشار سلمان بالمنجنيق وعمله بيده في حصار الطائف، وقيل: قدم به وبدبابتين. (البداية والنهاية: ٤/٣٤٨). انظر لترجمته: (طبقات ابن سعد: ٤/٥٤، التاريخ الكبير: ٤/١٣٥ ـ ١٣٦، حلية الأولياء: ١/١٨٥ ـ ٢٠٨، الاستيعاب: ٤/٢٢١، أسد الغابة: ٢/٤١٧، تاريخ بغداد: ١/١٦٣ ـ ١٧١، سير أعلام النبلاء: ١/٥٠٥ ـ ٥٥٨، وغير ذلك).

(١) في الأصل: إلاّ أن يكون.
(٢) سورة آل عمران: ٧.
(٣) في الأصل: أوصيني.

[258] لعله أبو عبداللّه، محمد بن خفيف، سبقت ترجمة له.

قيل: أوصى محمد بن علي الباقر[259] بعض أصحابه فقال: لا تدع النفس في هواها فإن في هواها أذاها.

وقال محمد بن سليمان[260]: لقيت غيلان المجنون[261]: في بعض الخراب بالكوفة، قلت له: متى يسقط العبد من خطرات الغفلة؛ فقال: إذا كان ما أمر به فاعلاً وعما نهي عنه غافلاً، وبمحاسبة نفسه عاقلاً. فقلت: متى يصل العبد إلى هذه المنزلة؟ قال: إذا قام بأمره، وأخلص سريرته، ونجا من زلّته! فقلت: زدني موعظة أتزوّد بها منك. فقال: كن مع الله عزَّ وجلّ على حذر، ومن دنياك على خطر، ومن الموت على وجل، ولقدوم الآخرة على عجل.

---

[259] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر (٥٦ ـ ١١٤هـ/ ٦٧٥ ـ ٧٣٢م). وُلِدَ علي زين العابدين، وُلِدَ في حياة عائشة وأبي هريرة. روى عن أجداده: النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، والحسين، والحسن عليهما السلام مرسلاً. وعن بعض الأصحاب مرسلاً أيضاً. وليس هو بالمكثر، وهو في الرواية كأبيه علي وابنه جعفر، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كلّ واحد منهم جزءاً ضخماً، ولكن لهم مسائل وفتاوى. حدث عنه ابنه، وعطاء بن رباح، والأعرج، وعمرو بن دينار وغيرهم. (طبقات ابن سعد: ٥/٣٢٠، سير أعلام النبلاء: ٤/٤٠١ ـ ٤٠٩).

[260] لعله محمد بن سليمان، أبو سهل الصعلوكي، أستاذ أبي عبدالرحمن السلمي، سبقت ترجمته في «شيوخ السلمي»، المقدمة، رقم: ٤٦ ـ ص ٩٨ ـ.

[261] غيلان المجنون: لعله غيلان السمرقندي رحمه الله، من كبار مشايخ الصوفية. صحب الجنيد بن محمد البغدادي. (نفحات الأنس، ورقة ٣٤، طبقات الصوفية: ٢٢٤، حاشية: (١)).

وحكي أن القاسم بن عثمان الجريري[262] قال لأصحابه: أوصيكم بخمسة: إن ظُلمتم لا تظلموا، وإن مُدحتم فلا تفرحوا، وإن ذُمِمتم فلا(١) تجزعوا، وإن كُذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا.

وقال الحسن الحداد[263]: قلت لمحمد بن عبدالله في وقت مفارقتي إياه: أوصني: فقال: ارض من الدنيا برغيفين، ومن صحبة الناس بفقيرين، ولا يفوتك هذين.

وقال يونس بن عبدالله[264] سمعت ثلاثة رجال؛ لا أبالي بأن أسمع بعدهم إلا القرآن: سمعت من مورِّق العجلي[265] يقول:

---

[262] هكذا في الأصل. لعلّ في النسبة تصحيفاً. وهو القاسم بن عثمان العبدي الدمشقي، المعروف بالجوعي (٢٤٨هـ / ٨٦٢م). صحب أبا سليمان الداراني، وسمع سفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، وجعفر بن عون العمروي وغيرهم. حدّث عنه أبو حاتم وغيره. قال ابن أبي داود: «رأيت أحمد بن أبي الحواري يقرأ عند القاسم بن عثمان، فيصيح القاسم ويصعق». وكان فاضلاً من محدثي دمشق. وقال الذهبي: «كان زاهد الوقت هذا الجوعيّ بدمشق، وسريّ السقطيّ ببغداد، وأحمد بن حرب بنيسابور، وذو النون بمصر، ومحمد بن أسلم بطوس. وأين هؤلاء السادة، ما يملأ عيني إلّا التراب أو من تحت التراب». (سير أعلام النبلاء: ١٢/٧٧ ـ ٧٩، حلية الأولياء: ٩/٣٢٢، اللباب: ١/٣١١).

(١) في الأصل: لا.

[263] الحسن الحداد: لم أحصل على ترجمة له.

[264] يونس بن عبدالله: لم أعثر على ترجمة له.

[265] مورِّق العجلي أبو المعتمر البصري. يروي عن عمر وأبي ذر، وأبي الدرداء، وطائفة ممن لم يلحق السماع منهم، فذلك مرسل. وروى عن ابن عمر، وجندب بن عبدالله، وعدة. حدث عنه توبة العنبري، وقتادة بن دعامة، =

ما تكلّمت بشيء قط في غضب ندمت عليه في رضا. وسمعت من محمد بن سيرين[266]: ما حسدت أحداً على شيء قطّ، لأنه لا حسد إلّا في دين أو في دنيا. فأما رجل أعطاه اللّه خيراً فما بالي أحسده عليه، وأما الدنيا فلا ينبغي أن أحسد أحداً على دنيا. وسمعت حسان بن أبي سنان[267] يقول: ليس شيءٌ أهون من ورعٍ. قيل: وكيف ذلك؟ قال: إذا رابك شيءٌ(١) فدعه.

= وعاصم الأحول، وغيرهم. كان ثقة، عابداً، توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق. (سير أعلام النبلاء: ٣٥٣/٤ ــ ٣٥٥، طبقات ابن سعد: ٢١٣/٧، وغير ذلك).

[266] محمد بن سيرين، أبو بكر (١١٠هـ / ٧٢٩م) مولى أنس بن مالك. بصري، أصله من جرجرايا. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وابن عمر وطائفة من الصحابة. وعنه أيوب، وابن عون، وقرة بن خالد وغيرهم. وكان فقيهاً، إماما غزير العلم، ثقة، ثبتاً، علامة في التعبير، رأساً في الورع. لم ير في وقته أورع منه. قال أبو عوانة: «رأيت ابن سيرين، فما رآه أحد إلّا ذكر اللّه تعالى». وكان رحمه اللّه صاحب ضحك ومزاح. توفي محمد بعد الحسن بمائة يوم، في شوال سنة عشر ومائة. (تذكرة الحفاظ: ٧٧/١ ــ ٧٨، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٨٠).

[267] في الأصل: أبي شيبان، تصحيف. وهو حسّان بن أبي سنان. كان من تجار أهل البصرة وهو مقيم بالأهواز. يجهّز على شريكه بالبصرة ثم يجتمعان على رأس كلّ سنة يتحاسبان ثم يقتسمان الربح. فكان يأخذ قوته من ربحه ويتصدق بما بقي. وكان صاحبه يبني الدور ويتخذ الأرضين. فقدم حسان البصرة قدْمَة ففرّق ما أراد أن يفرّق، فذكر له أهل بيت لم تكن حاجتهم ظهرت. فقال: «أما تخبرونا؟» فاستقرض لهم ثلاثمائة درهم فبعث بها إليهم. وكان كثير الرواية عن الحسن وثابت البناني. ويقال: إنه أسند عن أنس، غير أنه اشتغل بالعبادة عن الرواية. (صفة الصفوة: ٣٣٨/٣ ــ ٣٤١).

(١) في الأصل: شيئاً.

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: أوصني، قال: أوصيك بخمس كلمات: إذا اشتغل الناس بالدنيا فاشتغل أنت بالآخرة؛ وإذا اشتغل الناس بتزيين الظاهر، فاشتغل أنت بتزيين الباطن؛ وإذا اشتغل الناس بعمارة القصور، فاشتغل أنت بعمارة القبور؛ وإذا اشتغل الناس بعيوب الناس؛ فاشتغل أنت بعيوب نفسك؛ وإذا اشتغل الناس بخدمة المخلوقين، فاشتغل أنت بخدمة الخالق.

وقال الجراح بن عبدالله[268]: ما الطريق إلى الله أفضل من طلب العلم، فإني عدلت مرة عن الطريق ـ يعني عن طريق العلم ـ فتهت أربعين صباحاً في الظلمات.

وكان يحكي جعفر المرتعش[269]: سمعت أبا الحسن[270] يوصي

[268] الجراح بن عبدالله الحكميّ، أبو عقبة (١١٢هـ/ ٧٣٠م)، مقدّم الجيش، فارس الكتائب. ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي الخراسان، وسجستان لعمر بن عبدالعزيز. وكان بطلاً شجاعاً، مهيباً، طوالاً، عابداً، قارئاً، كبير القدر. روى عن ابن سيرين، وعنه صفوان بن عمرو، ويحيى بن عطيَّة، وربيعة بن فضالة. روي أنه قال: «تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع». قتل عند رجوعه من غزوةٍ على بلاد الترك. قال خليفة: «زحف الجراح من برذعة (قصبة بآذربيجان) سنة اثنتي عشرة إلى ابن خاقان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الجراح في رمضان، وغلبت الخزر على آذربيجان، وبلغوا إلى قريب من الموصل». بكى المسلمون عليه في كلّ جند. (تاريخ خليفة: ٣٤٢، التاريخ الكبير: ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧، سير أعلام النبلاء: ٥/١٨٩ ـ ١٩٠، وغير ذلك).

[269] هو عبدالله بن محمد المرتعش، سبقت ترجمة له. ذكره السلمي باسم عبدالله، وكذلك أبو نعيم، وابن الجوزي، والقشيري. إلّا أن الخطيب (تاريخ بغداد: ٧/٢٢١) يذكره باسم جعفر.

[270] أبو الحسن: كثير من المشايخ ذكروا بهذه الكنية. لعلّ المقصود هنا أبو الحسن البوشنجي، الذي سبقت ترجمته.

بعض أصحابه ويقول: من رأيته يدّعي مع اللّٰه حالة تخرجه عن الشريعة فلا تقربنه، ومن رأيته يحب الرياسة(١) والتعظيم فلا تقربنه، ومن رأيته يسكن إلى أبناء جنسه فلا تقربنه، ومن رأيته يشكو حاله إلى أبناء الدنيا فلا ترافقه، ومن رأيته مستغنياً بعلمه فلا تأمن جهْله، ومن رأيته مدّعياً حالةً باطنةً ليس له عليها دليل ظاهر فاتهمه في ذلك، ومن رأيته راضياً عن نفسه ساكناً إلى عمله فافهم أنه محروم في الدارين، ومن رأيته من المريدين يميل إلى القصائد والرفاهية فلا توافقه على عمله. ومن تراه عند السماع من الفقراء غير حاضرٍ فاعلم أنه منع بركات ذلك بتشويش سرّه، وتدبير همّه، ومن رأيته مطمئنًا إلى أصحابه وأصدقائه مذعناً إليهم معتمداً عليهم فاعلم أنه مخطىء.

أوصى بعض المشايخ زائره فقال: لا تحبّ الدنيا، وعدّ الفقر علينا من اللّٰه نعمة والمنع عطاء، والوحدة أنساً، والذلّ عزّاً، والطاعة حرمة، والحياة موتاً، والتوكل معاشاً، واللّٰه لكل شيء عدّة. حكى أبو موسى الديبلي[271]؛ قال: أتى أبا(٢) يزيد البسطامي رجل فقال: أوصني، فقال: انظر إلى السماء. فنظر الرجل إلى السماء، فقال: من خلقها؟ فقال: اللّٰه خلقها. قال أبو يزيد: فإنَّ خالقها مطلع عليك، ومعك حيث ما كنت فاحذره.

---

(١) في الأصل: الرياضة.

[271] أبو موسى الدَّيْبُلي: لعلّه أبو عبداللّٰه الديبلي: محمد بن منصور. ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٧١).

(٢) في الأصل: أبو.

وقال أبو(١) سليمان الداراني: ما أشغلك عن الله من أهل وولد ومال فهو عليك شؤم. وقال: لا تميلوا إلى غير الله بعد معرفته فإنه غيور.

وقال الأحنف بن قيس لابنه: يا بنيّ اصحب الصالحين كي تعدّ منهم، وجانب الأرذلين كي لا تعدّ منهم.

وأوصى سهل بن عبدالله رجلاً فقال: وقتك أعزّ الأشياء فاحفظه وأشغله بأعزّ الأشياء.

وأوصى أبو علي الروذباري بعض أصحابه فقال: لا تفارق هذه الحالات الأربع: صدق القول، وصدق العمل، وصدق المودّة، وحفظ الأمانة.

وقال الشِّيرَواني[272]: قلت لإبراهيم الخواصّ: أوصني. قال: عليك بملازمة الفقراء فإن الخير فيهم. وقال أبو حفص النيسابوري يوصي بعض إخوانه: احفظ باباً واحداً يفتح لك الأبواب، والزم سدّاً واحداً تخضع لك الرقاب. وقال أبو الربيع القايد[273]: قلت لداود

---

(١) في الأصل: أبو موسى سليمان. ولفظ موسى زيادة من الناسخ.

[272] الشيرواني: بكسر الشين المعجمة وسكون الياء وفتح الراء والواو وبعد الألف نون. نسبة إلى شيروان. قرية من بخارى. والمشهور بالنسبة إليها أبو القاسم بكر بن عمر الشيرواني. روى عن زكريا بن يحيى بن أسد المروزي وغيره. وتوفي في رمضان سنة أربع عشرة وثلاثمائة. (اللباب: ٢/ ٢٢٤).

[273] أبو الربيع القايد: لم أعثر على ترجمة له. لعله أبو الربيع العابد.

الطّائي[274]: أوصني، فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت، وفرّ من الدنيا ومن أبنائها كما تفرّ من الأسد. وقال إبراهيم بن شيبان: أوصى إبراهيم بن أدهم بثلاثة فقال: اقللوا من معرفة الناس، ولا تتقربوا إلى من لا تعرفون، وافكروا فيمن تعرفون.

باب شرائط التصوف:

شرائط التصوف ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد في الدنيا، والاشتغال بالذكر والعبادة، والغنا عن الناس، والقناعة، والرضا بالقليل من المطعوم والمشروب والملبوس، ورعاية الفقراء، وترك الشهوات، والمجاهدة، والورع، وقلة النوم والكلام، وجمع الهمة، والمراقبة، والوحشة من الخلق، والغربة، ولقاء المشايخ، والأكل عند الحاجة، والكلام عند الضرورة، والنوم على الغلبة، والجلوس في المساجد، ولبس المرقعة والرث، فما كان على ذلك فالكتاب العزيز ناطق به [و]رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاهد بقبوله.

فينبغي للعاقل في زماننا هذا أن يعرف شيئاً من أصول الصوفية وطريقة أهل الصدق منهم حتى يميز بين المشتبهين بهم، والمتلبسين بلباسهم، والمتسمين بسماتهم، ولا يكون كأحدهم. فإن الصوفية أمان

---

[274] داود الطائيّ: هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائي (١٦٥هـ / ٧٨١م). عالم رباني، علم من الأعلام. كوفي زاهد. شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه، وغيره من العلوم. وكان يختلف إلى أبي حنيفة، ولم يكن في حلقته أرفع صوتاً من داود الطائي. ثم اختار بعد ذلك العزلة، وآثر الانفراد والخلوة ولزم العبادة واجتهد إلى آخر عمره. وأغرق كتبه في الفرات. وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة ومات بها. (تاريخ بغداد: ٨/٣٤٧ ـ ٣٥٥).

اللّه في أرضه وأخدان أسراره[1] وعلمه، وصفوته من خلقه، وهم ممدوحون بلسان النبوة لما روت عائشة رضي اللّه عنها أنَ النَّبيَّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم قال: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ [إلى رجل من أهل الجنة] فلينظر إلى أَشْعَثَ أَغْبَرَ شَاحِبٍ مشمو[ل]، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلاَ قَصَبةً عَلَى قَصَبَةٍ، علم فَشَمَّرَ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغداً السَّبَاقَ وَالْغَايَةُ الْجَنَّةُ أوِ النَّارُ»[2].

فهكذا الصوفية وهكذا أفعالهم. فمن أنكر هذا المذهب فلقلة معرفته، وقلة الاهتداء لحقائقه، لأن الجياد قليل، وقلّ من يعرفهم إلّا من يكون من جنسهم. وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3]. والذي يدّعي هذا المذهب ويبطل الجوارح من العبودية والخدمة والطاعة، ويعطِّل[4] القلب من الذكر والإرادة وجمع الهمة[5] ومعرفة الواردات وإخلاص النية، ولا يؤدي حقه، ولا يعرف حقائقه، وهو يدعي ما ليس له، ليقربه ذلك من الناس ويجعله حرفة يأكل بها ويأخذ الوقت الطيب. فإذا بدت له الحقائق من الفقر والفاقة والذلّ والخدمة والمكروهات، وطولب بالمجاهدات، مر وذهب وخسر وافتضح وصار بترك هذه الأوصاف خارجاً عن دعواه، وهو متصنع ملبس المرقعات والتصنعات بلا خشية، ولا مراقبة، ولا ورع، ولا مجاهدة،

---

(١) في الأصل: واخدانه اسرانه.
(٢) رواه البخاري بلفظ آخر: الجهاد: ٧٠، ومسلم، برّ ١٨، الجنة: ٤٨؛ والترمذي في المناقب: ٥٤، ٦٥.
(٣) سورة الأحقاف: ١١.
(٤) في الأصل: وتعطيل.
(٥) في الأصل: همة.

ولا ذكر، ولا معاملة فإنه إنما يخسر ويسخر من نفسه. فالتصوف يلعنه، والدعاوى تحجبه، والشيطان يقربه، والملائكة تبعده، والله عز وجل يمقته، وأهل تصوف الحقيقة خصماؤه.

فمن لم يكن للعلم مستعملاً، وفي الإرادة متبادراً، وفي الوجد سابقاً، وفي المعرفة محققاً، وادعى التصوف كان مرتهناً بدعواه، متبعاً لهواه، محجوباً عن معناه. اتق الله يا أخي واحفظ الظاهر، وتعلّق بالأصل، وإن كلّ باطن من العلم لا يشهد له ظاهر منه فهو ضلالة. وإذا لم يكن للمتصوف سمة يعرف بها، وهدى يقتدي به، وصلاح في طريقه، واقتصاد في سره، وصدق في جميع أحواله، فإنه لا[1] يصلح له التصوف، إذا لم يكن فيه هذه الأوصاف.

ومن كان عنده التصوف: التمتع بالأكل والشرب، والشهوات والمرافقة العامة في الحركات، ومرافقة النفوس في المحرمات، وأكلها وسماع المكروهات، فإنه عن التصوف بعيد وكان دعواه حجاباً لمعناه. فمن لا يشهد بتصوفه آثار المتقدمين من مشايخ التصوف، كان من المدعين.

جعلنا الله وإياكم من المقتدين المهتدين بآثار السابقين من العلماء والعارفين، ومن المتصوفة الواجدين، إنه خير المعتمدين المنعمين.

وقد تمت هذه المقدمة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. وصلّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين.

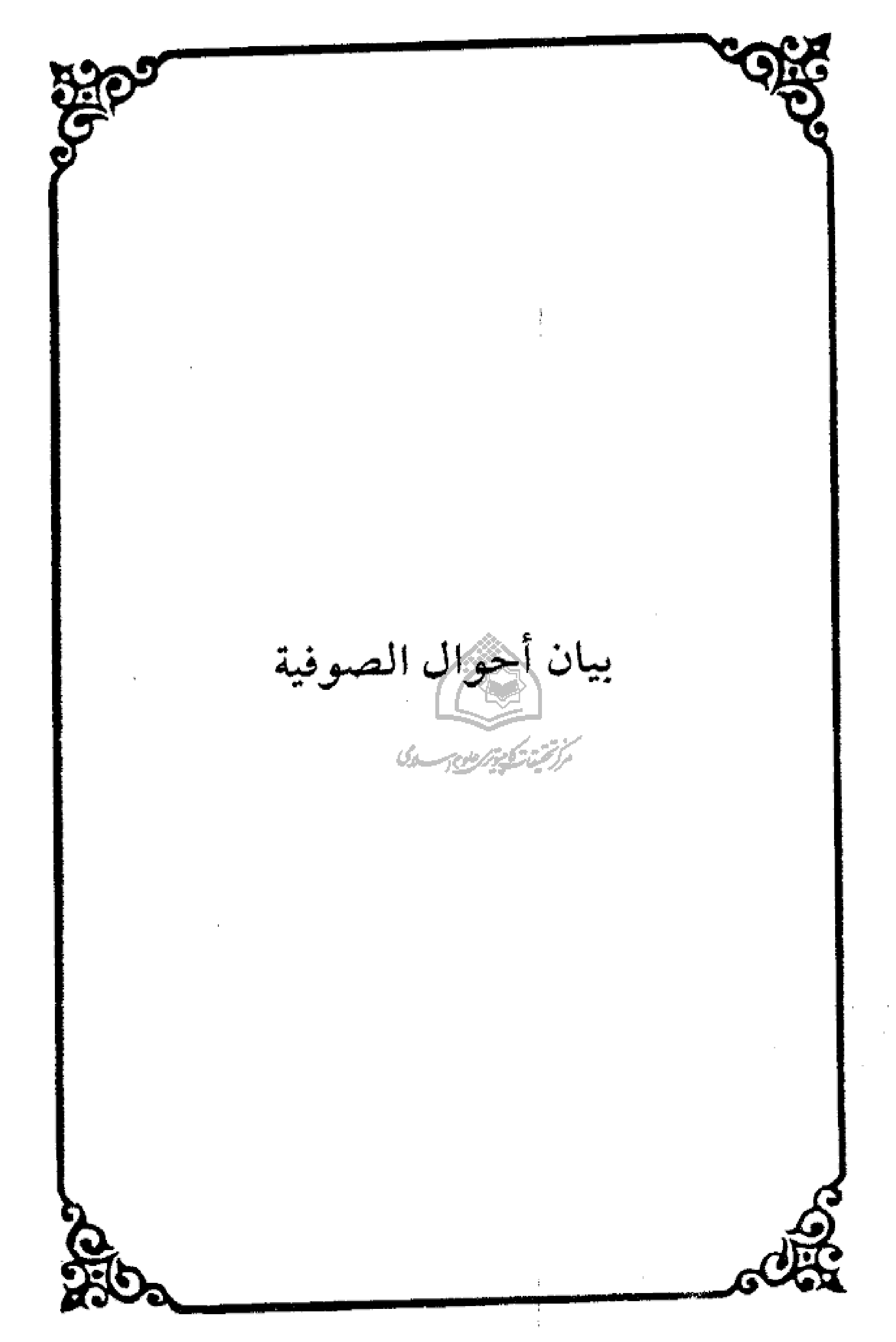
---

(١) في الأصل: (إنما) بدل (لا).

ووافق الفراغ من نسخها عصر يوم الخميس المبارك، سادس شهر رمضان المعظّم قدره، سنة اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

* * *





بيان أحوال الصوفية

الصفحة الأولى من نسخة لاله لي، رقم: ١٥١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

لأبي عبد الرحمن [محمد] بن الحسين السلمي، رحمه الله، قال:

اعلم، وفقك الله للخيرات، إن التصوف مأخوذ من أهل الصفة الذين ترتلوا[ا][1] على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فكانوا أضياف المسلمين؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقعد معهم ويأنس بهم قدوة الصوفيّة وكانوا فقراء المهاجرين الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صعاليك المهاجرين. وكانوا في فقرهم كما وصفهم الله في كتابه بقوله: ﴿لِلفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ الآية. فبين أنهم لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا معلوم، ولكنهم قاعدون على ما يفتح لهم من غير سؤالٍ ولا إشراف نفس، بل يبتغون فضل الله في دنياهم ورضوانه في عقباهم. ووصفهم أيضاً في كتابه، فقال تعالى ذكره: ﴿لِلفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ الآية. فأخبر أنهم حبسوا أنفسهم على ما يقربهم من اتباع أوامره لا يستطيعون

---

(١) أي اتبعوا أوامر النبي صلى الله عليه وسلم أحسن اتباع، تحققوا وتمكنوا فيه.

ضرباً في الأرض، أي لا يمشون لاعبين ولا لاهين، يحسبهم الجاهل أغنياء من شدة عفافهم وغيرتهم على فقرهم، لا يعرفهم ولا يعرف طريقهم إلّا من هو في درجتهم وعلى طريقتهم؛ يعرفون بسيما العِبادة. وكان النبي صلى الله عليه وسلّم يقعد معهم ويأنس بهم. لا يلبس[ون] المرقعة والملوّنة من الثياب لا يسألون الناس إلحافاً. لأن ألسنتهم [غنيّة] عن سؤال من يملك الملك رِضىً بما يجري عليهم، فكيف تنطق ألسنتهم بسؤال العبد؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقعد معهم ويأنس بهم حتى قال له بعض رؤساء العرب: «اطرد هؤلاء العبيد والفقراء عنك لنقعد إليك». فهمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١)... الآية. وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾(٢)، فقام النبي صلّى الله عليه وسلّم وقعد معهم وقال: «الحمد لله الذي امتنّني حتى أقعد مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»(٣). فهذا هو طريق التصوف لأنهم قد لقّبوا أنفسهم بالفقراء. وهكذا كانوا أصحاب الصفة الذين إليهم انتماؤهم [و]قدوتهم ولهم في فقرهم آداب كثيرة نذكر منها أطرافاً:

فمن آداب الفقر ومواجبه: التأدّب بإمامٍ من أئمةِ القوم والتخلّق

---

(١) سورة الأنعام: ٥٢.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) في سنن أبي داود حديث نحوه: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

بأخلاقه ومتابعة السنّة في أفعاله وأقواله وأحواله، واجتناب البدعة وصحبة المبتدعين وأن لا يلبس لباساً يتميّز به بين النّاس يعرف بذلك فقره، ولا يجلس مجلساً تعرف بذلك حاجته، وأن يخاف على فقره أكثر مما يخاف الغنيُّ على زوال غناه، وأن يصحب الخلق على شرط السّلامة، ويطلب نفسه في كل وقت بما هو أولى به. تكون نفسه منه في تعب والناس منه في راحة، لا يسكن إلى المعلوم ولا يوحشه معدوم، يتميز في قبول رفق يبدو له، فلا يقبله إلاّ من موضع يسكن إليه قلبه: بكسب ظاهر، أو بتوكل باطنٍ، يرى فضل الخلق بمشاهدة نقصانه، يحترم المشايخ، ويكرم الإخوان ويرحم الأصحاب، يحتمل أصحابه ولا يؤذيهم، ويحفظ أحكامهم ولا يحكم عليهم. لا يتهاون بالنوافل ولا يضيع السنن، ويجمع همته عند أداء الفرائض حتى يكون أداء فريضته عن حضور وهيبة، ويتعلم من العلم ما لا يستغني عنه في أداء فرضه. يبدأ[1] أصحابه بالإرفاق ويحتمل منهم المشاق. يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيه، ويترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعنيه، ولا يصحب الأحداث، ولا يأخذ أرفاق النسوان، ولا يصحب مخالفاً لطمع، ولا ينبسط إلى صاحب الدنيا لسبب رفق. هذا ما ذكرناه في مسئلة ذلك الفقر من آداب الفقر وسيرة الفقراء وطريقتهم.

ثم أخر الله سبحانه وتعالى ذكره عمن يوفق لقبول هؤلاء والرفق بهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2].. الآية.

---

(١) في الأصل: يبدوا.

(٢) سورة الحشر: ٩.

فهذ[ه] صفة الفتيان وطريقتهم في قبول الفقر ومواساتهم بأموالهم وأنفسهم وإيثارهم على أنفسهم. فهذا أوّل منزل من منازل التصوف وهو الفقر، والتقلل من الدنيا. والإعراض عنها.

ومواجب التصوف أربعة أشياء: الآداب، والأخلاق، والمجاهدات، والأحوال. الآداب اكتساب، والأخلاق والمجاهدات متابعة السنّة، والأحوال موهبة من اللّه تعالى. والآداب كثيرة نذكر منها طرفاً يستدلّ به على ما ورا[ء]ه وهو التهاون بالنفس فإني سمعت جدي[275] يقول: «من كرمت عليه نفسه هان عليه ذنبه».

ومنها: **التخلي من الدنيا**، ومنع النفس من مراداتها، ومخالفة الهو[ى] ومجانبة الشبهات، وملازمة الصمت، وترك طلب الرّخص، وقلة دخول الأسواق، والتعفف عن السؤال، وترك لفظة «أنا ونحن» وعرض أحواله على الكتاب والسنّة.

وأما الأخلاق: فحسن الخلق والسخا[ء]، والتواضع، والاحتمال، والاستقبال للأحكام بالرضا، وقلة المخالفة للإخوان.

وأما المجاهدات: فلزوم النوافل ومداومة الصيام، وكثرة صلوة الليل، وحفظ البصر واللسان والسمع عن المخالفات، وصدق النية في

---

[275] هو إسماعيل بن نجيد، سبقت ترجمته في المقدمة.

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



السقطي أنه سئل عن التصوف فقال: «هو اسم لثلث معانٍ[(١)]: هو الذي لا يطفي نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يتكلم بباطن من العلم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنّة، ولا تحمله الكرامات من اللّه تعالى على هتك أستار محارم اللّه». سمعت أبا بكر محمد بن عبداللّه الرازي يقول، سمعت أبا عبداللّه القرشي[278] يقول: «التصوف مبني على عشر مقامات: أوّلها التقلل من كل شيء من الدنيا عن الإكثار منها؛ والثانية اعتماد القلب على اللّه دون السكون إلى الأسباب؛ والثالثة الرغبة في الطاعات من التطوع والنوافل عند وجود العوافي؛ والرابعة الصبر عند فقد الدنيا والتنعم بذلك دون الخروج إلى مسئلة الخلق؛ والخامسة التمييز في الأخذ عند وجود الأرفاق؛ والسادسة يشتغل بأوامر اللّه تعالى دون سائر الأشغال؛ والسابعة الذكر الخفيّ من سائر الأذكار؛ والثامنة تحقق

= رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم والصحابة رضي اللّه عنهم أعقل من أبي علي الثقفي». واستفتي ابن خزيمة في مسائل فدعا بدواة ثم قال لأبي علي الثقفي: «أجب». فأخذ أبو علي القلم وجعل يكتب الأجوبة ويضعها بين يدي ابن خزيمة وهو ينظر فيها ويتأمل مسئلة مسئلة فلما فرغ منها قال له: «يا أبا علي ما يحلّ لأحدنا بخراسان أن يفتي وأنت حيّ».

توفي أبو علي ليلة الجمعة ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى وهو ابن تسع وثمانين سنة. (طبقات الصوفية: ٣٦١ ـ ٣٦٥، طبقات الشافعية: ٢/١٧٢، سير أعلام النبلاء: ١٥/٢٨٠، شذرات الذهب: ٢/٣١٥ وغير ذلك).

(١) في الأصل: معاني.

[278] أبو عبداللّه القرشي: محمد بن أحمد بن هارون بن حنان النيسابوري، أبو عبداللّه القرشي (تاريخ نيسابور: ٧٣).

الإخلاص عند وجود الوسواس؛ والتاسعة ملازمة اليقين وترك الشكوى بحال؛ والعاشرة السكون إلى ضمان الله وطمأنينة القلب بذكر الله».

وسمعت الحسين بن يحيى الشافعي[279] يقول، سمعت جعفر الخواص[280] يقول، سمعت الجنيد يقول: «الصوفي الذي لا يجري عليه وقت يتأسف عليه في الوقت الثاني». سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم الصوفي يقول: سئل أبو عمرو الزجاجي عن التصوف فقال: «أن تلقي عن قلبك ذكر ما مضى من الأمور وذكر ما هو آتٍ، وأن تشغل قلبك بما هو أولى في ذلك الوقت». وقيل لأبي حفص: «ما التصوف؟» قال: «أن لا تفرح بالدنيا إذا أقبلت عليك، ولا تحزن عليها إذا أدبرت، ولا تجعل لها من الخطر عندك أن تفرح بها أو تحزن عليها». سمعت أبا الحسين الفارسي يقول، سمعت الجريري يقول: «التصوف أوله صفا[ء] وآخره وفا[ء] يتلوه قبله بأربع قوائم وآخره وفا[ء]؟» [هكذا].
لأحمد بن مسروق[281]:

---

[279] الحسين بن يحيى الشافعي: هو الحسين بن يحيى بن زكريا بن يحيى الواعظ، أبو علي الشافعي. زعم بشقان. (تاريخ نيسابور: ٨٧).

[280] جعفر الخواص: انظر إلى ترجمة جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، رقم: ١١٢.

[281] أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الطوسي (٢٩٩هـ / ٩١١م)، طوسيّ، سكن بغداد ومات بها. صحب الحارث بن أسد المحاسبي، والسريّ بن المغلّس السقطيّ، ومحمد بن منصور الطوسيّ، ومحمد بن الحسين البُرْجُلاني. وهو من قدماء مشايخ القوم وجلّتهم. وأسند الحديث. (طبقات الصوفية: ٢٣٧ ـ ٢٤١، حلية الأولياء: ١٠/٢١٣ ـ ٢١٦، تاريخ بغداد: ٥/١٠٠ ـ ١٠٣ وغير ذلك).

إن كنت توقن أن ربك رزّاق
وسألت مخلوقاً فلست بموقن
أو كنت في شك من الرزق الذي
كفل الإله به فلست بمؤمن

لبعضهم:

لا تنب عني بأن ترى خلقي فإنما الدُّرُّ داخل الصدف
علي جديد وملبسي خَلِقٌ ومنتهى اللبس منتهى الصَّلَف

لبعضهم:

وكافر بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً يمد رجليه على قدره

للمخزومي[282]:

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق سود وبيض لُفِّقت فكأنه فيها غراب أبقع
إذ التصوف ملبس متعارف يخشى الفتى فيه الإله ويخضع

ليحيى[283]:

كل محبوب سوى الله سرف وهموم وغموم وأسف
كل محبوب فمنه خلف ما خلا الرحمن ما منه خلف
إن للحب دلالاتٍ إذا ظهرت من صاحب الحب عُرِف

[282] لعله أبو عبدالله المخزومي.
[283] لعله يحيى بن معاذ الرازي. سبقت ترجمته.

صاحب الحب حزين قلبه ... دائم الغصة مهموم دَنِف
همه في الله لا في غيره ... ذاهب العقل وبالله كلِف
أشعث الرأس خميص بطنه ... أصفر الوجنة والطرْف ذَرِف
دائم التذكير من حب الذي ... حبه غاية غايات الشرف
فإذا أمعن في الحب له ... وعلاه الشرف من دا كثف؟(١)
باشر المحراب يشكو بثه ... وأمام الله مولاه وقف
قائم قدامه منتصباً ... لهجًا يتلو بآيات الصحف
راكعاً طوراً وطوراً ساجداً ... باكياً والدمع في الأرض يكف
أورد الحب على القلب الذي ... فيه حب الله حقًّا فعرف
ثم صارت كفه في شجر ... تنبت الحب فشم واقتطف
إن ذا الحب لمن يَعْنَى له ... لا لدار ذات لهو وطرف
لا ولا الفردوس لا يألفها ... لا ولا الحور من فوق غرف

وقال أبو بكر عبدالحميد المؤدب[284]:

رب ذي طمرين نضر يأمن العالم شره
لا يرى الأغنياء وهو لا يملك ذره
ثم لو أقسم في شيءٍ على الله أبرّه

وقال محمود الوراق[285]:

---

(١) قد يكون المقصود: أشرف على الموت من داءٍ كثف.

[284] أبو بكر عبدالحميد المؤدب:

[285] محمود بن الحسن الورّاق، الشاعر. أكثر القول في الزهد والأدب. روى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا، وأبو العباس ابن مسروق وغيرهما. ويقال: إنه كان نخاساً يبيع الرقيق. ومات في خلافة المعتصم. (تاريخ بغداد: ١٣/٨٧ ـ ٨٩).

من سارروه فأبدى السر مجتهداً ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وباعدوه فلم يسعد بقربهم ... وأبدلوه من الإيناس إيحاشا
لا يصطفون مذيعاً بعض سرهم ... حاشا ودادهم من ذاكم حاشا

وقال: مكتوب على قبر ابن مبارك:

الموت بحر موجه غالب ... تذهل فيه حيل السابح
لا يصحب المرء إلى قبره ... غيرُ التُقى والعمل الصالح

وقال:

اجعل تلادك في المهم من الأمور إذا اقترب
حسن التصبر فإنه نعم السبب
لا تَنْسَهُ عن أدب الصغير ... وإذا شكا ألم النقب
ودع الكبير لشأنه ... كبر الكبير عن الأدب
لا تصحب النطف المريب ... فقربه إحدى الرِّيَب
واعلم بأنَّ دنوّه ... يُعْدي كما يُعْدي الجرب

من سُرّ بحسن المواهب ... اغتمَّ بقبح المصائب

[1]من تفرد بالله لم يذله سلطان ومن توكل عليه لم يضره إنسان. أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ومن لم يرد الشبهة يقينه. أفضل الناس من كان بعيبه بصيراً وعن عيب غيره ضريراً. البخيل خازن نعمته

---

(١) أظن الأقوال من هنا ليست من أسلوب السلمي. هذه النصائح للفلاسفة اختلطت من موضع آخر بين أقوال السلمي. فعلى هذا، بيان أحوال الصوفية للسلمي في هذه النسخة ليس تماماً.

وخازن ورثته، من أطاع الله جلّ وارتفع، ومن عصاه ذلّ واتضع. أيام الدهر ثلثه: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري أهو لك أم عليك.

* * *



این صفحه در اصل کتاب ناقص است



مسئلة درجات الصادقين

تأليف الشيخ أبي عبدالرحمن السلمي
قدَّس اللَّه روحه

من كتب الفقير إلى اللَّه تعالى
محمد بن عبدالرحيم البارذي
سنة
ست وسبعين وثمان مأة

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



مسئلة درجات الصادقين في التصوف

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وهو حسبي

الحمد لله رب العالمين أوّلاً وآخراً وصلّى الله على محمد وآله وسلم كثيراً.

سألت هداك الله لرشدك، وأعانك على طلب السبيل إليه، وأزال عن قلبك الشبه والريب، وبلغك أعلى درجات المريدين، عن الفرق بين التصوف وطرق الملامة. وسبيل أهل المحبة. فاعلم نوّر الله قلبك بضياء التوحيد أنّ هذه الأسامي الثلاث هي سمات على اختلاف المقامات وتباين الأماكن، وأنّ كل واحد من الملامة والمحبة مقام من مقامات التصوف وخلق من أخلاقه، والصوفية هم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه معاتباً لنبيه بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1] أو هم الذين لقّبوا أنفسهم بالفقراء لعلمهم بأن الفقر[2] يليق بالعبودية، والغناء يليق بالربوبيّة؛ وهم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال:

---

(١) سورة الأنعام: ٥٢.

(٢) في الأصل: الفقراء.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[١]. وسيماهم هو الانقياد للأوامر بحسب الطاقة، والرضاء بالموارد، والكون في كل وقت بحكمه، ووصفهم الله تعالى في موضع آخر فقال الله جلّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[٢]. وأخبر عن صفتهم أنَّهُمْ لا يرجعون إلى مادة، ولا إلى معلوم، بل عمدتهم واعتمادهم على فضل الله تعالى. وهم الذين تعرّوْا من أفعالهم وأوصافهم وأقوالهم وأذكارهم وطاعاتهم، فلم يطمئنوا إلى شيء من ذلك، ولا نظروا إليه لفنائهم عن جميع أوصافهم أجمع.

وآدابهم التي بلغتْهم هذا المقام وهذه الرتبة: رياضتهم بأنواع الرياضات بدايةً[٣] وقبل ذلك بتصحيح التوبة، وتمام الزهد، والإعراض عن الخلق وعن الدنيا وأهلها، والتخلّي مما ملكوه، وهجران المألوفات، والتقطع في الأسفار، ومخالفة الشهوات الظاهرة، ومراقبة الأسرار الباطنة، واحترام المشايخ، وخدمة الإخوان والأصحاب والإيثار بالأرفاق، والنفس والروح؛ ودوام المجاهدات في كل الأوقات، والنظر إلى كل ما يبدو منه وعليه من أفعاله وأحواله بعين الاحتقار والإزراء. ثم الارتقاء من هذه الدرجة إلى مطالبة النفس بالتوكل على الله تعالى في جميع أموره.

وأقلّ التوكل الثقة في الرزق. وأصله الرجوع إلى الله عز وجل من جميع الأشياء، فلا يرى ضارًا ولا نافعاً سواه. ثم بعد ذلك اليقين،

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٢) سورة الحشر: ٨.

(٣) في الأصل: بداة.

ثم الثقة بالله، ثم تفويض أمور إليه، ثم التسليم لما يبدو من الغيب ساء أم سرّ ثم الصبر على البلاء والمحن، ثم تلقّي موارد البلاء بالشكر، ثم السكون إلى البلاء من غير شكوى بلا دعوى، كالسكون إلى النعم، ثم التلذذ بالنعماء، ثم الرضا بالمقدور ظاهراً أو باطناً، ثم ملازمة الحق وأهله ظاهراً أو باطناً، ثم احترام المسلمين، ثم النظر إلى الخلق بعين الحق، وهذه كلها من أحوال مقامات المريدين. ثم الخوف بعد هذا كله: إن هذا استدراجٌ ومكرٌ. ثم الخوف من القصور في الخوف، ثم الرجاء وهو استدراج القلب من سطوة الخوف بما وعد الله من التفضيل على عباده، وحسن الظن بالله أنه يزول عنهم بفضله عيوب هذه المقامات ويرمّ منها مواضع الفساد، ثم الرجوع من النهاية إلى البداية بعد انسلاكها[1] ثانية بعد أولى إلى أن يصح له طريق سلوكه، ويتبين له بيان الحق فيه.

كذلك قال أبو يزيد البسطامي: «كلما توهمت أنني بلغت المنتهى، نوديتُ أن هذا أوّله». وسمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: «ساعيت المقامات ثلث مرّات، كلما بلغت المنتهى منه قيل: ردّوه إلى الابتداء، لئلّا يبقى جاهلاً». قال أبو عثمان: سألت بعض المتحققين في السلوك عن ذلك فقال لي كذا من أريد به الخير ردّ من الانتهاء إلى الابتداء ليزول عنه مواقف الجهل والاغترار.

ثم يرتقي به الأحوال من هذا المقام إلى حال لطيف. وهو أن يميز بين الإلهام، والوسواس، والخاطر، والطبع، والكرامة، والاغترار،

---

(١) في الأصل: انسلكها.

واليقين، والاستدراج. وهذه أيضاً من مبادىء أحوال القوم. ثم ينتهي إلى حالة الاستقامة فيكون مع الله مستقيم النفس، مستقيم السرّ، مستقيم الإرادة، مستقيم الطبع، مستقيم الخاطر، مستقيم البداية والنهاية، مستقيم الفكرة. وهذه حالة لم يخاطب بها على الكمال أحدٌ إلاّ النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم. قال اللَّه عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(١). وقال هو للأمة لما علم قصور أحوالهم عن حاله «إسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا...»(٢) وهذه من أحوال العبوديّة. والعبد الذي لا يملك من متصرّفاته شيئاً إلاّ إذا بلغ محلَّ الأمانة فيتصرف بإذن مالكه في ملكه ولا يكون له تدبير ما يُدَبَّر به ومراده ما يُراد منه. ولا يتمّ له حال لأنّه يتحوّل بتحويل السيّد له.

ثم يبدو له بعد هذا أوائل مقامات المعرفة. والمعرفة أيضاً شعبة من شعب التصوّف. وهو فناؤه عن جميع ما كان فيه من هذه الأحوال والمقامات، والمنازلات وغيرها. ويكون مترسماً بالأوصاف غير متحقق بها، لا يخلو من الأحوال، ولا يوصف بحال. فيصفو من نفسه وأحواله وما كان يُنْسبُ إليه فيكون كما سمعت عبدالواحد بن محمد[286] يقول:

---

(١) سورة هود: ١١٢.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ثوبان وابن ماجه والطبراني عن ابن عمرو والطبراني عن سلمة بن الأكوع. وللحديث دوام: «...واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن». انظر: فيض القدير، ج ١، ص ٤٩٧.

[286] عبدالواحد بن محمد: لعله عبدالواحد بن محمد بن شاه، أبو الحسين الفارسي: حدث عن محمد بن علي بن عيسى بن أبي حرلاب الصفار، وأبي علي محمد بن سليمان المالكي البصريين، وأحمد بن إسحاق أخي علي بن إسحاق =

سمعت بُنْدار بن الحسين[287] يقول: وسئل عن الصوفي فقال: «الصوفي على وزن عُوفِي أيْ صوفي عن جميع ما له بما ورد من الحق عليه من بوادي الأنوار، فيكشف سرّه عند ذلك للجَوْلان في الغيوب والإخبار عنها بما يوافق جريان القضاء فيها. وهو نوع من الفراسة التي قال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: «إتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُـؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ»(١).

ثم يصفو حاله حتى يحكم على الغيب كما كان يُخْبر عنه كما قال الصديق الأكبر: «إنما هو أخواكَ وأُختاكِ» حكم على ما في بطن امرأته أنها بنتٌ. وهذا من لطيف الأحكام. وهذه المقامات كلها من أوائل مقامات المعرفة. وحقيقة المعرفة إنكار ما سوى المعروف وهو الحقّ. كما حكي عن الجنيد رضي اللّه عنه أنه قال: «المعرفة إنكارٌ. فلا يتحقق المعرفة إلا بإنكار ما سوى معروفه». وكذلك كل شيء يتحقق بضدّه. فالعلم باللّه عزّ وجلّ جهل بما سواه. فما دمت تعرف لنفسك غير اللّه ملجأً وملاذاً ومفزعاً فلست بعارف إلاّ أن تعرفه بإنكار ما سواه. ولا يعرف

= المادراني. حدث عنه البرقاني. وذكر للخطيب أنه سمع منه ببغداد، فسأله الخطيب عنه فقال: ثقة، وأثنى عليه خيراً. (تاريخ بغداد: ٨/١١).

[287] بندار بن الحسين الشيرازي (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)، شيرازي سكن أرّجان. وكان عالماً بالأصول. له اللسان المشهور في علم الحقائق. وكان أبو بكر الشبليّ يكرمه، ويعظّم قدره. وبينه وبين أبي عبداللّه بن خفيف مفاوضات في مسائل شتى. (طبقات الصوفية: ٤٦٧ ـ ٤٧٠، حلية الأولياء: ٣٨٤/١٠، طبقات الشافعية: ١٩٠/٢، سير أعلام النبلاء: ١٠٨/١٦ وغير ذلك).

(١) رواه البخاري في التاريخ والترمذي، والعسكري، والخطيب، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد ،زاد: ثم قرأ: «إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين». ورواه الطبراني والترمذي عن أبي أمامة. ضعيف. انظر: كشف الخفاء: ٤٢/١ ـ ٤٣.

العبد ربّه حتى يُسقط جميع المعارف كلّها إلا معرفة مَنْ هو معروف العارفين.

وأما ما ذكر عن بعض السلف أنه قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» معناه: أنه لا يعرف ربّه مع معرفة نفسه فإذا نسي نفسه ففي نسيانه يعرف ربّه. وقال أبو عثمان وأبو تراب النخشبي: لا يكون عالماً باللّه من يكون جاهلاً بأحكامه، ولا يبلغ أحد حقيقة المعرفة إلّا بمعرفة أوامره، فإذا عرف ربه وعرف أحكامه وأوامره، وقام بها على حسب الطاقة يبدو عليه علامات الصدق، فيكون من الصادقين. ثم يتمكن في الصدق فيصير من الصادقين.

وهذا من مقامات الغبطة، قال النبـيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: «إنَّ للّهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ والشُّهَدَاءُ»[1]. سئل بعض أهل المعرفة عن قول النبـي صلّى اللّه عليه وسلّم يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: «كيف يغبطهم أنبياء وهم فوقهم في المحل؟» فقال: «لأن الأنبياء شغلوا بفرائض الإبلاغ ومشاهدة الخلائق، وأولئك لم يكلّفوا ذلك فلم يشغلهم عن اللّه شَيْءٌ، فلذلك يغبطهم الأنبياء وإن كان حال الأنبياء أعلى وأتمّ».

فإذا استقرّ في مقام الصدق في معرفة اللّه والعلم به، والفهم عنه، والبقاء به بالفناء عمّا دونه والجمع له، والتفرقة عمّا عداه دخل في ميادين

---

(١) هذا جزء من حديث رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد. الترغيب، ج ٢، باب في الحب في اللّه.

الوصلة والاتصال، فسمّي إذ ذاك واصلاً بالحق لانفصاله عمّا سواه. واجتمع فيسلك إذ ذاك مقامات التّسع والتّسعين التي هي عدد أسامي الحقّ تعالى. كل مقام من تلك المقامات يقتضي حالاً يكون فيها مبطنًا باسم من تلك الأسامي، يظهر عليه بركاته. فمنه مَشْربه، وإليه مَوْرده، وعنه مصدره. ويُلبسه كلُّ مقام من تلك المقامات نوراً وضياءاً لا يشبه ما تقدم إلى أن ينتهي إلى أقصى النهايات. ويسلك كلَّ المقامات فيبقى مع الحق بلا مقام ولا مكان، ولا اسم ولا رسم، ولا صفة، ولا دعوى، ولا رؤية، ولا مشاهدة، ولا طلب فيكون كما ذُكِرَ عن بعضهم أَنْ يكون العبدُ كما لم يكن، والحق كما لم يزل وكما ذكر أنّ بعضهم قال: الصوفية المفال (المقال؟) في حجر الحق. وكما سئل بعضهم عن صفتهم فقال: «نفى الحق عنهم صفاتهم، وتولى عنهم بصفاته». ثم يشرف على علم الباطن وهو أسرار الحق يبديها للأمناء من الأولياء.

وهو من العلم اللّدنيّ الذي أخبر اللّه عنه بقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[1]. وذلك العلم على قهر يقهر السامع ولا يحوج المخبر إلى دليل واستدلال. ألا ترى أن موسى عليه السلام كيف سلم للخضر أحكامه بالعلم اللدني، وإن كان موسى هو الأفضل والأتمّ حالاً ومقاماً، لكن قهره العلم اللّدنيّ لا مشاهدة الخضر. وأحكام المقدور التي لم تظهر بعد في الخلق. وأراد الحق إظهاراً فيطّلعون عليها بصفاء أسرارهم، وقوة أحوالهم، وفنائهم عن أوصافهم كما قال عبداللّه بن عباس: «رحم اللّه عمر كان ينظر إلى

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

القضاء من ستر رقيق». وكما حكي عن أبي محمد الجريري[288] أنه قال لأصحابه: «هل فيكم أحدٌ يعرف ما يبدو من الغيب قبل أن يبدو؟» فقالوا: «لا» فقال: «ابكوا على قلوب بعُدت عن الله». وكما قال الجنيد: «إن الحقّ إذا أراد إبداء غيب أو إظهار حكم من غيبه أبدَى طنيناً في أسرار خواصّ أوليائه، فيعرفون بذلك مجاري الغيب». وتلك قلوب لم تغب عن الحضرة ولم تغفل عن الحقّ، ولم تمارج صحبة الأغيار.

ثم يرتقي من هذه الأحوال إلى حال تصغُر عنده الكرامات. وهو أوان مشاهدة التعظيم والجبروت والكبرياء، فيصغر عنده ما يبدو عليه برؤية العلّة في ذلك كلّه بإبدائه عليه. إذ محلّ الحوادث لا تخلو من العلل فإذا شاهد الصنع آنس به لخلوّه عن كلّ علّة. وإذا شاهد محلاً أبدي الصنع فيه استوحش لرؤية العلل. وهذا من مقامات الأكابر والسادات وهو أوان وجود الكدورة في الصفاء، والصفاء في الكدورة. وهذا كقصد موسى عليه السلام إلى النّار فكُلّم وخُوطِب، وقصد آدم عليه السلام إلى الشجرة طلباً للخلود فأورثه من ذلك القصد ما أزاله عن محلّه ومقامه. وهذا أوان الإذن له في السماع، والكشف له عن معانيه وإكرامه بفهم ما يسمع، وفي إلقائه السمع ومشاهدته لمعاني السماع والفهم عنه

---

[288] أحمد بن محمد بن الحسين، أبو محمد الجريري (٣١١هـ/ ٩٢٣م)، من كبار مشايخ الصوفية، الغالب عليه كنيته، عظيم القدر عند طائفته. صحب الجنيد وسهل بن عبدالله التستري. وكان الجنيد يكرمه ويبجّله. وأقعد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله، وصحة علمه. توفي في طريق مكة. (طبقات الصوفية: ٢٥٩ ــ ٢٦٤، حلية الأولياء: ١٠/٣٤٧ ــ ٣٤٩، تاريخ بغداد: ٤/٤٣٠ ــ ٤٣٤، وغير ذلك).

ما يورثه تقريباً وقربةً. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(١). وأوان وجود الرّوح في السرّ والريحان في القلب؛ والنور في السرّ والضياء في الصدور. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾(٢).

فالروح ترويح أسرارهم من الأكوان بالاتصال بمكوِّنها، والريحان استرواح قلوبهم إلى الحقّ في الابتداء والانتهاء، وجنّة نعيم هو تنعمهم(٣) في جوار سيّدهم؛ ومشاهدته؛ وفراغهم عمّا شغل أهل الجنة من قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾(٤). وإذا صحّت هذه المقامات وتحقق فيها يقع له الأمْنُ إمّا بوحي أو إخبار نبيّ، أو فراسة وليّ، أو مشاهدة غيب، أو مسامرة خاطرٍ. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥). وذلك كإخبار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعشرة من قريش بالجنّة، وكإخباره عن حارثة[289] وقد قبل يديه: «إِنِّي سَمِعْتُ قِرَاءَتَهُ في

---

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة الواقعة: ٨٨، ٨٩.

(٣) في الأصل: تنعيهم.

(٤) سورة يس: ٥٥.

(٥) سورة يونس: ٦٢.

[289] حارثة بن النعمان بن نقع بن زيد الأنصاري الخزرجي، من بني النجار، أبو عبدالله. شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وكان من فضلاء الصحابة. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كذلكم البر. وكان برّاً بأمه». (رواه غير واحد ومنهم أحمد بن حنبل في المسند: ١٠٦/٣). وهو ممن ثبت مع رسول الله =

الْجَنَّةِ»(١). وكما قال لجابر[290] بن عبدالله: «إِنَّ اللَّهَ تَعالَى كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً»(٢) وكما حكم في المستقبل الأويس القرني بالولاية وما يشاكل هذا.

فإذا بلغ الله بعبد من عباده إلى مقام تحقيق الولاية بخبر صدق

= صلَّى الله عليه وسلَّم يوم حنين في ثمانين رجلاً لما انهزم الناس. وبقي حارثة، وذهب بصره. فاتخذ خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته ووضع عنده مكتلاً فيه تمر فكان إذا جاء المسكين فسلم أخذ من ذلك المكتل، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله. فكان أهله يقولون: نحن نكفيك فقال: «سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: مناولة المسكين تقي ميتة السوء». (أسد الغابة: ١/٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(١) في مسند أحمد بن حنبل حديث مروي عن عائشة نحوه: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة. قلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان. كذاكم البر كذاكم البر».

[290] جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري أبو عبدالله (٧٤ أو ٧٧هـ / ٦٩٣، ٦٩٦م)، صحابي جليل شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي. استشهد أبوه عبدالله يوم أحد وهو لم يشهده، ولم يتخلَّف عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في غزوة قطّ بعد شهادة أبيه. وقيل: شهد جابر مع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه وعمي في آخر عمره. وكان يحفي شاربه، ويخضب بالصفرة. وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة. وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن. روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير المكي، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم. وتوفي بعد عمر دام أربعاً وتسعين سنة (أسد الغابة: ١/٢٥٦ ـ ٢٥٨).

(٢) هذا جزء من حديث طويل. رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه بإسناد حسن أيضاً، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. الإصابة ٤/١١٠، طبع الشرفية ١٩٠٧م / ١٣٢٥هـ انظر: ابن ماجه، جهاد، ١٦.

تزول عنه مواقف الخوف ولا تزول عنه حال الهيبة. وهم في هذه الأحوال على مراتِبَ: منهم من يُرَدّ من حال الخوف إلى حال الخشية، ومنهم من هو ألطف حالاً فيُرَدّ إلى حال الرهبة، ومنهم من كان ألطف حالاً فيُرَدُّ إلى الهيبة. وذلك لأنّ محل الحوادث لا يخلو من العلل، لكن يُرَدّ بما يغلب على العبد شيء من مبادىء فضل الحقّ فيضمحلّ فيه صفاته. وهو كما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[1].

وحال من هذه صفته أن تندرج صفته من هذه الصفات، فيكون العبد خالياً من صفاته وطبايعه؛ يتكلم عن صرف حقّ، ويخبر عن صفاء حقيقةٍ. لكنّها بروق تلمع ولا يدوم، ولو دام له ذلك لَهَيَّمَتْهُ وأفنَتْهُ، فكم من هائم فيها وفانٍ.

ثم إذا بلغ الله بعبد من عبيده هذه المراتب آواه إلى قربه، وآنسه بذكره وأوْحشه من الأغيار. فربّما كشفه للخلق لمحلّ القدرة ورجوع المريدين في مقاصدهم إليه، فأباح ظاهره للخلق رحمة منه بهم. إذ لو فقدوا علمه وخُلُقه وأدَبه لضلّوا في سلوكهم وقصدهم، ودخلوا في محلّ الغرور. لكنّهم بأنوار هؤلاءالأئمة يَسْتَضِيئُون، وبإرشادهم يَسترشدون في سعيهم ومقصدهم. وهم أئمّة أهل الحقائق، وأرباب القلوب والمنازلات. إليه مرجعهم، وبه قدْوتهم، وإليه مفزعهم كمفزع العوام في الأحكام إلى علماء الشّرع. وإذا أظهر وليًا من أوليائه للخلق، أسقط عنه محلّ الفتنة فلا يكون فاتناً ولا مفتوناً. ومنهم من أخفاه عن أعين

---

(١) سورة ص: ٤٦، ٤٧.

الخلق وأبصارهم، وقلوبهم وأسرارهم، فهو فيما بين الخلق كواحدٍ منهم يؤاكلهم، ويشاربهم، ويخاطبهم، قد أباح اللّه ظاهره للخلق غيرةً فإنه غيور أن يُشْرف عليه[1]. إلاّ ازداد في نفسه تواضعاً واستكانة لعلمه؛ إنّ من تواضع للّه رفعه اللّه فهو يطلب بتواضعه زيادة الرفعة من ربّه.

وأنا أسأل اللّه تعالى أن يَمُنّ علينا بما منّ به على أوليائه وأهل صفوته، وأن لا يحرمنا زوائد فضله بمنّه وسعة رحمته إنّه قريب مجيب. وصلواته على سيِّدنا محمد وآله والسّلام[2].





(١) يبدو أن في الجملة سقطاً قبل إلا إذ لا يتم المعنى.

(٢) هذه الرسالة للسلمي في مجموعة الرسائل المرقمة 2650 بمكتبة فاتح ضمن أوراق ٥٩آ ــ ٦٩آ. وفي وسط ٦٩آ أقوال ليحيى بن معاذ الرازي كتبت بالحبر الأحمر تحت عنوان: الفصل، ويبدأ فصل جديد خلال ٧٠آ ــ ٧٠ب وينتهي في نفس الورقة وفي نفس الورقة أيضاً قطعة رسالة لمؤلف مجهول، ويستمر إلى ورقة ٧٦ب وفي خلال ٧٧آ ــ ٩٩ب بيان زلل الفقراء للسلمي.

كتاب سلوك العارفين



دار الكتب العربية، تصوف، قسم التيمور

رقم: ٧٤، ورق: 17a - 31a

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



كتاب سلوك العارفين

للشيخ أبي عبدالرحمن السلمي تغمده اللّه برحمته

بسم اللّه الرحمن الرحيم

اللهم أكرمنا بطاعتك. الحمد للّه رب العالمين، وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآله أجمعين.

قال الشيخ الإمام العالم أبو عبدالرحمن السّلمي رحمة اللّه عليه:

سألتني أسعدك اللّه عن سلوك المحققين ومراتب مقاماتهم، فاعلم أن اللّه أخبر عن الموحدين الذين وحدوه وشهدوا له بالرّبوبيّة بقوله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾[1]. فحقيقة الشهادة بالتوحيد ما شهد الحقُّ لنفسه بكمال علمه وتمام قدرته بالاستحقاق؛ ثم مَنْ وَحَّدَه من سائر خلقه وإنما شهدوا له رسماً لا حقيقةً. فكل على مقدار علمه وحاله وبعده ودنوّه، وشهد هو لنفسه وهو مشاهد ذاته واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقه لهم تنبيهاً أنه عالمٌ بما يكون. وشهادة الحق لنفسه بما شهد به شهادة صدقٍ.

اعلم بذلك أنه لا يقبل الشهادة إلا من الصادقين. وشهادة الملائكة له بذلك شهادة اضطرار لما يشهدون من آثار الغيب ولما جبلوا على ذلك ثم قال: ﴿وأولوا العلم﴾ أربع طبقات: اثنان منهم أهل

---

(١) سورة آل عمران: ١٨.

الظاهر، وهم أصحاب الأحاديث، والفقهاء. والثاني: أرباب الباطن، وهم أهل المعاملات وأرباب الحقائق. وأصحاب الحديث نقلة الأخبار[1] وحافظوه، المشتغلون بحفظه وجمعه وصحيحه وسقيمه. والفقهاء هم العاملون بأحكامه، وبيانه، وناسخه، ومنسوخه، ومجمله، ومفصّله. وأهل المعاملات هم: السّالكون مسلك التزهّد وتصحيح الأفعال والمجاهدات. وأرباب الحقائق هم المجرّدون في حقائق التوحيد، والمشيرون إلى التفريد من غير التّجريد، والمعبّرون عن معاني الأحوال وهم الذين سُمُّوا الصّوفيّة. وطبقةٌ أخرى من العلماء هم علماء النّسبة، وهم الذين تفرّدوا عن الكلّ بالفرد، وتجرّدوا عن الأكوان، وتوحّدوا بالأحد الصّمد، عرفوا معاني أسامي الحقّ وحقائق صفاته، وعاينوا الغيوبَ، وسلِمُوا من أشغال الكون، ورجعوا إلى حقائق الحق، فتحقّقوا فيه. وانقطعت أسبابهم عن الخلق، أجمعوا وانتسبوا إلى الحقّ، وصحّحوا معه النّسبة بالكليّة. وهم سادة الأمة فالإخبارُ للغير عن أحوالهم صعبٌ، وإخبارهم عن أنفسهم على حدود الإشكال. صحّ لهم مقامهم بتصحيح نسبتهم مع الحق، وأشكل عن الخلق مواردهم ومصادرهم. وهم حجة اللّه في البلاد، وإليهم مفزع العباد. عَلَتْ مرتبتهم المراتبَ، لأنهم حطّوا رحالهم في الحضرة، فلا يرجعون منها إلى الرّسوم إلاّ لإقامة فرضه أو ليتأدّب بهم مريدٌ؛ ولدلالة مريد على سلوكه وهم أهل التمكين في التصوف وأهل الاستقامة فيه. إليهم النهاية وبهم القدوة في أحوال السلوك.

فمن مقاماتهم التي سلكوها مقام التوحيد. والتوحيد عندهم إفراد

---

(١) في الأصل: الأخبار.

القِدَم عن الحدث وترك ما علم وجهل أن يكون اللّه تعالى مكان الجميع وهذا قول الجنيد رحمه اللّه. والموحّد عندهم من يتوحّد ثم يوحّد. والتوحيد إثباتٌ لا نفي فيه، ونفيٌ لا إثبات معه، وفناء فيما بين الحالين ثم فناء عن ذلك الفناء حتى لا يكون له حينٌ ولا عنه إخبار. وطريقة الخراسانيين في التوحيد إثبات الموحّد بنفي ما يضادّه عنه، وأيضاً أن يكون العبد قائماً بسرِّهِ وقلبه وحاله بين يدي ربّه لا يلاحظ غيره ولا يشاهد سواه. وأيضاً هو بقاء الحق وفناء ما دونه، ثم المعرفة وهو أنّ اللّه تعالى يعرف إلى خواصّه بذاته ويسقط عنهم بذلك آثار المعرفة والرّسوم فلم يعرفوا غير معروفهم، ولم يعاينوا سواه. وأيضاً فإن العارف من تجمع له المتفرقات وتستوي عنده الأحوال ويسقط عنه رؤية الأغيار. وأيضاً إنّ العارف أن يكون بلا حدٍّ كما أنّ المعروف بلا حدٍّ. وطريقة الخراسانيّينَ: أنّ المعرفة آثار أنوار العناية على قلوب الأولياء فيزيّنهم بأنواع الكرامات من القربة والمحبّة والشوق والأنس وغير ذلك. وطريقة أخرى لهم وجود تعظيم اللّه تعالى في القلب وتأثير ذلك التعظيم خشية على الجوارح وخشوعاً عليها. ثم يرجع إلى بيان مبادىء المقامات والأحوال.

فأول مقام فيها التوبة. وهو أن يرجع من الكلّ إليه لأنّ له الكل، وقيل أن يكون للّه تعالى وجهاً بلا قفا كما كان له قفا بلا وجهٍ. وطريقة الخراسانيين: الرجوع من كلّ ما ذمّه العلم إلى مدحة العلم. وقيل: إنّ التوبة أن لا تنسى ذنبك. وقيل: أن لا تذكر ذنبك، ثم الانتباه في التوبة أن يعرف منّة اللّه عليه فيما أهّله له من الرجوع إليه. وقيل: الإقبال عليه. وقيل: إنّ الانتباه تيقظ القلب للواردات. وطريقة الخراسانيين هو طرد الغفلة ولزوم المراعاة ثم الحذر. قال العراقيّون: الحذر من اللّه

مراقبة السرّ عن الالتفات[1] إلى الأغيار. وطريقة الخراسانيين أن يكون على حذرٍ. وهو أن يصحّح توبته في مجانبة ما يضادّها. وقيل: تصحيح توبة المريدين من مفارقة المخالفات، وتصحيح توبة العارفين في مجانبة الغفلات. وطريقة الخراسانيين: تصحيح التوبة اتّهام النفس على جميع الأحوال، وترك الرّكون إليها في وقت من الأوقات، لأنّها الأمّارة بالسوء. ثم أوّل ما يلزمه ويجب عليه بعد تصحيح توبته وسلامتها، أن يجتهد في إتمام فرائض اللَّه تعالى عليه وأوامره في الأوقات المؤقّتة. فيبدأ من ذلك بطهارته التي فرض في نفسها ومتعلّق بها أجلّ الفرائض بعد التوحيد، وهي الصلاة. والطّهارة طهارتان: طهارةٌ في الظاهر هو على الأعضاء المرتّبة، وطهارةٌ في الباطن على القلب بمداومة الإخلاص. فيسبغ طهارة ظاهره بماءٍ طاهرٍ مطهِّرٍ مع كمالٍ. اغْسِل أعضاء طهارتك في الحرّ والبرد مقروناً بالنيّة والعلم بأنّك مأمورٌ به من جهة الحقّ. لأنّ اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]. ويعلم أنّه إذا أخلص العمل للَّه تعالى كفاه منه القليلُ وإذا لم يخلص لم يكفه الكثير.

ثم يبدأ في صلاته ويعلم أنّه اتّصالٌ وهي في الحقيقة انفصالٌ. وذلك أنّ العبد لا يتّصِلُ بربّهِ إلّا بعد انفصاله من الأكوان وما فيها، ويعلم أنّه في صلاته يناجي ربّه تعالى. والمناجاة لا يكون إلّا عن دنوّ، فيحقق في ذلك، ويلزم نفسه أدب ذلك الموقف فلا يشهد غير من يناجي سرًّا وإعلاناً، ويشتغل بحاله في ذلك الوقت حتى لا يؤثر عليه شيء

---

(١) في الأصل: الالتظفات.

(٢) سورة البينة: ٥.

ولا يختلج في سرّه. يبدو عليه في ذلك المقام حال لم يكن يبدو عليه قبل ذلك. كما روي أنّ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم كان يصلّي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء، ويحفظ على نفسه في تلك الحال أوامر الشرع وفرائضه وسننه وآدابه. فإنّ الظاهر عنوان الباطن. ثم إذا فرغ من صلاته لا يهمّه شيءٌ إلاّ النظر في تقصير في صلاته وقلّة حضوره فيها وكثرة هواجسه. ثم يطالب نفسه بزيادة ما أثم عليه من مناجاة ربّه أو فقدها فيشكر للزيادة ويحزن لفقدها، ثم إذا صحت له صلاته نظر في أفعاله كلّها على هذا السبيل فيطالب نفسه بتصحيح جميعها، ويرى تقصيره ونقصانه فيها ويعلم أنّ ما منه مرضيٌّ فهو من اللّه لا منه، وما منه فهو في محل الآفة والسَّخط.

ثم الورع: وهو أن يتورّع عمّا سوى اللّه تعالى. قال الخراسانيّون: الورع ترك الشهوات والشبهات.

ثم الزّهد: والزهد أن يزهد في الزهد لعلمه أنّ ما يزهد فيه لا خير له. لذلك قال الشبلي: الزّهد خشيةٌ، وحقيقة الزّهد أن يزهد فيما سوى اللّه تعالى، وقال الخراسانيون: الزّهد خلوّ الأنفس والأيدي عن الدنيا وخلوّ القلب ممّا خلت منه النفس واليد وترك حظوظ النفس أجمع.

ثم الخوف: وهو أن يخاف اللّه تعالى فيه وبعده منه، وأيضاً يخاف أن يبدو منه خلاف الحق فيسقط بذلك من عين الحقّ. وطريقة الخراسانيين: ما سئل أبو حفص رحمه اللّه تعالى عن الخوف فقال: سَلْ عنها الخائف فإني لم أر خائفاً إلاّ لنفسه أو على نفسه؛ فأين حقيقة الخوف من اللّه تعالى.

ثم الرجاء لتطمئنّ النفس وتهدى ولا تتلق[1] على الخوف، فإن الخوف يتأجّج؟ عن صاحبه إذا لم يمد بالرجاء ومتى غلب الرّجاء تعطّل العبد وإذا غلب عليه الخوف قنط، فينبغي أن يعتدلا، وقال الخراسانيّون الرّجاء هو المداومة على الطاعة مع ترك النظر إليها والاشتغال بها.

ثم الصبر: وهو الالتذاذ بأنواع البلاء وحمل مونه[2] حتى تنقضي أيّامُه. وقيل الصّبر له وبه عمّن سواه ودونه، وعند الخراسانيّين أنّ الذي يعرفه الناس صبراً وهو التصبّر، والصّبر هو التّهدّف لسهام البلاء وكلّما يستلذّ به الصابر ويكون فيه محفوظاً وهذا هو التصبّر لأنّه يتجرّع مرارته ويكابد عليه.

ثم الرضا: وهو فناؤه عن رضاه بمشاهدة رضا اللّه تعالى عنه. ومنهم من شغله إرادة الحقّ ومحبّته عن مطالعة رضائه عنه لإرضائه بحال. وعند الخراسانيين أنه لا طمانيته[3] عند كل وارد يرد عليه شاء أم أبى. وقال بعضهم: الرّاضي لا تغيّر تصاريف الأحوال به وعليه، وقال الفضيل بن عياض: الرّاضي لا يتمنّى فوق منزلته.

ثم التوكّل: وهو أن يكون للّه تعالى كما لم يكن، ويكون الحقّ له كما لم يزل. وعند الخراسانيّين أن يصدّق اللّه فيما وعد، ويثق به فيما ضمن، ويسقط عن نفسه التّدبير. واختلفت ها هنا الأقوال: فقال العراقيّون: التوكُّلُ يقتضي الرضا. وقال الخراسانيّون: الرّضا يقتضي التوكّل ولكلٍّ وجهةٌ. وإذا صحّ التوكّل صحّ له التفويض والتسليم والمجاهدة. فالتفويض هو اتّهام النفس فيما تشير به عليه ومخالفتها،

---

(١) في الأصل كذا. ربما تتعلق.

(٢) هكذا في الأصل. لعله مؤنة. (٣) هكذا في الأصل. لعله: لا طمأنينة.

والاعتماد على الله تعالى لعلمه بشفقته على عباده. ويصحّ له ذلك إذا التجا إلى الله تعالى في جميع أحواله ولا يكون علاقةٌ سواه ولا متعلّق. والتسليم هو ترك التدبير، وقبول الموارد بالسّمع والطاعة والرّحب والدّعة. والمجاهدة هي اتباع الأوامر بحسب الطّاقة وإتعاب البدن فيها إلىأن يبلغ إلى روْح التلذّذ بالعبادة، فيصير في عبادته مستروحاً.

ثم الحياء: وإنما يتولّد الحياء من مطالعة الهيبة والعظمة فيستحيي من توحيده ومعرفته وخدمته وحسناته لما يعلم فيهامن النقص والعيب وأنّها لا تصحّ لمقابلة الأمر. وعند الخراسانيين: الحياء هو الانكسار بجميع القلب، وملازمة الخدمة بنهاية الطّاقة، والنّدم على ما سلف من الطاعة لشوبها بالرّياء والدّعاوى الصّادقة، فكيف الكذبَة.

ثم الإرادة: وهو اعتقاد القلب على طلب مرضاة الله تعالى وإرادة موافقته، وإذا صحّ له حال الإرادة استغنى بصحّة إرادته عن علم العلماء وحكمة الحكماء. وعلامته أن يكون نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة، ثم يصير مراداً. والمراد من يحمل عنه الأثقال[1] ويسير في الرّاحات والعوافي، يكون محمولاً لا حاملاً. وما من يمشي برجليه كمن يمشى إليه، ولا من نودي عليه. وقال بعضهم في الفرق بين المراد والمريد: أن المريد تتولّاه سياسة العلم، والمراد يتولّاه رعاية الحقّ. ثم إذا صحّت له هذه الطّرق سلوكاً لا خبراً وعلماً يلزم بعد ذلك آداب الفقر وسياسته[2].

---

(١) في الأصل: الايفال.

(٢) توجد نسخة أخرى لهذه الرسالة في مجموعة بمكتبة فاتح تحت رقم ٢٥٥٣ بين أوراق ٦٠ب ـ ٦٢ب باسم آداب الفقر وشرائطه تبدأ اعتباراً من هنا وتنتهي: يبدو بعد هذا حال المكاشفة. أشرت هنا إلى تلك النسخة بحرف ب.

ومن آداب الفقراء ومواجبه(١) أن يخاف الفقير على فقره أكثر مِمّا يخاف الغنيّ على غناه، وأن يغار عليه ولا يُظْهِرَ، وإذا ظهر(٢) عليه من ذلك اجتهد في ستره، [ولا يجالسَ الفقراء(٣) مجالسةً يظهر بذلك فقره ولا يباين الأغنياء مباينةً تبدو بمباينتهم عليه آثاره](٤) ويصحب(٥) الخلق على شرط السلامة ولا يبدي غِناً ولا فقراً ويكون في الناس كواحد منهم، ولا يتميّز عنهم إلاّ [بملازمة آداب سلوكه و[يكون] من زلل له أحوال يخلو بنفسه، يطالبها](٦) بصدق ما يُبديه(٧) ويظهره نفسه منه في تعب والناس منه في راحة، يُبيحُ(٨) للخلق ظاهره ويضنّ(٩) عليهم باطنه، ولا(١٠) يسكنَ إلى معلوم ولا يوحشه معدوم(١١) وإن(١٢) ظهر له من القدرة رِفْقٌ [قبله](١٣) وعلِمَ أنّ الحقّ أظهر [له](١٤)، وإن ظهر له ذلك

---

(١) في ب: + آداب الفقير وشرائطه وما يجب على الفقير أن يعتمده. قال الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي رحمة الله عليه ينبغي.

(٢) في ب: وإذا أظهر.

(٣) في نسخ سلوك العارفين: الفقير وفي زلل الفقراء هكذا.

(٤) ب: ـ ولا يجالس الفقير... آثاره.

(٥) آ: وتصحب على شرط.

(٦) في ب: ـ بملازمة آداب... يطالبها.

(٧) في آ: ما تبديه.

(٨) في آ: ينتج.

(٩) في آ: ولا يضر وفي ب، ج: ويضن وفي زلل الفقراء ويضيق.

(١٠) في ب: لا.

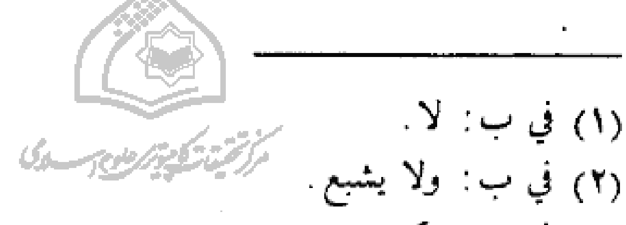
(١١) في آ: معلوم.

(١٢) في ت: ان.

(١٣) من ب.

(١٤) من ب.

بسببِ ميّزه ولم يخالف شرط العلم؛ ولا[1] يطلب غائباً ولا يتبع[2] نفسه مراداً، ولا يتكلّف في الطّلب ولا يلزم موضعاً يُعْرَف به، ولا لباساً يتميّز به عن أبناء جنسه، يكسب[3] ظاهراً ويتوكّل باطناً. إن نطق فبعلم وإن سكت فبوقارٍ [وحلم][4] وإن أكل فبإيثار، وإن نظر فبعبرة، وإن سكت[5] فبفكرةٍ[6]، وإن سمع فبوجدٍ، وإن أمر فبمعروف؛ وإن نهى فعن منكرٍ. يشغله وقته عن مراقبة [أوقات][7] إخوانه، يرى فضل الخلق[8] بمشاهدة نقصانه. يستعمل[9] الأخلاق مع الأجانب فكيف مع الموافقين؟ يحترم المشايخ ويكرم الأصحاب ويرحم المريد؛ لا يأخذ الرّفق [بسبب][10] إلاّ في وقت الحاجة من موضعٍ يسكن إليه قلبه[11]، ولا يستبدّ[12] في رفقه[13] بأحد دون أصحابه، يحتمل أذى أصحابه



---

(١) في ب: لا.
(٢) في ب: ولا يشبع.
(٣) في ب: يكتسب.
(٤) من ب.
(٥) في ب: اطرق.
(٦) في آ و ج: فبفكر.
(٧) من ب.
(٨) في ب: فضل الله تعالى.
(٩) في آ: فيستعل.
(١٠) في ب: فضل الله تعالى.
(١١) في ب: قلبه إليه.
(١٢) في ب: ولا يبدأ منه شيء وفي آ و ج ولا يبدو. وهذا الشكل من زلل الفقراء وهو أصح.
(١٣) في آ: في رفق.

ولا يؤذيهم، ويحفظ لهم أحكامهم ولا يحكم عليهم، وإن جاراهم[1] العلم فعلى سبيل النَصح وإن كلّمهم فعلى طريق الأنس، يطلب لعثراتهم معاذير[2] وإن[3] ظهر عذر لم[4] يقبله قلبه علم أنّ [العيب منه لا منهم] يستر عليهم القبايح، بل لا يرى منهم قبيحاً إلا في خرق[5] الشّرع وما يؤدّي إليه [فقط][6]. لا يرى نفسه أهلاً لمجالستهم إلاّ على حدّ التّبع. يأخذ نفسه باستعمال الشّريعة، ومحاسن آدابها. لا[7] يضيع النّوافل ولا يتهاون بالسنن، يراقب[8] قلبه في أداء الفرائض، ولا[9] يرى نفسه أهلاً لرفع حاجة إلى مولاه، ويكون من حاجاته إلى مولاه سؤال التّوبة والمغفرة والغفران[10]. [ينشر إرفاقه في كلّ الأوقات[11] و] لا يزدري الفقراء [ولا يتهاون بالأغنياء][12] ولا يخضع لهم[13] بسبب[14] رفقٍ ويتيقّن أنّ المعطي والمانع هو اللّه وحده[15]

---

(١) في آ: جاراهم.

(٢) في آ: معاذيراً.

(٣) في ب: ان.

(٤) في ب: ولم.

(٥) في آ: وخوف.

(٦) من ب.

(٧) في آ: ان لا.

(٨) في ب: ويراقب.

(٩) في ب: لا.

(١٠) في ب: والعفو.

(١١) في ب: ـ بتيسير... الأوقات وفي سائر النسخ ما عدا... بتيسير أرزاقه.

(١٢) من زلل الفقراء.

(١٣) في زلل الفقراء لهم في نسخ سلوك العارفين: اللّه للأغنياء.

(١٤) في آ: لسبب. (١٥) في ب: ـ وحده.

تعالى، يكون فقره عن الأكوان وغناؤه بمكوّنها. يرحم أهل البلاء ويسأل ربّه العافية، ولا يعيِّر أحداً ولا يحقد على مسلم، ولا يحسد إخوانه، ولا يشمت بهم، ولا ينقض عهداً، ولا يخالف عقداً، ولا يسكن إلى شيء. ويسكن إليه كلّ شيء ولا[1] يألف أحداً ويألفه كلّ أحدٍ، ولا يستأنس [إلى أحد][2] ويستأنس به كلّ أحدٍ. ظاهره إمام آداب المريدين وباطنه مرآة أنوار العارفين. [لا يعرفه في فقره ومقامه إلّا أشكاله][3]: لا[4] يسافر على المراد، بل يكون[5] سفره[6] حجّاً، أو جهاداً، أو قصد شيخ، أو رياضة نفسٍ [أو صحبة رفيق][7] أو طلب علمٍ، أو زيارة أخٍ. ويتعلّم ما لا يستغني عنه في أداء[8] فرائضه، ويداوم درس القرآن في خلواته[9] ويشتغل بالذّكر في أكثر أوقاته. [ولا يتماوت في فقره ولا يشكو. فإنّ شكاية الفقير لا نهاية لها][10] ويعمل[11] في دوام المجاهدة ظاهراً وباطناً. أعزّ شيءٍ عليه وقته: لا يشغله إلّا بأعزّ الأشياء وهو دوام المراقبة[12]، واتباع الأوامر،

---

(١) في آ: لا.

(٢) من ب.

(٣) في ب: ـ لا يعرفه... أشكاله.

(٤) في ب: ولا.

(٥) في آ: ويكون.

(٦) في ب: ـ سفره.

(٧) في ب: ـ أو صحبة رفيق.

(٨) في آ: ـ أداء.

(٩) في آ: خلوته.

(١٠) في ب: ـ ولا يتماوت... لا نهاية لها.

(١١) في آ، ج: يعمد.

(١٢) في زلل: الموافقة.

وطلب مرضاة[1] ربّه، أرجا أوقاته[2] عنده وقتٌ يقوم بخدمة إخوانه، يؤثر إخوانه[3] بالأرفاق ويتحمّل عنهم المشاقّ. ولا يرى لنفسه فضلاً على أحدٍ من إخوانه، يلزم نفسه الأدب[4] ليتأدّب[5] به من يجالسه، ويتوب عن أصحابه إذا أخطأوا، ويعتذر لهم إذا أذنبوا، وينعشهم إذا أعثروا[6]، ويصفح عنهم إذا زلّوا. يتكبَّرُ على من يتكبَّر على الفقراء، ويميل إلى من يحترمهم [ويميل إليهم][7] يوسّع على إخوانه بالأحكام[8] ويضيق على نفسه فيها، يترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعنيه، يتأدّب بالمشايخ، ويؤدِّب الأصحاب، ولا يصحب الأحداث، ولا يأخذ أرفاق[9] النّساء، يسكن سرّه عند الْعَدَمِ و[لا يعتمد على الكفاية إذا وجد بل][10] يعتمد على الكافي عزّ وجلّ، يعادي الهوى، ويعانق



(١) في آ: رضا.
(٢) في آ: وقته.
(٣) في ب: وزلل أصحابه.
(٤) في آ: الأداب.
(٥) في آ: وليتأدب.
(٦) في آ: اصفحوا.
(٧) سقطت من ب.
(٨) في ب: في الأحكام.
(٩) في ب: رفاق وفي زلل الفقراءهذه الزيادة: ويجتنب أرفاق النسوان ويبعد عن عشرتهن وصحبتهن والكلام عليهن ومعهن ويعلم أنهن ناقصات عقل ودين وأن النبي صلَّ الله عليه وسلَّم قال: «لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما». هذا الحديث في بخاري، نكاح، ١١١، ١١٢؛ وفي مسلم، حج، ٤٢٤، وفي الترمذي، رضاع، ١٦، فتن ٧. إلا أن عبارة ثالثهما الشيطان في الترمذي فقط.
(١٠) في ب: ــ لا يعتمد... بل.

الصَّبر[1] ويفارق الشهوات. [كلامه نصيحة وصمته فكرٌ، لا يجالس إلاّ إخوانه ولا يرافق إلاّ أقرانه. ولا يصحب مخالفاً لطمعٍ][2] ولا ينبسط[3] لصاحب دنيا بسبب[4] رفق. يصون فقره عن مخالطتهم ومجالستهم. لا يليّن جانبه للعوام فيتطرقوا[5] بذلك[6] إلى مجالسته، ويتأدّب بإمامٍ، ويلازم السنّة[7]، ويصحب من يتبعها، ويجتنب البدعة وأهلها، ولا يلبس المرَقّعة[8] إلاّ مضطرّاً؛ ولا يتزوّج إلاّ إذا خاف على نفسه هتك حرمةٍ، ولا يتصدَّر في المجالس، ولا يتكلّم على النّاس، ولا يعتاد مجالس السماع، ولا يدّخر، ولا يرجع إلى معلوم، ولا يكون له بفقره [وجهاً إلى الأغنياء][9].

ويعلم بعد هذا كلّه أنّ سالك[10] الأحوال لا بدّ له من علم سلوكه [وعلم الأحوال][11] ويعلم أنّ العلم به غير المعرفة وأنّ المعرفة غير الوصول إليه؛ وأنّ الوصول إليه غير التحقّق [فيه][12] وأنّ التحقّق فيه[13]

---

(١) في ب: يعانق الصبر ويعادي الهوى.
(٢) في ب: ـ كلامه نصيحة... مخالفاً لطمع.
(٣) في ب: ولا يبسط.
(٤) في آ: لسبب.
(٥) في آ: فينظروا.
(٦) سقط من ب.
(٧) في ب: ويلازم السنة ويتأدب بإمام.
(٨) في آ: الرقعة.
(٩) في ب: وجه إلى الأحباء.
(١٠) في آ: مالك في ب سلك.
(١١) سقط من ب.
(١٢) سقط من آ.
(١٣) في آ: به.

غير الصِّدق. وطلب الصّدق في التحقّق[1] من أجلّ المقامات. ولا يعرف مقام الصّدق من نفسه[2] إلاّ الأنبياء وخواصّ الأولياء[3] الّذين بلغوا محلّ القرب [والدّنوّ والمكاشفة والمجاهدة.

هذا وأشباهه صفة أهل الصُّفَّة رضي اللّه عنهم الذين تولّوا على حكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فكانوا في حكمه وتحت رفقه. قال اللّه تعالى: ﴿للفقراء الّذين أُحْصِرُوا في سبيل اللّه، لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافاً﴾. الآية. ـ سورة البقرة: ٢٧٣ ـ.

وصيانة الفقراء في ثلاثة أشياء: الكونُ بحكم الوقت، وملازمة الأوامر على حدودِ السنن وترك التشريف للأرفاق. وإذا صحّت له هذه المقامات طالب نفسه بالصدق فيها. والصّدق ترك المداهنة مع النفس في حالٍ من أحوالها، ومطالبتها بتصحيح أفعالها وأحوالها، ومن الحكم فيما بينه وبين ربّه طريقة الصّدق؛ فإنّه لا يصل إلى شيءٍ من سبيل ثم][4] يراعي ظاهره بحسن آداب الشرع والوقوف مع الأوامر بالمبالغة[5] والجدّ والتّباعد عن المناهي ويراقب باطنه وما يرد عليه من الأحوال

---

(١) في ب: في التحقيق.

(٢) في آ: من بنفسه.

(٣) في ب: والخواص من الأولياء.

(٤) سقطت من نسخة ب السطور اعتباراً من [الدنو والمكاشفة... إلى شيء من سبيل ثم].

(٥) في ب: بالمتابعة.

ساعةً بعد ساعة[1]، ويسوس[2] باطنه بالمراقبة [كما يسوس ظاهره بالمراعاة][3] ويرجع في طرد الغفلة، والالتجاء والتضرّع إلى ربّه ويشاهد في ذلك [كلّه][4] مراقبة الحقّ عليه في[5] كل الأحوال. [فإنّ اللّه يقول: ﴿إنّ اللّه كان عليكم رقيباً﴾][6]. وإذا صحّ[7] له مراعاة ظاهره ومراقبة باطنه يبدو له[8] بعد ذلك[9] حال المكاشفة[10] في طريق العراقيين أن يُكْشَفَ له عن المغيّبات، فيحكم فيها وعليها ويكشف له عن أحوال الخلق ولا يغيب عنه منهم شيءٌ. وطريقة الخراسانيين أن يكشف له عن عيوب النّفس وخِيانة السِّرّ فلا يدخل عليه حالٌ إلاّ وهو يعرف صحّته وسقمه ولا يغفل عن ظاهره وباطنه.

وأمّا أحوال الحقائق في المكاشفة: فمنهم من يُكْشَفُ له عن حاله، ومنهم من يُكْشَفُ له عن مراده، ومنهم من يُكْشَفُ له عن عموم الأحوال ولا يُؤْذَنُ له في الإخبار عنها، ومنهم من يُكْشَفُ له عند مراد الحقّ فيهم، ومنهم من يكون مكشوفاً مأذوناً له في الإخبار عمّا كُشِفَ له

---

(١) في ب: ساعةفساعةً.
(٢) في الأصل: يوسوس.
(٣) سقطت من ب.
(٤) من ب.
(٥) في ب: و.
(٦) سقطت من ب. [سورة النساء: ١].
(٧) في ب: صحب.
(٨) سقط من ب.
(٩) في ب: هذا.
(١٠) في ب: زيادة: واللّه أعلم، وتنتهي الرسالة.

من المراقب التي خُصَّ هو بها وخصّ بها سائر الأولياء، وهذا دخل في محلّ الأمانة، الأمناء من الأولياء هم النّهاية في الولاية.

ثم يصحّ بعد ذلك حال المشاهدة، والمشاهدة أن يشهد الغيوب وما يجري فيها ويشاهد فعل اللّه تعالى به، وفعله في الخلق وما يرد ويصدر. وأهل المشاهدة متباينون في مقاماتهم على حسب تباين أهل المكاشفة.

ثم يدخل في مقام الفناء والبقاء. وهو عند الخراسانيّين أن يفنى عن كل شيءٍ، ويفنى عن مراداته، ويقوم على مراد الحقّ فيه. وعند العراقيين فناء حظّ العبد عن كلّ شيءٍ سوى اللّه تعالى ببقاء حظّه من اللّه تعالى، ثم يفنى حظوظه ويبقى عليه حظّه بعلم فنائه، وقال ابن طاهر: هو فناء رؤية العبد عن جميع الأشياء تبقى مشاهدته بموجدها ومُظْهرها. وقيل: إنّ الفناء إخلاص العبوديّة والبقاء القيام بآدابها.

ثم يدخل في مقام التمكين. والتمكين عند العراقيين قومٌ جازوا درجات الأوصاف والحظوظ والإرادات، فوصفهم بما يُوصَفون به وأراد بهم ما يراد به، وحكمهم حكم الحقّ فيه. ومن علا مكانه في هذا المقام هو من تشتمل عليه أنوار الحقّ فتقهره، فلا يكون له رجوعٌ إلى شيء من أحواله، ولا التذاذٌ بما يطرى عليه لما غلبه من أنوار الحقّ. وعند الخراسانيين التمكين حالٌ يرد على العبد يسهّل عليه حمل موارد الحقّ حتى لا يعجزه بعد التّمكين وارد الكمال ما أيّد به من عناية الحقّ.

ثم يدخل في حال الجمع والتفرقة. وهو عند الخراسانيين أن يجمع اللّه بهمّةٍ ولا يشتّت عليه فيكون مجموع السرّ، واقفاً مع الحقّ

على حدّ الاتّفاق. وهذه اللّفظة كرهها مقدّمو مشايخ خراسان وأنكروها ولم يطلقوها. من أطلقها منهم أطلقها مقيّدةً على ما تقدّم من البيان، وعند العراقيين أن يجمعه الله إليه بعد افتراقه، فقالوا: التّفرقة لسان العلم والجمع لسان الحقيقة، وأجمعوا أنّه لا يحلّ لأحدٍ أن يخبر عن لسان الجمع إلاّ بعد فنائه عن كلّ حظٍّ، وفناء كل حظٍّ عنه، وبلوغهم إلى محلّ الأمن ومواقف الأمناء. وهم في الأولية بمنزلة الرّسل في الأنبياء. وهم أهل الأشراف المأذونون لهم في الإخبار عن أسرار الحقّ، بأمانتهم وأنّهم لا يخبرون به إلاّ من كان أهلاً له على قدر أحوالهم وأوقاتهم، وهم أهل الفراسات الصّادقة والمحدّثون والمكلّمون من جهة الحقّ إمّا إلهاماً[1] أو بياناً أو بيّنةً أو شهادة. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوه شاهِدٌ مِنْهُ﴾[2]. الآية، وهم خواصّ الأولياء العالِمون بالمقادير، والعارفون بالمراتب، حينئذٍ يصلح له تقليبُ الأعيان، ومساعدة القضاء في قول الله تعالى: ﴿كن﴾ فيكون القضاء له مساعداً[3]. وذلك أنّ الحقّ سبحانه وتعالى لا يُنطقه إلا في وقتٍ يقضي في ذلك الوقت تمام مراده ويطلق لسانه بالدعاء، إذا قضى إجابته. وإذا دعا وافق دعاؤه الإجابة وإذا سأل سَاعَدَ سُؤَالَهُ الكونَ. وأعلى حالاً منهم ما سمعت أبا عثمان سعيد بن سلام المغربي رحمة الله عليه يقول: إذا تحقّقت في العبد الولاية، وجاوز حدود حقائق الإيمان يبلغ إلى رتبةٍ في حالةٍ أنّه يمرّ بمجالس المطيعين، فيراهم على الطّاعات فيفرح قلبه بهم

---

(١) في الأصل: اتهاماً.

(٢) سورة هود: ١٧.

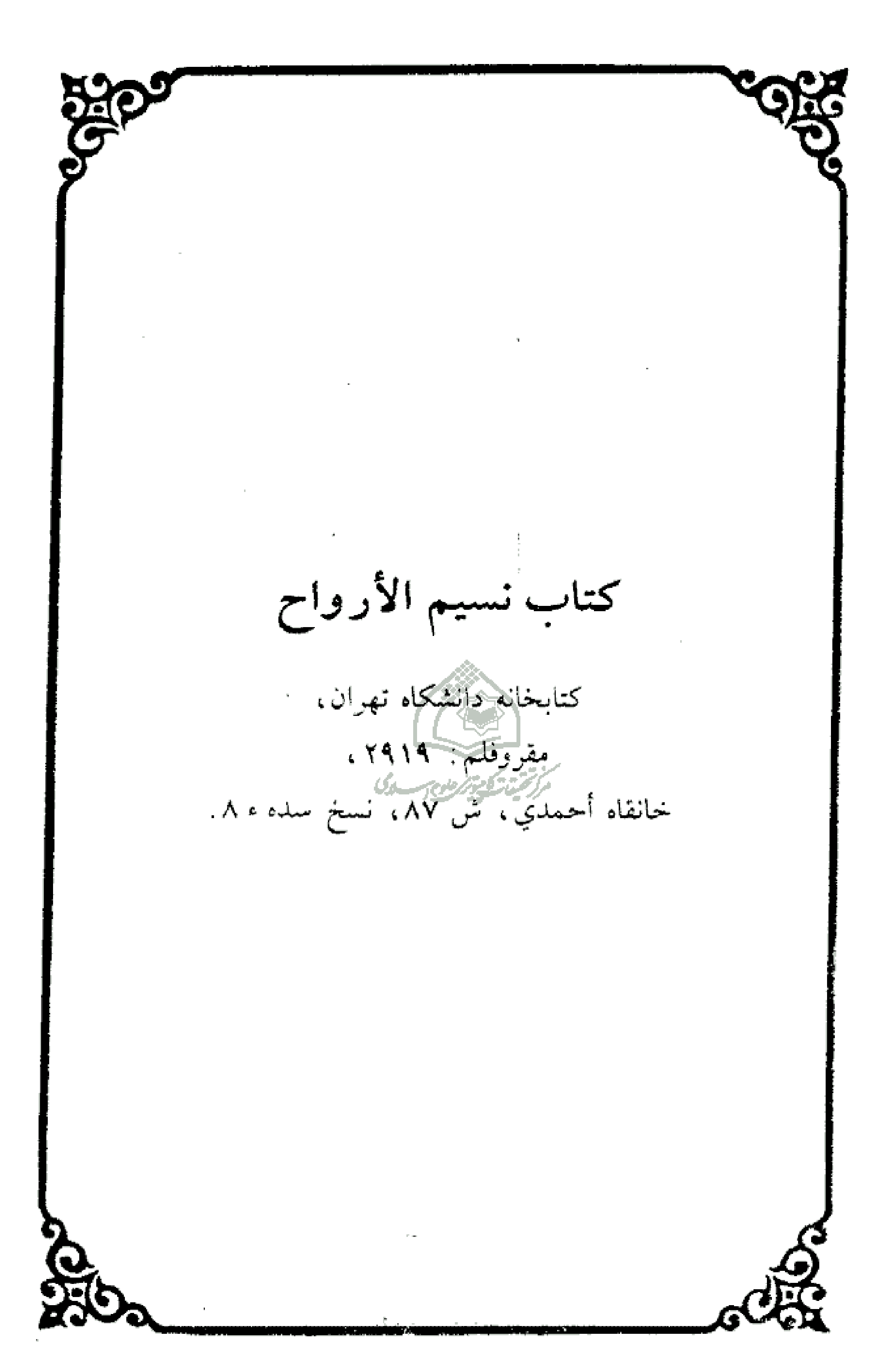
(٣) في الأصل: مساعد.

فيدخلون[1] بسروره وبركة نظره في الأولياء ومحلّ السعداء من غير أن يسأل لهم ذلك، لكن ببركة نظره. وكذلك إذا مرّ بمجالس العُصَاة فيراهم على معصيةٍ من المعاصي فيقع بصره عليهم فيستوحش منهم فتوقعهم وحشته في الطّرد والهوان ويدخلون بذلك في محلّ الأشقياء من غير أن يدعو عليهم. ويكون هو في هذه الحال أرحم بالخلق منهم بأنفسهم، يحزن لهم بما يجري عليهم من المخالفات، ويفرح بما يشاهد عليهم من آثار الموافقات.

والله يختصّ برحمته من يشاء ونحن نسأل الله أن لا يحرمنا بركاتهم، وأن يجعلنا من أتباعهم والمقتدين بهم، ولا يحرمنا ما رزقهم، ويسهّل علينا سبيل الخيرات برحمته إنّه على ما يشاء قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم.

* * *

(١) في الأصل: فيدخلوا. سقطت النون.



كتاب نسيم الأرواح

كتابخانه دانشگاه تهران،

مقروفلم: ٢٩١٩،

خانقاه أحمدي، ش ٨٧، نسخ سده ٨.

فكيف لا يتودد إلى من يتودد فيك وقال الحسين إلهي إنك
تعلم عجز المطيع عن توبته والمذنب ليعتمد عليك فإنهما بالنجاة منك أحرى من
اعتمد على توبته أو من اعتمد عليك فأنا من المعتمدين عليك فارحمني
وقال الحسين إلهي إنك تعلم عجزي عن شكرك فاشكر نفسك
عني وأنشد عنه رحمة الله عليه أأنت أم أنا هذا العين في عين
حاشاك حاشاي من إثبات اثنين
هوية لك في لائيتي أبدًا كلي على الكل تلبيس بوجهين
إنيه منك في إنيتي امتزجت فارفع بأنك إنيي من البين

ثم وجد مثبتة من إنشاده رحمة الله عليه

وهذا كتاب نسيم الأرواح مناجاة الإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين
بن موسى السلمي رضوان الرحمن على روحه العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم صنعة العارفين

أسعدهم الله بإظهار طاعته ونعمهم بوجوه حقائق وحدانيته وأيدهم
بمداومة مناجاته وخصهم بخصوصية الذين اختصهم لنفسه الذين عليهم محبته
واستعملهم باختياره لنفسه واختار قلوبهم لذكره وطهر أسرارهم بمحبته وشغلهم
بقربه وأفرغ عليهم مواهبه وأظهر عليهم كرامه وأجرى على ألسنتهم أحكامه
وقال لهم بنفسه لنفسه يخبرونه كل معنى سواه وكان ضوء ليلهم ونهارهم
وسائقهم ومؤيدهم وأنسهم فهذا الذي خص به أولياءه وأسعد به أحباءه

وجه الورقة الأولى من مخطوطة الكتاب

... ابكي من البعد شوقا الى الوصل وفي الوصل خيفة من زوال

وسئل النصراباذي لم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم في المعرفة قليلا قال لانه كان

في حقيقته وكل من كمل في شيء اقل الكلام فيه . وسئل الشبلي فقيل له يا

ابا بكر اخبرنا عن كمال العقل وكمال المعرفة فقال اذا كنت بما امرت به قائما

لتكليف ما كلفت فانت كامل العقل واذا كنت بالله مشغولا غير ناظر

الى سواه فانت كامل المعرفة . وعن بعضهم قال دخلت مصر فرأيت رجلا

عليه زي وراسه قد ادخله في جرابه فقلت هذا مجنون فان كان مجنونا

عاقلا استفدت منه وان كان جاهلا احسنت اليه فتقدمت اليه

فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا شغل فقلت يا شيخ هذا

كلام كبار الناس فلم لا اسأله عن اسمه فقلت ابو من فقال ابو [illegible] الاوقات

فقلت له تعرفني قال لا ابالي عرفتني ام لا فقلت له احببت [illegible] قال ليس

الى ذاك حاجة فقلت له ما تصنع في هذا الموضع قال التمس [illegible] فقلت

واي عيش بين الموتى فقال انا بين قوم اذا حضرتهم لا يؤذونني واذا

غبت عنهم لا يغتابوني في غيبتي واذا [illegible] رضي الله عنه

وعن المشائخ [illegible]

وجه الورقة الأخيرة من مخطوطة الكتاب

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



وهـذا كتاب نسيم الأرواح ممـا جمعه الإمـام أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي رضوان الرحمن على روحه العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

صفة العارفين:

استعدّهم الله بإخلاص طاعته، ونعّمهم بوجوه حقائق وحدانيته، وأيّدهم بمداومة مناجاته، وخصّهم بخصوصيّة الذين اختصّهم لنفسه، وألقى عليهم محبّته، واستعملهم بما اختار لنفسه، واختار قلوبهم لذكره، وطهّر أرواحهم بمحبته، وكنفهم بقربه، وأفرغ عليهم مواهبه، وأظهر عليهم كلامه، وأجرى على ألسنتهم الحكمة، وقام لهم بنفسه لنفسه بغيبوبة كل معنى سواه، وكان هو دليلهم وقائدهم وسائقهم ومؤدّبهم وأنيسهم[1]، فهذا الذي خصّ به أوليا[ء]ه وأسعد به أحبّا[ء]ه، وزيّنهم بعصمة الواصلين، وصانهم بصيانة المحفوظين، وجعلهم ممن اختارهم في قديم غيبه، واستعملهم بموافقة محبّته، وقرّبهم إليه مع المتقرّبين، وآنسهم مع المستأنسين، وعصمهم في ظاهر الشواهد، حتى كانوا في الأرض مناراً للحق، وفي السماء أئمة للملائكة، فهم بالله مشغوفون، وإليه منقطعون، وله مختارون وبه ناظرون. فإنّ الله تعالى لا يكون لأحد

---

(١) في الأصل: انسهم.

حتى يكون له. بل لا يكون له حتى يكون لهم. فهم الذين اصطفاهم اللّه لنفسه بنفسه، واجتباهم للعباد والبلاد. فكان هو أنيسهم وجليسهم ومحدّثهم ونعيم قلوبهم وقرة أعينهم. فصارت أجسامهم مع الخلق موجودة، وقلوبهم عن الخلق مفقودة، وأرواحهم بالملكوت مُجَوّلة. فهم سرج الخلق، وبهجة أهل الصدق. فافهموا أعزّكم اللّه بما أعَزّ به أوليا[ء]ه وأهل طاعته. إن اللّه عزّ وجل اختار هذه الطائفة من بين الخلائق، واختصهم لنفسه، وعاتب نبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم لأجلهم فقال اللّه تعالى وتقدس لنبيه وحبيبه: ﴿يا محمد هؤلاء أهل الصفّة لي وأنا لهم وأنا لك وأنت لي فكن مع من لي ولا تكن مع من لستُ له ولا هو لي». وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(1). وقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾(2). وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(3). وخاطب اللّه تعالى هذه الطائفة بالإشارات وكلم الناس بالعبارات. فمن يعلم مقامات هذه الطائفة إلاّ الأولياء والأصفياء والعارفون باللّه، هؤلاء المحبّون للّه كما قال ذو النّون المصري قدس اللّه روحه:

«أحَبَّ اللّه قوماً فاستقاموا على صرف الوداد فما ناموا
سقاهم للصفا بكأس وُدِّ فصاحوا في محبته وهاموا»

قلوبهم عرشيّة، وأبدانهم وحشيّة. شجرة المحبة في قلوبهم مغروسة وإشارتهم بين الخلق جاسوسة. فالسماء سقفهم، والشمس نارهم،

---

(1) سورة الأنعام: ٥٢.
(2) سورة الكهف: جزء من آية ٢٨.
(3) سورة الكهف: الجزء الأول من آية ٢٨.

والقمر سراجهم، والمعرفة أنيسهم، والرب جليسهم، والخلق لا يلحقون مقامات هذه الطائفة. يعاملون اللّٰه بالمحبة. والخلق كلهم يعاملون اللّٰه بالعمل. هذه الطائفة ينظرون من الرب إلى الرب، والناس ينظرون من العمل إلى الربّ. هذه الطائفة لا يبالون بغير اللّٰه ولا يحبون سواه. ألا ترى [السكر] إذا بلغ درجة حال السكر لا يبالي صاحبه بعار ولا منار ولا ثنار [نثار؟] ولا بشيء مما في الدار. فقلبه طيار وبدنه سيّار، وروحه عيّار. كما قال الشبلي:

إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محبًا غير سكران

لأن المحبة إذا غلبت على صاحبها يرى الأشياء كلها بصفة صورة محبوبه كما قال الجنيد: لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول الآخر «يا أنا!» ألم تسمع قول أبي يزيد قدّس اللّٰه روحه العزيز:

أيها السائل عن قضيتنا لو ترانا لم تفرق بيننا
أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الوفا يضرب الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

فنفوس هذه الطائفة في الدنيا، وقلوبهم في العقبى، وروحهم عند المولى. وهذه الطائفة لا يخافون الحساب ولكن يخافون العتاب. ليحيى بن معاذ:

إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الودّ ما بقي العتاب

هذه الطائفة جازوا على قناطر الفتن حتى وقفوا على بساط المنن، وخوطبوا بلسان الكرم، وتُوِّجوا بتاج البهاء، وأُقْعِدُوا على بساط الصفا[ء]، فنسوا الدنيا وما فيها. نفوس هذه الطائفة عليلة، وحزنهم

طويل، ومناجاتهم مع الجليل، لو علم العبد من هو لمات فرحاً. كما قال:

إذا أصبحت لي عيداً فما أصنع بالعيد؟
أرى وجهك لي عيداً فلي عيدان في عيد

قلوب هؤلاء إلى المحبوب والهة، وعيونهم عليه باكية. كما قيل:

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وسمعي وعن قلبي حبيبي لا يغيب

قلوب شربت بكأس الوداد، فاستوحشت من جميع العباد..

قلوب انقطعت إليه بالكلية، فنجاها[1] الله من كل بليّة..

قلوب صفت من الأدناس، فصفاها من الأنفاس..

قلوب قامت مقام العاشقين، فسارت إليه مع السابقين..

قلوب كثيرة الحنين، طويلة الأنين، قليلة السكون..

كما قال:

يا طبيب: السقام داء اعتلالي، فعليل الفؤاد ليس يعاد

قلوب أيقظتها[2] المحبة[3] من منامها وأزعجها الشوق[4] عن مقامها. خلق الله تعالى هذه الطائفة للمحبة والمودة ثم قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[5].

---

(١) في الأصل: فنجاه.
(٢) في الأصل: أيقظها.
(٣) في الأصل: المحب.
(٤) في الأصل: بالشوق.
(٥) سورة المائدة: ٥٤.

ومدحهم اللَّه تعالى في كتابه فقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١). ثم وصفهم فقال: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٢).

قال ابن عطاء: «هذه الطائفة شربوا من بحر السرور فلا ترى منهم إلا طرباً وفرحاً(٣). هذه الطائفة أرباب القلوب. وحظ القلوب: الطيب والسماع والنظر». وسئل رويم بن أحمد عن وجود الصوفية عند السماع فقال: «يشهدون المعاني الذي بعدت من غيرهم، فتشير إليهم: إليّ إليّ، فيتنعّمون بذلك من الفرح، ويقع الحجاب للوقب فيعود ذلك بكاءً. فمنهم من يخرق ثيابه أسفاً، ومنهم من يصيح ومنهم من يبكي. كل إنسان على قدره». وقال عمر بن أحمد[291]: «رأيت الشبلي وعنده قَوّالٌ يقول:

شققت جيبي عليك شقًا ... وما لجيبي، أردت حقا
لو كان قلبي مكان جيبي ... لكان للشق مستحقا
أردت قلبي فنلت ثوبي ... والقلب بالحبيب قد توقا

والسماع أنس الأسماع ونزهة القلوب. والسماع قوت الروح. ومنهم من قال: «السماع صفة وحقيقة ودهش». ومنهم من قال: «السماع سرٌ وفي السر معنًى وللمعنى وقبٌ وللوقب صفاءٌ وقد قالوا ندا[ء] والوجد قصد».

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم: ٤٣.

(٣) في الأصل: ولا فرحاً.

[291] عمر بن أحمد، لم أعثر على ترجمة له.

باب أصول المشايخ في السماع:

ليس شيء أشدّ على أولياء اللّه من حفظ الأنفاس عند الأوقات. ثم قال: نفس الأولياء إذا هاج الفؤاد من نار المعرفة ونور التوحيد لا يأتي على شيء إلّا ويحرق ذلك الشيء إلى العرش. وقال رويم: الحاضرون بما يرد عليهم من الناطقين على ثلثة أوجهٍ: حاضر شاهد الوعيد فيرهب، وحاضر شاهد الوعد فيرغب، وحاضر شاهد الرب فيطرب.

واعلم وفّقك اللّه للصواب أن السماع صحيح ونطق الكتاب بذلك، ووردت السنّة. قال اللّه تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِيَ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1]. وقال: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[2]. وهذا أبْيَنُ من القول وأولى. وقال الجنيد: «السماع وارد حقٍّ يزعج القلوب إلى حقٍّ. فمن أصغى إليه بحقّ تحقّق ومن أصغى إليه بنفس تزندق».

واعلم أن السماع على وجهين: أحدهما كأنهم مخاطِبونَ اللّه عز وجل والآخر كان اللّه مخاطِبَهم. فإن الذي يخاطب اللّه عز وجل فهو العامل. والعاملون في سماعهم على قدر معاملتهم وقربهم وبعدهم. وأما الذي كان اللّه يخاطبه فهو من أعطى المجاهدة حقّها، والأحوال حظّها، وصفّى التوحيد، وتبرّأ من الحول والقوة بعد خمود البشرية، فشهد الحق سمعه بلا علّة ولا حظّ البشريّةِ فعند ذلك سمع القول بالحق وشهد به لا بنفسه. وسئل الجنيد: «ما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يتواجدون ولا يتحركون؟» قال: «القرآن كلام اللّه وهو صعب الإدراك». قيل: «فما بالهم يتواجدون ويتحركون إذا سمعوا الرباعيات؟»

---

(١) سورة الزمر: ١٨.

(٢) سورة الروم: ١٥.

قال: «لأن ذلك من كلام المحبين». وقال محمد بن عمر[292] الصوفي: «حضرت في جامع نيسابور مع جماعة من الصوفية ومعنا قوَّالٌ يقول:

«لأخرجنّ من الدنيا وحبكم بين الجوانح». لم يشعر به أحد. فأدخل بعض الصوفية رأسه في مرقعته واقتضى مرتين أو ثلثة ثم صرخ صرخة فحركناه فإذا هو ميّت.

وحكي عن بعض أصحاب الجنيد قال: «كنا مع الجنيد في جبل طور سيناء وكان معنا قوّال يقول. فتواجد أصحابنا حول الجنيد ورقصوا فإذا هو راهب ينادي وهو يقول: باللّه عليكم أجيبوني. قال: فلم يلتفتوا إليه من طيب الوقت ومما كانوا فيه. فلما أفاقوا قيل للجنيد: إن راهباً كان ينادينا ويقسم علينا بدين الحنيفية أن أجيبوني. قال: فمضى الجنيد إلى عند الراهب فنزل الراهب من صومعته فقال: «أيّما منكم أستاذ؟» فأشاروا إلى الجنيد. فقال الراهب: «ما هذا المذهب؟ وما الذي كنتم فيه من الحركات والرقص والوجد والسماع؟ أهو شيء مخصوص في دينكم أو معموم؟» فقال الجنيد: «بل هو مخصوص بشرط الزهد في دار الدنيا». فقال الراهب: «مدّ يدك يا أبا القاسم جنيد فأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هكذا وجدت في الإنجيل مكتوباً أن خواصاً من أمة محمد صلّى اللّه عليه وسلم يتحركون عند السماع بشرط الزهد في دار الدنيا؛ لباسهم الصوف وقد رضوا أمر الدنيا بكسرة وخرقة. أولئك خواص أمة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم». فقال أبو محمد الجريري: «كنا إذا حضرنا مع الجنيد في

---

[292] لعله محمد بن عمر بن خشنام البلخي.

السماع كانت الدمعة تقطر من عينيه حتى سقطت إلى الأرض». وقال إبراهيم بن شيبان: «كنا مجتمعين على جبل مع أستاذنا المغربي فكانوا يتحاورون في العلم، فوقع بصري على شاب وقد انتفخ[1] بطنه وعيناه وقد خرجتا. فقلت في نفسي: إن هذا الشاب ينشق الساعة. فتنفس وأحرق كل حشيش حوله». لبعضهم:

لقد طال شوقي يا مناي وهمتي
وجلّت همومي بالذي أنت تعرف

وصار عَليّ الأرض حلقة خاتم
وبي منك شوق دائم ليس يوصف

فإن يكن الأيام فرقن بيننا
فللدهر أيام يجور وينصف

فإن أنصفت كنا جميعاً بمنزل
وإني لأرجو[2] عن قريب سيعطف

وعن وهب [بن] منبه قال: لما خلق اللّه آدم خلقه في أحسن صورة، وألبسه حُليّ الجنّة، وحلّلها من حلة إلى حلة سبعين ألوان؛ وختمه في عشر: أصابع يديه، ورجليه، وخلخله في ساقيه، وألبسه الأسَاوِرَ في ساعديه، وطوّقه في حلقه، وتوّجه بالتاج والإكليل على رأسه وجبينه؛ وكنّاه بأحبّ أسماء ولده إليه فقال: يا أبا محمد! دُرْ في الجنة فانظر هل ترى لك شبهاً أو خُلِقَتْ أحسن منك؟ فطاف آدم في الجنة فرأى لكلِّ شيء مثل وشبه ولم ير له مثلاً ولا شبهاً في الحسن. فزها

---

(١) في الأصل: انتفح.

(٢) في الأصل: لارجوا.

وخطا في الجنة فاستحسن الله تعالى ذلك منه وناداه من فوق عرشه: أن يا آدم مثلك من زها أحببت شيئاً فخلقته فرداً لفرد. فنقل الله ذلك الزهو في ذريته فهو في الجهّال النخوة وفي الملوك الكبر وفي الأولياء الوجد.

وقال أبو الفرج الوَرَثاني[293]: حضرت ببغداد سنة ثمان وأربعين وقد حضر أبو القاسم السائح[294] في مجلس بعض الجواري فأنشأت تقول:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السُرُج

وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج

لا أتاح الله لي فرحاً يوم أدعو منك بالفرج

فقام أبو القاسم وتواجد وغشي عليه وحُمِل إلى بيته وعاش يومه ومات رحمة الله عليه. سمعت جعفر بن محمد الأبهريّ يقول[295]، سمعت أبا علي أحمد بن محمد بن مزدبر النهاوندي المعروف

[293] عبدالواحد بن بكر، أبو الفرج الورثاني (٣٧٢هـ / ٩٨٢م). رحل في طلب الحديث وسمعه، وروى عن أبي بكر الإسماعيلي وغيره. دخل جرجان سنة خمس وستين وثلاثمائة، وسمع وحدث بها بأخبار، وأحاديث وحكايات. وقدم بغداد سنة ثمان وأربعين على حد قوله (في نسيم الأرواح للسلمي: ١٨١). وتوفي بالحجاز. (اللباب: ٣/٣٥٨ ـ ٣٥٩، تاريخ جرجان: ٢١١).

[294] أبو القاسم السائح:

[295] جعفر بن محمد الأبهري: لعله أبو جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان الأبهري (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) روى جزء لوين عن أبي جعفر محمد بن إبراهيم الحزوّري. وكان من فضلاء الأدباء. حدث عنه شجاع بن علي المصقلي، وأخوه أحمد، وأبو القاسم بن مندة، وخلق آخرهم موتاً أبو بكر بن ماجه الأبهري. (سير أعلام النبلاء: ١٦/٥٥٥، الوافي بالوفيات: ٨/٤٥، شذرات الذهب: ٣/١٤٢، وغير ذلك).

بالقومسان[296] يقول، سمعت إبراهيم بن شيبان يقول، سمعت أبا عبدالله المغربي[297] يقول: (لله) أهل حلقهم(١) من نور بهائه سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، أقدامهم بين العرش والكرسي في حظيرة الأنس. لباسهم الصوف الأخضر، ووجوههم كليلة البدر من الهلال، على رؤوسهم شعر كشعر النساء، فقاموا متواجدين والهين منذ خلقوا إلى يوم(٢) ينفخ في الصور. بكاؤهم وأنينهم يسمعه أهل السموات السبع، يتهرولون من ركن العرش إلى الكرسي شبه السكارى لما بهم من شدة الولولة. فإسرافيل قائدهم ومرشدهم، وجبريل رئيسهم(٣) ومتكلّمهم، والله العزيز أنيسهم ومليكهم، وهم إخواننا في النسب وأصحابنا من أهل السماء في المذهب.

وقال أبو الحسين النوري أباح الله العلم لجميع العامّة والنّساء والصبيان، وحقّ بالمعرفة أولياءه، وبالمشاهدة أحباءه، واحتجب به بريّته؛ فإذا ظنوا أنهم قد عرفوا تحيّروا، وإذا توهموا أنهم قد كُشِفُوا احتجبوا؛ وإذا تحققوا أنهم قد شاهدوا عموا. سبحان من أمره عجيب وهو عزيز حكيم.

قال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادّعى محبة الله ولم يوافق الله

---

[296] أبو علي أحمد بن محمد بن مزدبر النهاوندي المعروف بالقومسان: لم أعثر على ترجمة له.

[297] أبو عبدالله المغربي: لم أعثر على ترجمة له أيضاً.

(١) في الأصل: أهل خلقهم.

(٢) في الأصل: نوم.

(٣) في الأصل: رأسهم.

في أمره فدعواه باطل؛ وكل محب ليس يخاف فهو مغرور. وقيل: سُمِّيت المحبة محبة لأنها تمحو أمر القلب ما سوى المحبوب.

وقال ابن عطاء: احتجب الله عن خلقه بكل شيء وتجلى لأوليائه فحجبهم به عن كل شيء فما لهم حاجة إلى غير الله.

وقال أبو العباس بن عطاء في قوله: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾(١). قال القصة مشهورة. وعلى معنى الفهم قال: قالوا يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضر بالخيانة التي خرجت منا، وبالحجاب الذي حلّ بيننا وبينك، وصار بعدك ضرّاً علينا، وجئنا ببضاعة مزجاة بهذه النفس الرّديّة ومعاملتها الدنيّة وأخلاقها القبيحة، فأوف لنا الكيل أي ارجع إلى الإحسان الأول، ولا تنظر إلى جفائنا، وتصدّق علينا. قال: فلما أذعنوا وخضعوا وعرفوا ذلّ مقامهم قال: لا تثريب عليكم اليوم، وكذلك العبد إذا اعترف بمساويه وعرف نفسه بالقسوة والجفاء عرف ربّه بالبرّ والوفاء، أنسى الله حافظيه ذنوبه ولا يعيّره.

وقال عطاء السليمي(٢)[298]: منذ عرفت الله أخاف مقته. قيل:

---

(١) سورة يوسف: ٨٨.

(٢) في الأصل: السلمي. سقطت الياء بعد اللام.

[298] عطاء السليمي، أبو عبدالله بن أبي عبيد؛ (بعد: ١٤٠هـ / ٧٥٧م). بصري، عابد من صغار التابعين. أدرك أنس بن مالك، وسمع الحسن البصري، وجعفر بن زيد، وعبدالله بن غالب الزاهد. واشتغل بنفسه عن الرواية. وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله بحيث قيل له: «أرأيت لو أن ناراً اشتعلت ثم قيل: من اقتحمها نجا، ترى كان يدخلها أحد. قال: لو قيل ذلك، لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها». وكان يقول في دعائه: «اللهم ارحم غربتي في الدنيا، وارحم مصرعي عند الموت، وارحم قيامي بين يديك». =

ولم ذاك؟ قال: لأنه يتجاوز عن الجاهل ولا يتجاوز عن العارف لأنّ من عرفه ثم ترك خدمته مقته.

وقال يحيى بن معاذ: من آثر أمر اللّه حببه اللّه إلى خلقه وإن خالفهم، ومن ضيّع أمر اللّه مقّته اللّه إلى خلقه وإن أَلِفَهُمْ.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده.

وقال... من ذاق خالص محبة اللّه شغله ذلك عن طلب الدنيا مستوحشاً عن... يع البشر وقال:

هبـك تبكي من القـطيعـة والهـجـر
فـمـاذا يـبـكـيـك عـنـد الـوصـال؟
قلت أبكي في الهجر شوقاً إلى الوصل
وفـي الـوصـل خـيـفـة مـن زوال

وسئل النصراباذي: لم تكلم النبي صلّى اللّه عليه [وسلّم] في المعرفة قليلاً؟ قال: لأنه كمُل في معرفته وكلّ من كمل في شيء أقلّ الكلام فيه.

= وقال أبو سليمان الداراني: «اشتد خوفه، فكان لا يسأل الجنة، بل يسأل العفو». وقيل: كان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها». وقال: «إذا ذكرت جهنم لا يسعني طعام ولا شراب». وربما غشي عليه عند الموعظة. وقيل: إنه شيّع جنازة فغشي عليه أربع مرات. وقيل: كان إذا جاء برق وريح ورعد قال: «هذا من أجلي يصيبكم، لو متّ استراح الناس». وله حكايات في الخوف وإزرائه على نفسه رحمة اللّه عليه. (سير أعلام النبلاء: ٨٧/٦ ـ ٨٨، صفة الصفوة: ٣٢٥/٣ ـ ٣٣١).

وسئل الشبلي فقيل له: يا أبا بكر أخبرنا عن كمال العقل وكمال المعرفة فقال: إذا كنت قائماً أُمِرْتَ تاركاً لتكليف ما كُفِيت فأنت كامل العقل؛ وإذا كنت بالله متعلقاً غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة.

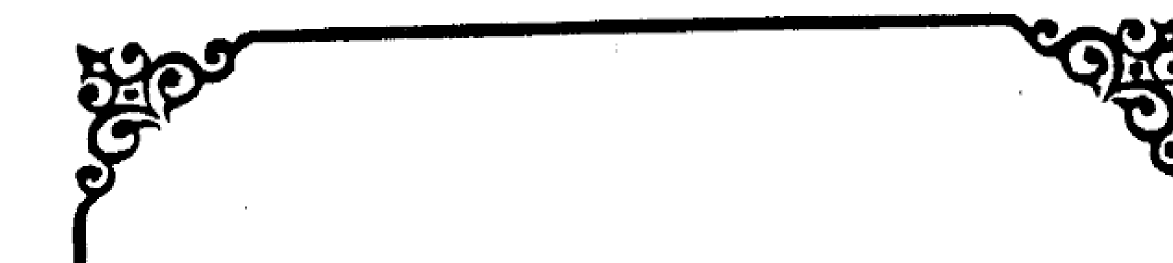
وعن بعضهم قال: دخلت مقبرة فرأيت رجلاً عليه زيّ ورأسه قد أدخله في جرّبانه؟ فقلت: هذا مجنون، فإن كان مجنوناً عاقلاً استفدت منه، وإن كان جاهلاً أحسنت إليه فتقدمت إليه، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا شغل؛ فقلت: يا نفسي هذا كلام كبار الناس فلم لا أسأله عن اسمه فقلت: أبو من؟ فقال أبو مدافع الأوقات. فقلت له: تعرفني؟ قال: لا أبالي عرفتك أم لا. فقلت له: أحبَّتك نفسي. فقال: ليس إلى ذاك حاجة. فقلت له: ما تصنع في هذا الموضع؟ قال: ألتمس العيش، فقلت: وأيّ عيش بين الموتى؟ فقال: أنا بين قوم ما دمت فيهم لا يؤذونني، وإذا غبت عنهم لا يغتابوني. فعرفته فإذا هو خالد الكاتب[299] رضي الله عنه وعن المشايخ أجمعين.

* * *

[299] هو خالد بن يزيد، أبو الهيثم التميمي. كان أحد كتّاب الجيش ببغداد، وله شعر مدوّن، وشعره كلّه في الغزل. وعاش دهراً طويلاً، واختلط في آخر عمره. ويقال: إنه عاش إلى خلافة المعتمد. (تاريخ بغداد: ٣٠٨/٨ ـ ٣١٤).

این صفحه در اصل کتاب ناقص است





بيان زلل الفقراء

كتاب بيان زلل الفقراء ومواجب آدابهم

تأليف الشيخ الإمام العارف المحقق

أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي

قدّس الله روحه العزيز

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



بيان زلل الفقراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أوّلاً وآخراً وصلّى الله على سيّدنا محمد النبيّ وآله وسلّم كثيراً. أمّا بعد فإنه لما ظهر في فقراء الوقت من التعزّز بالفقر والتكبّر به، والصّول على الخلق ما زاد على تيه الأغنياء وتكبّرهم وتجبّرهم، غار بعض مشايخنا تولّى الله رعايته على ما أحدثوه من الرّسوم الطبيعيّة التي هي خلاف أخلاق مشايخهم وسألني أنْ أجمع فصولاً أبيِّن فيها سبيل الفقر وطريقته وأخلاقه وآدابه ومن أين ضلّوا عن سواء السبيل، وتوهّموا الباطل حقّاً، والخطأ صواباً، فاستخرت الله تعالى في جمع حروفٍ وفصولٍ منه على حدّ الاختصار يستدلّ به الناظرُ على طريقة الحقّ في الفقر والتّرسيم به من غير حقيقة، واستعنت بالله تعالى فيه وهو جلّ وعزّ خيرُ معين.

فاعلم أسعدك اللّهُ بنور التوفيق أن الفقر أحد أوصاف العبوديّة وليس في العبوديّة تعزّزٌ ولا تكبّرٌ، إنما هو الانقياد والخضوع. قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مملوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ﴾[1]. فمن ظنّ

---

(١) سورة النحل: ٧٥.

أنّه يقدر على شيءٍ أوْ له حالٌ أو مقامٌ أو درجةٌ فهو خَالٍ من أوصاف العبوديّة التي أحد أوصافها الفقر؛ والفقر لباسٌ يورث الرضاء إذا تحقق العبد فيه. وللفقر ثوب سَدَاه القناعةُ ولحْمتُه التواضع. والفقير إذا ترك ظاهر الكسب فقد ألْحَفَ في السؤال، وإذا لبس المرقّعة فقد ألْحَفَ، وإذا تكبّر بفقره على الأغنياء فقد أظهر محل الدنيا وأبنائها في قلبه؛ لأنه لو لم يكن للدنيا في قلبه قدْرٌ لما كان يتكبّر على الخلق بتركها. وقد قيل: من يكون للدنيا عنده قَدْرٌ لا يكون له عند اللّه قدْرٌ.

والفقير من يجهلُه من ليس في درجته ومقامه. قال اللّه تعالى في صفة الفقراء: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[1] وذلك لصيانتهم لفقرهم وسكونهم إلى عدم المألوفات وتركهم إظهارَ فقرهم وشكايَته بحالٍ. ثم قال اللّه تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ وإنما يعرفهم من هو في درجتهم من الفقراء دون غيرهم. وذلك السِّيما خشوعُ بواطنهم، وخضوعُ ظواهرهم، واستكانتهم في أحوالهم، وتَذَلُّلهمْ في أنفسهم، ونصيحتُهم الإخوان، واحترامُهم للمشايخ، ورحمتهم مَنْ ابْتلاه اللّه تعالى بما نزّههم عنه. ثم قال اللّه جلّ ذكره: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ [النَّاسَ] إلحافاً﴾ كلّت ألسنتُهم عن سؤال من يملك الكلّ لرضاهُم بما هم فيه وسكونهم إليه؛ فكيف يسألون من لا يملك؟ وذلك لعلمهم أنّ الفقر سِرٌّ من أسرار اللّه تعالى لا يُودعُ إلاّ الأمناء من العباد من يُخْفيه ويأنَسُ به ولا يتكبّر بإظهاره على الخلق. فإنّ الفقير من لا يَعْرِفُه بفقره إلاّ الذي يقدر على أن يُغْنِيه بوصله مِن فقره إلى مراده. فمن أظهر فقرَه إلى

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

الخلق، وصال به عليهم فقد خرج من حدودِ الفقراء ودخل في حدّ المحتاجين.

والتواضع في الفقر أن لا يقع بصرُه على أحدٍ إلا رأى فضله بمشاهدة نقصانه، فإنه من نقصانه على يقين؛ ومن عيوبهم على توهُّمٍ؛ فمن رضي عن نفسه بعد علمه بها فقد أَظْهَرَ جَهْلَه. ولا يتكبَّرُ أَحَدٌ إلّا بعد رضاه عن نفسه، فإذا رضي حالَهُ استَعْظمه، ومَن استعظم شيئاً من أحواله صَغَّره الله تعالى به وذَلَّلَهُ فيه.

وعلامة المتسوِّق بفقره طلب الشهوة والذكر به، وعلامة المتحقِّقِ فيه طلبُ الخمول والكون مع الناس كواحدٍ منهم، وطلب الزيادة فيما بَيْنه وبين ربّه بآداب فقره. فهو في الظاهر كعوام الخلق وفي الباطن كخواصِّ الأولياء.

والفقر المحمود هو خلوّ السرّ عن الكون بما فيه. والافتقارُ إلى اللَّهِ تعالى ظاهراً وباطناً. والفقر المذموم هو ترك الدنيا في عينه وذلك لاسْتحسانِ حالِهِ عِنْدَه ومن اسْتَحْسَنَ شيئاً مِنْ أحواله حرم بركتها وحمله ذلك على ركوب الدعاوى المُهْلِكة.

والفقير من تزيَّن فقرُه بنفسه لا من تزيَّن نفسه بفقره. والدّنيا كلها شيئان: طلب القبول وحبّ الرياسة، فمن أحبّهما فقد استولى به على الدنيا من حيث يظنّ تركها. وإنّ أبناء الدنيا وطالبيها يبذلون ما يملكون في طلب هاتين المنزلتين. فمن طلبها من الفقراء فقد أربى على أبناء الدنيا وهم أحسنُ حالاً منه؛ لأنهم طلبوه بالأسْبَابِ وهو طلبه بالدين!

ولا يصل أحدٌ إلى حقيقة الفقر إلّا بعد أنْ يكون دُخُولُهُ فيه من

وجهه ومقامه على آدابه. ووجوه دخوله إسقاط كلّ العلايق من سرّه واستعمال العلم في ظاهره. وأدبُ مقامه فيه: السّكينة، والوقار، والتواضع، والإيثار، وإسقاط حظوظ النفس، وهجرانُ مألوفات الطبع، وتصغير النفس وتعظيم الخلق، والتنزّه عن الإرفاق والاعتماد على الكافي وهو صدق الاستناد إلى ضمانه.

والفقر هو الخلوّ عن جميع الأخلاق الطبيعيّة، والتّخلي به عن كل مذموم من الأفعال والأحوال والأقوال خصوصاً الأشر والكبر فإن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم لعن العائل المزهوّ. ولا يفتخر العبد بشيء من حالاته إلاّ إذا استلذّه واستحلاه وذلك من الأحوال المذمومة. كذلك سمعت أبا عمرو بن مَطَرٍ[300] سمعت أبا عثمان الحيريّ يقول: «كلّما تستلذّ النفس به من طاعة فهو شهوة». وتعزز(١) الفقراء في التواضع والتذلّل كما أنّ تعزّز الأغنياء بالتّصلف والتكبر. فإذا تكبّر الفقير بفقره صار أذلّ من تعزّز الأغنياء بغناهم. سمعت أبا زيد محمد بن أحمد الفقيه[301] يقول، سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: «ما أعزّ اللّهُ عبداً بعزٍ أعزّ له من أن يدلّه(٢) على ذلّ نفسه وما أذلّ اللّه عبداً بذلّ أذلّ له من أن

---

[300] أبو عمرو بن مطر:

(١) في الأصل: وعز.

[301] محمد بن أحمد بن عبداللّه بن محمد، أبو زيد المروزي الفقيه (٣٧١هـ / ٩٨١م)، كان أحد أئمة المسلمين، حافظاً لمذهب الشافعي، حسن النظر، مشهوراً بالزهد والورع. ورد بغداد وحدث بها، ثم خرج إلى مكة فجاور بها. توفي بمرو يوم الخميس، الثالث عشر من رجب. (تاريخ بغداد: ١/ ٣١٤).

(٢) في الأصل: يذلّه.

يحجبه عن ذلّ نفسه». وإنما يتولّد تكبّر الفقير بفقره من ترك رياضة النفس في حالة الإرادة، وترك أخذ الطريقة من المشايخ والأئمة، فتقتله النفس ولا تنقاد له. ولو حملها على الرّياضات والتهاون بها يعني النفس لما ترعّنَتْ بإظهار الكبر: سمعت عبدالله بن محمد الرّازي[302] يقول، سمعت محمد بن الفضل[303] يقول: «الأصل الّذي يتولّد منه صحة الفقر هو الزهد في الدنيا والنفس والتهاون بهما. وإنما يصح للفقير مقام الفقر إذا عرف عيوب قصوره عن مواجب الفقر وعجزه عن القيام بآدابه ويرى فضل الأغنياء عليه. فإن خير الناس من يرى الخير في غيره. كذلك سمعت جدّي قال، سمعت أبا عبدالله السِّجزيّ[304] يقول: «لك فضل ما لم تر فضلك فإذا رأيت فضلك فلا فضل لك».

ولا يعرف الفقير قصورَه عن مواجب الفقر إلاّ بنظره إلى السّلف



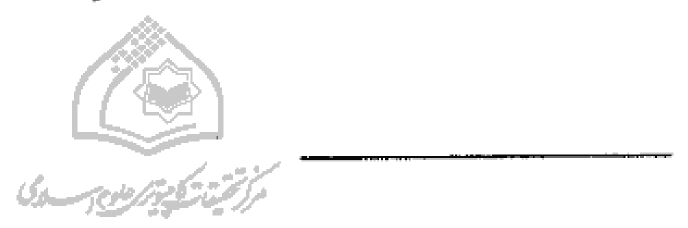
[302] عبدالله بن محمد الخرّاز الرازي، أبو محمد (قبل: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، من كبار مشايخ الرازيين. جاور بالحرم سنين كثيرة، وهو من الورعين القائلين بالحق، والطالبين قوتهم من وجه حلال. صحب أبا عمران الكبير، ولقي أبا حفص النيسابوري، وأصحاب أبي يزيد، وكانوا يعظّمونه ويعظّمون شأنه. قال أبو حفص: «نشأ بالريّ فتى إن بقي على طريقته وسَمْته صار من أحد الرجال». (طبقات الصوفية: ٢٨٨ ـ ٢٩٠، نتائج الأفكار: ١/١٧٥ وغير ذلك).

[303] لعله محمد بن الفضل السدوسي، سبقت ترجمته تحت رقم: ٥٤ أو هو محمد بن الفضل البلخي سبقت ترجمته أيضاً.

[304] أبو عبدالله السجزي. صحب أبا حفص، وهو من كبار مشايخ خراسان وفتيانهم. قطع البادية مراراً على التوكل. (طبقات الصوفية: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، حلية الأولياء: ١٠/٣٥٠).

الأوّل من الصحابة رضي اللّه عنهم. فإن اللّه تعالى وصفَهم في فقرهم في قوله تعالى: ﴿للفقراء الّذين أحصروا في سبيل اللّه..﴾ الآية(١)، فينظر هل تكبّر أحدٌ منهم بذلك الحال أو رفع به رأسه أو زادهم ما وصفهم اللّه تعالى به من هذه الأوصاف إلاّ خضوعاً واستكانة، فهم الأصل في الفقر والمتحققون فيه والقدوة. ما تكبّر أحدٌ منهم بفقره ولا تعزّز به. فمن قصرت حاله عن أحوالهم وما صحّ له بخبر الصدق من اللّه عزّ وجلّ فتكبّر به أو تعاظم؛ هل هو إلاّ لعب الشيطان به ومتابعة الطبع ورعونة النفس.

ويصحّ للفقير فقره إذا يرى من التكلّفِ ولزم ما يوجبه عليه العلم في وقته. سمعت عبداللّه بن علي[305] يقول: سمعت محمد بن



---

(١) سورة البقرة: ٢٧٣.

[305] هو عبداللّه بن علي بن محمد بن يحيى، أبو نصر السراج الطوسي (٣٧٨هـ / ٩٨٨م)، مصنف كتاب اللمع في التصوف. روى عن جعفر الخلدي، وأبي بكر محمد بن داود الدقي، وأحمد بن محمد السايح (نفحات الأنس). يقول الهجويري في كشف المحجوب: «إن أبا نصر السراج وفد في رمضان إلى بغداد، فأفرد له غرفة خاصة في جامع الشونيزية، وأعطي رئاسة الدراويش، وأنه كان في صلاة التراويح يختم القرآن خمس مرات. توفي في رجب. (من مقدمة كتاب اللمع للدكتور عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور، ص ١٢ ـ ١٤). قال الذهبي: «كان المنظور إليه في ناحيته في الفتوّة ولسان القوم مع الاستظهار بعلم الشريعة». وقال السخاوي: «كان على طريقة السنة». (شذرات الذهب: ٣/٩١).

قاسون[306] يقول: سمعت إبراهيم القصار[307] يقول: «منذ ثلاثين سنة ما رقعت خرقةً على خرقةٍ ولا سألت أحداً ولا عارَضْت».

ومن آداب الفقير ما سمعت عبدالله بن محمد الرازي يقول؛ سمعت أبا علي الجوزجاني(١)[308] يقول: نتائج الأحوال السنيّة من معانقة الفقر وهو طلب معايب النفس، ومداواتها بدوائها، وكثرة مراقبة القلب وما يطرى عليه من الموارد.

والسعيد من وفّق لقبول موارد الصدق، والشقيّ من لا يميّز بينهما فيأنس مع كل خاطر ويغترّ بكل كرامة فينسيه ذلك رؤيةَ المنّةِ فيتكبّر ويتجبّر ويصول على الأشكال. قال الله عز وجل: ﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.. الآية(٢). ومتى ما بقي للفقير في نفسه نفسٌ أو رجوعٌ إلى سَبَبٍ، أو مطالبة أحدٍ بصدق حالٍ، فهو خالٍ عن

---

[306] محمد بن قاسون، لم أعثر على ترجمة له.

[307] إبراهيم بن داودالقصّار، أبو إسحاق الرَّقّي (٣٢٦هـ / ٩٣٧م)، من جلّة مشايخ الشام، وكان لازماً للفقر، مجرّداً فيه، محبًّا لأهله. (طبقات الصوفية: ٣١٩ ـ ٣٢١، صفة الصفوة: ٤/١٩٧).

(١) في الأصل: الجورجاني.

[308] الحسن بن علي، أبو علي الجوزجاني. من كبار مشايخ خراسان. له التصانيف المشهورة. تكلّم في علوم الآفات، والرياضات، والمجاهدات. وربما تكلّم أيضاً في شيء من علوم المعارف والحكم. صحب محمد بن علي الترمذيّ، ومحمد بن الفضل، وهو قريب منهم سناً. (طبقات الصوفية: ٢٤٦ ـ ٢٤٨، حلية الأولياء: ١٠/٣٥٠، طبقات الشعراني: ١/١٠٥).

(٢) سورة المجادلة: ١٩.

آداب الفقر. كذلك سمعت عبدالله بن محمد الدمشقي[309] يقول، سمعت إبراهيم بن الوليد[310] يقول، سمعت أبا عبدالله بن الجلاء وقد سُئِل: «متى يستحق الفقير اسمَ الفقر؟» فقال: «إذا لم يبق عليه بقيّةٌ منه». فقلت له: «يا سيّدي وكيف ذلك؟» فقال: «إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فليس له».

والفقير هو يلزم آداب الفقر، ولا يتطرّق إلى الرّخص فيه بأسامٍ(١) أحدثها من لم يعرف آداب الفقر وحقائقه. فإن ذلك ممّا يسقط الفقير عن درجاتٍ، ويردُّه إلى ملازمة العادة والطبع. سمعت محمد بن عبدالعزيز المروروذيّ[311] بمَرْوَ[312] يقول، سمعت أبا بكر الواسطيّ يقول: «جعلوا سوءَ آدابهم إخلاصاً، وشرّ نفوسهم انبساطاً ودناءة الممسّة جلادةً فعموا عن الطريق. وسلكوا منه المَضيق، فلا حبًّا تمنوا في شواهدهم

---

[309] عبدالله بن محمد الدمشقي. من مشايخ السلمي، ولم يترجم له. وهو من أصحاب الشبليّ على ما يفهم من قوله في طبقات الصوفية (ص ٣٤٤، ٣٤٦) ولم أعثر على ترجمة له.

[310] لعلّه إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولّد الرقّي، أبو الحسن الزاهد، الصوفي (٣٤٢هـ / ٩٥٣م). واعظ، شيخ الصوفية. أخذ عن الجنيد وجماعته. (شذرات الذهب: ٣٦٢/٢).

(١) في الأصل: باسامي.

[311] محمد بن عبدالعزيز المروزي، من مشايخ السلمي، ولم يترجم له في طبقاته.

[312] مرو: مرو الشاهجان، أشهر مدن خراسان وقصبتها. والنسبة إليها مروزيٌّ على غير القياس. ويقال: المروالرُّوذيّ أيضاً. والرّوذ: نهر بالفارسيّة. وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً، ومنها إلى سرخس ثلاثون، وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخاً، اثنان وعشرون منزلاً. فتحها المسلمون ٦٥١م. وهي الآن تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، ٥٧٠٠٠ نسمة. مصدر ثروتها الزراعة. (المنجد، ومعجم البلدان).

ولا عبادة. إن نطقوا فبالغضب، وإن خوطبوا فبالتكبر». ووجدت بخطّ أبي[313] رحمه الله: كنت سمعت أبا العبّاس الدينوري[314] يقول: «قد نقضوا آداب التصوّف والفقر وهدموا سبلهما بأسامٍ(۱) أحْدثوها فسمّوا الطّمع زيارةً، وسوء الطبع إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحاً، والتلذّذ بالمذموم طيبةً، واتباع الهوى ابتلاءً، والرجوع إلى الدنيا وصولاً، وسوء الخُلُقِ صَوْلَةً، والبخل جلادةً، وبذاء اللسان ملامةً، وما كان هذا طريق الحق. والعجب والكبر من قلة المعرفة بالنفس. فمن عرف ما هو ومن هو ومن أيّ شيء هو وما هو مطالبٌ به في كل نَفَسٍ وحالٍ وتقصيره فيما هو مُطالبٌ به أسْقط عنه التكبرَ». سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: «العُجْبُ يمنع من معرفة قَدْر النَّفْس». وقال أبو عثمان الحيري: «الفقير إذا تكبَّر فقد أظهر نذالته، لأنه لبس لباس التواضع والذّلّة فإذا تكبّر في لباس التواضع والذّلّ فقد صار شيطاناً».

والفقير إذا أصبح فإن الواجب عليه أن يرى حاجته إلى الله عزّ وجلّ لا إلى الخلق ولا يجعل نفسه بمحلٍ يكون لأحدٍ إليه حاجة(۲)

---

[313] هو أبو مؤلفنا الحسين بن موسى الأزدي (٣٤٠هـ / ٩٥١م).

[314] أحمد بن محمد، أبو العباس الدينوري (بعد: ٣٤٠هـ / ٩٥١م). صحب يوسف بن الحسين، وعبدالله الخرّاز، وأبا محمد الجريريّ، وأبا العباس بن عطاء، ولقي رويماً. وهو من أفتى المشايخ وأحسنهم طريقة واستقامة. ورد نيسابور وأقام بها مدة. وكان يعظ الناس ويتكلّم على لسان المعرفة بأحسن كلام. ثم رحل من نيسابور إلى سمرقند، ومات بها. (طبقات الصوفية: ٤٧٥ ـ ٤٧٨، حلية الأولياء: ١٠/٣٨٣، الرسالة القشيرية: ٣٨، نتائج الأفكار القدسية: ٢/٩ ـ ١٢، طبقات الشعراني: ١/١٤٣).

(۱) في الأصل بأسامي.

(۲) في الأصل: حاجته.

وإذا لم يفتقر بكليّته ظاهراً وباطناً لا يصحّ له مقام الفقر. ثم ربما يردُ عليه ما يقطعه عن أسباب الحاجات وذاك إذا استغنى بربّه عزّ وجلّ عن الأكوان وما فيها ومن فيها دخل في جملة الراضين، حينئذ تسقط عنه رؤية الخلق والاشتغال بهم. كذلك قال أبو عبدالله الجلاء: «إذا تحقّق العبدُ في الفقر، ألبس لباس الرضا زاده الله شفقةً على الخلق وستر عليهم عيوبهم وقام بالدعاء لهم والتحنّن عليهم. وهذا من مقامات الفقراء الصادقين. فإذا رأيت الفقير يرفع رأسه بفقرٍ على غنيٍ أو صاحب دنيا فقد أخبر عن قَدْر الدنيا وما فيها من قلبه؛ لأنّه يرى أنّ له بتركها منزلةً أو مقاماً أو رفعةً؛ والفقير الصادق في فقره يختار عزّ غيره على عزّه، وذُلّ نفسه على ذُلّ غيره. سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول، سمعت محمد بن علي القومسي[315] يقول: وَجّه عصامٌ[316] إلى حاتم[317] شيئاً فقَبِله فقيل له: «لِمَ قبلت ذاك؟» فقال: «وَجَدْتُ في أخذه ذُلّي وعزّه وفي ردّه عزّي وذُلّه فاخترت عزّه على عزّي وذلّي على ذُلِّه».

والفقير إذا تعزّز بفقره وتكبّر به فقد سقط عن درجة الفقراء لأنه أحبّ أن يعظَّمَ به ويُحْمَدَ عليه ويتكبّر على أبناء الدنيا بفقره وذاك ثمن فقره؛

---

[315] لعلّه: أبو محمد، عبدالله بن علي بن الحسن القومسي (٢٦٩ ـ ٣٦٧هـ / ٨٨٢ ـ ٩٧٧م). كان فقيهاً، درس على أبي إسحاق المروزي. وكان قاضي جرجان. روى عن أبيه، ومحمد بن هارون الحضرمي، والبغوي وغيرهم. توفي ليلة الأحد لست بقين من شهر ربيع الآخر (تاريخ جرجان: ٢٩٦، حيدرآباد الدكن ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

[316] عصام: ؟

[317] هو حاتم الأصمّ، من قدماء مشايخ خراسان، بلخيّ. سبقت ترجمة له.

ولو كان صادقاً فيه لستَر فقره عن أن يطَّلع عليه أحدٌ. فإن بعض الفقراء دخل على بعض المشايخ فقال له: «أيش أنت؟» فقال: «فقير». فقال: «كذبْتَ، الفقرُ سرّ الله لا يودِعُه مَنْ يظهر».

وإذا صدق العبد في حالٍ من أحواله رُفِع ذلك ولم يقع له إليها التفاتٌ ولا بها اعتداد. لأنّ المقبول مرفوع. كذلك سمعت جدّي إسماعيل بن نُجيْدٍ يقول، سمعت عبدالله بن محمد بن مسلم الاسفرائني[318] يقول، سمعت أبا سعيد البصري[319] يقول، قال علي بن الحسَيْن[320]: «كل شيءٍ من أفعالك اتصلت به رؤيتك فذاك دليل أنّه لم يُقْبَلْ منك لأن المقبول مرفوعٌ مغيّبٌ عنك؛ وما انقطعت عنه رؤيتك فذاك دليل القبول».

وأدْوَنُ الفقراء من لم يصحّح مقام الفقر ولم يتأدّبْ بآدابه يفتخر به ويدّعي فيه الدّعاوى العظيمة. سمعت محمد بن أحمد[321] يقول،

---

[318] عبدالله بن محمد بن مسلم، أبو بكر الإسفراييني (٢٣٩ ـ ٣١٨هـ / ٨٥٣ ـ ٩٣٠م)، إمام حافظ، متقن، أحد الرحّالين من قرية جوريذ من قرى إسفرايين. سمع، وجمع، وصنف. قال الحاكم: «هو ختن بُدَيل الإسفراييني، من الأثبات المجوّدين في أقطار الأرض». انظر ترجمته: (تذكرة الحفاظ: ٣/٧٩٢ ـ ٧٩٣، سير أعلام النبلاء: ١٤/٥٤٧ ـ ٥٤٨، معجم البلدان: ٢/١٨٠، اللباب: ١/٣٠٦، شذرات الذهب: ٢/٢٧٩).

[319] أبو سعيد البصري:

[320] علي بن الحسين: لعلّه علي بن الحسين بن حرب القاضي، أبو عبيدة بن حربويه (٣١٩هـ / ٩٣١م). ثقة جليل مشهور. جزم الدارقطني بأن النسائيّ أخرج له. (تقريب التهذيب: ٢/٣٥).

[321] لعلّه محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسين الفارسي.

سمعت أبا بكر الشّاشي الحكيم[322] يقول: «علامة النفاق أن يكون نفس عاصية، وقلبٌ معرضٌ ودعوىً ربَانّي». وليس بفقير من لم يرض نَفْسَه في ابتدائه على التّعفّف بالكسب، ثم بعده على ذلّ السّؤال والوقوفِ عند الرّدِ من غير كراهيةٍ. سمعت عبدالله بن محمد المعلّم[323] يقول، سمعت عبدالله بن منازل[324] يقول: لا خير فيمن لم يَذُقْ طعم ذُلّ المكاسب والسؤال وإهانة الرّدِ».

والفقير يجب أن يكون فقره بعلم. فإذا كان فقره بعلمٍ أورثه ذلك السكون فيه وقلة الْجَزَع منه والرضا. ثم يبدو فيه من المكارِه والانكسارِ في نفسه وقلّة الدعوى به. كذلك قيل لبعض مشايخنا: «أوصنا» فقال: «أوصيكم بفقيرٍ عالمٍ بآداب فقره، يُؤَدِّبكم بأخلاقِه، ويعظكم

---

[322] لعلّه الإمام العلاّمة أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفّال الشاشي (٢٩١ ـ ٣٦٥هـ / ٩٠٣ ـ ٩٧٥م)، عالم خراسان. قال الحاكم: «كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول وأكثرهم رحلة في طلب الحديث». وقال الحليمي: «كان شيخنا القفال أعلم من لقيته من علماء عصره». سمع من كثير، وحدّث عنه كثير، منهم ابن منده، والحاكم، والسلمي. فهو محدّث ومفسّر، وأصوليّ ومتكلّم. (سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٨٣ ـ ٢٨٥).

[323] هو عبدالله بن محمد بن فضلويه المعلّم. من أساتذة السلمي، روى عنه السلمي عن كثير من المشايخ. ولم أعثر على ترجمة له.

[324] عبدالله بن محمد بن منازل، أبو محمد النيسابوري الزاهد (٣٢٩هـ / ٩٤٠م). صحب حمدون القصّار، وأخذ عنه طريقته. وهو من أجلّ مشايخ خراسان، له طريقة يتفرد بها. وكان عالماً بعلوم الظاهر. كتب الحديث الكثير ورواه. وكان أبو علي الثقفي يحترمه ويبجّله، ويرفع من مقداره ومحلّه. مات بنيسابور. (طبقات الصوفية: ٣٦٦ ـ ٣٦٩، الرسالة القشيرية: ٣١، طبقات الشعراني: ١/٨٥، شذرات الذهب: ٢/٣٣٠).

بمعاملاته، وينصحكم بلسان الشفقة، لا يَعْتب على مُقَصِّرٍ، ولا يحقد على مخالفٍ له».

والفقير من يضع نفسه بحيث لا يحسن أحدٌ أن يضع عنه. أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازيّ[325] قال، ثنا العباس بن حمزة[326] قال، ثنا أحمد بن أبي الحواري قال، سمعت أبا سليمان الداراني يقول: «ما رضيت من نفسي طرفَةَ عينٍ ولو أنّ أهل الأرْض اجتمعوا على أن يضعوني كإيضاعي عند نفسي ما حسنوا».

ومن علامة الفقير الصادق أن يذلّ بعد العزّة، ويخفى بعد الشهرة، ويُرَدّ بعد القبول، ويُجْفى(1) بعد البرّ لعزّ إيجاب الفقر فإنه يفقره في كلّ حال عن موجبه فيه. سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي[327]

---

[325] محمد بن أحمد بن سعيد الرازي. قال الذهبي: «لا أعرفه، لكن أتى بخبر باطل هو آفته: أخبرنا بلال المغيثي، أخبرنا ابن رواج، أخبرنا السلفي، أخبرنا الثقفي، حدثنا السلمي إملاء، حدثنا أبو جعفر محمد بن سعيد، حدثنا أبو وارة، حدثنا الفريابي، حدثنا سفيان، عن السّديّ، عن عبد خير قال: كان لعليّ أربعة خواتيم يتختم بها: ياقوت لقلبه، وفيروز لبصره، وحديد صينيّ لقوّته، وعقيق لحرزه... ذكر الحديث». (ميزان الاعتدال: ٣/٤٥٧ ـ ٤٥٨).

[326] العباس بن حمزة بن عبدالله، أبو الفضل النيسابوري، الواعظ (٢٨٨هـ/ ٩٠٠م). صاحب لسان وبيان. رحل في طلب الحديث، وسمع بدمشق أحمد بن أبي الحواري، وصحب ذا النون بمصر. كان يصوم النهار ويقوم الليل. توفي في شهر ربيع الأول. (تاريخ دمشق: ١٩/٣٦٣ ـ ٣٦٦، طبقات الصوفية: ص ٢٥، حاشية: (١)).

(١) في الأصل: ويجفا.

[327] أبو القاسم جعفر بن أحمد الرازي. لم أعثر على ترجمة له.

يقول: «أوائل بركة الدُّخول في الفقر والتصوف التواضع، وترك التكبّر، والسرور بالفقر، وخدمة الرفقاء، ورؤية فضلهم، والإحسان إلى جميع الخلق مؤمنِهم وكافرهم ما لم يكن فيه خرْق شريعةٍ أو دخولٌ في مكروهٍ».

ومن دناءة الفقير أن يورثه فقره تكبُّراً وتعظيماً. سمعت الشيخ أبا الوليد الفقيه[328] يقول، سمعت محمد بن مندور الهروي[329] يقول، سمعت عثمان بن خرزاد[330] يقول، سمعت عبدالرحمن بن عبدالأعلى[331] يقول، سمعت

---

[328] هو حسّان بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابوري، أبو الوليد الفقيه (٢٧٧ ـ ٣٤٩هـ / ٨٩٠ ـ ٩٦٠م). الإمام الحافظ المفتي، شيخ خراسان، شافعي، عابد. سمع من أبي عبدالله محمد بن إبراهيم البوشنجي، وابن خزيمة، وعدّة بلده وغيرهم. حدّث عنه الحاكم، وابن منده، وعدة. وصنف «المستخرج على صحيح مسلم» و «الأحكام» على مذهب الشافعي. وكان من أركان الدين. سئل أبو علي الثقفي: «من نسأل بعدك»، فقال: «أبا الوليد». (تذكرة الحفاظ: ٣/٨٩٥ ـ ٨٩٧، سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٩٢ ـ ٤٩٦، طبقات الشافعية الكبرى: ٣/٢٢٦ ـ ٢٢٩، البداية والنهاية: ١١/٢٣٦ وغير ذلك).

[329] محمد بن مندور (لعله منصور) الهروي. لم أعثر على ترجمة له.

[330] هو عثمان بن عبدالله بن محمد بن خرزاذ الأنطاكي، أبو عمرو (٢٨١هـ / ٨٩٥م). محدث أنطاكية. سمع عفان، وأبا الوليد الطيالسي، وعمرو بن مرزوق وطبقتهم. حدّث عنه النسائي ووثّقه، وأبو عوانة، وابن جوصاء وآخرون. قال الحاكم: ثقة مأمون. (تذكرة الحفاظ: ٢/٦٢٣ ـ ٦٢٤).

[331] عبدالرحمن بن عبد الأعلى:

الأَصْمَعِيّ[332] به يقول: «الشريف إذا نسك تواضع، والسفيه إذا نَسَك تعاظم».

ومن مواجب الفقر وآدابه ما سمعت منصور بن عبدالله يقول، سمعت الحسن بن عَلَّوَيْه[333] يقول، سمعت يحيى بن معاذ الرازيّ يقول و (قد سئل) «متى يصح للفقير أن يدعي التصوّف؟» فقال: «لست أرى له ذلك حتى يُحْكِمَ من نفسه هذه الخصال: أن يعرض عن الدنيا بالكليّة ويعذِر طالبيها ولا يأتي عليه ساعة إلا وهو مشتغل بفرض أو سنّة أو بنافلة، لا يتفرّغ من أوراده إلى قبول الخلق وردّهم، ولا يدّخر شيئاً، ولا يكون له في قلبه على أحدٍ غشٌ ولا حقدٌ، ولم يفسد رؤية الناس عمله، ولا يُورِثُهُ العُجْبَ ثناءُ الناس عليه، ولا يتبين فيه الفتور بإعراضهم

[332] الأصمعي: هوأبو سعيد عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك الأصمعي البصري (بضع و ١٢٠ _ ٢١٥ أو ٢١٦هـ/ ٧٣٧ _ ٨٣٠، ٨٣١م) أحد الأعلام. حافظ أديب حدث عن ابن عون، وسليمان التيمي، وأبي عمرو بن العلاء، وخلق كثير. حدث عنه أبو عبيد، ويحيى بن معين، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وخلق كثير. قال: «أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة». وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة. وكان يتقي أن يفسر الحديث، كما يتقي أن يفسر القرآن. قال المبرّد: «كان الأصمعيّ بحراً في اللغة، لا نعرف مثله فيها. وكان أبو زيد انحى منه». وله مصنفات كثيرة فقد أكثرها. (التاريخ الكبير: ٤٢٨/٥، الجرح والتعديل: ٣٦٣/٥، سير أعلام النبلاء: ١٧٥/١٠ _ ١٨١، تهذيب التهذيب: ٤١٥/٦).

[333] هو أبو محمد، الحسن بن علي بن محمد بن سليمان بن علّويه البغدادي، القطّان (٢٠٥ _ ٢٩٨هـ/ ٨٢٠ _ ٩١٠م)، إمام ثقة. سمع عاصم بن علي، وبشار بن موسى وجماعة. وعنه: النجّاد، والشافعي، وأبو علي بن الصواف وغيرهم. وثّقه الدارقطني والخطيب. مات في ربيع الأول. (تاريخ بغداد: ٢٤١/٧ _ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء: ٥٥٩/١٣ وغير ذلك).

عنه؛ ثم يعلم مع هذا أنَّ من يدّعي الفقر وهو يحسن الكَسْب فَقُعُودُهُ(١) عن الكسب إلحافٌ في السّؤال، إلاّ رجلاً يقعد على الفتوح لا يرى من نفسه شرها ولا طلباً ولا استشرافاً بل يقعد مع الله عز وجل على حدّ الرضا فلا يـؤثر فيه العدمُ ولا يسكن عند الوجود، كلا الحالين عنده واحد. سمعت عبدالله بن محمد بن فضوليه(*) يقول، سمعت عبدالله بن منازل يقول، سمعت حمدون القصّار يقول: «في قعود المرء عن الكسب إلحافٌ في المسئلة».

ثم بعد هذا يرى أنّ ما يفتح له من غير سؤالٍ ولا شَرَه نفسٍ ولا طلبٍ أنّ ذلك محنة وبلاء إلاّ وقت الاضطرار. سمعت محمد بن عبدالله الطبريّ يقول، سمعت خير النسّاج[334] يقول: «دخلت بعض

---

(١) في الأصل: فقعدوه.

(*) عبدالله بن محمد بن فضولية (لعله تصحيف من فضلويه) سبقت ترجمته إن كان عبدالله بن محمد بن فضلويه المعلم.

[334] خير النسّاج، أبو الحسن محمد بن إسماعيل السامريّ (٢٠٢ ـ ٣٢٢هـ / ٨١٧ ـ ٩٣٣م) صحب أبا حمزة البغداديّ، وسأل السري السقطيّ عن مسائل. وكان إبراهيم الخواصّ تاب في مجلسه، وكذلك الشبليّ تاب في مجلسه. وكان من أقران النوريّ وطبقته. عمّر طويلاً، عاش مائة وعشرين سنة. وكان اسمه محمد بن إسماعيل. وإنما سمي خيراً النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة فقال: «أنت عبدي واسمك خير». وكان أسود، فلم يخالفه. فأخذه الرجل واستعمله في نسج الخزّ سنين. وكان يقول له: «يا خير» فيقول: «لبّيك». ثم قال له الرجل بعد سنين: «أنا غلطت لا أنت عبدي، ولا اسمك خير». فلذلك سمّي خير النساج. وكان يقول: «لا أغيّر اسماً سمّاني به رجل مسلم». (طبقات الصوفية: ٣٢٢ ـ ٣٢٥، حلية الأولياء: ٣٠٧/١٠، تاريخ بغداد: ٤٨/٢ ـ ٥٠، ٣٤٥/٨ ـ ٣٤٧، وفيات الأعيان: ٢١٩/١، سير أعلام النبلاء: ٢٦٩/١٥ ـ ٢٧٠).

المساجد وإذاً فقيرٌ من الفقراء وكنت أعرفه؛ فلما رآني تعلّق بـي وقال: أيّها الشيخ تعطّف عليّ فإنّ محنتي عظيمةٌ. قلت، ما هذا وما محنتك؟ فقال: فقدت البلاء وقورِنتُ بالعافية وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة، قال: «فنظرت في أمره وإذا قد فتح عليه شيء من الدنيا».

وليعلم العاقل أنّ من ذكر عيوب إخوانه ستر الله عليه عيوبه. كذلك سمعت محمد بن عبدالعزيز[335] يقول، سمعت ابن زيدان المزني[336] يقول: «صحبت الناس قديماً فرأيت أقواماً كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فستر الله عيوبَهم وأذْهَبَ عنهم العيوبَ؛ ورأيت أقواماً لم يكن لهم عيوبٌ فعابوا الناس فصارت لهم عيوبٌ».

والفقير إذا تحقّق في فقره شغله وجود الفقر عن شغل بغيره، ومن الخلق قبولاً وردّاً أو مدحاً وذمّاً. كذلك سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذيّ يقول، قال أبو علي الروذباريّ، قال أبو بكرٍ الزّقّاق: «لأيّ شيء ترك الفقراء أَخْذَ البلَغِ في الحاجات؟» فقلت: «إنهم استأثروا المعطي على العطاء». فقال: «لا ولكنّهم قومٌ لا يضرُّهم الفاقات إذ الله وجودهم ولا يسعهم إذا فاتهم فيشغلهم سرور الوجود وأسَف الفقد عن اشتغال بالأسباب من جهة الخلق».

والواجب على الفقير الصادق أن يصون أوقاته الظّاهرة لإرفاق الخلق لا لأن يُرْتفق بهم. فإن كلّ شيء يعمله من أجل غيره كان

---

[335] هو محمد بن عبدالعزيز، أبو عبدالله الرّملي. اصله من واسط، وسكن الرملة فنسب إليها. يروي عن شعيب بن إسحاق، ومروان بن معاوية. ويروي عنه علي القنطري وأهل الشام. (الأنساب: ٢٥٩).

[336] ابن زيدان المزني:

معذوراً. سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الرازيّ يقول، سمعت أبا العبّاس بن عطاء يقول: «لأنْ ينافق الرّجل عشرين سنةً فيكتسب جاهاً لعيش واحد من إخوانه يوماً من الأيّام في جاهه أنجى له مِنْ أن يُخْلصَ العمل عشرين سنةً يريد بذلك نجاة نفسه»(*). قال: وسمعته يقول: «اجعل أنفاسك لمن شئتَ من خلق اللّه تعالى بعد أن لا تجعلها لنفسك». قال وسمعته يقول: «أصل كلّ فتنة نسيان الحقّ لأنّ من نَسِيَه أنْساه نَفْسَه، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[1] ومن أبْلاَهُ اللّه تعالى بنسيان نفسه ومشاهدة زلّتها وقلّتها كان ذلك بَدْوُ عقوبةٍ له من اللّه عزّ وجلّ بإعراضه عنه ثم يزداد على اللّه تعالى جرْأةً لِقِلّة مشاهدته. وذلك يُضْعف البيّنةَ وينسي قدرة المولى عليه. ومن كان كذلك لا يرجى[2] له السلامةُ لفقدان آثار السلامة والنصرة عنه؛ إذ من آثار النصرة ما أعلمنا اللّه تعالى في كتابه بقوله في أوصاف طائفة مَرْضيّين فقال عزّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[3]. فبيّن اللّه تعالى آثار النصرة، فمن لا يطلب النصرة والسلامة بالذلة والافتقار لا ينالهما؛ لأنّ طلب النصرة بالقدرة منازعة الرّبوبيّة ومن نازع المولى قهره. وأبو يزيد البسطامي إمام العارفين في وقته وعظيم محلّه وجلالةُ قدر[ه] وما عُرِف من رياضته وتقطّعه وأسفاره، يُخْبِرُ عن نفسه

(*) هذا كلام يخالف الدين والعقل.

(١) سورة الحشر: ١٩.

(٢) في الأصل: لا يرجا.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

ما سمعت علي بن أحمد بن جعفر[337] قال: سمعت الحسن بن علّويه يقول: قيل لأبي يزيد: «ما شهوتك من الدنيا؟» قال: «أن أنظر إلى نفسي بالعين التي يَرَوْني بها الناسُ».

ويجب على الفقير أن يستزيد من نفسه معاملةً أو مقاماً أو حالاً ولا يرضى من نفسه بما هو فيه، فإن لم يكن فيه زيادة فهو في نقصان. ومن شاهد نفسه، وطلب الزّيادة في أوقاته شغله ذلك عن الاشتغال بغيره، ولا يتعاظم في نفسه، ولا يتكبّر إلاّ من رضي عنها. فمن شاهدها كما هي نفى عنها بذلك الكِبْر. سمعت منصور بن عبدالله يقول، سمعت النهرجوريّ يقول: «من علامة من تولاّه الله في أحواله أن يشاهد التقصير في إخلاصه، والغفلة في أذكاره، والنقصان في صدقه، والفتور في مجاهداته، وقلّة المراعاة في فقره، فيكون جميع أحواله غير مَرْضيّة عنده، ويزداد فقراً إلى الله تعالى في قصده وسرّه حتى يغنى عن كلّ ما دونه. ومن كان بهذه الصفة سقط عنه حظوظ الخلق وحمدهم وذمّهمْ».

ويجب على الفقير أن يعرف وجوه أرفاقه فلا يأخذ الرفق إلا من جهة يعلم أنّه لا يأكل بدينه. كذلك سمعت عبدالواحد بن بكر يقول، سمعت أحمد بن عطاء يقول، سمعت محمد بن الزبرقان[338] يقول:

---

[337] علي بن أحمد بن جعفر، أبوالحسن البغدادي (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م). سكن مصر. وممن روى القراءة عنه: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، أبو عبدالله العبديّ الأصبهاني. (غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٢٥٩، ٢/ ٩٨، طبقات الصوفية: ٦٨، حاشية: (ج)).

[338] محمد بن الزبرقان.

سئل أبو يزيد: «من كم وجهٍ تَسْلِيمُ الأرْفاق وكيف الأكل بالدين؟» فقال: «لا تسلَّم الأرفاق إلاّ من وجوه ثلاثة: كسبٍ من حلال، أو كفاية من أخ في اللّه عزّ وجلّ معتمداً على دينه أو إباحة العلم. والباقي كلّه أكلٌ بالدين».

ومن علامات الفقير الصادق في فقره ما سمعت نصر بن محمد الطوسيّ يقول، سمعت عمر بن محمد البغداديّ يقول، سمعت منصوراً الحربي[339] يقول، سمعت بشر بن الحارث يقول: «حقيقة الفقر ملازمة القِلّةِ واستحباب الذلّة وتعوّد العزلة». ومن استجلب لنفسه بفقره عزًا أظهر بذلك: أنّ طلبَهُ للفقر لا لِوُجُوبِ الفقر ومحبّته. وذلك لأن يدرك بفقره ما لا يدركه بغناه وطلبه الدنيا. فإنّ الفقير الصادق فيه من يصحب الفقراء وجوباً لا لتسبُّب. فمن عرج في فقره مع سبب فهو [مع] سببه لا مع الفقر.

ومن آداب الفقر قبول الذلّة فيه من غير شكوى ولا منازعة طبع وقال: في ظاهر الفقر التذلّل للخلق، وفي حقيقته التذلّل للّه عز وجلّ. سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول، سمعت فارساً[340] يقول، سمعت

---

[339] أبو نصر، منصور بن محمد بن أحمد بن حرب الحربي، البخاري، المحتسب (٣٨١هـ / ٩٩١م). كان على القضاء بفرغانة. روى عن أبي عبدالله المحاملي، وجماعة كثيرة من أهل الشام، ومصر، والعراق، وخراسان. روى عنه أبو العباس المستغفري وقال: «كان صاحب غرائب، يتشيّع. توفي ببخارى في جمادى الآخرة». (اللباب: ١/ ٣٥٥ ــ ٣٥٦).

[340] هو فارس بن عيسى ــ وقيل: ابن محمد ــ أبو الطيب الصوفي. صحب الجنيد بن محمد، وأبا العباس بن عطاء وغيرهما. وانتقل إلى خراسان فنزلها. وكان له لسان حسن. يقال: إنه مات بسمرقند. قال أبو نعيم: «فارس بن عيسى الصوفي

يوسف بن الحسين يقول: «كان لي صديق فمات. فرأيته في المنام فقلت: (ما فعل الله بك؟) فقال: (قال الله عزّ وجل: قد غفرت لك بتردّدكَ إلى هؤلاء السفل أبناء الدنيا في رغيف قبل أن يعطوك)».

وأفقر الفقراء من حجب عن رؤية أفعاله وأخلاقه. فإنّ من عرف نفسه حقّ معرفتها أنف من أن يفتخر بها، وبحالٍ من أحوالها، وكان شغله في إصلاح أوقاته. سمعت محمد بن الحسن بن عمرو السّبيعيّ [341] يقول، سمعت بشر بن الحارث يقول: «بي داءٌ ما لم أعالِجْ نفسي لا أتفرّغ إلى غيري. فإذا عالجت نفسي تفرّغْتُ لغيري، ما أبصرني بموضع الداء والدّواء؟ ثم قال: أنتم الداء أرى وجوه قوم[1] لا يخافون، متهاونين بأمور الآخرة».

ومن آداب الفقير أن يبدأ بتأديب نفسه. ونفسه محلّ الآفات والبلاء وهي الأمّارة بالسّوء. أخبرنا أحمد بن عبدالله بن يوسف القومسيّ مناولةً أنّ أباه أخبره عن عليّ بن أحمد بن عبدالحميد الغضايري عن السّريّ رضي الله عنه قال: «من عجز عن أدب نفسه كان عن تأديب غيره أعجز». والفقير من يرحم الغنيّ لما يرى عليه من أشغال الدنيا وحساب الآخرة فيدعو له ولا يحقره. سئل عن شقيق البلخيّ[2]: «بأي شيءٍ

بغدادي. وكان من المتحققين بعلوم أهل الحقائق، ومن الفقراء المجردين للفقر، وترك الشهوات. جالس الجنيد بن محمد، ويوسف بن الحسين، وأقرانهما من الشيوخ. ورد نيسابور، وخرج ـ على أكبر ظني ـ سنة أربعين ومائتين (٨٥٤م)، وسكن مرو». (تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٩٠).

[341] محمد بن الحسن بن عمرو السبيعي:

(١) في الأصل: قول.

(٢) في الأصل: البخلي.

يُعْرَف الفقير الصّادق؟» قال: «بصيانة فقره ورحمته لأبناء الدنيا وشفقته عليهم ودعائه لهم ومعرفة نِعمِ اللّه تعالى عليه في أنّه لَمْ يبله كما ابتلاهم به والقيام بشكر تلك النعم. وأحسن ما في الفقير استعمال الخلق مع الخليقة اقتداءً برسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في الشريعة والتحقُّق مع الحق بالحقيقة».

ومن آداب الفقير ما سئل أبو حفصٍ عن أحكام الفقر؛ فقال: «حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وقبول النصيحة من الأكابر، وترك الخصومة في الأرفاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادّخار، وترك صحبة من ليس في طريقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا». وإنما يقع خصومة الفقراء مع الأغنياء لتعظيم الدنيا في أعينهم، كذلك قال حمدون القصّار: «تَهَاوَنْ بالدنيا حتى لا يعظّم في عينك أهلها ومن يملكها». ولا يصحّ للفقير القيام بما عليه من مواجب الفقر حتى يترك ماله فيه. سمعت أبا نصر الطّوسي[342] يقول، سمعت أحمد بن عطاء يذكر عن خاله عن الجنيد قال: «لا تقوم بما عليك حتى تترك ما لك ولا يقوى على ذلك إلاّ نبيٌّ أو صدّيقٌ».

وأصل خصومة الفقراء مع الأغنياء من الطمع ومَنْعِهم إيّاهم ما يطالبون به. رأيت في كتاب جعفر بن حمدان[343]، سمعت أبا عثمان

---

[342] هو عبداللّه بن علي، أبو نصر السراج. تقدم.

[343] لعله جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبداللّه، أبو الفضل القطيعي، والد أبي بكر بن مالك. حدّث عن الهيثم بن سهل التستري، ومحمد بن مسلمة الواسطي. روى عنه ابنه أحمد، وعمر بن إبراهيم الكتاني. (تاريخ بغداد: ٧/٢١٩).

يقول، «أصل كلّ العداوة من ثلاثة أشياء: من الطمع في المال، والطمع في إكرام الناس، والرغبة في قبول النّاس». وقال أيضا: «لا يكمل الرجل حتى يَستَوِيَ قلبه في أربعة أشياء: في المنع والعطاء، والعزّ والذّل». وقال أيضاً: «صلاح القلب من أربع خصال: في التّواضع لله عزّ وجلّ، والفقر إلى الله عزّ وجلّ، والخوف من الله عزّ وجلّ، والرجاء في الله عزّ وجلّ».

وليس شيء أقطع لآداب الفقراء من العجب والكبر واحتقار الناس. وجدت في كتابٍ لأبي جعفر[344] يقول، سمعت أبا عثمان يقول: «الخوف من الله يوصلك إلى الله؛ والكبر والعجب بنفسك يقطعك عن الله. واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى». والأدب حِلْيَةُ الفقراء. كذلك قال أبو عثمان: «الأدب سند الفقراء وزين الأغنياء».

ومن آداب الفقراء ما سئل رويم عن فتوّة الفقراء فقال: «أنْ تعذر إخوانك في زلّاتهم ولا تعاملهم بما يحتاج أن تعتذر إليهم». وقال رويم: «من حلم الفقير أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها. فإن التوسيع عليهم اتباعٌ للعلم والتضييق على نفسه من حكم الورع». وقال رويم: «قعودك مع كل قوم أسلم من قعودك مع هذه الطائفة. فإنّ كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق. وطالب كلّ الخلق أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم

[344] لعله محمد بن عبدالله، أبو جعفر الفرغاني. تقدم.

بحقيقة الورع، وملازمة الصدق. فمن قعد معهم وخالفهم في شيء ممّا يتحقّقون فيه نزع الله نورالإيمان من قلبه».

ومن آداب الأغنياء والفقراء ما قاله محمد بن فضل السّمرقندي[345]: «أعظم الناس ذلاًّ فقيرٌ داهَنَ الأغنياء وتواضع لهم. وأعظم الخلق عِزّاً غنيٌّ تواضع الفقير أو حفظ حرمته». وقال محمد بن [أبي] الوَرْدِ[346]: «من آداب الفقير الصّادق في فقره ترك الملامة والتعيير لمن ابتلي بطلب الدنيا؛ والرّحمة والشفقة عليه، والدعاء له ليريحه الله تعالى منها، ولا يبتلى العبد بمساوي الناس حتّى يستحسن

---

[345] هو الإمام الكبير، أبو عبدالله محمد بن الفضل بن العباس البلخي (٣١٧هـ / ٩٢٩م) معروف بواعظ بلخ. نزل سمرقند. صحب أحمد بن خضرويه البلخي، وكان آخر من حدّث في الدنيا عن قتيبة بن سعيد. روى السلمي عن محمد بن علي، عن أبي عثمان الحيري أنه قال: «لو وجدت قوّة لرحلت إلى أخي محمد بن الفضل فأستروح برؤيته». روى عنه أبو بكر محمد بن عبدالله الرازي، وإسماعيل بن نجيد، وإبراهيم بن محمد بن عمرويه، وغيرهم.
روى أبو نعيم قوله: «ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلّمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم». قال السلمي في محن الصوفية: «لما تكلّم محمد بن الفضل ببلخ في فهم القرآن وأحوال الأئمة، أنكر عليه فقهاء بلخ وقالوا: مبتدع. وإنما ذاك بسبب اعتقاده مذهب أهل الحديث. فقال: لا أخرج حتى تخرجوني وتطوفوا بي في الأسواق. ففعلوا به ذلك. فقال: «نزع الله من قلوبكم محبته ومعرفته». فأتى سمرقند، فبالغوا في إكرامه. وقيل: إنه وعظ يوماً فمات في المجلس أربعة أنفس. (سير أعلام النبلاء: ١٤/٥٢٣ ـ ٥٢٦، طبقات الصوفية: ٢١٢ ـ ٢١٦، حلية الأولياء: ١٠/٢٣٢ ـ ٢٣٣ وغير ذلك).

[346] هو محمد بن محمد بن أبي الورد. سبقت ترجمة له تحت رقم: ٨٢.

أفعاله ويكون فيه هلاكه». قال محفوظ بن محمود[347]: «من أبصر محاسن نفسه ابتلي بمساوىء الناس، ومن أبصر عيوب نفسه سلم من ذكر مساوىء الناس». وقال محمد بن حاتم[348]: «ما استصغرتُ أحداً من الناس إلاّ وجدت نقصاناً في إيماني ومعرفتي». سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول، سمعت أبا علي الروذباري يقول: «الصَّوْل على من دونك ضعف وعلى من فوقك قِحَّةٌ. ولا يرفع أحد إلاّ بالتواضع ولا يحتقر إلاّ بالتكبّر». وقال أبو الحسن البوشنجي: «من ذلّ في نفسه رفع اللّه قدره

---

[347] محفوظ بن محمود النيسابوري (٣٠٣ أو ٣٠٤هـ / ٩١٥، ٩١٦م)، من أصحاب أبي حفص النيسابوري. وهو من قدماء مشايخ نيسابور وجلّتهم. وكان بعد موت أبي حفص يصحب أبا عثمان، ويلازمه طول عمره. وكان من أورع المشايخ وألزمهم لطريقتهم. وكان قد صحب أيضاً حمدوناً، وسلماً الباروسيّ، وعليّاً النصراباذي وغيرهم من المشايخ. مات بنيسابور ودفن بجنب أبي حفص. (طبقات الصوفية: ٢٧٣ ــ ٢٧٤، حلية الأولياء: ١٠/٣٥١، طبقات الشعراني: ١/١١٧).

[348] لعلّه محمد بن حاتم المِصِّيصي، أبو جعفر (٢٢٥هـ / ٨٣٩م)، عابد صدوق، يحمل لقب جِبِّي، يروي عن ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية وعدّة. وعنه أبو داود، ويعقوب بن شيبة وآخرون. (ميزان الاعتدال: ٣/٥٠٣، سير أعلام النبلاء: ١١/٤٥١ ــ ٤٥٢).

أو محمد بن حاتم بن سليمان الزِّمِّي (٢٤٦هـ / ٨٦٠م)، مؤدِّب خراسانيٌّ صاحب حديث، نزل سامرّاء، وحدّث عن هشيم، وعمار بن محمد، وجرير بن عبدالحميد وطبقتهم. وعنه الترمذيّ، والنسائيّ، وعبدالله بن أحمد وآخرون. وثّقه الدارقطني. (الجرح والتعديل: ٧/٢٣٨، تاريخ بغداد: ٢/٢٦٨، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٢٣١، سير أعلام النبلاء: ١١/٤٥٢).

قال الذهبي بعد ترجمة لهذين: «وفي أهل العلم جماعة محمد بن حاتم، لكنهم أصغر من هذه الطبقة». (سير أعلام: ١١/٤٥٣).

ومن عزّ في نفسه أذلّه اللّه في أعين عباده». والفقير من لا يكون له عمل يرضاه، ولا حال يسكن إليها، ولا وقت يرجع إليه، ولا له إليه معلوم، ولا يسكن إلى محبوب. والفقر حقيقة العبودية وعلامة عدم القدرة على المراد، وملازمة العجز وذلك حقيقة الفقر.

ومن فتوّة الأغنياء أن يحترموا الفقراء ويعلموا فضلهم وعجز أنفسهم عن درجاتهم والقيام بإرفاقهم. ومن فتوّة الفقراء معرفتهم وعجزهم عن بلوغ مواجب الفقر وذكر مناقب الأغنياء والشفقة عليهم، والدعاء لهم بأن يعافيهم اللّه تعالى من فتنة الغناء.

ومن علامة الفقير الصادق أن لا يعادي أحداً إلّا على الدين، ولا يحقد على مسلمٍ؛ فإنه من أخلاق طالبي الدنيا. فمن أسقط من قلبه حبّ الدنيا فقد برىء من المعاداة فيه والمنافسة مع أهلها، وذكر عيوبهم.

ومن علامة الفقير أن يكون لباسه الرضا، وطعامه التقوى، وأخلاقه الإيثار والسخاء، وشمائله الخشوع والخضوع والتواضع، وصفته وحاله قبول الموارد عليه بوجهٍ مُنْبَسِطٍ، وقلبٍ رحيم. وبلغني أنّ رجلاً جاء إلى أبي حفصٍ فقال له: «من أنت؟» فقال: «فقير». فقال: «كلّ الخلق فقراء، أرني في الأرض غنيًّا حتى تكرم أنت لفقرك. واعلم أنّ الخلق كلّهم فقراء من غير دعوىً فأنت فقير بدعوى». قال بعضهم: «إذا صدق العبد في فقره أكرمه اللّه تعالى بخصال: منها القناعة، وحسن الخلق، ومعرفة أقدار الناس بنقصان مشاهدة قدره، وإكرام أولياء اللّه عزّ وجلّ». وسئل أبو علي الجوزجاني عن شمائل الفقراء فقال: «طاعةاللّه عزّ وجلّ حلاوتهم، وحبّ اللّه تعالى صاحبهم، وإلى اللّه تعالى حاجتهم، واللّه

تعالى حافظهم، والتقوى طبعهم، ومع الله تعالى تجارتهم، وعليه جلّ ذكره اعتمادهم، وبه أنسهم وعليه توكلهم، والجوع طعامهم، والعُري لباسهم، والزهد ثمارهم، وحسن الخلق شمائلهم، والتواضع شيمتهم، وطلاقة الوجه حليتهم، وسخاوة النفس حيلتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والعقل قائدهم، والصبر سائقهم، والورع زادهم، والقرآن حديثهم، والشكر زينتهم، والذكر نهمتهم، والرضاء راحتهم، والقناعة مالهم، والعبادة كسبهم، والشيطان عدوّهم، والدنيا مذابلهم، والحياء قميصهم، والخوف سجنهم، والليل فكرتهم، والنهار عبرتهم، والحكمة سيفهم، والحق حارسهم، والحياء حلّتهم، والموت منزلهم، والقبر حِصْنهم، ويوم القيامة عيدهم، وبين يدي الله تعالى قرّة أعينهم، وفي ظلّ العرش مجلسهم، والفردوس مسكنهم، والنظر إلى الله جلّ جلاله منيتهم. فإذا ألزم الفقير هذه الآداب وألزم نفسه هذه الأخلاق كان من جملة الفقراء الصادقين وبلّغه الله هذه المنازل ويكون صحبته مع الخلق على شرط السلامة، ويكون الخلق منه في راحة، وهو من هواجس نفسه وطبايعه في راحة».

وقال أبو عبدالله بن جلاء: «صحبة الفقراء بالممارسة لا بالدعوى فيه. فمن صَحِبهم بالممارسة والمعانقة أورثه ذلك خضوعاً وخشوعاً وتذلُّلاً وشفقة. ومن صحبهم بالدعوى أورثه ذلك تجبُّراً وتكبّراً». وقال أبو تراب النخشبي: «إن الله تعالى زيّن أهل كلّ زمان بما شاكلهم. ولم يكن زمان أشرف من زمان محمد صلّى الله عليه وسلّم، ولا قوم أشرف من قوم صحبوه فآمنوا به؛ وزيّنهم بالفقر فأورثهم لباس الفقر التواضع في الظاهر، والرضا بالأحكام في الباطن. فهم أشرف الخلق، وأخلاقهم أشرف الأخلاق».

واعلم أنّ اللّه تعالى وصف نفسه بالتكبر والتجبر وتلك من صفاته المحمودة، لأنّ الكبر والجبّاريّة تليق بغنيٍّ لا يلحقه فقر بجهةٍ من الجهات. وهو الذي يقدر أن يغني من يشاء من عباده. قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم حاكياً عن ربه تبارك وتعالى: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي واحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ»[1]. وألزم عبيده الفقر فقال عزّ من قائل: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلى اللَّهِ﴾[2]. وفقرهم فقر لا يَلْحَقُهُ الغِنَى، والتكبّر والتجبّر فيه من الأوصاف المذمومة. لأنّ لباس الفقر يوجب الذُّلّ والخمول. وصفة الغني الحقيقي التكبر والتجبّر. فمن تكبّر أو تجبّر في فقره فقد خالف أوصاف العبوديّةِ والفقر. وقيل للجنيد: «من الفقير الظريف؟» فقال: «الذي يأخذ الأرفاق على الأدب لا على الرغبة». وقال سهل بن عبداللّه: «خلق اللّه تعالى الخلق فحكم لهم بالفقر وحكم لنفسه بالغنى وجعل لباس الفقر الخضوع والانكسار، ولباس الغني العظمة والتكبّر، فمن تكبّر في فقره فقد خرج من آداب العبوديّة، ودخل في منازعة الرّبوبيّة».

وكنت ذكرت في مسئلة سلوك العارفين آداب الفقر ومواجبه. فوجب إعادته ليتمّ به المرادُ فيه. فمن مواجبه وآدابه أن يخاف الفقير على فقره أكثر ممّا يخاف الغنيّ على غناه، وأن يغار على فقره فلا يُظْهِرُه[3]،

---

(۱) رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة... بلفظ... ألقيته في النار. ورواه الحاكم: ... فمن نازعني ردائي قصمته وقال: صحيح على شرط مسلم. كشف الخفا ومزيل الإلباس، ج ۲، ص ۱۰۶ القاهرة ۱۳۵۲.

(۲) سورة فاطر: ۱۵.

(۳) في نسخ سلوك العارفين: وأن يغار عليه ولا يظهره.

فإذا[1] ظهر عليه شيء من ذلك اجتهد في ستره، ولا يجالس الفقراء مجالسةً يظهر بذلك فقره، ولا يباين الأغنياء مباينةً تبدُو بمبا[2] ينتهم عليه آثاره، ويصحب الخلق على شرط السلامة، ولا يبدي غِنىً ولا فقراً، ويكون في الناس كواحدٍ منهم، ولا يتميّز عنهم إلاّ بملازمة آداب سلوكه، ويكون له أحوال يخلو بنفسه، يطالبها بصدق ما يبديه ويظهره نفسه منه في تعب والنّاس منه في راحة، يبيح للخلق ظاهره [ويضيق عنهم بباطنه][3]، لا يسكن إلى معلوم، ولا يوحشه معدوم، إن ظهر له من القدرة رفق قبله وعلم أنّ الحق أظهره له وإن ظهر ذلك بسبب ميّزه[4] ولم يخالف شرط العلم فيه. لا يطلب غائباً ولا يتبع نفسه مراداً ولا يتكلّف بالطلب[5]، ولا يلزم موضعاً يعرف به ولا لباساً يتميّز به عن أبناء جنسه، يكسب ظاهراً ويتوكل باطناً. إن نطق فبعلم، وإن سكت فبوقار وحلم، وإن أكل فبإيثار، وإن نظر فبعبرةٍ، وإن سكت فبفكرة، وإن سمع فبوجد، وإن أمر فبمعروف، وإن نهى فعن منكر. يشغله وقته عن مراقبة إخوانه، يرى فضل الخلق بمشاهدة نقصانه، يستعمل الأخلاق مع لأجانب فكيف مع الإخوان[6] والموافقين. يحترم المشايخ، ويكرم الأصحاب، ويرحم المريد. لا يأخذ رِفْقاً[7] بسبب إلاّ في وقت الحاجة،

---

(1) في سلوك العارفين: وإذا.

(2) في الأصل: بما ينتهم وفي نسخ سلوك العارفين هكذا.

(3) في نسخ سلوك العارفين ويضن عليهم باطنه.

(4) في الأصل: منزه ويكن في نسخ سلوك العارفين هكذا.

(5) في سلوك العارفين: في الطلب.

(6) في سلوك العارفين: ــ الإخوان.

(7) في سلوك العارفين: الرفق.

[ثم ينتقل][1] من موضع تسكن نفسه إليه. ولا يستبدّ في رفقه بأحدٍ دون أصحابه، [يحتمل أذى أصحابه][2] ولا يؤذيهم، ويحفظ لهم أحكامهم ولا يحكم عليهم. إن جاراهم العلمَ فعلى سبيل النصيحة[3] وإن كلّمهم فعلى طريق الأنس، ويطلب[4] لعثراتهم معاذير، وإن ظهر عذر لم يقبله[5] فللّه[6] علم [إنّه المعيوب، لا هم][7]؛ [يستر عليهم القبائح][8] بل لا يرى منهم قبيحاً إلّا في خرق الشرع أو ما يؤدي إليه فقط. لا يرى نفسه لمجالستهم، إلّا على حد التبع. يأخذ نفسه باستعمال الشريعة ومحاسن آدابها ولا يضيع النوافل ولا يتهاون بالسنن. يراقب قلبه في أداء الفرائض ولا يرى نفسه أهلاً[9] لرفع حاجته[10] إلى مولاه. ويكون من حاجاته [إلى مولاه][11] سؤال التوبة والغفران. ينشر أرفاقه في كلّ الأوقات، ولا يزري بالفقراء[12]، ولا يتهاون بالأغنياء، ولا يخضع لهم بسبب رفق، ويتيقّن المانع والمعطي هو اللّه عزّ وجلّ.

---

(١) في سلوك العارفين: ـ ثم ينتقل.

(٢) من سلوك العارفين.

(٣) في سلوك...: النصح.

(٤) في سلوك: يطلب.

(٥) في سلوك: + قلبه.

(٦) في سلوك: ـ فللّه.

(٧) في سلوك: ان العيب منه لا منهم.

(٨) من سلوك.

(٩) في الأصل: إلا زائدة في سلوك العارفين لا توجد إلا.

(١٠) في سلوك العارفين: حاجة.

(١١) من سلوك العارفين.

(١٢) في سلوك العارفين: ولا يزدري الفقراء.

ويكون فقره عن الأكوان وغناه بمكوِّنها. يرحم أهل البلاء، ويسأل ربّه العافية، ولا يعيّر أحداً، ولا يحقد على مسلم، [ولا يحسد إخوانه][1]، ولا يشمت بهم، ولا ينقض عهداً، ولا يخالف عقداً، ولا يسكن إلى شيء ويسكن إليه كلّ شيء، ولا يألف أحداً، ويألفه كلّ أحد، ولا يستأنس بأحدٍ[2]، ويستأنس به كلّ أحدٍ. ظاهره أمام آداب المريدين، وباطنه مرآة أنوار العارفين. لا يعرفه في فقره ومقامه إلّا أشكاله، ولا يسافر على المراد، و[3]يكون سفره حجًّا أو جهاداً، أو قصد شيخ، أو رياضة نفس، أو صحبة رفيق، أو طلب علم، أو زيارة أخ. ويتعلّم ما لا يستغني عنه في أداء فرائضه، ومداومة درس القرآن في خلواته. ويشتغل بالذكر في أكثر أوقاته، ولا يتماوت في فقره، ولا يشكو فإن شكاية الفقير لا نهاية لها. ويعمل في دوام المجاهدة ظاهراً وباطناً. أعزّ شيء عليه وقته، لا يشغله إلّا بأعزّ الأشياء وهو دوام الموافقة، واتباع الأوامر وطلب رضاه، أرجى أوقاته عنده وقت يقوم بخدمة إخوانه. يؤثر أصحابه بالأرفاق، ويتحمّل عنهم المشاق، لا يرى لنفسه فضلاً على أحد من الخلق[4] يلزم نفسه الأدب ليتأدّب به من يجالسه. يتوب عن أصحابه إذا أخطأوا، ويعتذر لهم إذا أذنبوا، وينعشهم إذا عثروا، ويصفح عنهم إذا زلّوا، ويتكبّر على من يتكبّر على الفقراء؛ ويميل إليهم. يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه، يترك ما لا يعنيه، ويشتغل بما يعنيه، ويتأدّب بالمشايخ، ويؤدِّب الأصحاب،

---

(١) من سلوك العارفين.

(٢) في سلوك: إلى أحد.

(٣) في بعض نسخ سلوك العارفين: بل.

(٤) في سلوك العارفين: من إخوانه.

ولا يَصْحَب الأحداثَ، ويجتنب أرفاق النسوان، ويبعد عن عشرتهن، وصحبتهن والكلام عليهنّ ومعهنّ، ويعلم أنَّهنّ ناقصات عقل ودينٍ وأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ فإن الشيطان ثالثهما». يسكن سرّه عند العدم ولا يعتمد على الكفاية إذا وجد، بل يعتمد على الكافي عزّ وجلّ. يعانق الصبر، ويعادي الهوى[1]، ويفارق [الشهوات][2] ويتلبّس بالرضا. كلامه نصح[3]، وصمته تفكّرٌ[4]، ولا يجالس إلّا إخْوَانَه، ولا يرافق إلّا أقرانه، ولا يصحب مخالفاً لطمعٍ، ولا ينبسط إلى صاحب[5] دنيا لسبب رفق، ويصون فقره عن مخالطتهم ومجالستهم، ولا يليّن جانبه للعوام فيتطرّق بذلك إلى صحبتهم[6]. ويتأدّب بإمامٍ، ويلازم السّنّة، ويصحب من يتبعها، ويجتنب البدعة وأهلها، ولا يلبس المرقّعة إلّا مضطرًا، ولا يتزوّج إلّا إذا خاف على نفسه هتك حرمة، ولا يتصدّرُ في المجالس، ولا يتكلّم على الناس، ولا يعتاد مجلس[7] السّماع، ولا يدّخرُ، ولا يرجع إلى معلوم، ولا يكون بفقره وجيهاً عند الأغنياء[8].

ويعلم بعد هذا كلّه أنّ هذا هو الترسّم بالفقر لا التحقّق فيه.

---

(١) في سلوك العارفين: يعادي الهو ويعانق الصبر.

(٢) من سلوك العارفين.

(٣) في سلوك: نصيحة.

(٤) في سلوك: فكر.

(٥) في سلوك: لصاحب.

(٦) في سلوك: فيتطرقوا بذلك إلى مجالسته.

(٧) في سلوك: مجالس.

(٨) في سلوك: ولا يكون له بفقره وجهاً إلى الأغنياء.

والوصول إلى حقيقة الفقر صعبٌ، لأنّه حال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم والصفوة من الأمّة والسّلف الصالحين رضي اللّه عنهم: فمن ترسّم به وطالب نفسه بالصدق فيما ذكرناه أورثه [اللّه][1] بركات التّحقق فيه. فإن اللّه تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2]. وروي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[3].

وقد بيّنت في هذه الفصول التي ذكرتها مختصرةً ما يستدلّ به الموفّق على طريق القوم، وآدابهم، وشمائلهم، وأخلاقهم. وأنا أسأل اللّه تعالى أن لا يحرمنا بركات ما نوينا فيه، وسعينا له بفضله ورحمته، إنّه قريب مجيب.

آخر بيان زلل الفقراء

والحمد للّه وصلّى اللّهُ على مُحَمَّد وآلِهِ وسَلَّم

* * *

(١) في الأصل: ــ (اللّه). أضفناه ليتمّ المعنى.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) أخرجه أبونعيم من حديث أنس. حلية الأولياء: ١٠/١٥.

فهارس الكتب التسعة

الموضوع	الصفحة

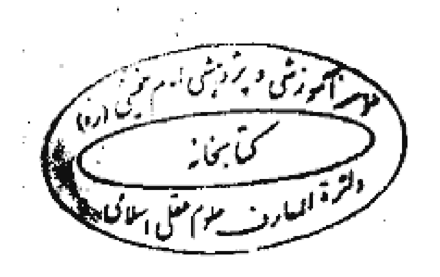
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *



الفهرس العام